

سعد التائه

مصر بين عهدينا

[١٩٥٢-١٩٧٠] [١٩٧٠-١٩٨١]



(مصر بين عهديين (1970- 1952) (1970- 1981)

سعد التانه

دار النضال

للطباعة والنشر والتوزيع

محتويات

إهداء ١

المقدمة الثانية ٢

الفصل الأول.. الخيانة العظمي ٣

الفاشية تعود ٣, ١

قصة 15 مايو ٣, ٢

السادات وأمريكا ٣, ٣

السادات وإسرائيل ٣, ٤

خيانة الأمانة ٣, ٥

السادات والمعركة ٣, ٦

الموقف الاقتصادي ٣, ٧

سبق الإصرار ٣, ٨

اليمين .. الرجعي ٣, ٩

المهريون والسياسة ٣, ١٠

الانفتاح .. والمخدرات ٣, ١١

الخيانة العظمي ٣, ١٢

استسلام .. وتسليم ٣, ١٣

الحلف الخبيث ٣, ١٤

هذا التحالف المشنوم ٣, ١٥

العدو الأشرس ٣, ١٦

الفصل الثاني ثورة يوليو والردة ٤

جمال عبد الناصر ثورة يوليو والردة ١, ٤

الجيش والثورة ٢, ٤

الطبقة الجديدة ٣, ٤

الرجعية القديمة ٤, ٤

أين الناصرية؟ ٥, ٤

المؤامرة ضد الجيش ٦, ٤

الجيش..والسلاح ٧, ٤

الجيش والسوفييت ٨, ٤

السلاح ... وأمريكا ٩, ٤

الجيش والشعب ١٠, ٤

نحو التصنيع ١١, ٤

أمريكا والسوفييت ١٢, ٤

عودة إلى الوراثة ١٣, ٤

الثورة الزراعية ١٤, ٤

التحولات الثقافية والاجتماعية ١٥, ٤

تخريب مبيت ١٦, ٤

الخيانة الوطنية ١٧, ٤

الحرب.. والغزو ١٨, ٤

الحقيقة بالأرقام ١٩, ٤

الرجعية القديمة والجديدة ٢٠, ٤

صرخات في واد ٢١, ٤

الأزمات... والنتيجة ٢٢, ٤

منطق الخيانة ٢٣, ٤

تصفية الناصرية ٢٤, ٤

الفصل الثالث: حرب أكتوبر ٥

..حرب أكتوبر من النكسة إلى الردة ١, ٥

أولا: حركة الجماهير ٢, ٥

ثانياً: التنظيم الطبيعي ٥,٣

ثالثاً: عزل مصر ٥,٤

المؤامرة ٥,٥

القتال ٥,٦

الوطن العربي ٥,٧

الموقف الأمريكي ٥,٨

الموقف السوفييتي ٥,٩

مزيد عن الثغرة ٥,١٠

الاختراق الإسرائيلي ٥,١١

وقف إطلاق النار ٥,١٢

قرارات خطيرة ٥,١٣

المعركة .. وماذا بعدها؟ ٥,١٤

الفصل الرابع: كامب ديفيد ٦

كامب ديفيد من الخيمة إلى الزيارة ٦,١

من القتال ... إلى التآمر ٦,٢

خطوات سريعة ٦,٣

خائن ... خائن ٦,٤

البداية ٦,٥

الحقيقة والخداع ٦,٦

الدور الوظيفي ٦,٧

الكم العربي .. والكيف الإسرائيلي ٦,٨

السلام المزعوم ٦,٩

وللمصريين كلمة ٦,١٠

معارضة شاملة ٦,١١

اتفاقيات سرية ٦,١٢

الفصل الخامس: عود روتشيلد ٧

الحرب ... والسلام ٧,١

رخاء أم دمار؟ ٧,٢

إلى مصر ٧,٣

إلى سيادة ٧,٤

نهب مصر ٧,٥

الغزو الصهيوني ٧,٦

رأس الرمح ٧,٧

عود على بدء ٧,٨

الخلاف ٧,٩

استبدال الأسياد ٧,١٠

حركة التحرر ٧,١١

الرايخ الصهيوني ٧,١٢

الفصل السادس: المأساة العربية ٨

مصر وفلسطين ٨,١

وجاءت الحرب حرب 1948 ٨,٢

.. حروب عبد الناصر ٨,٣

الوحدة المصرية السورية ٨,٤

الوحدة الشعبية ٨,٥

القوانين الاشتراكية ٨,٦

نكسة الوحدة ٨,٧

الوطن . أم المال؟ ٨,٨

الفوانض ومصر ٨,٩

الفوانض وأمريكا ٨,١٠

المحصلة القاتلة ٨,١١

هذا الثراء ٨,١٢

هذه السلطة ٨,١٣

الإرهاب والتعذيب ٨,١٤

! حلفاء ٨,١٥

الجهل ٨,١٦

المأساة ٨,١٧

زحف جديد ١٨, ٨

الفصل السابع: العالم الثالث ٩

السياسة الأخلاقية ٩, ١

الإغلاق والشركات ٩, ٢

العائلة الحاكمة ٩, ٣

كوريا الجنوبية ٩, ٤

هذه الأنظمة ٩, ٥

الحرية المحرمة ٩, ٦

المأساة الإيرانية ٩, ٧

والقصة الطويلة ٩, ٨

المخابرات... والخونة ٩, ٩

الزلازل ٩, ١٠

ملك أم مجرم؟ ٩, ١١

السادات والشاه ٩, ١٢

اللقاء ٩, ١٣

إيران... وإسرائيل ٩, ١٤

التجربة الكبرى ٩, ١٥

الثورة - الثورة ٩, ١٦

الثورة والجريمة ٩, ١٧

إلى أين؟ ٩, ١٨

!الفصل الثامن: خيانة الحليف ١٠

إخيانة الحليف ١٠, ١

التمهيد للخيانة ١٠, ٢

قوتان.. أم اتجاهان ١٠, ٣

الغاء المعاهدة ١٠, ٤

العلاقات الدبلوماسية ١٠, ٥

مشكلة التحرر ١٠, ٦

ناصر.. الاتحاد السوفييتي ١٠, ٧

وأخيرا .. العدوان الثلاثي ١٠,٨

العدو الواحد ١٠,٩

أرض واحدة ١٠,١٠

غريزة البقاء ١٠,١١

الفصل التاسع: الصديق اللدود ١١

الصديق اللدود ١١,١

عالم الرشوة ١١,٢

تحلل النظام ١١,٣

أمريكا الضاحكة ١١,٤

نظام ينتحر ١١,٥

الأزمة .. الأزمة ١١,٦

جذور الأزمة ١١,٧

من يدفع الثمن ١١,٨

سياسة الجهل ١١,٩

تجارب سابقة ١١,١٠

عبد الناصر وأمريكا ١١,١١

البداية ١١,١٢

قبل المعركة ١١,١٣

معركة الأحلاف ١١,١٤

عبد الناصر والأحلاف ١١,١٥

السادات والأحلاف ١١,١٦

الإستراتيجية الأمريكية ١١,١٧

التحالف الأمريكي – الصهيوني ١١,١٨

الصديق الجديد ١١,١٩

الفصل العاشر: أزمة الفكر ١٢

إزمة عالم ثالث أم أزمة مثقفين !!؟ ١٢,١

الأسباب والنتائج ١٢,١,١

الموقف ١٢,١,٢

المشكلة ١٢,١,٣

! سؤال وجواب ١٢,١,٤

! أزمة الثقافة العربية أم أزمة سياسية ؟ ١٢,٢

أى فكر ؟ ١٢,٢,١

! إلى الماضي ١٢,٢,٢

الثورة ١٢,٢,٣

النكسة الأولى ١٢,٢,٤

! المقاومة ١٢,٢,٥

! عود على بدء ١٢,٢,٦

! الفكر الاشتراكي ١٢,٢,٧

ماذا حدث ؟ ١٢,٢,٨

(التيار الديني (أ) ١٢,٣

! الدين ... والوطن ١٢,٣,١

قانون الحقوق ١٢,٣,٢

الأزهر ١٢,٣,٣

الأفغاني ١٢,٣,٤

! الأفغاني في مصر ١٢,٣,٥

الثورة ١٢,٣,٦

! أصول الحكم ١٢,٣,٧

! خطان ١٢,٣,٨

(التيار الديني (ب) ١٢,٤

من أين نبدأ ١٢,٤,١

! دين .. لا كهانة ١٢,٤,٢

! الانحراف بالثورة ١٢,٤,٣

! الثورة الاجتماعية ١٢,٤,٤

إلى أين؟ ١٢,٤,٥

! الهموم كثيرة ١٢,٤,٦

! الجبهة ١٢,٤,٧

قمة بغداد ٨, ٤, ١٢

إجبهة اليوم ٩, ٤, ١٢

الفاشية الجديدة ٥, ١٢

الفاشية الجديدة ١, ٥, ١٢

سمة الفاشية ٢, ٥, ١٢

! اختلاف ٣, ٥, ١٢

الوجه البشع ٤, ٥, ١٢

! الصهيونية ٥, ٥, ١٢

السادات ٦, ٥, ١٢

! القواعد ٧, ٥, ١٢

الليبرالية ٦, ١٢

الليبرالية الميتة ١, ٦, ١٢

البرجوازية الصغيرة ٢, ٦, ١٢

المرحلة والصراع ٣, ٦, ١٢

الفكر الرجعي ٤, ٦, ١٢

الختام ١٣

إهداء

إلى أمهات الشهداء في كل بقاع الأرض

الكتاب ومراجعته

كان المفروض أن يصدر "هذا الكتاب" قبل سقوط السادات وأن يسقط "الكتاب" بعد أن سقط السادات

ولكن السادات لم يكن فردا بل كان رمزا لمرحلة مرت بها مصر والوطن العربي وكان لسلوكه البالغ التحدي والصراحة الشاذة ميزة إذا كانت هذه ميزة تعرية نظم المساومة والخيانة وكان له فضل إذا كان هذا فضلا عملية الفرز بين العناصر الوطنية وعناصر الخيانة المتخفية برداءات وأقنعة متعددة الألوان والأشكال؛

كشف السادات بسلوكه وأخلاقياته و أفكاره وسياساته و طبيعة النظم الرجعية ودورها الذي لم ينته في خيانة القضية الوطنية والقومية والاستهتار بالشعب بحياة الملايين وتعرضت في أيامه نظم الحكم المندثرة برداء الدين كذبا أو نظم الحكم العائلية والقبلية أو المتخفية وراء شعارات الديمقراطية المزيفة والإشترابية الكاذبة

كل هذا استخدمه السادات شعارات من أقصى اليمين شعارات من أقصى اليسار لعب بها للتضليل والخداع وباع قضية الوطن والشعب لقاء بضعة دولارات أو ملايين الدولارات وشاعت الأقذار أن يسقط تحت الأقدام .. ولم تنفعه الملايين من الدولارات التي كانت تحرسه

سقط " السادات " وسقطت معه مرحلة مظلمة في حياة شعب مصر بعد أن أسكن الشعب المقابر وجعله يقتات الجوع .. ويهاجر مشردا

..ولكن

هل سقوط السادات واسقط عناصر الخيانة "المعشعشة " في مصر والوطن العربي؟ما زالت المعركة طويلة

ولهذا كان صدور " الكتاب " ضرورة أملت لها ظروف المرحلة فليس الكتاب بحثا في " ذات السادات " كما أنه ليس دراسة أو تقييما لمرحلة

ولكنه " صرخة " مدعمة بالحقائق والوثائق التاريخية لعله يشارك مع صرخات الملايين من الجوع والمشردين في وجه المظالم والفقر المدقع ... والمأساة العربية

وما كان لهذا " الكتاب " أن يصدر لولا عشرات الأقلام التي ساهمت في تعرية " المرحلة "سواء بالكتابة الصحفية أو .. التأليف

من الكتب

"هذا الانفتاح الاقتصادي "فؤاد مرسى

" محاكمة الانفتاح الاقتصادي "عبد القادر شهيب

" دفاع عن الشعب "د. عصمت سيف الدولة

" النيل في خطر " كامل زهيري

" قصة ثورة يوليو "أحمد حمروش

"الحركة الوطنية المصرية "طارق البشري
تاريخ الحركة القومية " عبد الرحمن الرافعي
"حروب عبد الناصر "أمين هويدي
"التاريخ الاقتصادي للثورة " د. على الجريتلي
"تاريخ الاشتراكية في مصر " د. رفعت السعيد
"الانتفاضة الطلابية في مصر، تطور الملكية الزراعية في مصر " د. على بركات
"أوروبا ومصير الشرق العربي "د جوزيف حجاز
"مصر في عهد عبد الناصر " بيلياف
"أحلام روتشيلد "د. محمد ربيع
"اليهود والحركة الصهيونية في مصر د. " سهام نصار
" تاريخ النهب الاستعماري في مصر "ترجمة عبد العظيم رمضان
"بنوك وباشوات "ترجمة عبد العظيم أنيس
"العلاقات المصرية السوفيتية "فؤاد المرسي
"قصة السوفييت في مصر "محمد عودة وآخرون
"سياستان أزاء الشرق الأوسط "بوند كرايفسكي
" اليهود في مصر "أحمد غنيم
".تفاقم الأزمة العامة للرأسمالية "تريبلكوف

صحف ومجلات

الأهرام

الجمهورية

الأخبار

الطليلة

روز اليوسف

.. الأهرام الاقتصادي من مصر

الوطن

القبس

الطليلةمن الكويت

. السفير والنهار والوطن العربي من لبنان

:وثائق ودراسات

وثائق التجمع الوطني وصحيفة الأهالي و وثائق حزب العمل الاشتراكي وصحيفة الشعب وثائق جماعة المستقلين
. ووثائق الانتفاضة الطلابية و " 18 و 19 يناير " حسين عبد الرازق

وأخيرا لا يمكن أن اختتم هذه المقدمة دون انحناءة لجبل عبد الناصر من أبناء الفلاحين والعمال الذين حملوا عبء
هذه المرحلة،استشهادا،وعملا،وفكرا،ومقاومة

المقدمة الثانية

خلال أشهر بل أسابيع من مقتل السادات تكشفت وقائع رهيبة عن نظام الحكم فلم يكن يحكم مصر دولة أو حكومة بل
عصابة من اللصوص والقتلة وتجار المخدرات

وفضحت قضية رشاد عثمان أخطبوط الفساد الرهيب الذي سري كالسرطان و في جسم مصر .وتحقق ما تنبأ به ميثاق
عام1962 عندما قال

إن الأمل الوحيد للرأسمالية المحلية وفي النمو هو أن تربط نفسها بحركة الاحتكارات العالمية وتقتفي أثرها "
"وتتحول إلى ذيل لها وتجر أوطانها إلى هذه الهاوية الخطيرة

وفي سبيل المال قام أشقاء السادات بجرانم القتل وانفتح الطريق أمام تجارة المخدرات وتحت شعارات الدين التي رفعها
حلمي عبد الآخر كانت الرشوة والفساد والعمولات وتكونت ثروات خيالية للمسئولين خلال السنوات العشر من حكم
السادات

:فقالته محكمة القيم في حكمها ضد رشاد عثمان

إن ما تردى فيه عدد من المسؤولين يستوجب استجوابهم بمقتضى أحكام القانون، غير أن الفصل في الوقائع المسندة "
"إليهم تخرج عن اختصاصات محكمة القيم ومن ثم لا يسعها إلا أن تترك للسلطات المختصة

ومن بين الأسماء ذات الوزن في النظام تردد أسماء عناصر في القمم كل قمم أجهزة الدولة دون استثناء وحتى لا نغفو فإن محاكمة هؤلاء المسؤولين ليست مجرد قضية قانونية بل قضية وطنية وقومية

كما سيتضح من صفحات الكتاب إن هؤلاء المسؤولين و لم يكونوا مفسدين أو مرتشيين أو لصوص فحسب بل خونة بكل ما تعنيه الكلمة من أبعاد خاتوا نضال الشعب وسلموا مقاديره للأمبريالية الأمريكية وفتحوا أبواب مصر للصهيونية خاتوا الشعب بالتفريط في ثروته وأمواله أعطوها للأجانب خاتوا كل القيم والمقومات للشعب

إن أسرار هذه الحقبة مسؤولية كل مثقف ووطني وأرجوا أن يكون هذا الكتاب الذي كتب قبل مقتل السادات بداية عمل جدي لفضح وإدانة الخونة وكشف حقيقة ما حدث خلال حكم السادات

لقد صدر حكم الشعب وتم التنفيذ أمام قادة العالم ورؤسائه .ولعلها أول مرة في التاريخ يسقط فيها رئيس من على ..مقعده وهو بأبهي الأزياء والنياشين ليجد نفسه تحت الأقدام

وظهر أن كل ما قيل ليس إلا القليل فحتيات الحكم لم يصدر منها سوي صفحات وما زالت صفحات طويلة مطوية ويجب . أن تكتب للأجيال القادمة

جيل مصر الخالدة

الفصل الأول..الخيانة العظمي

!ما حدث ليلة عيد الأضحى عام 1977 لم يكن مفاجأة

.. كل الخطوات منذ بداية حكم السادات كانت تسير في خطوات مرسومة

ولعل تاريخ الشعب المصري و لم ير خيانة مثل هذه إلا يوم قاد الخديوي توفيق قلة من الخونة ليسهلوا دخول الإنجليز إلى مصر وتكررت المأساة !. والفارق كبير بين مأساة ومأساة ففي عام 1882 لم يدخل الإنجليز مصر إلا بالرشوة والخيانة مما أدى إلى هزيمة الجيش المصري في معركة التل الكبير

أما مأساة اليوم و فحدثت بعد أن حقق الجيش المصري أعظم انجاز وانتصار له على خط بارليف وفي غمرة الانتصار و دخل كينسجر الذي قاد العدوان على مصر ويذاه ملطختان بدماء الشهداء

كان دخول كينسجر ثم نيكسون بداية المأساة إن العدو الذي حاربنا كما اعترف السادات دخل في موكب الزهور وكانت دموع النكالي واليتامى لم تجف

كيف حدث هذا ؟.. ولماذا حدث؟

منذ البداية و كان الارتباط بين "الفاشية" و "الصهيونية" معروفا " وعلى دماء آلاف اليهود مهدت الصهيونية لإقامة "دولة" إسرائيل.

وخلال الحرب العالمية الثانية و كان الاتصال دائما بين القيادات النازية والقيادات الصهيونية وكانت الصهيونية تضحي بألاف اليهود من أجل إنقاذ أفراد من الصهيونيين بل قدمت الصهيونية للنازية المال والمعدات

ولم يكن "السادات" بعيدا عن النازية فكرا وسلوكا ألقي القبض عليه بتهمة الاتصال بالمخابرات النازية ثم أفرج عنه وفصل من الجيش ولم يعد إلى صفوف الضباط إلا بعد أن قدم الولاء إلى "الملك" في لحظة كانت كل القوي الوطنية قد كشفت خيانة الملك وتحالفه مع الاستعمار ونادت بسقوطه

وانضم "السادات" إلى الحرس الحديدي الذي شكله القصر الملكي للتخلص من القيادات الوطنية وساهم في محاولة اغتيال النحاس باشا زعيم حزب الأغلبية

إنه جنون القتل والإرهاب وتحدي مشاعر الملايين بهذه الشعارات خرجت الصهيونية إلى الوجود وبهذا الفكر والسلوك عرف الشعب المصري "أنور السادات" وكما اتصفت النازية والصهيونية بالخداع كانت خطوات السادات تتسم بخداع وتضليل الجماهير

انضم "السادات" إلى "ثورة يوليو" وهو يعادي كل ما رفعته من شعارات وكل ما كانت تحقق من انجازات ولكنه قام "بتأليف كتاب يمجّد الثورة وكتاب آخر يشيد بقائدّها سمّاه " هذا عمك جمال يا ولدي

وأمام قوة الثورة الوطنية و تدفق المشاعر وانطلاق الجماهير سار "السادات" مستلما كان يوافق على كل شئ ويؤيد كل شئ ويستسلم أمام أي شئ! وعبر "السادات" عن نفسه في كتابه " البحث عن الذات " بقوله

كنت أسعي دائما للتحايل وحاولوا مرارا أن يعرفوا سر سلوكي قالوا أنه ضعف وعدم معرفة بالأمور أو عدم اهتمام " ! لكنهم لم يتوصلوا أبدا للحقيقة

! وما أن مات عبد الناصر حتى رفاقه بالتسليم لهم وبالقيادة الجماعية ولكن سرعان ما انفرد بالحكم وظهرت حقيقة

في شهري مارس وأبريل 1977 كانت قطع الأسطول الأمريكي السادس تتدفق على البحر الأبيض المتوسط و تقترب من مصر حاملة طائرات وغواصات ذرية وحاملات جنود من المدربين على حرب الصحراء

وفي مايو كان روجرز في تركيا يحضر اجتماع حلف الأطنطي ولم يبق سوى ساعات على وصوله إلى القاهرة وفي غضون تلك الساعات كانت جماعات من الحرس الجمهوري تتدفق على وزارة الداخلية بميدان لاطو غلي بملايسهم المدنية يحملون السلاح تحت أريبتهم

وكان كبار ضباط الجيش المصري في اجتماع حضره وزير الحربية الفريق محمد فوزي ورئيس الأركان الفريق محمد إصادق ..وتحدث الفريق فوزي قائلا:إن البلد سيباع للأمريكيين

:وتصدي الفريق صادق ضابط الحرس الملكي السابق لوزير الحربية قائلا

سيادة الوزير ما دمت استقلت فإني أقترح أن تذهب إلى بينك وتستريح إن واجبنا أن نحاول إبقاء الجيش بعيدا عن السياسة!

وفي نفس اليوم ألقى القبض على ما سمي " جماعة على صبري" وهي المجموعة التي نصبت السادات رئيسا ... للجمهورية! وكانت هذه هي البداية

صاغ السادات "انقلاب 15 مايو " في قصة مشوقة قدمها للجماهير بشكل مسرحي اخذ يروي قصة الضابط الذي أحضر له تسجيلات المؤامرة ثم ذهب إلى فناء وزارة الداخلية وأحرق "التسجيلات " في مظاهرة تلفزيونية وتحدث كأنه فوجئ بتحركات رفاقه ضده..والحقيقة يرويها كتاب "وثائق 15 مايو" الذي أصدرته احدي " دور النشر " التابعة للسادات

:يقول الكتاب

كان الرئيس مستعدا بخطة عسكرية كاملة تحددت فيها التحركات والتكليفات كاملة وقد تم ذلك منذ شهرين كاملين و " عندما استدعي الرئيس السادات الفريق الليثي قائد الحرس الجمهوري وكلفه بوضع خطة لحماية القاهرة تتفذا قوات الحرس الجمهوري وضعت الخطة كاملة وكان الفريق الليثي ينتظر فقط الأمر من الرئيس بالتنفيذ!ولكن هل صحيح أن ..!قصة "انقلاب 15 مايو" كانت البداية ؟

ولم تكن زيارة "روجرز" وزير الخارجية الأمريكية لمصر في مايو عام 1971 أو تحركات الأسطول الأمريكي في نفس الفترة عفوية بل كان هناك خيط يربط الأحداث التي تراكمت في تلك الفترة ظل خفيا حتى أظهرته صحيفة " هيرالد

تربيون " فيعدها الصادر بتاريخ 25 فبراير (شباط) عام 1977 عندما كشفت ارتباط السادات بالمخابرات الأمريكية عن طريق "كمال أدهم" رجل المملكة السعودية وحصوله على مبالغ متفاوتة من المخابرات

"كان الانقلاب معدا من قبل وكانت الأسطول السادس تخوفا من حدوث صدام داخلي كما جاء في كتاب "وثائق 15 مايو

كان الرئيس السادات قد وضع في حسباته أن يحرك شعراوي جمعة قوات الأمن المركزي " وكان وجود " روجرز " في " أنقرة " واجتماع حلف الأطلنطي.ترقبا للأحداث وتوقعا لصدور "استغاثة" من السادات بطلب النجدة فكان الأسطول الأمريكي مستعدا بقوات النزال المدربة على حرب الصحراء

كانت كل خطوة تنبئ بالمسيرة المظلمة عاد أعداء الشعب الذين أدانتهم ثورة يوليو والذين خاتوا الشعب وأفرج عن . الجواسيس والخونة والذين باعوا أنفسهم للأعداء كان كل هذا تمهيدا للتسليم للأعداء أنفسهم للإمبريالية والصهيونية

وعادت الفاشية التي كانت تحلم بها القوي الرجعية في مصر والعالم العربي عادت في عداة سافر للجماهير لتعيد ..التحالف بين الفاشية والصهيونية تحت قيادة الإمبريالية الأمريكية

السادات وأمريكا

في كتاب " حرب رمضان" الذي وضعه "حسنين هيكل " وكان مقربا للسادات في بداية حكمه وخطط له للإفتراد بالحكم :في 15 مايو كشف أن السادات كان على اتصال بالخارجية الأمريكية عن طريقين

. الأول: طريق وزارة الخارجية الأمريكية

.الثاني: طريق المخابرات الأمريكية

في هذه المرحلة ألقى السادات خطابين رسميين أمام الجماهير . أعلن فيهما الخطة الأمريكية لحرب أكتوبر (تشرين) كما أعلن مطلب أمريكا في لقاء مباشر بين مصر وإسرائيل

:ففي 17 يوليو (تموز) 1973 قبل حرب أكتوبر بثلاثة أشهر قال السادات

" وأمريكا قد اقترحت فتح قناة السويس ولما تفتحوا قناة السويس اجلسوا وتفاوضوا مع إسرائيل"

:وفي 24 يوليو (تموز) 1973 قال السادات

أمريكا في 72 وأوائل 73 دخلت بعملية جديدة دخلت بعملية الحل الجزئي القضية ممكن تحل إذا بدأت بحل جزئي ..."

بين مصر وإسرائيل هدفه فتح قناة السويس وربط هذا الحل الجزئي بالحل النهائي برباط ما ده كلام الأمريكان الرسمي

فماذا حدث بعد حرب أكتوبر وبعد أن قدمنا آلاف الشهداء؟ أن ما نفذ هو نفس ما طلبته أمريكا بل نستطيع أن نري أن ما حدث هو ما خططته المخابرات الأمريكية فوزراء الخارجية المصريين استقالوا واحدا أثر الآخر .. ونفذت الولايات المتحدة ما أرادت

. أولا: فتح قناة السويس

.. ثانيا: الجلوس والتفاوض مع إسرائيل

ويبقى سؤال لماذا كشف السادات أوراقه قبل حرب أكتوبر ولماذا أعلن رفضها؟ في هذه المرحلة كان المد الثوري في مصر قد بلغ ذروته وخرجت مظاهرات الطلبة والعمال تطالب بالحرب وتحرير أرض الوطن وفي نفس الوقت كان الجيش متوجسا من تراجع أو انسحاب يأتيه بأوامر سياسية

ولم يكن أمام السادات إلا أن يخوض الحرب ولكن ليوقف بها عند الحدود المرسومة أو الحدود المتفق عليها مع أمريكا ففي اللحظة التي كان فيها الطريق مفتوحا أمام الجيش المصري للوصول إلى الممرات أمر السادات بوقف القتال وحتى وصلت الحشود الإسرائيلية إلى مواقع الجيش المصري

بل أبشع من ذلك حدثت الثغرة في صفوف الجيش المصري بعد أن أمر "السادات" بنقل القوات المدرعة التي تحمي ! "الدفرسوار" إلى الضفة الشرقية للقناة على الرغم من معارضة القادة العسكريين

وفي اللحظة التي كانت القوات المصرية تعبر القناة وتواجه القوات الصهيونية والأسلحة الأمريكية كانت سياسة الانفتاح ترسم لتتدفق رؤوس الأموال والخبراء الأمريكيين ثم زحفت البنوك الأجنبية أموال المصريين في الداخل وحولتها إلى الخارج ولم يدخل مصر مليم واحد بينما البنوك الأجنبية التي لم يتجاوز رأسمالها خلال خمس سنوات 26 ! مليون جنيه أودعت في فروعها الرئيسية بأوروبا وأمريكا 160 مليون جنيه

وهكذا وشاءت الفاشية بعد أن سلبت الجيش انتصاراته أخذت تسلب من الشعب قوت يومه. وكشفت فضائح شركة " لوكهيد" ارتباط المسؤولين وزوجاتهم في صفقات الرشوة والعمولات والاختلاسات وأصبحت فضائح الطغمة الحاكمة : على لسان رجل الشارع وتناقلتها صحف العالم

فضائح صفقة السيارات من إيران والحديد المسلح وصفقات السلاح وصفقة الطائرات. وفي نفس الوقت زاد الغلاء ! بصورة بشعة في مصر ولجأ الكثيرون من أهالي القاهرة إلى المقابر يبحثون عن مسكن يأويهم

السادات وإسرائيل

لم تكن "إسرائيل" سوى أداة الاستعمار العالمي منذ أن قامت إلى اليوم وكانت حرب 56 ردا على تأميم القناة واستردادها من الشركة الاستعمارية وأعادتها إلى الشعب الذي حفرها وكان عدوان 1967 ردا على تأميم الشركات . وتمصير البنوك التي كانت تنهب الشعب المصري وتستنزف أمواله

وكان التأميم ابرز إيجاز حققته ثورة يوليو وكان أول خطوة في سبيل لتحرر الاقتصادي بعد الاستقلال السياسي ولكن السادات أعلن " لا تأميم ولا مصادرة " بل فتح الأبواب لشركات جديدة ورؤوس أموال واحتكارات امبريالية وضرب " قرارات المقاطعة التي أجمعت عليها القطار العربية بعد أن خان الإجماع العربي " لا مفاوضة لا صلح لا معاهدة

وهكذا وجد رأس المال الصهيوني طريقه إلى مصر مع الرأسمالية الأمريكية والاحتكارات العالمية ! وعاد النهب الاستعماري لمصر ولكن سرعان ما انكشفت كل الخدع انكشفت الخدعة التي حدثت في حرب أكتوبر وساد التذمر .. صفوف الجيش وانكشفت خدعة الحريات ودولة المؤسسات وأصبح السادات عاريا أمام الجماهير

وانطلقت قوي الشعب في انتفاضة 18,19 يناير هتفت بسقوط السادات وهتفت باللغات اشترك كل الشعب من الإسكندرية إلى أسوان شيبا وشبابا أطفالا ونساء كل الشعب قام في انتفاضة تاريخية وصوت واحد ونداء واحدا هتف بسقوط السادات وكان يجب أن يسقط

رفض جنود البوليس إطلاق الرصاص وامتنع الجيش عن ضرب الشعب. ولم يجد السادات أمامه إلا أن يطلق قواته الخاصة لتطلق الرصاص على الشعب وليثبت حكمه وسقط عشرات الشهداء

بدأ السادات حياته السياسية بالإرهاب الفردي وينتهي بالإرهاب الجماعي وكان لقاء ليلة عيد الأضحى لقاء بين الإرهاب " الصهيوني والإرهاب الرجعي في الوطن العربي وفي ختام اللقاء أعلن السادات أنه سيعمل على " ضمان أمن إسرائيل

والسؤال الذي ستكشف عنه الأيام من الذي سيعمل لضمان أمن الآخر هل السادات هو الذي سيضمن أمن " إسرائيل " أم أن " إسرائيل " هي التي ستقوم بضمان أمن السادات؟

خيانة الأمانة

في 15 مايو عام 1974 قدم السادات ورقة أكتوبر وجاء فيها

لقد أرجف الذين زعموا أننا نريد أن نلغي "الميثاق وأن نعدل عن اشتراكييتنا " إن وثائق الثورة لا تتسخ بعضها " ولكنها تكمل بعضها البعض لقد قلت في خطاب 28 سبتمبر الماضي أنني أو من بالإشتراكية وبأنها الحل الوحيد لمشكلة التقدم ومبادئ الميثاق الأساسية قد استقرت في دستورنا الدائم ولا يملك أحد تعديل الدستور إلا بإجراءات طويلة وبعد .. استفتاء شعبي

وفي 7 يونيو عام 1977 نقض هذا الكلام قائلا

المبادئ الستة المشهورة هي جوهر ثورة 23 يوليو وما جاء بعد ذلك من ميثاق أو بيان 30 مارس أو خلافه كلنا " !نعلم الظروف التي صدرت فيها وكلنا نعلم أنها صدرت لكي لا تنفذ وإنما لتمتص موقف

وهكذا كانت الأمانة التي حملها باسم ثورة يوليو !!فهل حقا صدر "الميثاق " ولم ينفذ؟ " الميثاق " الذي أصدره عبد .. الناصر عام 1962 باسم ثورة يوليو نص صراحة على انتماء مصر العربي

وعلى طبيعة المعركة ضد الصهيونية . قائلا

إن قطعة من الأرض العربية في فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية " أرادها المستعمر لتكون سوطا في يده يلهب به ظهر النضال العربي .فهل هذا واقع أم مجرد كلام؟

وقال الميثاق

إن النضال الوطني حتى في إبان معركته العسكرية المسلحة ضد الاستعمار أضاف لهذا القطاع العام كل الأموال " البريطانية والفرنسية في مصر وهي الأموال التي سلبت من الشعب تحت ظروف الامتيازات الأجنبية وفي العود التي " استبيحت فيها حرية الثروة الوطنية لتكون نهبا للمغامرين الأجانب

فهل كان هذا الكلام امتصاصا لموقف أم تقرير واقع تاريخي واقتصادي عاشه ولمسه وعاني منه الشعب المصري ؟ولسنا في معرض تحليل " الميثاق " ولكننا أمام أقوال السادات الذي تشدق كثيرا بالأخلاق والقيم وأصدر قانون " العيب" وقف "السادات" في المؤتمر العام للإتحاد الاشتراكي الذي عقد بعد وفاة جمال عبد الناصر

وانتخب فيه السادات رئيسا للإتحاد الاشتراكي وأعلن

أتعهد ان أعطي كل جهد وكل إخلاص بل كل نفس في حياتي لاستكمال المسيرة التي قادها جمال عبد الناصر على ... " طريق الحرية والإشتراكية والوحدة

وقال:

"لقد كنت طوال عمري مؤمنا به زعيما ومعلما ..."

:وفي كلمة ألقاها في 15 ديسمبر (كانون الأول) عام 1970 قال

هكذا كانت سياستنا التي سنّها الزعيم والمعلم جمال عبد الناصر وجاهد من أجلها طول حياته وإلى آخر لحظة من " حياته... كان فقدان عبد الناصر كارثة وطنية

وفي خطاب أمام هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد العليا لقب عبد الناصر بالقائد الخالد أما في مذكرات السادات التي كتبها بعد ذلك

:والتي جعل عنوانها " البحث عن الذات" يقول

مسكين عبد الناصر فقد مات دون أن يتمتع بلذة العيش وقضي حياته في الكراهية والغضب وامتلاً قلبه دائما بالقلق " حيث كان ينظر إلى الجميع نظرة الشك، ولذا كان من الطبيعي أن يترك ميدانا من الكراهية لقرب زملائه وللشعب بكامله

وسخرت الصحافة العالمية من مذكرات السادات فكتبت صحيفة " لويوان" الفرنسية" يقول السادات في مذكراته أن تعاطفه مع ناصر جعل منه إنسانا أعمى والواقع أن شينا ما من هذا العمى بحب ناصر لم يبق هذه الأيام وعبر صفحات "مذكرات السادات يبدو عبد الناصر رجلا عصيبا متشككا

السادات والمعركة

السادات بتهم نفسه وليس في حاجة إلى توجيه اتهام إليه:قال في نص البيان الموجه إلى الأمة في الأول من حزيران " يونيو" عام 71 "وقد قال عبد الناصر، ومن بعده أقول إن التفريط ولو للحظة واحدة في صداقة الذين يساعدوننا ولا يساعدنا غيرهم على القتال والنصر وتفريط في مصير بلدنا وتمكين للاستعمار الذي يريدنا بغير صديق في معركة التحرير ومعركة البناء

:وفي 29 شباط عام 72 في المؤتمر القومي سأل أحد الأعضاء

هل يشترط الاتحاد السوفيتي بعض الشروط لمساعدة مصر والدول العربية على إزالة العدوان؟

وأجاب السادات

أخشي أن يكون مبعث هذه الأسنلة حملات التشكيك المستمرة والتي تهدف في النهاية إلى تقويض علاقتنا بالاتحاد السوفيتي حتى نبقى وحدنا ويسهل عزلنا والقضاء علينا نسمع هذا في إذاعات أمريكا وقد قرأناه في المنشورات التي وزعها الأجانب الثلاثة في القاهرة الذين جندتهم المخابرات الإسرائيلية الاتحاد السوفيتي لم يطلب منا أية شروط لمساعدتنا على غزالة أثار العدوان . أمريكا هي التي تحاول أن تفرض علينا شروطها المسبقة

وبعد توقيع المعاهدة المصرية .. السوفييتية قال أمام مجلس الشعب

أريد أن أقول أمامكم وأنا واثق أنني أعير عن إرادتكم وإرادة جماهير أمتنا كلها و ما يلي إن الصداقة مع الذين " يساعدوننا ولا يسعدنا غيرهم على القتال وعلى النصر ليست صداقة مرحلة وليست مجرد تكتيك ..الصداقة مع الذين يساعدوننا على النصر والبنا ليست صداقة مرحلة وإنما هي صداقة كل المراحل وليست مجرد تكتيك .. وإنما هي "إستراتيجية ثابتة

. السادات من أقوله يدين كل من يشكك أو يفرط في الصداقة مع السوفيت .. فماذا فعل؟ ألغي معاهدة الصداقة

.. طلب سحب الخبراء السوفيت من مصر خلال أسبوع

! اتهم السوفيت بأنهم يقدمون السلاح لمن لا يستطيع أن يحارب

!"اتهم السوفيت في خطاب قذاع بـ "الغباء

! اتخذ موقف العداء في الداخل والخارج من السوفيت

والوجه الآخر في عام 1972 . في شهر كانون الثاني وقال السادات في أول اجتماع للوزارة الجديدة.إن أماننا معركة تحد طويلة بعد أن دخلت أمريكا المعركة ضدنا إن هذا التحدي الواضح جعلني أقرر بنفسني ومعني الفريق أول محمد صادق جمع النواحي العسكرية

وقال

لقد تحقق أمس فعلا ما سبق أن توقعناه في حساباتنا السياسية فقد اتخذت الولايات المتحدة خطوة خطيرة أمس " لمتعد إسرائيل بمقتضاها قاعدة لطائرات الفانتوم التي تمدها أمريكا بل لقد قررت الولايات المتحدة بموجب الأخبار التي أعلنت أمس 17 يناير (كانون الثاني) أن هناك اتفاقا جديدا يقضي بتزويد إسرائيل بصناعة الأسلحة الضخمة والمعدات ..والمعونات الفنية مع إرسال خبراء التدريب الأمريكان وستكون مع هذه المعونة المعدات والأسلحة الأمريكية الحديثة

:وقبل ذلك بعام أيضا في يناير (كانون الثاني) عام 1971 خطب في المؤتمر الشعبي الذي عقد في مدينة أسبوط قائلا

"أنني أذكر أمريكا أنها لا تستطيع في معركة في تنام مواجهة الفلاح الفيتنامي البسيط بكل ترسانة أسلحتها وإذا كان " .. هذا موقف الفلاح الفيتنامي البسيط فسيكون موقفنا أكثر صلابة أيضا لأننا نعرف الشرف ونقدره

:وقبل هذا الخطاب بسبعة أيام ... قال في مدينة طنطا

"إن الجمهورية العربية كسبت معركة طيران العمق بفضل الصواريخ التي ساعدنا بها الاتحاد السوفيتي أن " "أصدقائنا السوفيت عند كلمتهم

الموقف الاقتصادي

قال السادات في ورقة أكتوبر التي قدمها للشعب في 15 مايو مارس 1974. إن القطاع العام يظل الأداة الأساسية للتعبير عن الإرادة الوطنية في تشكيل اقتصادنا القومي إنه الضمان الرئيسي لأن تظل القرارات الاقتصادية الهامة "قرارات مصرية تعبر بالفعل عن استقلال مصر الاقتصادي

.. ولم تكن هذه الكلمات إلا تعبيراً حقيقياً للموقف الاقتصادي فيمصر والذي شاهده ثورة يوليو

وكما اعترف السادات في خطاب أول مايو عام 71

المنطقة التي كانت مشتي صغيرا أصبحت قاعدة للصناعة الثقيلة في مصر والتي كانت متروكة للاسترخاء والكسل أصبحت بركانا من النشاط والعمل المنطقة الساكنة الهاجعة بين النيل والجبل أصبحت قلبا يضج بالحياة وقمة تطاول كل الذري حلوان أكبر قاعدة للصناعة الثقيلة في مصر وفي العالم العربي وفي الشرق الأوسط وفي أفريقيا

وبعد خمس سنوات نشرت صحيفة "الجمهورية" القاهرية صرخة من أحد رجال مصنع الحديد والصلب يقول فيها أن ! المصنع تحول إلى حديد خردة هجره المهندسون والفنيون وتركه العمال وتفكك قطعة قطعة

إن ما حدث لمجمع الحديد والصلب يحدث لعشرات المصانع التي أقيمت فيمصر ولم يكن ضرب العلاقة المصرية السوفيتية إلا تمهيدا للقضاء على مصر الصناعية تماما كما حدث في أعقاب الغزو البريطاني لمصر والسادات يعترف قال في 20 تشرين الأول (أكتوبر) عام 1970 "لقد أعطانا الاتحاد السوفيتي معدات السد العالي الثاني .. وأقصد به "مشروع شرائط الحديد والصلب

وقال في نفس الخطاب

بعد عدة سنوات سنجد لدينا خبراء في صنع السفن على أعلى مستوى عالمي كل هذا بمعاونة الاتحاد السوفيتي في " الوقت الذي يرفض فيه الغرب إعطاءنا بندقية واحدة

سبق الإصرار

إن ما ارتكبه السادات سياسيا واقتصاديا و إنما تم مع سبق الإصرار والترصد ففي اجتماع اللجنة التنفيذية للإتحاد الاشتراكي التي عقدت برئاسة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر في 12 نوفمبر (تشرين الثاني) 1968 لمناقشة القضية :قال السادات

إن القضية الأساسية تختص بالتالي

هل يحكم شعب مصر من الخارج أم لا؟ الأمريكان يصرون على حكم شعبنا من الخارج ومرة آخر كما فعلوا في السنوات السابقة لا إن هذه المعركة مصيرية ولا بد من الصمود حتى آخرها

وبعد أن تولي رئاسة الجمهورية قال في خطاب ألقاه في 25 مايو (مارس) عام 1971

إن أزمة الاستعمار المعاصر قائمة في كل مكان والعجز الكامل عن فهم التاريخ فيها لا ينبع من مجرد الجهل بحتمية " التطور ولكنه يرجع في الوقت نفسه إلى أن الاستعمار لا يستطيع أن يتخلي عن مطامعه إلا مكرها ومجبورا لأنه يريد أن "يواصل الاستغلال إلى آخر لحظة ممكنة

وعلى الرغم من هذا فتح السادات الأبواب للاستعمار وتحولت مصر من مركز صناعي إلى مركز سياحي !! للمتفرفين...وبدل المصانع تقام الفنادق ونوادي القمار في دولة الإيمان

وبدل أن نرغم الاستعمار على التراجع سلمنا بأن 99 في المائة من حلول المشاكل في يده !وأصبح الخبير الأمريكي في . سفارة الولايات المتحدة بالقاهرة والمسئول عن المعونات يتحكم في اقتصاد مصر

والبنك الدولي يملئ شروطه المجحفة ويطالب برفع الدعم عن غذاء الفقراء وخفض ميزانية الخدمات والتقليل من .. مصاريف الدفاع

إن الرجل الذي قال

" إن إسرائيل تعتبر نفسها و يعلن وزراؤها أنها خط دفاع أول عن مصالح أمريكا الإمبريالية في المنطقة"

خطاب 3 مايو مارس عام 71

فتح السادات الأبواب للصهيونية لغزو مصر ولهت وراء المفاوضات وسمح لرأس المال الصهيوني والأمريكي بإنشاء البنوك والشركات وأعطاهم حق ملكية الأرض في مصر من الخطأ أن نتصور "عقلية السادات " أو تصرفاته .. على أنها نابعة من فرد فليس الفرد إلا انعكاسا لفكر وسلوك الطبقة التي ينتمي إليها

منذ البداية قام " نظام السادات" على أوضاع مليئة بالمتناقضات والأخطاء وإذا كان من الصعب الآن تقييم المرحلة " الناصرية" إلا أن هذه المرحلة حققت التحرر الوطني وانتزعت السيادة من الاستعمار لتجعلها في يد الشعب وبدأت .. مرحلة الاستقلال الاقتصادي

وخرجت "الناصرية" من خلال التجربة بحقيقتين

الأول:أن تحالف الرجعية ورأس المال يجب أن يسقط

الثانية: أن تحالف القوي الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعي لتحالف الإقطاع مع رأس المال المستغل

أدركت "الناصرية" ذلك من خلال معركة 56 ومأساة الوحدة والانفصال .ففي عدوان 56 أسرع ممثلو الإقطاع والرأسمالية المستغلة يطالبون بالتسليم والاستسلام .وفي مأساة "الوحدة " تبين أن القوي الأساسية في عملية الانفصال كانت ممثلة في الإقطاع السوري والشركة الخماسية

وكان من المفروض أن تتيح "الناصرية" لقوي الشعب العامل أن تنظم صفوفها في أحزاب لتقوم الجبهة الشعبية في مواجهة القوي الاستعمارية والرجعية المتربصة ولكن مع الأسف أرادت "الناصرية" أن يكون حل التناقضات بين الطبقات والفئات المكونة لتحالف قوي الشعب في إطار تنظيم واحد مما رجح كفة اليمين

إن اليمين بطبيعته تنظمه المصالح المشتركة وتترابط عناصره وبالعلاقات الاجتماعية والقدرات المادية والذكاء الخبيث أما قوي الشعب في حاجة إلى قيادات تنظيمية حزبية تمثل الطليعة الواعية القادرة على تجنيد قوي الشعب وبث الوعي ..بالصراع ومواجهة الأخطار هذه الحقائق أدركها عبد الناصر في أواخر أيامه ولكن الوقت كان متأخرا

اليمين ..الرجعي

في 2 مايو 67 اى قبل "النكسة " بشهر واحد تحدث عبد الناصر عن الثورة المضادة وحددها بعملاء الاستعمار وبقايا الإقطاع وبقايا الرأسمالية المستغلة والانتهازيين

وقال عن الانتهازيين.. " في ناس أخذوا من الثورة نفسها ومش مكفيهم اللي أخذوه وفي نفس الوقت ينقلبوا على .. الثورة ليتجهوا إلى الثورة المضادة

ثم قال في خطاب خطير كشف لأول مرة الطبقة الجديدة التي بدأت تتطلع إلى الوراء لتتحالف مع بقايا الإقطاع وبقايا الرأسمالية العميلة فقال:

إن هذه الطبقة العسكرية السياسية كانت قد وصلت إلى حيث اعتبرت نفسها وريث شرعي للثورة أو بمعنى أدق " وريث للحكم أو بمعنى آخر أكثر تحديدا أن الثورة بالنسبة لهم أصبحت هي الحكم و والحكم بالنسبة لهم أصبح مظاهر "ومغاتم

ولكن ماذا حدث لمواجهة هذه الثورة المضادة؟ حاول عبد الناصر أن يوجد التنظيم الطليعي ولكن القوي الرجعية حولت هذا التنظيم إلى جهاز من أجهزة الدولة وظلت جماهير الشعب بدون تنظيم أو قيادات تعبر عن مصالحها أو تحاول حل ..التناقضات بين المصالح المتضاربة

وفي ظل الصراع الطبقي "المكتوم" اتسعت دائرة اليمين واحتل مراكز جديدة وخطيرة كانت ثورة يوليو قد فتحت المجال أمام الطبقات المضطهدة فقامت بالإصلاح الزراعي وسارت في طريق التصنيع وتأميم الشركات الأجنبية ففتحت بذلك الطريق لإقامة القطاع العام كما خلقت فرص النشاط أمام الرأسمالية الوطنية وأوجدت فرص العمل أمام المثقفين والعمال؛

ولكن الفلاحين كانوا بلا تنظيم أو قيادة واعية فتسللت عناصر البرجوازية الصغيرة إلى صفوفهم في التشكيلات الحكومية للإصلاح الزراعي وانطلقت هذه العناصر من الموظفين تنهب ما كسب الفلاح وتحتاز إلى الملاكين الكبار الذين يملكون الرفاهية والرشوي ولغداق على هؤلاء الموظفين الذين كانوا محرومين في الماضي من كل شئ

وفي القطاع العام تمسكت قيادات القطاع العام بالسلطة دون أن تحاول مشاركة العمال في إدارة عملية التصنيع أو المراقبة مما أتاح للعناصر الرجعية فرصة التخريب وأتاح لكبار الموظفين فرصة النهب. وهكذا تشكلت الثورة المضادة من العناصر الرجعية القديمة والعسكريين من ذوي الفكر الفاشي. والعناصر الطفيلية أو البيروقراطية في القطاع العام

ولم يكن أمام جماهير الشعب وطبقاته العاملة إلا أن تتحرك في انتفاضات عفوية ضد القوي الرجعية ولكن هذه الانتفاضات كانت سريعا ما تكتب وتنتهي إلى لا شئ لغياب القيادات والتنظيمات وكانت نكسة 67 فرصة أمام هذه القوي الرجعية للتتحرك وهب عمال حلوان وطلبة الجامعات في انتفاضات رائعة ضد اليمين الزاحف

وجاءت وفاة عبد الناصر ليقفز "الفاشيون" إلى الحكم وأسرع القوي الرجعية تدعيمهم وأعادوا سيطرة الاستعمار وجاءت الشركات الاحتكارية لتنهب الشعب المطحون بينما ارتفع عدد أصحاب الملايين من 100 مليونير إلى 500 مليونير إلى عشرات المئات. هذه هي القوي وهذه هي الفئات التي أصبحت تحيط "بالسلطان" فيمصر بعد أن تمت !.عملية تصفية تحالف قوي الشعب خطوة خطوة

إن هذه القوي الرجعية لا تستطيع أنتواجه الجماهير وحدها , ولهذا كان من البديهي أن تسقط في يد الاستعمار وان تلجأ إليه لحمايتها وقد عبر عثمان أحمد عثمان المليونير الكبير واحد أعمدة النظام بقوله عن "الوطنية " أنها كلام نافه في بداية السبعينات القي القبض في مصر على عصابة دولية لتهريب النقد واشتهرت القضية باسم " قضية غنبرور ورفله عرابوي" وبعد سنوات قليلة بدأت "سياسة الانفتاح " التي انتهت بتوقيع اتفاقية " كامب ديفيد" فهل هناك علاقة بين الحدين ؟

في 19 مارس عام 1973 ونشرت صحيفة " الأهرام "بيان النيابة عن هذه القضية جاء فيه

كانت مباحث أمن الدولة خلال تعقبها لنشاط شبكة التهريب و قد توفر لديها معلومات تؤكد أن هناك تخطيطا أجنبيا " منظما وراء هذه الشبكات التي اتسع نشاطها فجأة بصورة لم تعهدها البلاد من قبل وأكدت هذه المعلومات أن التخطيط لجأ إلى هذا الطريق بهدف ضرب الاقتصاد القومي

وكشف بيان النيابة عن عدد من الوقائع ذات الدلالة والتي كانت "العصابة" تهدف إلى تحقيقها ومنها

أولا: النيل من دور القطاع العام والسيطرة على السوق الداخلية والتستر وراء الدعوة لتشجيع القطاع الخاص فجاء : في نفس بيان النيابة

كان المخطط يبدأ بالدعوة إلى تشجيع القطاع الخاص ثم تتخذ هذه الدعوة كستار للهجوم على القطاع العام ولإعطاء " الفرصة للرأسمال الخاص للربح السريع عن طريق النشاط الطفيلي الذي لا يسهم في الإنتاج بل يسعى إلى السيطرة على تجارة الجملة وعلى القسم الأكبر من تجار التجزئة وذلك عن طريق قيام رأس المال الخاص بدور الوسيط بين .. القطاع العام المنتج والمستورد من ناحية وبين الشعب كمستهلك من ناحية أخرى

وبهذه الطريقة يتركز جانب من المخزون السلعي في أيدي هؤلاء الوسطاء و بعدها يظهر دورهم حيث تكون لهم السيطرة على السوق المحلية باحتكارهم السلع في حركة تحديد السعر وفي النهاية في خلق سوق سوداء بكل آثارها .. المخربة من ارتفاع تكاليف الإنتاج ونفقات المعيشة

من هذه الفقرة في بيان النيابة يتبين لنا بعض حقائق الموقف الراهن في مصر الدعوة إلى تشجيع القطاع الخاص وهو ما يطالب به البنك الدولي وكذلك صرح به مستشار المعونة الأمريكية في القاهرة الهجوم على القطاع العام وهو ما تتكفل به الدولة اليوم سواء بعرض شركاته للبيع للشركات الاحتكارية العالمية..أو تشكيك أجهزة الإعلام في دور . القطاع العام

. العمل على ارتفاع نفقات المعيشة.وننتقل إلى الواقعة الثانية التي كشفها بيان النيابة ولعلها أخطر ما أعلن عنه

ثانيا:التعاون مع عناصر ليست بعيدة عن الكيان الصهيوني كانت مصر ما زالت في حالة حرب فالبير أوفديا سالم المتهم الصهيوني في القضية والده أحد مؤسسي دولة الكيان الصهيوني و وشقيقه صاحب "بنك ديسكونت" في جنيف . الذي تحول إليه الأموال المهربة

بل لقد ذهب الأمر إلى حد أن هذه الجهات الأجنبية قد اختارت نفرا من المصريين الذين أدركت أن الربح هو محركهم .. الأساسي وسهلت لهم تنمية حجم أموالهم وتضخم نشاطاتهم ليسيطروا بعد ذلك على السوق ويحققوا لها أهدافها

وفي هذا يقول بيان النيابة

تبين أن منظمة أجنبية في الخارج تنظم عملية التحويل منذ 4 سنوات بواسطة شبكة تضم مندوبين في بلدان " مختلفة وإن هذه المنظمة تعطي تسهيلات لبعض هؤلاء التجار بطريق غير مباشر ليزداد حجم نشاطهم فيتمكنون من "السيطرة على تجارة الجملة في وقت قصير

وكشفت النيابة في بيانها ارتباط العناصر الطفيلية بالصهيونية العالمية وارتكبوا جريمتهم في لحظة كانت مصر تستعد "فيها لحرب أكتوبر أي ارتكبوا جريمة "الخيانة العظمي

ولم يقتصر ارتباط أفراد عصابة "غبور وغرباوي " بالعناصر الصهيونية ولم تكن الصهيونية وحدها التي تحركهم بل .. لعبت أمريكا دورا أساسيا في أعمال هذه العصابة ونأتي إلى الواقعة الثالثة التي كشفها بيان النيابة

..ثالثا: أن مجال نشاطات هذه الفئات تعدي نطاق الاقتصاد إلى مجالات أخرى ربما كانت هي الهدف الأساسي

فقد نشرت الأهرام في عددها بتاريخ 27 مارس 1973

إن نشاط الشبكة تعدي عمليات تهريب النقد إلى نشاط أخطر من ذلك بكثير إن عمليات التهريب لم تكن سوى ستار "يختفي وراءه النشاط الآخر

كانت عصابة "غبور وغرباوي" متعددة الجنسيات فهي تضم 108 متهما نصغهم ممن يحملون جنسية مصرية ,والباقى 23 متهما أمريكيا و6 من ألمانيا الغربية وخمسة إيطاليين و4 كنديين 2 من اليونان وبلجيكا وواحد من مل من هولندا .. وبريطانيا وفرنسا وجنوب أفريقيا

إن "المؤامرة" ضد الشعب المصري بدأت بالجريمة وما حاولت عصابة "غبور وغرباوي" تحقيقه أصبح الآن هدفا يعلنه الرسميون الأمريكي سواء كانوا مسئولين في البنك الدولي أو خبراء الاقتصاد أو رجال السياسة!وأصبحت الجريمة سياسة .. وأصبحت السياسة هي كيف تنفذ الجريمة

ويعلم مدير الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في القاهرة تصريحات نشرتها صحيفة "أخبار اليوم" أنما سعى إليه المتهمون في قضية "غرباوي وغبور" هو السياسة التي ستفرض على مصر

:وجاء في تصريحاته

إن الحكومة ويقصد الحكومة المصرية مصممة على دعم القطاع الخاص لذلك يجب على بعض المديرين الذين يظن " ونعكس ذلك عدم مناهضة سياسة الانفتاح " ولم يكتف المسئول الأمريكي بذلك بل طالب بمراجعة سياسة دعم السلع .وهو ما تنفذه الحكومة المصرية خطوة خطوة في طريق إلغاء الدعم

المهربون والسياسة

"وقالت النيابة في بيانها عن قضية التهريب هذه بأنها "أخطر محاولة أجنبية لتخريب الاقتصاد الوطني

:وتوضح كما تقول النيابة .. أن هدف العصابة يتمثل في

التلاعب في عمليات استيراد السلع الأجنبية باستغلال نظام الاستيراد بدون تحويل عملة لصالح بعض أفراد القطاع " الخاص المنحرفين." وتحويل هذه العمليات عن طريق الحصول على النقد الأجنبي الخاص بالهيئات والمؤسسات الأجنبية في مصر واستغلال مدخرات المصريين الذي يعملون في الخارج والهدف هو حرمان مصر من النقد الأجنبي وسيطرة بعض أفراد القطاع الخاص على السوق المحلي للتحكم في عملية الأسعار وهز الثقة في نظام القطاع العام " كركيزة للنظام الاقتصادي

إفهل تولت عصابة " غرباوي وغبور" الحكم في مصر ؟

.. أولا: صدر الحكم ببراءة جميع المتهمين بعد مرور أكثر من خمس سنوات على ضبط المتهمين

..ثانيا: أصبح نظام الاستيراد بدون تحويل العملة قانونا في مصر

..ثالثا: أصبحت حرية تداول النقد الأجنبي في مصر تشريعا

ووقف الوزراء أمام مجلس الشعب وعلى صفحات الصحف ينادون بل يدافعون عن كل ما ارتكبه "العصابة الدولية " من جرائم في حق الشعب وأصبحت الجريمة شريعة الحكم وأعلن وزير التجارة وهو يدافع عن نظام الاستيراد بدون ! تحويل عملة بان الحكومة حاولت في هذا النظام تقنين التهريب

ولم يكن هذا غريبا فعندما وصل ممثل الرأسمالية الطفيلية عثمان أحمد عثمان إلى تولي الوزارة سألته مندوب جريدة الجمهورية

أليست قوانين الاستثمار تهديدا للسيادة الوطنية ؟

فكان رده

إدعونا من هذا الكلام التافه

! وأصبحت الوطنية في ظل النظام القائم فيمصر هي التفاهة..أما الجريمة والخيانة فهي الحق والشرع

الاتفتاح ..والمخدرات

في فبراير عام 1977 نشرت صحيفة الأهرام تحقيقا صحفيا عن سر طوفان الحبوب المخدرة في أسواق القاهرة وتبين أن شبكة دولية تقوم بتهريبها من سويسرا وأن أخطر هذه الأفراس انتشارا هي أفراس "المونولون " و"النوبارين " . "وشهرتها " الفانتوم " و" اسكاي هوك

واتضح أن زعيم هذه الشبكة الدولية يقيم في سويسرا واسم ألبيرو وهو إسرائيلي الجنسية وكان يرسل هذه الحبوب باسم احدي شركات الأدوية !.وقد تم ضبط ثلاث شحنات من هذه الحبوب قدر ثمنها بأربعة ملايين جنيه كما أُلقي القبض على اثنين من أفراد هذه العصابة الدولية هما هنري شميتو وهنري روبكسكير

ثم تتالت أخبار المخدرات في الصحف المصرية ..وكان رأس المال الذي يعمل في هذه التجارة يتجاوز عشرات الملايين !! فقد ضبطت صفقات بمبالغ تتراوح بين مليون و9 ملايين جنيه

وكانت كميات المخدرات المضبوطة تتزايد مع التوسع في سياسة الانفتاح فضبطت في عام 1979 من سائل "ماكستون فورت" 37192 سنتيمتر مكعب مقابل 202 سم مكعب عام 1973 وهو المخدر الذي يلهب الشرابين . بل يدمرها

:وأمامنا حقيقتان

الأولي:حرب الأفيون التي لم يشهد التاريخ الإنساني أقدر منها عندما فرضت بريطانيا على الصين السماح بتجارة الأفيون وشتت من أجل ذلك ثلاث حروب حرب 1840 ثم حرب 1841 وأعقبته حرب 1842 واحتلت القوات البريطانية مدينة " شنغهاي " وكادوا أن يحتلوا العاصمة بكين ولم يتوقف الزحف إلا بعد توقيع الاتفاقية التي تضمنت نصوصها . إطلاق تجارة الأفيون

"الثانية: الحقيقة التاريخية التي تضمنها كتاب " سياستان إزاء العالم العربي

:وجاء فيها

من المعروف أن المستعمرون البريطانيين بدؤوا منذ أواخر القرن الثامن عشر بنقل كميات هائلة من الأفيون إلى " الصين ومن الأمور الأقل ذيوعا أن أرباب العمل الأمريكيان ساهموا في هذا العمل الشائن مساهمة نشيطة للغاية مع فارق واحد هو أن شركة الهند الشرقية كانت تزرع الأفيون في ممتلكاتها الهندية بأشد أنواع الاحتكار صرامة بينما كان الأمريكيون يستوردون الأفيون من تركيا وفي تلك الآونة حيث لم تكن قناة السويس قد ظهرت للوجود كان التجار الأمريكيان يشحنون الأفيون بالسفن الشراعية السريعة من أزمير والمواني التركية الأخرى وكانت صناديق الأفيون تقوم "برحلة حول العالم تقريبا

وكان الدولار الواحد في تجارة المخدرات يحقق ربحا مقداره خمسة دولارات وكما قيل:إذا وجد رأس المال 10% من الأرباح مؤمنة فإنه يشتغل وإذا وصلت الأرباح إلى 20% ينشط و50 يتملكه جرأة جنونية 100% يدوس بالأقدام جميع القوانين أما إذا تأكد من تحقيق 300% من الأرباح فليس ثمة جريمة لا يتجاسر على ارتكابها ولو قادته إلى حبل المشنقة إن مصر اليوم تواجه أبشع استعمار تخريب اقتصادي ونهب ثروة الشعب وتدمير نفسية الإنسان وتحطيم كيانه

..

الخيانة العظمي

لم يكن ارتباط الرأسمالية الطفيلية بالصهيونية أو الإمبريالية الأمريكية مفاجأة فقد أشار الميثاق الذي أعلنه عبد الناصر إلى هذه الظاهرة وقال:

إن نمو الاحتكارات العالمية الضخم لم يترك الإسيبلين للرأسمالية المحلية في البلاد المتطلعة إلى التقدم"

. أولهما: أنها لم تعد قادرة على المنافسة إلا من وراء أسوار الحماية الجمركية العالية التي تدفعها الجماهير

ثانيهما: إن الأمل الوحيد لها في النمو هو أن تربط نفسه بحركة الاحتكارات العالمية وتقتفي أثرها وتتحول إلى ذيل لها وتجتر أوطانها وراء هذه الهاوية الخطيرة

وتحقق ما جاء في "الميثاق" وظهر ارتباط الرأسمالية الطفيلية بالصهيونية والمخابرات الأمريكية في قضية " غبور وغرباوي " .. ولكن ما هو أدهي وأمر هو ارتباط الوزراء الذين أعلنوا سياسة الانفتاح بالاحتكارات العالمية

ساهم وزير مالية سابق في تأسيس أول " بنك كوري " في مصر وعين رئيسا لمجلس إدارته أسس نائب وزراء سابق وشركة للقيام بأعمال الوكالة عن الشركات الأجنبية أصبح رئيس وزراء سابق المحاسب الأول فيمصر فيقوم مكتبه . بأعمال مراجعة الحسابات لنحو 30 % من شركات الاستثمار الأجنبي

أما الشخصية التي فاقت كل هؤلاء فكان المقاول عثمان أحمد عثمان الذي نجح في تأسيس 15 شركة مصرية وأجنبية مشتركة وأخيرا وليس آخرا قيام أسرة "السلطان" وأقاربه وأصهاره بالمساهمة والمشاركة والارتباط بالشركات ! الاحتكارية العالمية والصهيونية في عمليات الاستثمار أى النهب المقتن

وسقط الوزراء في هاوية الجريمة وسبق عبد الله مرزبان نائب رئيس وزراء سابق ووزير الاقتصاد وأحمد نوح وزير الطيران إلى القضاء بتهمة تقاضي الرشوة وتبين أن عقد تمويل شراء هذه الطائرات تجاوز 45 مليون دولارا ..وتضمن !. شروطا لا يتصور قبولها حيث بلغت قيمة القرض عند سداد مبالغ 83 مليون جنيه

وتتالت الجرائم

. المهندس أحمد سلطان نائب رئيس الوزراء السابق يتقاضى رشوة من شركة وستنجهوس

. صفقة الحديد والصلب التي اتهم فيها عثمان احمد عثمان

.صفقة سيارات الأوتوبيس من إيران

مليونيرا في السجن : في قضية فرع البنك الأهلي بالعجوزة 13

! عصابة المليونير سرقت حديد تسليح بأكثر من مليون جنيه

ولم يحتمل نظام السادات الرقابة الإدارية التي فضحت طبيعة النظام فقام بإلغائها ..وتبين أنها أعدت تقارير تمس عددا من الشخصيات الرسمية , وكشفت صفقات يسودها طابع الرشوة .. بل السرقة ومنها

. صفقة اللحوم الفاسدة

. صفقة السمن الفرنسي الذي وصل فاسدا

صفقة للحوم والجبن التي عقدتها شركة " مالتى ترود" وهي شركة مصرية أجنبية يرأسها أحد رؤساء الوزارات في نظام السادات

رشاوي سجلها مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية تقاضها عدد من المسؤولين والوزراء السابقين

قد يسخر البعض مما قدمنا من نماذج فما تنشره الصحف الأجنبية عن تراكم ثروات أصحاب الملايين من المسؤولين في مصر يفوق الخيال ولكن نكتفي ببعض ما تنشره الصحف المصرية حتى يكون الشاهد من أهله

بقيت إضافة صغيرة على ما نشرته صحف القاهرة في هذا المجال فصحيفة الأهرام قالت: المدينة الحرة صنعت في وقت قصير عددا من أصحاب الملايين من غير المصريين ما معنى ذلك؟ معناه ببساطة أن طبقة شرهة إلى المال باعت مصر ..وفتحت أبوابها للنهب الداخلي والخارجي

الإنسان الذي يلقي على زعيم شعبي قنبلة ليقتله لن يتردد عن اغتيال الشعب نفسه قام السادات بأكثر من محاولة لاغتيال الزعيم الشعبي مصطفى النحاس وعندما حقق الانقلاب العسكري بعد توليه السلطة بدأ في اغتيال الشعب المصري مرغ كرامة الشعب وأهدر كفاحه عندما ذهب مستسلما إلى تل أبيب يقدم التحية إلى قتلة وأعداء الشعب

وباع الوطن بالقروض والعمولات للولايات المتحدة الدولة السفاحية التي قتلت مليوننا من الأطفال والنساء والشباب في فيتنام وصنعت أبشع نظام إرهابي في إيران تحت حكم الشاه وسلحت العصابات الحاكمة العسكرية في نيكاراغوا وأمدت إسرائيل بقتال النابالم التي قصفت بها أطفال بحر البقر

استسلام ..وتسليم

لم تكن معاهدة الخيانة مجرد استسلام بل كانت في الواقع تسليما لكل مقدرات الشعب في مصر للصهيونية والعدو الأمريكي فلم يكن تحقيق الاتجازات التي تمت خلال حكم عبد الناصر مجرد تجسيد للإرادة الوطنية بل كانت خطوة نحو انتقال مصر والإنسان المصري من مجتمع لزراعة المتخلف إلى مرحلة التصنيع أى خلق الإنسان الجديد الإنسان العامل

.

انتزعت مصر من الدول الاستعمارية حقها في إصدار القرار السياسي وحقت بذلك استقلالها الفعلي عندما أقامت السد العالي كان ذلك بداية مرحلة جديدة سواء في انتقال الفلاح المصري من الزراعة البدائية إلى مرحلة الزراعة الآلية أو كهربة مصر كنواة للتصنيع أقامت صناعة الحديد والصلب والالومنيوم وصناعة السيارات وعشرات من المصانع التي ضمت فئات متعددة من المهندسين والكيميائيين والعلماء والعمال

وجاء السادات يسلم كل هذا البناء للعدو الأمريكي والصهيوني وتدفقت أدوات اللهو الاستعماري والمؤسسات الاستهلاكية لتستغل الكهرباء للنهب الاستعماري بدل أن تكون قوة محرك للصناعة الحقيقية وأصبحت قوالب الالومنيوم الخام تصدر إلى المصانع في الخارج بدل من تصنيعها في مصر . كما كان يحدث للقطن في أيام الاستعمار البريطاني .

وفي عدد الأهرام الاقتصادي الصادر في 11 مايو 1981 نقراً

تصدرت قوالب الالومنيوم قائمة الصادرات التي قامت بتصديرها خلال شهر مارس الماضي وأوضحت لغرفة " التجارية بالقاهرة أن عدد شهادات المنشأ التي أصدرتها خلال ذلك الشهر بلغت 282 شهادة بزيادة 27 شهادة عن شهر فبراير الماضي وأوضحت أنه رغم زيادة عدد الشهادات إلا أن القيمة الإجمالية للصادرات انخفضت بنسبة تصل إلى " 13% عن شهر فبراير

ومعني ذلك ببساطة أن مصر تخسر مرتين

. الأولي: بتصدير قوالب الألومنيوم بدل تصنيعها في مصر

الثانية: أن سعر قوالب الألومنيوم كمادة خام يهبط كما هو الحال لكل المواد الخام التي تصدر من العالم الثالث لتعود مصنعه بأضعاف أضعاف سعرها كان مصنع أو مجمع الحديد والصلب في حلوان يقدم المواد الخام لصنع آلات ومعدات تصنيع قوالب الألومنيوم

ولكن في ظل الحكم المظلم تحول مجمع الحديد والصلب إلى مجموعة من الآلات الخردة كما نشرت صحيفة الأهرام ويتم تصدير خام الألومنيوم وتعود مصر إلى الوراء ويهدم المقاولون والطفيليون الصناعة ليقيموا العمارات الضخمة .. وليحولوا الإنسان المصري من جديد إلى " فعله " بدل أن ينخرط في موكب الصناعة العالمي

الحلف الخبيث

لم يكن في استطاعة الرجعية العربية وحدها مقاومة المد الشعبي الذي نشأ من تطور حركة التحرير الوطني فيمصر ونشأ التحالف الاستعماري الرجعي لدفع مصر إلى منطقة التخلف ولتعيش مصر على الموارد الطفيلية كما يعيش الوطن العربي لقد استمر أشيوخ البترول الحصول على الثروة من الأرض دون جهد يبذل ودون جهد حقيقي لتطور الحياة أو إقامة الصناعات الضرورية وأرادوا لمصر أن تتخلي عن طريق الإنتاج والتنمية وتندرج في المجتمع الاستهلاكي .. المتخلف

وتدفقت البنوك العربية والأجنبية على مصر وأقيمت مدن السياحة وشقوا لها الطريق العلوية والسفلية والعمارات السكنية الفخمة بينما تدهورت الصناعة في مصر .

ووفقا لتقارير وزارة الصناعة المصرية نفسها و تعاني بعض المنتجات في الصناعة من صعوبات التصدير في الأسواق المحلية بسبب منافسة مثيلاتها الأجنبية مثل الكابلات الكهربائية وإطارات السيارات وأنابيب الصلب ولوازمها وصناديق الورق المقوي (الكرتون) والفورمايكا والخشب المعاكس (الابلجاج) ومعدات الغزل ومواد الصناعة والمراجل البخارية .. ومنتجات الحرير الصناعي ومنتجات التريكو والملابس الجاهزة وأسلاك اللحام

كما كشفت تقارير وزارة الصناعة المصرية أيضا عن أن مستلزمات الإنتاج المستوردة من الخارج القطاع العام تفرض .. عليها رسوم جمركية عالية تزيد في بعض الحالات عن الرسوم المفروضة على الإنتاج المثل المستورد

وكان اللورد كروسر ممثل الاستعمار البريطاني في مصر قد فعل نفس الشيء في بداية الاستعمار القديم بفرض رسوم جمركية على إنتاج المنتجات المحلية مما أدى إلى ضمورها أمام الإنتاج المستورد

وكما قالت مجلة " لوموند دبلوماتيك" الفرنسية فإن سياسة " الإنتاج " أدت إلى حدوث ركود في الفروع التقليدية من الصناعة المصرية ووجب على كثير من المؤسسات الصغيرة أن تغلق أبوابها فتعرض العمال المؤهلون للبطالة .. واضطروا إلى الهجرة وتدهور أكثر فأكثر وضع القطاع العام

وفي تحقيق صحفي نشرته مجلة "الوطن العربي" نجد خريجي كليات العلوم والهندسة المصرية يبيعون الصحف في فيينا .وفي حوار بين محررة " أخبار اليوم" القاهرية وجمال الناظر رئيس هيئة الاستثمار سألت المحررة لماذا نعتمد على الخبراء الأجانب ونغدق عليهم مرتبات مرتفعة ؟ وجاء في رد جمال الناظر

القطاع العام يتعاقد مع الخبير الأجنبي ويحرم المصري وهكذا عادت مصر إلى منطقة لتخلف وأصبحت تتعامل مع أبنائها كما يتعامل شيوخ البترول مع شعوبهم فالخبراء الأجانب لهم الأولوية بمرتبات باهظة والتنمية تقوم على توفير الراحة للوافدين الأجانب بينما يعاني الشعب من الفاقة والبطالة

وكما قال إسماعيل صبري وزير التخطيط السابق

إن سياسة الانفتاح تعني العودة إلى الرأسمالية مجتمع الرفاهية بالنسبة لحفنة الموسرين والفاقة المتناهية بالنسبة " لملايين المصريين العودة إلى ترميم النفوذ الإمبريالي في البلاد إن ترميم النفوذ الإمبريالي في الوطن العربي يقوم .. أساسا على أموال البترول والقوة العسكرية الصهيونية والدعم الأمريكي

هذا التحالف المشنوم

قال مواطن عربي بسيط "حقا إن مصر أم الدنيا كما يقولون .. فإذا اتجهت مصر صوب الاشتراكية جذبت الوطن العربي معها وإذا اتجهت نحو الرأسمالية اندفع العالم العربي خلفها ولم يكن التأمر ضد مصر اعتباطا سواء من الصهيونية أو الرجعية العربية أو الولايات المتحدة

:وكتبت صحيفة " هاريس " الإسرائيلية

إن التدخل الأمريكي المتزايد في الشرق الأوسط بدءا بالمرحلة التي أعقبت حرب أكتوبر ووصولاً إلى ذروته في اجتماعات كامب ديفيد وبعدها يشير إلى تمهيد الطريق إلى إمكانيات تحقيق إستراتيجية جديدة في الشرق الأوسط ويمكن الهدف الأساسي لهذه الإستراتيجية في إقامة تحالف إقليمي ذات مكونات وغايات تختلف عما كان عليه الأمر في الخمسينات ويمكن أن يكون أعضاء هذا التحالف هي الدول ذات التوجه الأمريكي في الشرق الأوسط

أما الهدف من هذا التحالف لمشنوم فهو الإبقاء على التخلف الذي يعيشه الشعب العربي يعيش مقيدا بالصحراء ولا "يخرج إلى دور الحضارة الصناعي ففي كتاب "عندما يجئ السلام سنكون مستعدين

:وصدر في إسرائيل نقراً

وسيكون أحد الأهداف المهمة من سياسة الدول المنتجة للنفط استصلاح الصحراء والبحث في وسائل فنية جديدة " للري وتحلية مياه البحر وتحسين تربة الصحراء وقد تصبح القاهرة عاصمة لسلط الصحراء للإسرائيليين وستكون رئاسة المنظمات المتعلقة بجامعة الصحراء وزراعة الصحراء والإنسان في الصحراء وستقام جامعات الصحراء في .. سوريا العراق الكويت السعودية واليمن ومصر وإسرائيل

لم يعد خافيا أن الاستعمار الأمريكي يرسم ويخطط كما فعل الاستعمار القديم فهو يخطط لفترة محددة ويدرك أن نهايته قريبة قد تمتد مع التفاؤل إلى نهاية النفط في الوطن العربي والذي يحدد حالياً بـ30 عاما وبعد ذلك يترك المنطقة خاوية . من البترول ومعدمة من مصادر الحياة

فكما شاهدنا انهيار الاستعمار القديم لم تجد المستعمرات من شركات الكهرباء والمواصلات والمياه إلا بعض الأجهزة الخردة ومن المثير حقا أن تتعلق الحكومات العربية بالولايات المتحدة في اللحظة التي ينهار فيها نظام الشاه وسموزا ! وأمثالهما من فقااعات الزمن

العدو الأشرس

لم تكن إسرائيل بالعدو الذي لا يقهر كاد يزول عام 1948 لولا الهدنة وتدفق المساعدات والمعونات ونهار في حرب 73 لولا التدخل الأمريكي إن الولايات المتحدة كما أثبتت الأحداث والتطورات هي العدو الحقيقي والأشرس ولم تكن إسرائيل ..إلا أداة لقهر الإرادة العربية

ولم يكن غريبا أن نرى نفس العائلات التي رحبت بالاستعمار البريطاني وقدمت لقادته الهدايا كعائلة سلطان وأباطنة وبطرس غالي تظهر من جديد في ظل الغزو الأمريكي تدعو له وترحب به ولم تكن هذه العناصر إلا رموزا لطبقات خانت الشعب خلال مسيرته واندمجت في لشركات الاحتكارية والصهيونية وأصبحت جزءا منه

ونفس الشئ نجده في كل أقطار الوطن العربي .. العناصر التي نصبها الاستعمار البريطاني ومنحها العزب والأطيان وملكها آبار البترول وساهمت معه في نهب وإفقار الشعب العربي هي نفسها التي تقود مسيرة الاستسلام الجديدة

وفي الوقت الذي تدعي فيه هذه الأنظمة محاربة الصهيونية نجدها تشتري السلاح من الولايات المتحدة التي أعلنت ! أكثر من مرة أنها لن تسمح بالقضاء على إسرائيل

في الوقت الذي تدعي فيه مقاومة الاستعمار نجدها تفتح أبواب الوطن العربي للأفاقين الأجانب والمحتالين من كل جنس!وفي الوقت الذي تشكو فيه من الاستغلال الاستعماري ,تساهم بفوائض القروض في دعم هذا النظام !ولعل هذا " يكشف لنا حقيقة "الأحلاف العسكرية " "قوات التدخل السريع

إن الولايات المتحدة تدرك أن الشعب في مصر لن يقف صامتا أمام الغزو الجديد ففي الوقت الذي كان السادات يوقع مع بيجن " المعاهدة المشنومة " كانت الولايات المتحدة توقع اتفاقية ثانية مع إسرائيل تعد فيها بحماية المعاهدة واتخاذ ..الإجراءات السريعة والعاجلة لمعالجة الموقف

وازداد حجم التورط الأمريكي في الشرق الأوسط لحماية أنظمة القهر وتقرر إنشاء قاعدة عسكرية في منطقة رأس "بابيناس على البحر الأحمر يقوم الأمريكيون بإعدادها لأنفسهم مستعينين بشركات "القطاع الخاص

الفصل الثاني ثورة يوليو والردة

إن الثورة لم تحدث ليلة 23 يوليو إن الثورة تفجرت تلك الليلة العظيمة من انضمام الجيش إلى مكانه الطبيعي تحت قيادة الشعب وفي خدمة أمانيه وأن الجيش في تلك الليلة أعلن ولاءه للنضال الشعبي ومن ثم فتح الطريق أمام إرادة التغيير.

جمال عبد الناصر ثورة يوليو والردة

هل الناصرية تعبير عن حكم العسكر؟ وهل كان العسكريون هم حملة لواء الناصرية؟ أسئلة كثيرة ترددت في محاولة لبحث حالة السادات ولا شك أن مشكلة القيادات العسكرية لثورات التحرر هي احدي مشاكل العالم الثالث التي تدرجت "من مستوي نفر في الجيش كما هو الحال في ظهور " موبوتو" و" بوكاسا

إلى أعلى ارتب عندما تولت "اللواءات" قيادة الانقلابات كما شاهدنا في أمريكا اللاتينية وآسيا .. إلى انقلابات وثورات " البكباشية" أى " المقدم " ..فإلى أى مدي يمكن أن يحكم على الناصرية بأنها انقلاب عسكري أم ثورة وطنية؟!

ما هي الناصرية؟

لم تكن الناصرية مذهباً ولم تملك نظرية أو تقدم نظرية جديدة لحركات التحرر الوطني ولكنها في الحقيقة كانت ممارسة تولد عنها مجموعة من الأفكار السياسية والنتائج العملية

وفي هذا الإطار تأخذ الناصرية مكانها من تاريخ مصر ودورها في تاريخ القومية العربية وحركة الثورة العالمية وعلى هذا الأساس لا يمكن القول بأن الضباط الذين تحركوا ليلة 23 يوليو هم الذين صنعوا أو حققوا ما تحقق من إنجازات خلال مرحلة حكم عبد الناصر كانوا امتداداً لحركة وطنية ممدودة الجذور منذ بداية القرن الماضي حتى عام 1952..

ومنذ عام 1952 استطاعت الناصرية أن تحقق كثيراً من المطالب الوطنية والقومية التي نادى بها الجماهير وضحت .. بالدماغ في سبيلها وذلك على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي

كما يقول الكاتب والمؤرخ طارق البشري في كتابه " الديمقراطية والناصرية " وعبد الناصر عندما أمم قناة السويس وقاوم العدوان الثلاثي عام 1956 لم يكتشف هدفاً خافياً ولا ابتدع سياسة غابت عن الوطنيين غيره أو الوطنيين قبله وذلك لا يخل بضخامة ما وضع فالممارسة أصعب المراحل وأحسمها أثراً

وإذا كانت هذه هي النظرة إلى موقف عبد الناصر من احدي المشاكل الوطنية .فإن الموقف من القومية العربية لم يكن بعيداً عن هذا التصور فلم تكن القومية العربية من بنات أفكار عبد الناصر بل هي امتداد طويل وعرضي لحركة الجماهير والمثقفين العرب في كل أنحاء الوطن العربي وفي داخل مصر ولكن عبد الناصر أعطاها عملية وفاعلية من ..خلال الصراع ضد الاستعمار ومن خلال البنيان الاقتصادي

وهكذا يتضح لنا أن العنصر العسكري الذي ساهم في الناصرية كان عنصراً من عناصر الحركة الوطنية ولم يكن هو وحده الحركة الوطنية ولم تكن جذور عبد الناصر أو الناصرية جذوراً عسكرية بقدر ما كانت جذوراً وطنية تعبر عن أماني ورغبات وتطلعات طبقات وفئات جماهيرية واسعة وهذا لا ينفي أن عبد الناصر كان عسكرياً

الجيش والثورة

إذا قلنا أن العناصر الوطنية في الجيش كانت رافدا من روافد الحركة الوطنية وليست هي الحركة الوطنية إذن ما هو دور الجيش في ثورة 23 يوليو ؟

عندما قامت ثورة يوليو فوجئ كثير من السياسيين والمحللين بأن الجيش قام بثورة وليس انقلابا بدأت التحليلات والتنبؤات سواء من اليمين أو من اليسار تحاول أن تحلل الطبيعة الطبقية للجيش

كما تحاول أن تجعل من الجيش المؤسسة الأكثر عصرية في المجتمعات المتخلفة كما قامت بتصنيف لجيوش بلدن العالم الثالث إلى جيوش غير استعمارية وجيوش استعمارية سابقة وجيوش تتشكل أثناء الحروب الوطنية أو بعد تأسيس الدول الوطنية

ونسى هؤلاء جميعا أن الجيش ليس سوي مؤسسة خاضعة لنظام الحكم القائم يحكمها اتجاه الدولة في مسيرته سواء إلى اليمين أو إلى اليسار وأن نظام الحكم أى الدولة يخضع لتأثير القوي الاقتصادية والاجتماعية الأكثر قوة وفعالة. وكما لمسنا في مسيرة حركة التحرر العالمي نجد جيوشا نشأت بصورة متحررة قبل أن تخضع دولها للسيطرة .. الاستعمارية ومع ذلك دعمت هذه الجيوش السيطرة الاستعمارية

كما أن جيوشا نشأت أثناء حروب التحرر الوطنية ومع ذلك قادت الانقلابات لعسكرية الاستعمارية ضد الدولة الوطنية وضد شعوبها وهذا يؤكد لنا أن أى محاولة لتحليل القوي الاجتماعية للجيش هي محاولة "تبريرية " أو كما يقال "ذرائعية"

فماذا حدث في مصر؟ وكيف تحرك الجيش ضد الدولة؟

لم تكن ثورة 23 يوليو أو حركة الجيش مفاجأة لأحد بل لعل كثيرين تنبؤوا بها قبل قيامها ففي يوم " حريق القاهرة" الذي أشعلته القوي الاستعمارية والرجعية لوقف حركة المقاومة ضد الاتكيز عاشت مصر ساعات طويلة بدون سلطة حاكمة؛

ولم يكن حريق القاهرة مجرد انتكاسة للحركة الشعبية في طريقها للتحرر بل كان دلالة حقيقية على انهيار نظام الحكم. وتمثل انهيار النظام في انهيار أعمدته التي كان يستند إليها حزب الوفد البوليس والجيش

سقط الوفد عندما أعلن الأحكام العرفية أما البوليس فكان قد بدأ تمرده بالإضراب الكبير ثم انضم إلى الجماهير في مظاهرات يوم الحريق ولم يكن الجيش أفضل حالا في ولانه لنظام الحكم منذ عودته بعد هزيمة 1948 وفضيحة الأسلحة الفاسدة ومنح الرتب العسكرية لخدم الملك وشقيقاته

فلم يتحرك الجيش أو بمعنى أدق بعض فرق الجيش ضد الدولة إلا عندما انهيار النظام ولم تعد هناك دولة يتبعها هذا الجيش فلم تكن هناك سلطة حاكمة بعد أن تفسخت الطبقات الحاكمة فقفز الجيش إلى الحكم

كان وصول الجيش إلى السلطة نتيجة حتمية أو طبيعة للضربات المتتالية التي وجهتها لقوي الشعبية والوطنية إلى نظام الحكم فعملت على تقويضه وانهياره

كما كانت حركة الجيش نتيجة لمحصلة العوامل التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في مصر منذ المقاومة ضد الاحتلال البريطاني إلى قيام الحزب الوطني إلى صراع حزب الوفد ضد الملك والاكليز وإضرابات العمال والطلبة خلال ثورة 1919 وبعدها إلى قيام اللجنة التنفيذية للعمال والطلبة عام 1946 ثم النضال الوطني المستمر

وكما قال عبد الناصر نفسه

إن الثورة لم تحدث ليلة 23 يوليو إن الثورة تفجرت تلك الليلة العظيمة من انضمام الجيش إلى مكانه الطبيعي تحت " قيادة الشعب وفي خدمة أمانيه إن الجيش في تلك الليلة أعلن ولائه للنضال الشعبي ومن ثم فتح الطريق أمام إرادة "التغيير

الطبقة الجديدة

في ظل الأوضاع المهترئة وعجز الطبقات الحاكمة عن حل مشاكل الجماهير أو إدراك المتغيرات الدولية والعالمية التي حدثت في أعقاب الحرب العالمية الثانية حمل المثقفون الذين عانوا من البطالة وانحدار حياتهم الفكر الجديد ويشروا به وشكلوا التنظيمات لقيادة الجماهير ولكن الجيش كان أكثر تنظيما وأقوي فاعلية بما يملك من سلاح وتنظيم وعلاقات ..فانفرد بالحكم

واستمد النظام السياسي من الشكل العسكري وجوده وكما يقول الكاتب السياسي طارق البشري في كتابه "الديمقراطية الناصرية:" وللجيش أسلوب معروف في بنائه وتنظيمه يعتمد على الضبط والربط والخضوع القاسي والحركة المنبثقة .. من أعلي ويتكون على خط هرمي

وكان طبيعيا مع هذا الشكل أن تندمج السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية في يد واحدة ونشأ عن هذا الوضع عدد من مراكز القوي بعضها كان ذا ولاء حقيقي للثورة وتطلعات لشعب والبعض الآخر كان يناصبها العداء وأن تظاهر ! بالولاء

إن ثورة يوليو لم تحاول تغيير لنظام بل نحت العناصر الحاكمة العاجزة عن إدارة الحكم في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة سواء في الداخل أو عن النطاق العالمي وكما قيل:" ليس من الدقة القول بأن الجيش يملأ الفراغ ..ومن الأفضل القول بأنه يفتح طريقا محجوزا بالقوة

وأبضا قيل

في حين أن الحكام التقليديين عاجزون عن الاستمرار في السلطة والطبقة الوسطي أضعف من أن تمسك بها " والعمال لن ينضجوا بعد لتحقيق هذا الهدف لا توجد قوة غير العسكريين قادرة على ملء هذا الفراغ

وكانت غالبي الضباط من أبناء صغار الفلاحين وسكان المدن ومن سلال الإقطاعيين أو كبار الملاك وهكذا لقاؤهم مع المفكرين الثوريين فكلاهما واجه التدهور والانحدار إل هاوي الفقر وهؤلاء بطبيعتهم يتوقون إلى تجديد ثراء علاناتهم القديمة إذا كانوا من سلال الإقطاعيين أو يتطلعون إلى المساواة بكبار الملاك إذا كانوا من صغار الفلاحين أو الانتقال من سكني " الحواري " إلى أحياء الأغنياء إذا كانوا من سكان المدن وكما تقول النظريات الاشتراكية عن هذه الطبقة " التي يطلق عليها " البرجوازية الصغيرة

أما أنها تبغي أن تعيد وسائل الإنتاج والتبادل القديمة وتوطدها من جديد وتعيد معها علاقات الملكي القديمة والمجتمع القديم وأما أنها تبغي أن تحصر بالقوة وسائل الإنتاج والتبادل الحديث في نطاق الملكية القديم هذا النطاق الضيق لذي حطمته وكان لابد أن تحطمه حتما هذه الوسائل الحديث ه نفسها

ولما كانت الطبقة فقيرة إلى وسائل الإنتاج أو المال فإنها لجأت إلى الرجعية القديمة لتحقيق تطلعاتها عن طريق الوساطة والرشوة كما انضمت إليها فئات من المثقفين الانتهازيين وانحازوا إلى القوي المضادة للشعب

الرجعية القديمة

تلاقت الرجعية القديمة مع الطبقة الجديدة كانت الرجعية القديمة قد فقدت مقومات وجودها منذ زمن طويل منذ سقوطها في وهذه الاحتلال والتفسيخ وباعت الأرض للأجانب الذين تدفقوا على مصر في عهد سعيد باشا والخديوي إسماعيل وأدى التجاء إسماعيل باشا إلى القروض إلى نهب ثروة مصر ولتدخل الأجنبي وتعيين وزيرين أجنبيين في الحكومة المصرية .

وفي نفس الوقت الذي عرفت مصر حفلات الرقص الغربي وانشاق الأمراء والباشوات وراء "الخديو" يقلدونه قصور وولائم وخمور من واردات أوروبا وعشيقات مستوردات ومجوهرات كان الشعب يعاني الموت جوعا

ويصفقون المجاعة التي حدثت في ذلك الوقت وانتابت أهل الصعيد قاطبة سنة شديدة لم يسمع بمثلها منذ أجيال مضت فكانت تري الأطفال والنساء هانمين على وجوههم منتقلين من قرية إلى قرية يستجدون الأكف ليدرأوا غائلة الجوع "وكثيرا ما حملتهم شدة المسغبة على أن يقتاتوا بفضلات الطرق وقمامة الشوارع

واشتعلت الثورة العربية التيكادت أن تطيح بالأسرة الحاكمة والباشوات لولا التدخل الأجنبي الذي جاء يسندهم وأعاد سيطرة هؤلاء الملاك من جديد كان واضحا أن الزراعة لم تعد تكفي وحاولت مصر أنتدخل مرحلة الصناعة فوقف الإقطاع والاستعمار عقبة في طريق التصنيع

وعلى الرغم من محاولات التصنيع التي بدأها بنك مصر إلا أنها ظلت قاصرة في الحدود التي أرادها الاستعمار بل لجأ الاستعمار إلى الالتفاف حول هذه الصناعات ليسهم بربؤوس أمواله ويحول الأرباح إلى الخارج

إن سقوط الاستعمار القديم الذي كانت تستند إليه القوي الإقطاعية والرأسمالية المحلية جعلها تبحث عن حليف جديد. فنادي اتحاد الصناعات بالقروض الأمريكية كما حاولت إنعاش بعض عناصر لبرجوازية الصغيرة وبدأ التحالف لمشنوم أين الناصرية؟

عندما نقول أن الناصرية كانت أسلوباً ومنهج عمل لحركة التحرر الوطني في مصر فهذا يعني ما حققته الناصرية من إنجازات أو انتصارات في معركة التحرر سواء في تحرير مصر سياسياً أو سيرها نحو التحرر الاقتصادي وكذلك دورها في المعركة القومية على مستوى الوطن العربي ثم اتجاهها في طريق الاشتراكية

الناصرية" في تطورها وممارستها للتحرر الوطني هي التي حققت التأميم في مصر وكان تأميم قناة السويس هدف كل " القوي الوطنية ونادي به الحزب الشيوعي المصري عام 1922 في برنامجه ومنذ الشهور الأولى لحركة يوليو تكون مكتب لقناة السويس كان مقره مجلس الشيوخ وتابعت لرئاسة مجلس الوزراء عمل به الدكتور مصطفى الحفناوي الذي وضع مؤلفات عن القناة وطالب بتأميمها وفي نوفمبر 1952 أي بعد ثلاثة أشهر من قيام الثورة ألقى محاضرة في نادي الجيش عن القناة وطالب بتأميمها

ثم دعم هذا المكتب وصدر به قرار جمهوري في نوفمبر 1954 وتولي رئاسته الدكتور حلمي بهجت بدوي والدكتور محسن شفيق وأصبح اختصاصه دراسة شؤون القناة وإعداد أبحاث حول احتمال تأميمها

وهكذا نرى أن العناصر المدنية من المثقفين المصريين هي التي مهدت لتأميم القناة وهي التي وضعت الخطط وحمل عبد الناصر والعناصر الوطنية في الجيش عبء التنفيذ

فكان أول عمل في طريق التحرر الاقتصادي، منبثقاً من رغبة وطنية عارمة ومن جهد وطني ولم يكن مغامرة عسكرية أو فكرة طارئة أو رد فعل على التحدي الأمريكي. فإذا تحدثنا عن " الناصرية " فإننا نعني هذا الجيش الذي خاض ثلاث حروب في ظروف عالمية وداخلية دقيقة وصعبة وحقق في حرب 73 أحدى معجزات الحروب الحديثة

فترة السيطرة الاستعمارية ثم تأتي عملية التصنيع كان أبرز ما تحقق في المرحلة الناصرية هو تغيير البناء الاجتماعي في مصر فقد أتاحت الصناعة التي أقيمت تدفق الفلاحين نحو المصانع مما أدى إلى تطور كبير في الحياة الاجتماعية بانتقال مصر من مرحلة الزراعة المفروضة عليها إلى مرحلة التصنيع التي دعمت الطبقة العاملة كما وكيفا فازداد تعداد العمال وازداد الوعي وانطلقت قوي اجتماعية جديدة أثرت الأرض العربية بجهدا وعرقها وخبرتها

وكان هذا هو مضمون الناصرية . فعندما وجهت الصهيونية والإمبريالية جيوشها ضد مصر كانت تضرر الحقد لانتزاع مصر من بركة الرأسمالية الآسنة العفنة وانتزاعها من براثن الاحتكارات والشركات الصهيونية والإمبريالية

ولا جدال أن الجيش عندما فتح الطريق أمام الشعب أدى إلى تدفق الطاقات والإمكانيات الكامنة في الجماهير كما أن العناصر الوطنية التي خرجت من الجيش وعملت مع قوي الشعب العامل أثرت عملية البناء

وفي ظل الناصرية قفزت فكرة القومية العربية من مجرد نظريات إلى تجارب واقعية وممارسة فعلية وبدأت أول خطوات التلاحم الشعبي بين الأقطار العربية في مساندة مصر في كفاحها أو التجاوب مع ثورة العراق والتأييد المادي والمعنوي . لثورة الجزائر والتصدي لقوي الإمبريالية والرجعية العربية في اليمن

وانبثقت من جديد حركة المقاومة الفلسطينية ولم تكن القومية العربية من بنات أفكار "الضباط الأحرار" ولم تكن منبثقة من "مجلس قيادة الثورة" ولكنها وجدت في الناصرية الدعم والتأييد والقدرة على الممارسة الفعلية

فكانت القاهرة مركز تلاقي كل القوي الثورية العربية كما أدت خطوات التصنيع إلى تعميق معنى القومية العربية بمحاولات التكامل الاقتصادي ووحدة العمل السياسي وظهور القيادات العسكرية المشتركة

وعلى ضفاف قناة السويس امتزجت الدماء العربية في نضالها ضد الصهيونية والإمبريالية العالمية لم تكن هذه الانتصارات من صنع تنظيم "الضباط الأحرار" الذي سرعان ما تحلل وتبعثر أفرادها بين التشرذم أو المناصب

:ولم تكن هذه الانتصارات من صنع مجلس قيادة الثورة الذي وصفه أحمد حمروش بقوله

كانت كواليس القيادة مليئة بالتناقضات والخلافات الشخصية ولكنها كانت محجوبة عن الجماهير بستار كثيف "بل إن بعض أفراد "مجلس قيادة الثورة" كانوا في تناقض حقيقي مع اتجاهات التحرر سقط أولهم منهارا أمام عدوان 56 . وقفت مجموعة "الصامتين" في عدااء صريح لاتجاهات الثورة نحو الاشتراكية

انسحب عدد من القيادة بعد قرارات التأميم عارض عدد منهم موقف التصدي لأمريكا وهكذا نري أن "الناصرية" لم تكن تنظيم الضباط الأحرار ولم تكن مجلس قيادة الثورة ولكنها كانت حركة الشعب في طريق التحرر

:وكما أعلن عبد الناصر

أن الشعب المعلم أراد لطلانعه الثورية أن تنضم إلى صفوف العمل الجماهيري وأوكل إلى جيشه الوطني حماية "عملية البناء

وكانت "الناصرية " هي المرحلة التي انطلقت فيها الجماهير تحقق أمنيتها وأهدافها بعد أن "فتح الجيش الطريق المحجوز بالقوة وتحقق الاستقلال السياسي وبدأت مرحلة التصنيع والتحرر الاقتصادي

انطلقت الجماهير والمجابهة مع الاستعمار والقوي الرجعية تتوقف وفي ظل هذا الصراع حققت كثير من عناصر الجيش تطلعاتها الطبقية كما انضمت إليها فئات من المثقفين الانتهازيين وانحازوا إلى جانب لقوي المضادة للشعب ولكن قوة الحركة الوطنية ووجود قيادة عبد الناصر استطاعا أن يشلا حركة القوي المضادة

فعندما يعلن الزعيم الوطني جواهر لال نهرو خلال زيارته للقاهرة عام 1955 "أن انتصار مصر في معركة الأحلاف انتصار للهند أيضا" لم يكن يجامل عبد الناصر بقدر ما كان يعبر عن قدرة الثورة الوطنية فيمصر ومدي انتصارها ودورها في حركة التحرر العالمي إن انتصار مصر في تأميم قناة السويس أعاد الثقة إلى حركات التحرر بعد انتكاسة تأميم البترول في إيران كما أكدت معركة الأحلاف قدرة الشعب الصغيرة على التصدي للقوي الإمبريالية العالمية

ورغم الخيانة والانتكاسات التي حدثت في مصر فإن ثورة التحرير العالمية ما زالت ماضية في طريقها ..وما زال البناء الذي أقامته "الناصرية " يتصدي ويتحدى للغزو الإمبريالي سواء في دعائمه البشرية التي انطلقت في تلك المرحلة أو في الركائز الاقتصادية التي أقيمت أو ما حدث من تطور ثقافي واجتماعي

المؤامرة ضد الجيش

وكان أحد البنود الهامة التي جاءت ضمن مبادئ ثورة 23 يوليو الخامس

في مواجهة المؤامرات لإضعاف الجيش واستخدم ما تبقي من قوته لتهديد الجبهة الداخلية المتحفزة للثورة كان "الهدف الخامس هو إقامة جيش وطني قوي

:وطلع علينا السادات في محاولة تبرير زيارته المشنومة لإسرائيل بخطاب يعلن فيه

"ضحينا بقوتنا ولا نزال نضحى لكي نشترى السلاح المتطور ونحن أحوج ما نكون لكل مورد مهما صغرت قيمته"

:ثم جاء في خطاب

ماذا أقول لشعبي الذي تحمل عن الأمة العربية من المحيط إلى الخليج أثقل أعباء البذل والعطاء حتى التضحية "إبالقوت

ولم تمض شهور حتى بدأت صفقات السلاح من الولايات المتحدة وانكلترا وحشد القوات المصرية على الحدود الليبية . وأرسل السلاح والجنود إلى زامبيا.. ثم أعلن متفاخرا أنه زود رجال القبائل والإقطاعيين ضد أفغانستان بالسلاح

وبدأ السادات مؤامراته ضد الجيش المصري منذ أن أعلن ط تنوع مصادر السلاح فكان معنى ذلك العودة إلى شركات السلاح العالمية أى العودة إلى أسواق السلاح الفاسد والصفقات المربية والرشاوي وكان الهدف الثاني من تنوع مصادر السلاح التخلص من العسكريين المدربين على السلاح السوفييتي تمهيدا لتحديد حجم الجيش .فهل كان هذا الهدف نابعا من السيادة الوطنية أم تحقيقا لرغبات الإمبريالية العالمية؟

كان تخفيض نفقات الدفاع أحد مطالب البنك الدولي الخاضع للسيطرة الأمريكية وإشارات مجلة "الأيكونومست " البريطانية بقولها: " أنه لا أمل في تحسين المسار الاقتصادي في مصر إلا بتخفيض نفقات الدفاع" وكان الهدف من تخفيض نفقات الدفاع تحديد حجم الجيش ولم يكن هذا مطلباً أمريكياً فحسب بل كان هدفاً استعمارياً منذ أنشأ محمد على جيش مصر الحديث

بعد انتصارات الجيش المصري الباهرة في معركة "نصيبين" ضد تركيا وبعد أن أصبح الطريق إلى القسطنطينية مفتوحاً وبعد أن استسلم الأسطول العثماني إلى الأسطول المصري هبت أوروبا بعد أن أقلقها تفوق مصر عسكرياً وقررت انكلترا سحق الجيش المصري وبدأت تصفية إنجازات محمد علي واجتمعت الدول الأوروبية لوضع مصر تحت الوصاية واتفقت على فرض معاهدة 1848 وكان أهم نصوص المعاهدة

تقليص الجيش المصري إلى 20 ألفاً

. أن يعين الباب العالي كبار الضباط

ورضخ محمد على أمام القوة للشرط الأول ورفض الشرط الثاني أما السادات فقد نفذ الشرطين وافق على تقليص الجيش المصري وأصدر قراره بقبول استقالة الضباط وسرح عدا كبيراً واعتقل آخرين أما بالنسبة للشرط الثاني و فقد أفرج عن الضباط الموالين لأمريكا وأعادهم إلى الجيش وأبعد غالبية ضباط معركة أكتوبر وتولي المناصب الرئيسية الضباط المعروفون بالولاء للولايات المتحدة

ظل قيد تحديد الجيش قائماً منذ معاهدة 1848 حتى استطاع الخديو إسماعيل التحرر من هذا القيد وحصل من السلطان على موافقة بزيادة عدد الجيش ولكن الاستعمار عاد وطلب بتحديد حجم الجيش لتسديد نفقات الديون التي لجأ إليها إسماعيل

ومرة ثانية أطلقت "الثورة العربية" حرية مصر في تكوين جيشها ولكن الاستعمار عاد بعد الاحتلال البريطاني وشرذ ضباط الجيش ونزع سلاحه وحدد حجمه إلى 6 آلاف وأغلقت المدارس الحربية عدا واحدة وأغلقت ترسانة الأسلحة البحرية وعطلت الترسانة البحرية وبيعت السفن الحربية وتخلص الإنكليز من الضباط والجنود الذين اشتركوا في الثورة العربية بإرسالهم إلى السودان وهناك تم القضاء عليهم وظل الجيش المصري تحت القيادة البريطانية حتى عقدت معاهدة 36

ونصت المعاهدة على أن تقوم بريطانيا بتدريب الجيش المصري وتزويده بالسلح وتشكلت البعثة البريطانية من ضباط ..انتشروا في مختلف الأسلحة وكان لهم التوجيه والتدريب وقامت ثورة 23 يوليو لتحقيق الانطلاقة للجيش

الجيش..والسلح

ظل الجيش المصري مقيدا بوجود البعثة العسكرية البريطانية وتحدد التدريب وتختار نوعية الأسلحة ولم يتحرر الجيش المصري إلا بعد قيام ثورة يوليو وكسر احتكار السلح وكانت مشكلة السلح في مصر من أعقد المشاكل وحاولت حكومة الوفد تحت ضغط الجماهير أن تحصل على السلح من الدول الإشتراكية خلال المقاومة ضد الانكليز عام 1951 ولكن الملك أقال الوزارة قبل تحقيق هدفها

وعندما قامت ثورة يوليو لجأت حكومة الثورة إلى الولايات المتحدة لتزويدها بالسلح وأرسلت العديد من البعثات .. والوفود ولكن أمريكا ظلت تماطل وتسوف

ووقع العدوان الإسرائيلي على غزة ولم يكن لدي مصر سوي ست طائرات صالحة للطيران وحوالي 30 طائرة جاثمة تفتقر إلى قطع الغيار إذ كانت بريطانيا قد أوقفت تجهيزها وكانت التقديرات تشير إلى أن ما لدي مصر من عتاد للدبابات . يكفي لقتال أمده ساعة واحدة

وكان حوالي 60 بالمائة من دباباتنا في حاجة إلى تصليحات كبيرة والمدفعية في وضع بانس مشابه لم يكن لدينا ما يكفي حتى من الأسلحة الصغيرة ولجأ عبد الناصر إلى الدول الإشتراكية وعقد صفقة السلح مع تشيكوسلوفاكيا وهدد دالاس وزير خارجية أمريكا بإيقاف كل المساعدات الأمريكية وقطع العلاقات الدبلوماسية ومحاصرة مصر ومنع أي سفينة تحمل سلاحا من الوصول إليها وجاء رسول من واشنطن يحمل إنذارا وكان الرد المصري

لقد فات الأوان " وبدأت أول مرحلة لخلق جيش وطني معد بأحدث الأسلحة ولم تهدأ أمريكا وظل هدفها تحطيم هذا " الجيش بكل الوسائل .فعندما أرادت مصر الحصول على قرض من البنك الدولي لمشروع السد العالي طلب البنك حق الإشراف على ديون مصر الخارجية وكان الهدف تقييد حق مصر في شراء المزيد من السلح

ولجأت الدول الاستعمارية إلى مؤامرة العدوان عام 1956 لتتنزل بالجيش المصري الهزيمة قبل أن يتدرب على السلح الجديد كل هذه المحاولات فشلت ..وجاء السادات وبدأ ينفذ المخطط المرسوم ويدل أن يجدد قوي الجيش بعد رانعة انتصارات على خط برليف وبدأ يعمل على إجهاضه ونزع السلح والتسليم للولايات المتحدة

الجيش والسوفييت

لكي ندرك مدي خيانة السادات للجيش , نعود إلى أقوال القادة العسكريين المصريين في حرب أكتوبر فبعدها أعلن "السادات مبدأ "تنوع مصادر السلح

صرح المشير أحمد إسماعيل قائد معركة أكتوبر قبل وفاته قائلا

أن تغيير مصادر سلاح الجيش يتطلب عشرين عاما على الأقل لتصل القوات العسكرية إلى المستوى اللائق للتصدي " للعدوان فالمسألة ليست بتبديل سلاح بسلاح بل تدريباً واستيعاباً وممارسة للسلاح الجديد

وقال الفريق الشاذلي

إن الاتحاد السوفيتي في عشر السنوات الماضية قدم للدول العربية آلاف من الدبابات وقبل هذا كانت انكلترا مورد " السلاح وكانت تمدنا بالعشرات لا بالمئات وأنني لا أعتقد ن أمريكا يمكن أن تحل محل موسكو ,كمورد للسلاح لنا وهذه "حقائق معترف بها

واعترض كثيرون من العسكريين على تنوع مصادر السلاح فنحاهم السادات من مراكزهم أما الموقف من الخبراء السوفييت فكان ضمن الخطة المرسومة لتصفية الجيش ولم يكن السادات أول من عمل على التخلص من الخبراء السوفييت العسكريين فقد سبقه على ذلك الصاغ شمس بدران الذي قام بإبعاد العسكريين السوفييت تمهيدا " لمؤامرة . " النكسة

وجاء السادات إلى الحكم وأفرج عن شمس بدران وسمح له بالهروب إلى لندن رغم أنه كان مطلوباً في جرائم التعذيب ثم قام السادات بتنفيذ الخطة كان وجود الخبراء السوفييت العسكريين أشبه بوجود الخبراء الفرنسيين الذين استعان بهم . محمد على لخلق جيش مصر الحديث ولا أدل من ذلك شهادة القادة العسكريين المصريين

قال حافظ إسماعيل الرجل العسكري وأول من عقد صفقات السلاح السوفيتي عام 1955. في الفترة ما بين أوائل عام 1957 وحتى عام 1960 (عندما تركت القوات المسلحة إلى السلك الدبلوماسي) كانت القوات المسلحة كله قد دخلت في مرحلة من أكبر مراحل التطوير بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا

وتم إحداث تطورات جديدة فيها جعلتها أكثر قدرة في ميادين القتال ونجحنا في إقامة القاعدة الفنية للقوات المسلحة مع تشيكوسلوفاكيا عام 1960 وهي ورش ومؤسسات الإصلاح والصيانة وهي أقرب إلى الإنتاج والتصنيع كما أنها تعزز " قاعدة إنتاج الذخائر

لقد ظل الجيش المصري محصوراً في عمل التكتيكات التي تنتهي بقتال فرق المشاة أو المدرعة في مراحل الحرب . لمختلفة وهو المستوى الذي كان يقف عنده الجيش المصري منذ البعثة العسكرية البريطانية

فلما جاء السوفييت تغير الحال ونترك للفريق صلاح الدين الحديدي الكلام

عملوا أى الخبراء السوفييت و على توسيع آفاق القاعدة والضباط إلى ما هو أعمق من الموضوعات التكتكية " وبدأنا نفهم العمليات التعبوية والإستراتيجية التي يشترك فيها جيش ميداني أو أكثر والمدعم بعناصر القوات البحرية "والجوية وعناصر من الدفاع الجوي كما وضع الخبراء أساسا سليما وقويا لتدريب كبار القادة

وبعد مؤامرة النكسة عام 1967 قال بريجنيف للرئيس الجزائري بومدين إننا متألمون لأننا وجدنا أحدث طائراتنا وأحدث صواريخنا في مراكز بحوث الولايات المتحدة وما فعله "القادة الخونة" في حرب 67 عندما تركوا السلاح .السوفيتي يقع في يد أعدائهم قام به السادات وسلم الطائرات "الميج" إلى أمريكا لترميمها

أما مسألة المال أى ثمن السلاح فهو القوت اليومي الذي برر به السادات مبادرته الخائنة. فإن أقوال عبد الناصر "تدحضه فقد أعلن في أحد خطبه:"لقد تم تعويضنا بالأسلحة والمعدات التي فقدت في الحرب بالمجان

السلاح ... وأمريكا

بعد أن أعلن السادات أنه اختار طريق السلام ليوفر ثمن السلاح للشعب نشرت الأهرام بالخطوط العريضة

أسلحة بخمسة آلاف مليون دولار تبحث الحكومة الأمريكية في تقديمها إلى مصر ثم يتبين أن الصفقة من شركة "لوكهيد " المشبوهة والمدانة بالرشوة عالميا ويتضح أن هذه الأسلحة ليست سوي ست طائرات ويؤكد كيسنجر للكونجرس الأمريكي أن الطائرات الست ليست بذات شأن وفي حالة نشوب حرب جديدة في الشرق الأوسط ثم يعلن أنها ". "مكافأة للاعتدال المصري

ورغم ذلك يؤكد كيسنجر أنه لن تعقد صفقات مماثلة في المستقبل القريب ويتضح تواطؤ السادات من تصريح وزير الدفاع الأمريكي السابق شليسنجر بعد لقاء مع السادات فيقول:" إن الرئيس المصري مهتم بالسلاح على المدى الطويل وليس بشكل فوري" بل أغرب من ذلك ما جري داخل الكونجرس الأمريكي بين وكيل الخارجية المساعد وأعضاء الكونجرس.

:ويسأل أحد النواب

أنكم لن تسعوا بأية طريقة إلى إغناء مقدرة التحليق والقصف بهذه الطائرات (يقصد الطائرات الميج التي أرسلت للترميم

: وتأتي الإجابة

.. لا ليست هذه نيتنا

: سؤال آخر

ما هي الضمانات التي ستحصل عليها من المصريين بأنهم لن يقوموا بتطوير التجهيزات التي سنرسلها إليهم ؟ كيف سيراقب ذلك؟

:وتأتي الإجابة

إن هذه الآلات والتجهيزات ستسلم لاستخدامها في الأغراض المنصوص عليها أى في أغراض دفاعية فقط وعلى هذا الأساس تمت الموافقة

:وسؤال أخير

:هل لدينا جهاز فعال يمكننا من معرفة هذا الأمر ؟والإجابة

يتوقف ذلك على الملحقين العسكريين وصدقتهم مع القوات المصرية!!وهكذا أصبح الجيش المصري تحت رقابة المخابرات الأمريكية .

الجيش والشعب

لم يكن تدعيم الجيش بالسلح أو زيادة عدده هدفا في حد ذاته أو رغبة في استعراض القوة أو العدوان فعندما قيل لـ " ! بن جوريون " إن عبد الناصر لا يفكر في الحرب الآن ولكن يفكر في بناء مصر قال بن جوريون:إن هذا ما يفزعني

وبدأت إسرائيل العدوان بالغارة على غزة ثم حدث العدوان الثلاثي بعد "تأميم القناة" إن مصر التي ورثت من الاستعمار فقراً لغالبية السكان ونقصا في المواد الغذائية وظروفا غير صحية للمدن والقرى كان لابد لها من استعادة ثرواتها ..المنهوبة لإعادة حياتها الاقتصادية والاجتماعية

وعندما بدأ التفكير في إقامة السد العالي لزيادة الأرض الزراعية وكهربة مصر رفض البنك الدولي تقديم القرض إلا ..بشروط مجحفة باستقلال مصر وسيادتها وسحبت الولايات المتحدة وانكلترا وعدهما بتقديم القرض

وأعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس وكانت بداية المعارك. إن الولايات المتحدة التي رفضت تقديم السلاح إلى الجيش ! هي التي رفضت تقديم المساعدة لتطوير الحياة الاقتصادية

ومصر لم تلجأ إلى الاتحاد السوفيتي للحصول على الأسلحة أو التصنيع غلا بعد أن أغلق الغرب الرأسمالي أبوابه ..أو بمعنى أصح عندما رفضت مصر استمرار حالة التبعية أو الرضوخ للمطالب الاستعمارية

وبدأت مصر مرحلة التصنيع وكان لابد لها من جيش يحمي تطورها وهي تواجه قاعدة استعمارية على حدودها نحو التصنيع وكان لابد لها من جيش يحمي تطورها وهي تواجه قاعدة استعمارية على حدودها

نحو التصنيع

ربما يعيش جيل السادات اليوم سنوات أسوأ من سنوات ما قبل ثورة يوليو ولكن جيل الثورة الذي عاش المرحلتين مرحلة ما قبل الثورة ومرحلة الناصرية يستطيع أن يدرك بالمقارنة ماذا قدمت الصناعة لجيش العاطلين من حملة المؤهلات والعمال العاطلين وماذا تقدم الزراعة؟

إن تقسيم بلدان العالم إلى دول متطورة صناعيا وأخري تختص بالزراعة كان أساس الاستغلال الرأسمالي العالمي الذي فرضه الاحتلال البريطاني على مصر وكان رفاعة رافع الطهطاوي قد طلب بالتصنيع منذ عودته من أوروبا عام 1820 وكتب يقول أن سعادة الدولة لا تتم إلا بالصناعة ولكن أبناء محمد على أغلقوا المصانع في مصر وجاء الاحتلال البريطاني ليكمل المأساة فأغلقت المصانع الباقية

ويعترف اللورد كرومر عام 1901 وعام 1905 فيعلن أن مصر زراعية واصدر التحذيرات للمحاولات المصرية التي ! أرادت إقامة مصانع

:وفي عام 1916 أصدرت لجنة التجارة والصناعة التي شكلتها الحكومة تقريرا جاء فيه

إغراق السوق المصرية بالواردات الأجنبية , يغلق الباب أمام الصناعة المصرية ..إن فشل اتجاهات محمد على .. الصناعية لم تكن ترجع إلى خطأ أو خلل في الآراء وإنما يعود إلى أساليب الحكم

:وقالت اللجنة في تقريرها

"إن البلد الذي يقصر عن حل المشكلة الصناعية حلا فاصلا إنما يكتفي بالبقاء في درجة منحطة من سلم الرقي"

فما قامت به ثورة 23 يوليو لتصنيع مصر لم تكن رغبة ذاتية وإنما كان تحقيقا لهدف وطني طالما نودي به كما كان تعبيرا عن الرغبة في التحرير الاقتصادي وحل الأزمات والخروج بمصر من مرحلة الفقر إلى نطاق الدول المتطورة صناعيا.

ولكن السادات يعلن ما اسماه "الثورة الزراعية" ليعود بمصر حقلا زراعيا في خدمة الصناعة الصهيونية والرأسمالية العالمية.

تجاهل السادات أن "الثورة الزراعية" التي كان شاه إيران أول من نادي بها أدت إلى تدهور إيران كما تجاهل أن الثورة الزراعية في الحقيقة لا تتحقق إلا بالتصنيع الذي يعمل على تحويل الاقتصاد الزراعي إلى الطراز الحديث ويأتي إلى القرية بالثقافة والمعرفة ويؤثر في العلاقات الاجتماعية ويهيئ الظروف إلى تحولات جذرية في حياة الفلاحين.

وكما يقول مؤلف دور التصنيع في تكوين الاقتصاد الوطني المستقل

إن التصنيع لا يقتصر على بناء المنشآت الصناعية فقط فالتصنيع يشتمل أيضا على إعادة تكوين الاقتصاد الزراعي " على الطراز الحديث وعلى استخدام وسائل جديدة للنقل في البلاد وعلى تطبيق الطرق الصناعية في بناء المنازل وبعبارة أخرى فإن التصنيع هو تحول اقتصاد البلاد كله إلى ميكانيزم عظيم الفاعلية تقوم فيه الماكينات المختلفة بخدمة "الإنسان في عمله أو في حياته العادية إلا أن التصنيع يبدأ بطبيعة الحال من إنشاء الصناعة الخاصة بالبلاد

واتجهت مصر إلى الصناعة التي حرمت منها طوال سني الاحتلال وفي خلال 25 عاما كما يقول الدكتور على الجريتلي في كتابه التي بدأت من 1952 إلى عام 1977 حدث التالي

زادت نسبة الواردات من الآلات والخامات والسلع الوسيطة إلى مجموع الواردات وبالتالي انخفضت نسبة المصنوعات المستوردة.

يقتصر الأمر على توسيع الصناعات القائمة في أوائل الخمسينات بل استحدثت صناعات ذات تكنولوجيا متقدمة منها الحديد والصلب والألمنيوم ومنتجاتها وصناعة الإطارات وآلات الديزل وتجميع السيارات والسلع المنزلية المعمرة . والأسمدة الحديثة .

ويقول الدكتور على الجريتلي

يتضح من إحصائية أعدّها البنك الدولي عن مدي التطور الصناعي في الدول الأعضاء أن مصر تسبق معظم الدول "العربية من حيث نسبة القيمة المضافة في قطاع الصناعة إلى القيمة المضافة في القطاع السلعي بوجه عام

لم تكن سياسة عدم الانحياز التي اختطتها ثورة 52 مجرد شعار سياسي بل كان لها انعكاسها على حياة المصريين وتطوير حياتهم والتقدم الصناعي الذي أنجزته. فاستطاعت أن تمتد يديها إلى الشرق الاشتراكي وإلى الغرب الرأسمالي . في نطاق السيادة الوطنية وكانت الرغبة عارمة بين المصريين لإقامة العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي

ففي الوقت الذي كانت فيه مصر ترفض إقامة العلاقات مع الاتحاد السوفييتي تحت الرغبة الملكية والاستعمار كانت الدول الاستعمارية تتسارع في إقامة هذه العلاقات وتتنافس في التقارب مع الاتحاد السوفييتي

وخلال أزمة 1930 التي اجتاحت العالم كان على رأس الدولة فيمصر صدقي (باشا) عدو الشعب و واحد عمد الرجعية ورغم ذلك اضطر إلى التبادل التجاري مع الاتحاد السوفييتي لتصرف لفظن المصري وطالب بعد ذلك عديد من أعضاء .. "مجلس النواب" في عهود ما قبل ثورة 1952 بالعلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي

كانت الرغبة الوطنية قائمة... ولكنها لم تتحقق إلا بعد ثورة يوليو .. وأدى ذلك إلى تطوير الاقتصاد المصري .. فأقيم حوض بناء السفن وعادت هذه الصناعة إلى مصر بعد أن كانت قد أغلقت منذ الاحتلال البريطاني عام 1882 وأقيم مجمع الحديد والصلب الذي وصفه السادات نفسه بأنه " سد عال " ثان ... ومصنع الألمنيوم وعشرات المصانع التي .. استوعبت آلاف من المهندسين خريجي الجامعات والمدارس المتوسطة والعمال

وزاد تداول السلع بين الاتحاد السوفييتي ومصر بمقدار 27 مرة وزادت حصة الاتحاد السوفييتي من التجارة الخارجية لمصر من 3% عام 1955 إلى 25 % قبل الردة وتضاعفت صادرات الاتحاد السوفييتي إلى مصر خلال الفترة من 1955 غلى 1971 بمقدار 34 مرة وكانت نسبة الآلات والمعدات 80% من قيمة الوارد من الاتحاد السوفييتي

وتشهد مصر اليوم (في ظل حكم السادات) والعودة إلى حضن النظام الاستعماري واستبدلت الآلات بزجاجات الكوكاكولا والسينالكو .. أو مشروعات " الابهة " كإقامة والطرق العلوية ولسكن الفاخر .. إن مأساة السادات انه يجهل أو ! يتجاهل ألف باء الاقتصاد الذي يرتكز على حقيقتين

الأول: أن النظام الرأسمالي منذ تحول إلى نظام استعماري أو أميرالي تحول إلى عصابات لنهب الشعوب

الثانية: أن النظام الرأسمالي دخل مرحلة النهاية أمام يقظة الشعوب وقيام الدول الاشتراكية .. وأصبحت السوق !! أمامه ضيقة وبعد أن كان الاستعمار القديم يعطي للبقرة غذاءها ليحلب لبنها أصبح اليوم يشارك البقرة غذاءها

فما تدعيه الدول الاستعمارية من تنمية للدول الفقيرة أو مشاريع النظام الاقتصادي الجديد " ما هي إلا محاولات لإعاقة الدول النامية عند التطور

فكما نري من "سياسة الانفتاح" أو النظام الاقتصادي الجديد في مصر كما تريده الدول الاستعمارية ليس سوي تصفية الصناعات والعودة بها إلى مورد للمواد الخام وسوقاً لصناعاتها

وفي هذا الإطار كان التحول من الطريق "الناصرى ط إلى تطبيق "الانفتاح " عملية نهب جديدة تقوم بها الرأسمالية .. العالمية مع شركاء (خونة) في الداخل

عودة إلى الوراء

عاد الارتباط بالنظام الرأسمالى العالمى تحت شعار " الانفتاح " وعلى الرغم من التحذيرات التى أطلقتها الصحافة .. ورجال الاقتصاد إلا أن السادات وحاشيته من الاقتصاديين المتآمرين وظلوا سائرين فى الطريق المظلم

ففى الندوة التى أقامتها نقابة المحامين المصريين لمناقشة " الانفتاح " قال الدكتور حلمي مراد مدير الجامعة السابق ووزير التعليم العالى:

الانفتاح يسير عندنا بطريقة عشوائية يعوزها الانضباط حتى بدا كأنه اقتصاد حر مطلق هذا النوع من الاقتصاد غير " موجود فى العالم حتى فى أمريكا نفسها قلعة الرأسمالية فلا يوجد بها اقتصاد حر مطلق لأن الحكومة تتدخل أحيانا لفرض القيود وضوابط لحماية الاقتصاد الأمريكى مثل القيود المفروضة على استهلاك الطاقة والبتروى وغيرهما وتدخل "الدولة لمكافحة التى التضخم وحتى فى تجارة الأحذية واستيرادها تجنباً للمنافسة

إذا كان هذا يحدث فى دولة كبرى كأمريكا فمن باب أولى ألا يحدث هذا التسبب فى الاقتصاد أو تركه دون ضوابط " فى دولة نامية كمصر مرهقة اقتصاديا ومثقلة بالديون ويتعين الحفاظ على مواردها حتى لا تبرز فى أوجه لا تعود "عليها بالنفع

وفي دراسة لحزب التجمع عن "الانفتاح" وإعادة ربط مصر بالرأسمالية العالمية قال الحزب

أعلن أن الانفتاح الجديد المطلق وبلا ضوابط وأقيل رئيس وزراء مصرى واهين لأنه بارك الانفتاح ولكن بضوابط " وليس هناك اقتصاد فى العالم وفى أى دولة رأسمالية أو اشتراكية بلا ضوابط ويستحيل على أية دولة نامية استنزفت "على يد الاستعمار أنتحرر اقتصادها وأن تعيد بناءه بغير ضوابط دقيقة وبخاصة مصر

ولكن لأمريكا رأى آخر تعلن صراحة فى ندوة "مؤتمر الإدارة" العالمى الذى عقد فى الإسكندرية فى نهاية عام 1976 ففي هذا المؤتمر سيطرت "مشكلة المناطق الحرة" على المناقشات وطالب المستثمرون الأجانب بأن تكون هذه المناطق ! حرة بحق وليس بالاسم فقط فالهدف كما قالوا أن تبيع الدولة العمالة والخدمات

ولا ينبغي أن تتدخل في تقييد حرية رأس المال الأجنبي بأى صورة من الصور! لذلك ينبغي أن تترك للمستثمرين حرية اختيار المجالات التي يريدون توجيه استثماراتهم إليها دون أى قيد

وكان من بين المصريين مع الأسف من أيد هذا الرأي فأعلن لدكتور سمير بباوي أستاذ الإدارة بكلية تجارة القاهرة ""إما أن تطبق أساليب المناطق الحرة بصورة كاملة أو لا تطبقها ليس هناك حل وسط أما انفتاح أولا انفتاح

وأصبحت مصر كلها منطقة حرة لمن ينهب ومن يسرق ومن يرتشي! وتدفقت البنوك الأجنبية أو بمعنى أدق عادت كما كانت أيام الاحتلال البريطاني وارتفع عددها من 4 بنوك عام 1972 إلى 69 مؤسسة مصرفية ومالية مختلفة منها 33 . بنكا في القاهرة و 25 مكتبا تمثيلا للبنوك و 11 مكتبا متخصصا في العمليات المالية

وكتبت صحيفة فايننشال تايمز الانكليزية تقول في تقرير عن البنوك

إن معظم البنوك الأجنبية المشتركة في مصر حققت نجاحا كبيرا منها بنك "تشيش الأصلي " الذي يضم 235 عاملا " وموظفا وفنيا وهو ما يمثل 10% جملة الموظفين والفنيين العاملين في القطاع الأجنبي المصرفي في مصر وأن جملة ودائع هذا البنك ارتفعت إلى 69 مليون جنيه مصري عام 1976 وحققت أرباحا بلغت 1,9 مليون دولار كما حقق بنك .."باركلز الدولي " نصف مليون جنيه كأرباح

ولم يقتصر الأمر على "أرباح البنوك" وتحويله مع مدخرات المصريين إلى الخارج بل اتجهت سياسة الدولة على تصفية الصناعة وبعد أن كان السادات بصرح ويعلم في عام 1974 بأن القطاع لعام يظل الأداة الأساسية للتعبير عن الإرادة الوطنية في تشكيل اقتصادنا القومي وبأنه الضمان الرئيسي لأن تظل القرارات الاقتصادية الهامة قرارات مصرية

نقرأ في صحيفة "الأهرام" بتاريخ 1978/2/2

التجربة الجديدة التي تبدأ بها 3 شركات طرح أسهم للاستيلاء على المصانع المصرية للحصول على أرباحها " . وتصفيتهما كما حدث في الشركة العامة للبطاريات بالإسكندرية أو "شركة إيديال" في القاهرة

وفي نفس الوقت أباح "الانفتاح الاقتصادي" استيراد ثلاثة آلاف سلعة أو كل شئ ما عدا 11 سلعة وأدى ذلك إلى تراكم وتخزين الإنتاج المحلي وارتفعت الشكوى من القطاع العام والمصانة الوطنية ولكن الدولة تحت الضغط الأمريكي .. استمرت في سياسة الانفتاح و وقامت بتصفية جديدة للقطاع العام وبيعه وتسليمه إلى الرأسمالية الطفيلية والأجنبية

وتحت شعار بيع الشركات لخاسرة بيعت الشركة العامة للدواجن بعد أن حققت نجاحا بكل الموازين فقد ارتفع رأسمالها خلال ثلاث سنوات 76-1979 من 15 مليون جنيه إلى 53 مليون جنيه وارتفعت نتيجة ذلك أسعار الدجاج من 70 ..قرشا إلى 105 إلى 140 قرشا

وفي بداية عهد الانفتاح ديسمبر 1975 كتبت صحيفة الجمهورية .. لماذا لا يستطيع القانون أن يبطش بالمهربين ولماذا تختفي المواد الأساسية من كساء الشعب وأقواله ماذا حدث للذين نهبوا منات الملايين

وعاد التحالف بين القوي الرجعية والاستعمار الجديد ليتعاونوا على نهب الشعب في مصر وحقت سياسة " الانفتاح" ما أراده " كرومر" لمصر وحققه في ظل الاحتلال البريطاني وعادت مصر " مزرعة " وأغلقت المصانع وافتتحت ..مصر سوقا للنهب

وكان لهذا أثره على اليد العاملة وارتفع عدد العمال العاطلين وتشرد المهندسون خارج مصر يبحثون عن عمل .. وارتفعت صرخات نقابة الأطباء لمشكلة الأطباء العاطلين في بلد تزداد فيه وفيات الأطفال وأمراض الشعب

الثورة الزراعية

ومأساة الفلاح أبشع في ظل "الانفتاح" كانت الثورة الزراعية الحقيقية قد بدأت بقانون الإصلاح الزراعي الذي صدر .. في سبتمبر (أيلول) عام 1952 وحدد الملكية الزراعية وأقر قيمة موحدة للإجازة الزراعية

ولم يكن هذا افتتاح على طفيلية لملك العقاريين المصريين وألوان جشعهم التي لم تعرف أية حدود هؤلاء الملاك الذين امتلكوا الأراضي كهبات من حاكم مصر . سواء كان محمد على أو أحفاده فكان من بينهم الغلمان والأغوات والخدم ثم الأجانب الذين استغلوا سفه هؤلاء الملاك وانتزعوا منهم ملكية الأرض جاء الاحتلال ليمنح الخونة ملكية أراضي جديدة .. مكافأة للخيانة

فكان من بينهم عائلتي الفقي وعبد الغفار اللذين طعنا لجيش المصري من الخلف في معركة التل الكبير وسلطان باشا رمز الخيانة في الثورة العربية ومحمود سليمان (باشا) وأبازة (باشا) وغيرهم ممن رحبوا بقوات الاحتلال وقدموا الهدايا للغزاة وشاركهم في ملكية الأرض العناصر الصهيونية التي قدمت القروض لإسماعيل (باشا) وأدت إلى خراب .. الخزانة المصرية كما امتلكت الأرض شركات الأراضي الزراعية التي وفدت إلى مصر

فكان قانون الإصلاح الزراعي الأول ثم قانون الإصلاح الزراعي الثاني الذي صدر عام 1961 " ثورة زراعية " .. وفرضت الحراسة على الأراضي التي كان الإقطاعيون يحتفظون بها ضاربين عرض الحائط بقانون الإصلاح الزراعي

ثم نأتي إلى "الثورة الزراعية " بمعناها الحرفي وهي "مكينه الزراعة" أى الانتقال من الوسائل البدائية في الزراعة إلى الاستعانة بالتطور العلمي والحديث عن السد العالي وزيادة الأرض الزراعية حديث معاد وكذلك كهربية الريف ولكن الحديث عن "المزرعة الممكنة" تغفله وسائل الإعلام هذه المزرعة التي أقيمت في مساحة من الأراضي تبلغ 10 آلاف فدان في منطقة النوبارية ويستطيع العامل الواحد في هذه المزرعة فلاحه مساحة من الأراضي تزيد حوالي 10 مرات ..في المزارع العادية

وأهديت جميع المعدات اللازمة لهذه المزرعة من الاتحاد السوفيتي واتخذت وزارة الإصلاح الزراعي قرارا بتأسيس مثل هذه "المزرعة الممكنة" على مساحة 300 ألف فدان المستصلحة إن هذه "الثورة الزراعية" مرتبطة أساسا بالتصنيع وبالتطور نحو الاشتراكية .

وجاء السادات بعد أن اقسام بالولاء لثورة يوليو "الالتزام" بمسيرة عبد الناصر على طريق الحرية والاشتراكية والوحدة فالغي تحديد الإيجار وسمح للأجانب بملكية الأرض وأعاد استغلال الفلاح عن طريق شركات الاحتكار الزراعية.

وما حدث للصناعة تكرر للزراعة فالجهد والنضال الذي بذل خلال عشرين عاما أصبح في خدمة الإمبريالية المصانع تتحول ملكيتها إلى الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسية والسد العالي تتحول مياهه من خدمة الفلاح المصري والشعب في مصر إلى خدمة إسرائيل والكهرباء تستغل من قبل الشرطيات الوافدة وأراضي الإصلاح تستغلها الشركات الأجنبية

ولم يكن الإصلاح الزراعي رغبة فرد أو شهوة حاكم بل كان تجاوبا مع الإرادة الوطنية التي طالما نادى به أصوات داخل مجالس النواب قبل ثورة يوليو خاض الفلاح المصري معارك قتالية من أجل تحقيقه إبان محمد علي إلى معارك " .. بهوت " و " ديار نجم " ضد الإقطاع

التحولات الثقافية والاجتماعية

كان تطبيق التعليم المجاني بجميع مراحله خطوة أخيرة منذ أعلنه حسين أن التعليم كالماء والهواء حق لكل مواطن وخلال أعوان 1952 إلى 1970 ارتفع عدد طلبة مدارس البنين الابتدائية من 866,5 ألف عام 1952 إلى 2,25 مليون عام 1970 والبنات من 526 ألف عام 52 إلى 1,37 مليون عام 1970 وكانت هذه الزيادة لأبناء المحرومين في المدن أو .. القرى بعد أن أصبح التعليم مجانيا حتى المستوى الجامعي

وبينما كان التعليم العالي يضم 41 ألف طالبا في عام 1952 فإنه شمل 170 ألف طالبا في عام 1968 .. وانفتح الطريق أمام الطبقات المحرومة ودخل أبناء لفلحين والعمال إلى أماكن كانت مغلقة أمامهم كان القضاء قاصرا على أبناء الملاك فأصبح حقا للمتفوق وفتحت كليات البوليس والجيش أبوابها لبناء الشعب البسيط بعد أن كانوا يسألون ! الطالب المتقدم إلى هذه الكليات عن نسبه وأصله وماذا يملك أبوه ومستوي المنصب الذي يشغله في درجات الوظائف

وتكونت طبقة عاملة صناعية يغمر الشعب وزاد الإقبال على السلع الوطنية حتى كادت أن تحتفي السلع الأجنبية وأصبح المنزل المصري من صنع الأيدي المصرية بما يعني ذلك من سوق عمل وحفاظ على الثروة القومية

ويقول الدكتور جلال أمين عن هذه الفترة

ليس من الغريب أيضا أن تكون هذه الفترة من أخصب الفترات التي مرت بها مصر من حيث حماية وبعث التراث " الثقافي والشعبي ومساندة وسائل التعبير عنه وإعادة اكتشافه فكتب الروائيون والقصاصيون المصريون الأكثر اتصالا بالشعب العامل والفلاح المصري ما يمكن اعتباره أفضل أعمالهم وقامت مدرسة جديدة للشعر ونشطت الدولة في بناء

مسارح جديدة ونشر التراث العربي وتشجيع الترجمة ودعم الفنون الشعبية ورددت مصر أغاني جديدة أحرزت شعبية " تحمل كلمات جديدة في الحب والوطنية

وشهدت مصر أياما من أروع أيامها رغم السلبات والمؤامرات خلال الفترة من 52 حتى 71 وكانت السلبات نابعة من جهاز الحكم الذي ظل محتفظا بهياكله القديمة العفنة فكان رجال السلك الدبلوماسي يعادون اتجاهات الثورة في سياستها الخارجية ورئيس البنك المركزي يشهد بالوضع الاقتصادي ويسرب الأسرار المالية إلى العناصر المعادية والعسكريون . من بقايا أبناء الذوات يديرون المؤامرات وانعكس ذلك على القطاع العام والقطاع الزراعي والجيش

كانت مقاومة العناصر المعادية عنيدة تدعمها القوي الاستعمارية والرجعية العربية. وتمدها بالمال والخطط المخربة ففي القطاع الزراعي استطاع كبار الملاك أن يسجلوا الأراضي الزائدة بأسماء أقاربهم. كما تسلل إلى جهاز تنفيذ الإصلاح الزراعي عناصر من إتباع كبار الملاك وفي القطاع الصناعي احتفظ كثيرون من القديمة بمراكزهم كمديرين في القطاع العام , فكانوا يهرون البضائع ويخربون وسائل الإنتاج

وفي الجيش التقت العناصر الرجعية والخائنة حول المشير عامر وعزلته عن الثورة وكانت تعمد إلى إبعاد العناصر المدربة في الاتحاد السوفييتي على مناصب مدنية وفي الإعلام كانت العناصر الوطنية تطارد بينما العناصر الرجعية .. بالقيادات المشبوهة

وكانت البضائع والمصانع والأسلحة المستوردة من الاتحاد السوفييتي تظل في صناديقها مجمدة حتى سلمت إلى العدو في حرب 67 وعلى الرغم من ذلك فإن الطاقات الكامنة في الجماهير انطلقت تكتسح أمامها هذه العقبات وحقت إنجازاتها الضخمة وأكدت قدراتها على مواكبة تطورات العصر الحديث حتى جاء السادات

وتلخيص احدي الدراسات الصادرة في 1980/4/25 نتائج ما فعله فتقول

وفي حين تزداد نسبة البطالة على الصعيد الداخلي بشقيها الظاهري والمقنع وخاصة على صعيد الخريجين حديثا " أطباء مهندسين فنيين كادرات فنية وغيرهم لعام 1978 لتصل إلى 12,3% عن العام الذي سبقها فإنها وصلت في عام 1979. نسبة 27,8% من عدد القادرين على العمل في هذه الكادرات الأساسية

وإضافة بطالة هذا النظام المجتمعي الأساسي والهام إلى البطالة على المستوي العمالي والفني وغير الفني ولا سيما على صعيد قطاع الإنشاءات والبطالة الكاملة والمقنعة على الصعيد الزراعي فإن رقما كبيرا سيبدو أمامنا ليثير تساؤلات جديدة حول طبيعة وأهداف نظام السادات كله وحول أهداف هذا النوع من التخريب الاقتصادي الفظيع بنتائج . " وبوقائعه

بلغ عدد العاطلين الحقيقيين عن العمل في مصر في نهاية عام 1979 أكثر من مليون و800 ألف وتقول التوقعات أن (سيبلغ 5,4 مليون شخص في عام 1984 في حالة استمرار هذا النهج الاقتصادي ولا يدخل في هذه الأرقام نسبة مليون ونصف يعملون في الأقطار العربية كفنيين وإداريين وعمال فنيين وعاديين

وتبدو هذه النظرة متشائمة ولكن إذا عدنا إلى ما نشر في صحيفة "الأهرام" في يونيو 1976 في الصفحة الاقتصادية والتي كان يشرف عليها رئيس تحرير الأهرام الحالي نري أن المؤامرة ضد شعب مصر مبيتة وأن الخيانة التي ترتكب كاملة الأركان

قال الأهرام

هناك مشكلة حقيقية تواجهها بعض الصناعات المشكلة الرئيسية هي مشكلة المخزون من السلع الجاهزة للبيع فقد "تأثرت مبيعات العديد من المصانع بعد أن كان إنتاجها يتم تصريفه كله في السوق المحلية

وقالت:

"يؤكد البعض أن السبب الرئيسي هو إطلاق الاستيراد للسلع التي يوجد لها مثيل في الصناعة المصرية"

ثم أوردت "الأهرام" نماذج من هذا المخزون مخزون الأخشاب المخزون من بعض أصناف منتجات الكاوتشوك مخزون منتجات غزل ونسج الصوف المخزون من الجوارب وقال رجال الاقتصاد المهيمنين على الصناعات آراءهم بصراحة؛

فيقول رئيس مجلس إدارة شركة النصر لمنتجات الكاوتشوك

إن من أسباب الزيادة في هذا المخزون السلعي المنافسة الشديدة المفاجئة لبضائع مستوردة بسبب فتح باب " الاستيراد على إطلاقه دون أى تحفظات لمصانع كلفتها الدولة ملايين الجنيهات لخدمة القطاعات المختلفة والاقتصاد القومي منذ عشرين عاما

وقال رئيس مجلس إدارة شركة الغزل والنسيج والتريكو

إن مخزون الجوارب سيزداد خلال الفترة القادمة وأن الاستيراد من الجوارب بشكل ملحوظ سيؤدي إلى حدوث " راكد في المستقبل وقد أدى هذا الأمر حاليا إلى تشغيل وردتين لهذا الخط الإنتاجي بدل ثلاثة. وإذا استمر الحال على ذلك "فإنه سيؤدي بالضرورة إلى مخزون بشركة مصر للحريز الصناعي التي تشتري منها خام جوارب النايلون

وقال مستشار وزارة الصناعة

".. إن حماية الصناعة المحلية ضرورة "

كانت هذه الأقوال في عام 76 فماذا حدث؟ مزيد من الانفتاح ومزيد من الاستيراد ومزيد من المخزون وبطالة وتخريب للصناعة ثم تنتقل على مأساة ثانية فلم يعد تفريغ مصر قاصر على كوادرها العمالية المدربة والتي تفرقت في العالم تبحث عن لقمة العيش.. بل تصل المأساة إلى القمم وتتساعل صحيفة "الأخبار القاهرية"؟ ما سر هذه الظاهرة؟ ما الأسباب وراء الاستقالات بالجملة لرجال الإدارة العليا لشركات القطاع العام والقطاع الصناعي ذاته؟

إن أبرز ما أنجزته بلادنا ذلك الحشد الهائل من الخبراء ورجال التكنولوجيا الذين يديرون القطاع العام . إنهم يتمتعون بخبرة عالمية شهدت الدنيا كلها لهم حتى المنظمات الاقتصادية الدولية بدأت تتصديهم أو بمعنى آخر تتهاافت عليهم

وهكذا تتم تصفية مصر من صناعتها ومن خبرائها ليفسح المجال أمام العناصر الطفيلية فمن ناحية أدي الشراء الطفيلي إلى التضخم وارتفاع إلى التضخم وارتفاع الأسعار مما جعل الإنسان الشريف في مصر عاجزا عن ملاحقة الأسعار بمرتبته المحدود مهما بلغ حده ومن ناحية أخرى لم تعد العناصر الوطنية تحتمل رؤية ما بنته خلال المرحلة الناصرية ينهار أمام عينيها

وفي الوقت الذي لا يجد خبراء الصناعة مفرا من الهجرة نجد أعمال المهندس المقاول عثمان أحمد عثمان تتسع ونجد المهندس جمال السادات والمتخرج حديث من كلية الهندسة يفتح مكتبا استشاريا وتبلغ قيمة الأعمال الأولي لهذا المكتب ! خلال ستة أشهر من افتتاحية 12 مليون جنيه مصري

تخريب مبيت

وكما حدث في السياسة "خطوة خطوة" يحدث التخريب المتعمد في الصناعة أو الخيانة وتصفية القطاع العام والقضاء على الصناعة "خطوة خطوة" إن عددا من خبراء الصناعة المصريين ورؤساء شركات القطاع العام جذبهم الانفتاح العام أو بمعنى اصح تركوا الصناعة المصرية أمام رشوة القطاع الخاص ومحاولة تعديل دخولهم أمام " غول التضخم" الزاحف وعلى سبيل المثال نجد شركة الاستثمارات الكويتية تجذب الدكتور طاهر أمين وزير التعاون الاقتصادي السابق .. ليعمل كمدير لها

والدكتور محمد أمين رئيس شركة "ايدبال" يشغل حاليا منصبا كبيرا في الأمم المتحدة وكان ذلك تمهيدا لبيع شركة "ايدبال" والمهندس أحمد هزاع رئيس شركة النصر للأجهزة المنزلية يعمل مديرا لبنك " تشيس مانهاتن" والدكتور مراد جريس رئيس شركة لنشا انتقل ليعمل مستشارا للتنمية بشمال أفريقيا وشريف حسن مدير عام مؤسسة الغزل والنسيج والدكتور نزيه ضيف انتقل إلى العمل في الأمم المتحدة

كما استقال الدكتور إبراهيم شبابك خبير الغزل والنسيج العالمي والمهندس كمال الدين بيلي رئيس شركة الإسكندرية للزيوت والصابون والدكتور زكي البدري رئيس شركة البلاستيك والكهرباء بالإسكندرية ويعمل " نظام الحكم" على طرد هؤلاء الخبراء الصناعيين بجانب الإغراءات الأجنبية

يقول د. سمير بدوي مدير صندوق الدعم للغزل

فوجئت في التشكيلات الصناعية الجديدة بنقلي من الصندوق إلى شركة أخرى دون أخذ رأيي ودون مناقشتي في " من يصلح للتعاون معي

:ويقول كمال الدين بيلي رئيس شركة الإسكندرية للزيوت والصابون عن أسباب استقالته

استلمت شركتي عقب التأميمات عام 1961 وكان حجم مبيعاتها جنيه يتجاوز 800 ألف جنيه وقد تركتها الآن وهي " تباع بحوالي 25 مليون جنيه حسب ميزانية 1976 والمرتب لم يتجاوز مليما واحدا منذ 1061

:ويقول المهندس حسن عبد الفتاح رئيس الهيئة العامة للتصنيع عن أسباب استقالته

"هناك اختلافات في السياسات كما أن الجو العام أصبح يدفع الإنسان لإعطاء جهده لبلاده في موقع آخر"

أما المهندس نزيه أمين رئيس هيئة الحديد والصلب السابق ورئيس شركة الجوت فقد رفض التعليق على استقالته قائلا "أرفض التعليق على الاستقالة فهذا حق " ولعل النقل من "هيئة الحديد والصلب" إلى شركة "الجوت" يوضح لنا السبب !

ويكشف لنا المهندس كمال الزيايدي رئيس المؤسسة الهندسية السابق أبعاد هذه التغييرات التي تحدث في القطاع العام الصناعي قائلا

إن كثرة التغييرات تصيب القطاع الصناعي بالعقم وخاصة عندما ينقل المدير إلى غير تخصصه . فرقي المهندس " سيد عوض المتخصص في أعمال الصلب لكي يصبح رئيسا لشركة سورنجا للفخار ! . ونقل 2 من كبار المهندسين لمتخصصين في صناعة البطاريات وهما جلال عزمي لكي يصبح رئيسا لشركة "ناروين" للكاوتشوك؛

وحسن جعفر ليصبح مديرا لشركة " مستيلكو" كما نقل د. علاء الدين الحديدي دكتوراه في صناعة الورق ومدير "شركة " فارتا" (15 سنة) لكي يصبح مديرا في شركة كازوزة (سي كولا) وهذه هي التشكيلات

:ويكشف د. على طلحة النهج المتعمد للتخريب والقضاء على الصناعة في مصر فيقول

إن كثر التغيرات لا تعطي الاستقرار ..ويكفي أن أقول أن 4 شركات كبرى هي الغزل الأهلية والشوريجي ومصر " حلوان للغزل والحديد والصلب تغير رؤساء شركاتهم من 4 إلى 5 مرات خلال 5 سنوات فقط وكلما جاء واحد لكي "يدرس وينفذ برنامجه نقل بعد سنة

:ويعلم الدكتور على زكي البدري رئيس شركة تركت

تركت شركتي التي أحببتها لكي أمارس عملي في القطاع الخاص لأن العمل في القطاع العام أصبح من الصعوبة " بمكان لتعدد أجهزة الرقابة وتدخل الوزارة في كل صغيرة وكبيرة على جانب المعاملة القاسية التي نلقاها من وزير الصناعة "

وفي نفس الصفحة التي نشرت فيها صحيفة "الأخبار" هذا التحقيق , نقرأ إعلانين الأول عن "نيوزيلاند" يعلن أن " نيوزيلاند" مستعدة لتصدير الخبرات المتخصصة في الهندسة المدينة وتصدير المصنوعات والمعلبات الغذائية

والثاني إعلان لشركة الصناعات الهندسية المعمارية أسسها "المقاولون العرب" عثمان احمد عثمان وشركاه ويعلن أن !!الشركة تعرض بجناحها بسوق القاهرة الدولية 1977 مستوردات من انكلترا والسويد وفرنسا

أما الأسلوب الآخر للتخريب فيتمثل فيما نشر عن لجنة الصناعة بمجلس الشعب أثناء بحثها في أزمة صناعة هي السجاير المصرية ونبين أن من أسباب نقص الإنتاج انقطاع التيار الكهربائي المستمر أثناء الإنتاج وطالب احد أعضاء مجلس الشعب بمحاسبة أصحاب المصلحة في نقص الإنتاج وخلق السوق السوداء للسجاير في مصر وطالب بالتصدي لشركات السجاير الأجنبية التي تتحكم في السوق وتقضي على شركات السجاير المحلية

أى أن التخريب لا يقتصر على تفريغ القطاع العام من خبرائه .. بل يمتد التخريب إلى العناصر المنتجة نفسها برشوتها .. لقطع التيار الكهربائي أو عرقلة الإنتاج بأى صورة ليخلو السوق أمام البضائع المستوردة وأرباح الوكلاء الطفيليين

وأعلن الدكتور عبد الرازق عبد المجيد نائب رئيس الوزراء لشؤون الاقتصادية والمالية أثناء زيارته للولايات المتحدة في أواخر 1980. أن توظف رؤوس الأموال الأجنبية في مصر الآن يمكن أن يعود بأرباح تصل إلى نسبة 200 في !! المانة

الخيانة الوطنية

ظل نضال المصريين الطويل من أجل التصنيع ينمو واستطاعت مصر أن تنتزع من الاستعمار البريطاني الحق في فرض الحماية الجمركية للصناعة المصرية كما صدر القانون الذي ينص على وجوب حصول المصريين على 51% من أسهم .. الشركات الأجنبية وذلك حتى تبقى السيادة إصدار القرارات للمصريين

حدث ذلك قبل ثورة 23 يوليو ثم جاءت الثورة لتحقيق الرغبة الوطنية واستعادت الثروة المصرية وبدأت بتأميم قناة السويس ثم وضع مجموعة لبنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية المملوكة للإنكليز والفرنسيين والبلجيك تحت الحراسة ثم صدر قرار تمصيرها ثم تغير التمصير إلى التأميم

وصدرت قوانين التأميم عام 1961 واستعاد الشعب ثروته التي تكونت من الدماء والعرق المصري ولكن "السادات" .. في حديث صحفي ردا على سؤال صحفي أجنبي يقول

السؤال: "هل يمكنكم أن تعطونا بعض الأمل المشجع لمستثمرين ؟

الجواب :ناقشت أمس احتمال إيجاد هيئة برئاسة رئيس الوزراء نفسه لتسهيل كل شئ للمستثمرين ...وعندما كنت في "ألمانيا آخر مرة التقيت مع رجال الأعمال الألمان هناك وقلت لهم أرجوكم كونوا صبورين معنا

وبدأ بيع القطاع العام للمستثمرين والتعدي على الحقوق الوطنية التي اكتسبها الشعب خلال سنين الثورة وخلال نضاله السابق لها ففي 23 مايو 1978 تم توقيع الاتفاق بين شركة "إيديال" المصرية لإنتاج الثلجات والغسالات والأثاث المعدني وشركات " كومسون براندت" الفرنسية لإنشاء شركة مشتركة يتضمن العقد أن يمتلك "طومسون" 51 % من الأسهم وإيديال 49% أى أن مساهمة الدولة تهبط من 100% إلى 49% وكانت شركة "إيديال" قد حققت في العام ! السابق أرباحا سنوية وصلت إلى 16 مليون جنيه

وفي تقرير رسمي أن ربع الشركات الصناعية العامة باستثناء الغزل والنسيج تتفاوض مع رجال أعمال أجنبية لتكوين شركات مشتركة فشركة كلوريدا الإنكليزية اشترت 50% من أسهم الشركة العامة للبطاريات وشارك بنك باركليز بنسبة 2% والجامعة الأمريكية بنسبة 10 % وبقي 38 للجانب المصري

ويفضح أساتذة الجامعات في الندوة التي أقامها مركز دراسات التنمية التكنولوجية في جامعة القاهرة فقال الدكتور عاطف عبيد

إن الطرف الأجنبي يستغل موقعه بشكل مبالغ فيه ولغير صالح الطرف المصري غنه يطلب أن تكون فترة إدارته " مفتوحة لأي مدي ولأى زمن ويطلب أحيانا أن تكون المساهمة المادية رمزية طوقال المهندس فؤاد أبو زعلة رئيس "شركة الحديد والصلب

" إن 9050 مهندسا وفنانا هاجروا من شركة الحديد والصلب"

وقال فؤاد يونس رئيس شركة القاهرة للإسكان والتعمير

"إن شركتي ساهمت مع شركة أجنبية في إنشاء شركة جديدة بنسبة 51 % ورغم هذا فقد خرج كل شئ من أيدينا"

إن الخيانة التي تحدث في تصفية القطاع العام ليس في الردة الصناعية أو عودة المستثمرين لنهب الشعب.أو تشريد العمال ولكنها بالإضافة إلى خيانتها للنضال لوطني فإنها تتعارض مع الدستور الذي ينص في (مادة 30

الملكية العامة هي ملكية الشعب تتأكد بالدعم المستمر للقطاع العام ويقود القطاع العام التقدم في جميع المجالات "

"ويتحمل المسؤولية الرئيسية في خطة التنمية

لعل ما كشفته فضيحة "هضبة الأهرام" يعطي فكرة عن مضمون سياسة الانفتاح ففي هذه الصفقة اشترى المستثمر ! الأجنبي أرض هضبة الأهرام بنصف مليون دولار وباعها بألفي مليون جنيه

ثم يطالب البنك الدولي برفع الدعم عن قوت الفقير الذي لم يتجاوز 400 مليون جنيه .. بينما النهب في صفقة واحدة 2 . ألف مليون أى خمسة أضعاف

الحرب.. والغزو

! في أكتوبر 73 كانت الحرب وبانتهاؤها بدأت "سياسة الانفتاح" وأدركت العناصر الوطنية, ماذا يراد بمصر

ففي الأول من يناير عام 1974 ولم يكن تم عقد اتفاق "فك الارتباط " قال "ايريك بلمند فيلد عضو الجمعية العامة لحلف شمال الأطلسي أن الوقت قدحان لكي تنضم مصر والأردن وإسرائيل على حلف شمال الأطلسي وأضاف أن هذه " الدول يجب ألا تبقى بعيدة عن الانضمام للحلف

وفي 22 يناير أعلن السادات في الجزائر خلال مؤتمر صحفي بعد إعلان " فك الاشتباك" أن الولايات المتحدة قد "انتهجت سياسة جديدة وإن كل تغيير في الموقف الأمريكي لابد أن يستتبع تغييرا مماثلا من جانب العرب نحو المتحدة

وفي 27 يناير من نفس العام نشرت الصحف أن 50 مشروعا مصرية بـرؤوس أموال عربية وأجنبية .. رأس المال . الفرنسي يساهم في تعمير منطقة القناة محادثات بين عبد العزيز حجازي ورئيس الغرفة التجارية الفرنسية بباريس

وفي 2 فبراير عين على أمين المعروف بولائه لأمريكا وشقيق الصحفي الذي حكم عليه في قضية تجسس مديرا لتحرير الأهرام وفي 6 فبراير اجتمع الدكتور عبد المنعم القيسوني رئيس البنك المصري الدولي والدكتور حامد السايح الذي كان رئيسا للبنك الأهلي بوزير الخارجية الأمريكية في واشنطن ثم اجتمع القيسوني مع دافيد روكفلر رئيس بنك تشسس مانهاتن ثم مع المسؤولين في شركة وستجهاوس وبعض الشركات الأخرى وتركزت المناقشات على توثيق العلاقات مع البنوك الأمريكية

وفي 11 فبراير وافق السادات على أربعة قرارات اقتصادية هامة تتعلق بتشجيع الاستثمار العربي والأجنبي في مصر والخطوات العاجلة اللازمة وتطوير جهودها لم يكن خافيا الاتجاه الجديد من خلال هذه الاتصالات ..والخطوات سلم "السادات" مصر للرجعية العربية والإمبريالية العالمية وبالخص الأمريكية

فمنذ بداية الصراع أى منذ بدأت مصر خطواتها نحو التحرر والإشتراكية ناصبت هذه القوي العداء للتجربة الناصرية وكانت مطالبتها تتركز في ثلاث نقاط

إلغاء لاتحاد الاشتراكي

تصفية القطاع العام

إبعاد السوفيت من مصر

والعناصر الثلاثة مكلمة لبعضها فبدون الاتحاد السوفيت لم يكن ممكنا إقامة الصناعات الضخمة التي أقيمت وبدون .. الصناعة لا يمكن تشكيل الطبقة العاملة كما أن ضعف الطبقة العاملة لا يؤهلها للدور السياسي في الاتحاد الاشتراكي

وكان تبديد النقاط الثلاث معناه الردة عن خط ثورة 23 اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا والعودة إلى أحضان الاستعمار وتصفية النضال الوطني الطويل للشعب في مصر الذي خاضه خلال أكثر من مائتي عام

الحقيقة بالأرقام

وظهرت الصحف المصرية في 23 يوليو 1974 بصرخة واحدة ضد ما يبيته نظام السادات ضد مصر وطلعت الأهرام بصفحة كاملة تدافع عن القطاع العام ضد غزو الشركات الاحتكارية ومحاولة تصفية لقطاع العام الصناعي فقالت:على امتداد السنين ستبقى الصناعة عملا من أروع انجازات ثورة 23 يوليو وأكثرها تأثيرا ليس في مستقبل مصر وحدها . وإنما في كل المنطقة العربية وما حولها

مصر الصناعية أصبحت ملحمة نضال بطولي . عرق وعمل متواصل وجهد مخطط مدروس استمرت فيه على مدي 22 عاما ما يقرب من 2300 مليون جنيه إن الشوط الطويل الذي قطعت مصر في طريق الصناعة منذ البرنامج الأول وحتى اليوم له أثر هام في تحديد معالم الصورة التي تعطينا منتجات صناعية قيمتها خمسة ملايين جنيه كل صباح بالإضافة إلى صادرات يومية يصل إلى 200 ألف جنيه. يقدمها 515 ألف عامل يحصلون على أكثر من 173 مليون جنيه سنويا .. في صورة أجور ومزايا

إن قطاع الصناعة في بلدنا يمثل بلا ادني شك النموذج الخلاق للتطور خلال سوات محدودة من دولة تعتمد على الزراعة كمصدر أساس للدخل إلى مجتمع صناعي بكل ما تحمله الكلمة من مقاييس أو دلالات ..ربما من غير المقاييس التي تحقق في قطاع الصناعة على امتداد 22 عاما مضت ما كانت الآمال التي نتطلع إليها اليوم وما كانت القدرة التي حققها الشعب في صموده البطولي بعد عدوان يونيو

وإذا كان هناك ما يقال عن دور لقاعدة الصناعية في مجال تلبية احتياجات الجماهير من السلع الصناعية وخدمة المعركة فليس ابلغ مما قاله الرئيس أنور السادات في ورقة أكتوبر التي أقرها الشعب كوثيقة من وثائق الثورة

لقد زودت القاعدة الصناعية والإنتاج الزراعي والإطار الواسع للخدمات الاجتماعية قواتنا المسلحة ما كانت في حاجة إليه وقد لعب القطاع العام الدور الرئيسي في تحقيق الصمود الاقتصادي في الفترة التي تلت الهزيمة وفي الإعداد للمعركة بإنتاجه وبفوائضه المالية وبرجاله من مديرين وفنيين وعمال تقاتلوا في العمل من أجل الوفاء باحتياجات الشعب و القوات المسلحة واستمرار التنمية رغم عبء المجهود الحربي

إن البناء الصناعي يرتفع اليوم شامخاً رمزاً حياً لعظمة الثورة وقدرتها على تحويل مجرى حياة الإنسان وبكل المقاييس تحققت لقطاع الصناعة والتعدين من الانتاجات والنجاحات ما يخرس أبواب المتشككين ويزيد من ثقة كل مصري بقدرة الوطن ومؤسساته الاقتصادية ثم بدأت صحيفة الأهرام في تقديم مقارنة بين مصر الزراعية في العهد الاستعماري البائد ومصر الصناعية التي أقامتها ثورة 23 يوليو وقدمت بالإحصاءات وبالأرقام مقارنة بين الوضعين فقالت في مجال الإنتاج

كنا..

كانت قيمة الإنتاج الصناعي في مصر عام 1952 في حدود 26,5 مليون جنيه وكانت كلها تقريباً من إنتاج القطاع الخاص .

.. وأصبحنا

حقق قطاع الصناعة والتعدين خلال عام 1973 إنتاجاً قيمة بالأسعار الجارية 1667 مليون جنيه أى ما يعادل 617% من الإنتاج الصناعي عام 1952

...كنا

لم تكن صادرات مصر من الصناعة عام 1952 تتعدى 12 مليون جنيه فقط

وأصبحنا

حقق قطاع الصناعة والتعدين صادرات فعلية قيمتها 150 مليون جنيه خلال العام الماضي 1973 أى ما يعادل 120 %
..من صادراتنا عند قيام ثورة يوليو

..كنا

كان عدد العاملين في الصناعة حوالي 180 ألف عامل عند قيام ثورة يوليو ... يبلغ ما كانوا يتقاضون كأجور سنوية
. 30 مليون جنيه .. وذلك على أساس المنشآت التي يعمل بها أكثر من 10 عمال

وأصبحنا..

بلغ عدد العاملين بالشركات الصناعية القطاع العام وحده حوالي 515 ألف عامل بلغت أجورهم في العام الماضي 173
مليون جنيه . موزعين بين الصناعات المختلفة في مجال الأموال المستثمرة

من الحقائق التي يجب أن يعرفها كل مواطن عن الصناعة أن بلدنا استثمرت على مدي 22 عاما منذ قيام ثورة يوليو ما
يزيد على 2024 مليون جنيه في بناء القلعة الصناعية وهذا يمثل إجمالي الأموال المستثمرة بالشركات فقد دون
المشروعات الضخمة التي يجري تنفيذها (عام 1974) كمجمع الحديد والصلب بحلوان ومجمع الألومنيوم بنجع حمادي
وغيرهما من المشروعات التي استثمر بها حتى ديسمبر الماضي ما يزيد على 250 مليون جنيه في مجال الاستثمارات
المنفذة

كنا لم نتجاوز المبالغ المستثمرة خلال عام 1952 بقطاع الصناعة 2,1 مليون جنيه وأصبحنا بلغت قيمة الاستثمارات
التي تمت بقطاع الصناعة خلال عام 1973 وحده حوالي 166 مليون جنيه ومما تجدر الإشارة إليه أنه تمت خلال ذلك
العام 45 مليون جنيه بمجمع الصلب وحده و18 مليون جنيه لمجمع الألومنيوم وبالطبع فإن هذه الاستثمارات ستؤتي
ثمارها إنتاجا وخيرا وفرص عماله جديدة وأجورا وأرباحا على مدي السنوات المقبلة

ونشرت صحيفة الجمهورية مناقشة صريحة مع أساتذة الاجتماع بالجامعات وقالت وبمناسبة 23 يوليو 1974 لم يعد
الفلاح يحني رأسه لصاحب الأرض ليصفه لم يعد العامل ترسا في عجلة الإنتاج إنما أصبح مالكا للآلة نفسها لم يعد
المتقشف يعيش على هامش المجتمع بل أصبح يحركه

وقال الدكتور صلاح قنصو

الثورة المصرية وضعت المجتمع على أعتاب مرحلة تطور جديدة ففي خلال العشرين عاما الماضية ظهرت قيم "
بتغير المجتمع الزراعي إلى مجتمع شبه صناعي وقد ظهرت بدايات هذا التغير بزيادة عدد العمال ويخلق نمط حضاري
وصناعي تحكمه قيم مختلفة عن القيم التي تحكم المجتمع الزراعي الذي تحكم وتسيطر عليه التواكلية

وانبرت الأعلام الوطنية في حماس وانطلاقة وكأنها في حرب مع الأخطار القادمة والمحدقة بالوطن وكتب محمد عودة وكامل زهيري يكشفان أبعاد المخطط الذي يستهدف ضرب القطاع العام والصناعة وظهرت دراسة في جريدة "الأخبار" على ثلاث أعداد مثالية حول حتمية القطاع العام ودوره في الحاضر والمستقبل وكتب وزير التموين السابق فؤاد مرسي دراسة نشرتها الصحافة العربية عن التنمية الاقتصادية والاستثمارات الاقتصادية أوضح فيها بالأرقام والمنطق العلمي خطورة "سياسة الانفتاح" على اقتصاد مصر وسيادتها وانعكاس ذلك على حياة الناس وظهرت المؤلفات عن الشركات المتعددة وخطورتها وعن " محاكمة سياسة الانفتاح " ولكن الخيانة كانت مبيتة

الرجعية القديمة والجديدة

في 30 مارس 1974 ولم يكن مضي على معركة أكتوبر عام قال الدكتور عبد العزيز حجازي أثناء مناقشة ساخنة في !! "مجلس الشعب:"إننا نعلنها للمواطن العربي والأجنبي أن عهد التأمين قد انتهى

ومن قبله صرح رئيس جهاز التعاون العربي والدولي بأنه سيتم قريباً تعديل قانون استثمار المال العربي والأجنبي على أساس أن المشروعات التي توافق عليها الدولة في إطار هذا القانون وطبقاً لسياستها الاقتصادية ستعفي بوضوح وبطريقة حاسمة من أى احتمال للتأميم أو المصادرة أو الحراسة وفي نفس اليوم الذي نشرت فيه هذه الآراء كانت ليبيا تؤمم ثلاث شركات أمريكية

وفي نفس الشهر كانت طيبرو تعلن تأميم صناعات النفط وصيد الأسماك كما أممت شركة "سيرودي" باسو الاحتكارية التعدينية الكبرى التابعة للرأسمال الأمريكي وتمتلك هذه الشركة مصانع الحديد والفولاذ وستة مناجم لاستخراج النحاس والذهب والفضة كما صدر قانون الإصلاح الزراعي فانتزع 58 مليون هكتار وملليون ونصف من الماشية من كبار .. الملاك الجشعين

ولم يخجل وزير الصناعة في مصر فيعلن ليؤكد ما قاله عبد العزيز حجازي ويصرح "إن عهد التأمين والحراسة قد انتهى إلى الأبد" ونسي الوزير أن هذا الحق أصبح معترفاً به من الأمم المتحدة وأن لكل دولة الحق في تأميم ثرواتها .إلا إذا فقدت الدولة سيادتها

وظهرت الصحف المصرية ليست مجللة بالسواد ولكن مزهوة باللون الأحمر تعلن ما صرح به السادات

"... لا تأميم لا مصادرة لا حراسة "

ويقف وزير الإعلام في عهد عبد الناصر ويتنكر لكل المبادئ والقيم ليصرح

أننا لا نستطيع أن ننمي مجتمعنا واقتصادنا برأس المال الوطني وحده ونحتاج في هذا الشأن إلى رؤوس الأموال " الأجنبية لأن لدينا الأيدي العاملة إن أجر العامل المصري هي ارخص الأجور في العالم

وهكذا تنكر لكل ما كان ينادي به سابقا وأسرع إلى سوق النخاسة الرأسمالية ببيع جهد المواطن المصري بأرخص الأسعار. وخلال الشهور الأولى من عام 1974 أى في أعقاب حرب أكتوبر المجيدة نتالت خطوات "الردة" وكانت بشأنها الإفراج عن الصحفي الذي ضبط متلبسا بالخيانة الوطنية والتجسس وأعلن العفو عنه ثم عاد ليمارس هوايته

كان الخطأ في محاكمة هذا الصحفي تقديمه إلى المحاكمة بقوانين العقوبات وكان المفروض أن يحاكم سياسيا بتضليل الشعب ودفاعه عن معاهدة صدقي بيغن وإخفاء جرائم الملك السابق وتقديمه على انه "العامل الأول والفلاح الأول" و" الملك المؤمن " وطعنه في الحركة الوطنية ومساهمته في إخفاء جرائم السعديين خلال مرحلة الإرهاب

ومحاولة "الانحراف" بكفاح الشعب خلال معركة القناة عام 1951 ثم مشاركته في انقلاب يناير 1952 وتصويره أمريكا الضاحكة على أنها حامية الحريات بينما كانت تبيد شعب كوريا وتقف ضد حركات التحرر

لقد عادت الأصوات القديمة كنعيق البوم ووقف زكي عبد المتعال الوزير الذي استقال من حكومة الوفد بإيحاء ملكي ليتحدث عن التضخم ويرجع أسبابه إلى الحروب التي خاضتها مصر دفاعا عن أرضها ويطالب بوقف تعيين الخريجين !! وتساءل أحمد أبو الفتح شقيق المليونيير محمود أبو الفتح عن الضمانات للدول الأجنبية للاستثمار

وكان ذلك في اجتماع حضره أكثر من مائتين من الوزراء وكبار الاقتصاديين والمستثمرين المصريين والعرب والأجانب والذي أعلن فيه رئيس الوزراء عبد العزيز حجازي أن الانفتاح ليس نظرية جديدة ولكنه تحرك من أجل رفاهية الشعب وأنبري له أحد الوطنين متسانلا الانفتاح عن وبمن. وماذا سيستفيد العامل والفلاح من الانفتاح؛

وهل من قبيل المصادفة أن ترتفع الأسعار في مصر وننن منها جميعا في نفس الوقت الذي نتحدث فيه عن الانفتاح. والانفتاح بمن وهل الأجهزة التي تتولي الانفتاح الآن في مستوي المسؤولية؟! ولكن الانفتاح تقرر باستفتاء زائف !

:" وعندما سأل أحد الصحفيين من ألمانيا الغربية " السادات

ما هي الضمانات لرؤوس الأموال؟

رد قائلا

.الضمانات جاهزة؟! الضمانات جاهزة !. ولكن الانفتاح كان بلا أجهزة

"وقالت صحيفة "أخبار اليوم

أعلننا على العالم سياستنا في الانفتاح ولم نعد أنفسنا لذلك أعدادا كاملا لا مشروعات مدروسة ومعدة للعرض
!والمناقشة ولا وسائل نقل ومواصلات تسعف أصحاب رؤوس الأموال في الاتصال بالخارج ولا غرف خالية في الفنادق

وعلى الرغم من ذلك سارت "سياسة الانفتاح" وسافر القيسوني وحجازي إلى أوروبا وأمريكا وعقدت الاتفاقيات وكان
الإعلام يتحدث عن المشاريع الضخمة وطلعت صحيفة "الأهرام" في عام 1974 تتحدث عن مشروع منخفض القطارة
مع ألمانيا الغربية

وجاءت وفود أصحاب الملايين من اليابان وأمريكا وتقرر إعفاء أرباح شركات المقاولات الأجنبية العاملة في التعمير
من الضرائب الجمركية وضرائب الأرباح التجارية والصناعية وفوض مجلس الوزراء وزير التعمير في تعيين الأجانب
بالوظائف التي تتطلب خبرة خاصة في التعمير لا تتوفر بالقدر الكافي من المصريين (في مصر كليات هندسة متعددة
(... التخصص منذ أكثر من 60 عاما أنشئت أول كلية هندسة في مصر أيام محمد علي أي منذ أكثر من 170 عاما

ويصرح لهؤلاء الأجانب بتحويل 50% من رواتبهم للخارج وكتب علي أمين الصحفي بعد أن عاود هوايته في بيع
:الأوهام فقال

يقدر الخبراء المعونة التي ستقدمها حكومة الولايات المتحدة إلى مصر قبل نهاية عام 74 بأكثر من ألف مليون
. دولار وهذه المعونة خلاف المشروعات التي تنوي الشركات والمؤسسات الأمريكية تنفيذها وتقدر بألفي مليون دولار

والمتمفق عليه أنتوفر أمريكا عددا ضخما من الخبراء الذين تطلبهم مصر لسرعة تنفيذ مشروعات التعمير والتصنيع
والتعليم وجاء منكمار رئيس البنك الدولي وظل يغوص في أسرار مصر الاقتصادية ثم تمخض عن قرض لمياه الشرب!
%بفائدة 17/4

أما الأحلام الأمريكية فتحققت في تدفق البنوك تشيز مانهاتن بنك بأن أمريكا الأمريكان أكسبريس فيرست ناشينال سيتي
وكانت قد صفيت أعماله في مصر عام 1961 ووصل عدد البنوك إلى 36 بنكا أمريكا وأوروبا ويابانيا جاءت تنهب
أموال مصر وثلاث فنادق مثل شيراتون في السويس والإسماعيلية وبور سعيد

وتمخض "الإنتاج" عن مأساة أخذ ينعيها من دفعوا مصر إليها فكتبت مجلة الاحتكارات البريطانية (الأيكونومست)
تقريراً ضافياً عن مصر جاء فيه "وإذا كان حلوان رمزا للماضي الموالي السوفييت فإن تجديد قصرا الخديوي إسماعيل
" القديم المحاذي للنيل والذي تقوم به شركة فنادق أمريكية بشكل رمزا مخجلا للحاضر الموالي للغرب

ومع ذلك فتجارة الفنادق هي الوحيدة التي تبشر برواج ممكن حيث يضع العرب والمصريون أموالهم ويقدم الغربيون خبرتهم ومعداتهم فندق هيلتون يضيف جناحا لبنائه الحالي ويخطط لإنشاء فندق جديد أما الشيراتون فيخطط لإنشاء ثلاثة فنادق فيما يتهدأ فندق "واغون لتس" الفرنسي لإنشاء فندق في ميدان التحرير ويمهد الانتركوننثال الأرض على !! شاطئ النيل لإقامة فندق من خمس وعشرين طابقا

ومع ارتفاع أسعار شقق البذخ من 45,000 ألف إلى 200,000 ألف دولار تنصب أموال الخليج أيضا على بناء الشقق السكنية أما بالنسبة للبنوك الأجنبية فقد نشرت احدي الصحف الخليجية دراسة عنها تحت عنوان : " بدل أن تأتي !! الأموال الأجنبية لتمويل المشاريع المصرية خرجت رؤوس الأموال المصرية إلى أنحاء العالم

وصرح الدكتور زكي شافعي وزير الاقتصاد السابق

المصارف الأجنبية في مصر تحتفظ بمعظم أموالها في الخارج و وهذه الأموال هي ودائع المواطنين المصريين " وبالتالي فقد أصبحت هذه المصارف الأجنبية جسرا تعبده مدخرات المصريين إلى الخارج في الوقت الذي تتزايد فيه حاجة مصر إلى تمويل الاستثمارات المختلفة وتتجه إلى اقتراض الجزء الأكبر من هذه الأموال من الخارج بفوائد "باهظة

صرخات في واد

ارتفعت الصرخات منذ البداية ضد أسلوب "سياسة السادات" وأصر العمال في مؤتمرهم على صيغة تحالف قوي الشعب وفي المؤتمر العاشر لاتحاد طلاب مصر (ولم تنشره الصحف المصرية) طالب رئيس اتحاد طلاب الجمهورية بتأكيد مطالب الشعب

القطاع العام

نسبة العمال والفلاحين

.تأكيد الناصرية

وصرح أحد الطلبة في المؤتمر

".. إكراما لروح الشهيد أطلب من نفسي ومن جميعا أن نحمي ما ضحي الشهيد من أجله"

ولكن دماء الشهداء كانت قد سالت على أرض الوطن لتتحول إلى سبائك ذهب تملأ جيوب الخونة وأعداء الشعب قفز عثمان أحمد عثمان من وسط عمال التراحيل إلى كرس الوزارة وارتبط مع السادات برباط النسب وتزواج مع شركات ..الاحتكارات العالمية التي وفدت من كل حذب وصوب تنهب شعب مصر

وجاءت الرجعية التي ألزمها نضال عبد الناصر جحورها لتحول مصر إلى دار لهُو ودعارة .. بعد أن زاد ثراءها أثر الحرب وتعلق المثقفون والضباط الذين اشتروا العرب وبنوا الفيلات بأذيال الأسى الجدد ونسوا الكرامة الوطنية وتخلوا .. عن الشعب

ومن خلال القانون 93 لسنة 1974 الذي أباح ممارسة تمثيل الشركات التجارية وتبعه قرار رئيس الجمهورية لتنظيم أعمال الوكالة التجارية نشرت جريدة " الأخبار " أن 2000 مليون جنيه ضاعت على الدولة ودخلت الجيوب "والحسابات السرية وتساءلت الصحيفة " متى تنتهي لعبة العملات ؟

وتتالت الفضائح كما نشرتها الصحف

عثمان أحمد يدافع عن نفسه في اتهامه بإضاعة 6 ملايين دولار في صفقة الحديد من اسبانيا

. لجنة لتقصي الحقائق في صفقة أتوبيسات إيران

ألف جنيه عمولات لـ 3 أفراد عن تصدير البرتقال 529

تلاعب خطير في أموال شركة الزجاج خسائر أكثر من نصف مليون جنيه

.فضيحة شركة الطيران وارتباطها بفضائح شركة لوكهيد العالمية

فضيحة وزير الكهرباء مع شركة وستنجهاوز

وتتالت الفضائح لتمس "قمة النظام" وتساءل محمود القاضي في مجلس الشعب عن التوكيلات التي يمارسها شباب من أبناء العائلات الحاكمة وعندما اكتشفت احدي العاملات بوزارة الزراعة اختلاسات بـ 400 ألف جنيه كافأتها وزارة ! الزراعة بخضم 15 يوما من مرتبها وقضي على الرقابة الإدارية بعد كشفها لعدد من الفضائح

وأصبحت مصر نهبا مباحا وتتألق صفحات تتحدث عن الأسرار الخفية وراء البضائع الأجنبية المهربة وقالت الأهرام من هم المليونيرات التي يسيطرون على الأسواق ولا يحاسبون على ثرائهم المفاجئ

وقالت أيضا

المدعي الاشتراكي يحقق في ظروف الثروات الخيالية التي صنعها التلاعب في أسعار البطاطس " وتحقيق عن " إغلاق مدرسة وتشريد 1200 تلميذ بعد أن بيعت أرض المدرسة ومبانيها بمبلغ 36 جنيه فيحين أنه يساوي نحو مليون !! جنيه

وكانت النتيجة كما وصفت مجلة الأيكونومست في عام 1976

وتبدو القاهرة في الواقع وكأنها أصبحت مدينة كم كهوف قلاع رملية يغمرها مد ثمانية ملايين إنسان يحيون " يانسرين في أكواخ على السطوح وفي المقابر أو بيوت متداعية قديمة مستأجرة ويتحشر كل سنة إلى ثمانية منهم في "الغرفة الواحدة

وهانت حياة الإنسان في مصر فأصبحت تستورد له معلبات اللحوم الفاسدة من فرنسا وألمانيا الغربية ..وصرح وكيل أول وزارة التموين أنه رفض إطعام الحيوانات بهذه اللحوم ويقول أن القطاع الخاص لا يستورد إلا نوعيات رديئة . خاصة من اللحوم المعلبة وهدفه الربح السريع

كل هذا وفي كل يوم مزيد من الإنتاج ومزيد من تدفق الأجانب ومزيد من الثراء لطغمة المجرمين الرأسماليين أما ! المصريون عمالا وفلاحين ومثقفين فقد شردوا في بقاع الأرض يبحثون عن وسائل للحياة

الآزمات... والنتيجة

في أعقاب الانفتاح انفلت معدل الواردات ليبلغ أكثر من 200 مليون جنيه مصري ! أما الميزان التجاري وكننتيجة لتلك الواردات الهائلة اختل اختلالا شديدا وتفاقم العجز في المعاملات التجارية فحتي عام 1972 لم يكن العجز قد تجاوز 200 مليون قفر وتضاعف سنة 1973 بعد إعلان سياسة الانفتاح الاستهلاكية ليصل إلى 450 مليون جنيه ثم 500 مليون جنيه لعام 1974 و1300 مليون عام 1975 ..واستمر التصاعد

وارتفعت الأسعار خلال ثلاث سنوات بعد حرب أكتوبر أكثر من 50% بينما لم يتجاوز متوسط الزيادة في الأجور 6و5% وعلق ملحق الأهرام الاقتصادي في عدده الصادر في فبراير (شباط) 1977 على الوضع الاجتماعي

فإنلا

بأنه مجتمع التفرقة والعزل يأتي على شكل لعزل العنصري في جنوب أفريقيا وروديسيا وإسرائيل التفاوت الطبقي " الصارخ والهوة المتزايدة الاتساع بين فئات اجتماعية لا تقل خطورة عن العزل بسبب لون البشرة أو الأصول أو الأعراق , كلاهما يخلف فئات واسعة من المنبوذين ويستهلك مجتمع العزل هذا بالصورة التالية.8,9 من مواطنيه

يلتهمون 44,5% من جملة الاستهلاك والأخطر من ذلك فإن نسبة 2,3 في أعلى الهرم يلتهمون ودهم 24 % من "حجم الاستهلاك"

ويكشف لنا تقرير من حزب التجمع الوطني الأسباب الحقيقية للأزمة التي تتصاعد كل يوم وهي ليست سوى عمليات .. نهب منظم وتخريب مدير من الشركات العالمية التي تدفقت على مصر

يقول التقرير

في عام 1953 بني فندق شبرد بأيدي مصرية وشركات مصرية في هذا العام تتم "عمرة واسعة" في الفندق " وتتولي هذه المرة 12 شركة أجنبية منهم شركة من أقصى غرب كندا من بلد اسمها "فانكوثر" 12 شركة أجنبية ! تشترك في عملية ترميم فندق صمم وبني وأثث بأيدي مصرية منذ 25 سنة مضت

مصر وحدها من عام 1950 حتى عام 1965 أقامت في القاهرة والإسكندرية وحدها 25 سنترال تليفون كامل بجهود مهندسيها وعمالها وخبرائها وبدون أى خبير أجنبي و "اليوم" اقترضت مصر من البنك الدولي 62 مليون دولار لدعم شبكة التليفونات في القاهرة فأعطيت الـ 62 مليون دولار لشركة تليفونكن الألمانية الغربية التي أنجزت عملية واحدة .. وبسيطة

وفي كل مرة تختفي سلعة محلية من السوق يكون السبب أن هناك سلعة مستوردة لابد من توفير ظروف انتشارها ! يختفي "السابو والرابسو" لكي يباع "التاير" و "الأريل" المستوردان

وانخفض إنتاج السجاير المصرية ليزيد توزيع السجاير المستوردة وهكذا تتحول أموال المصريين على جيوب الخواجات والشركات والوسطاء واتفق 200 مليون جنيه على نفق الشهيد أحمد حمدي الذي يمر تحت قيادة السويس وهو نفق لا أهمية عسكرية ولا اقتصادية بالنسبة للاقتصاد المصري إنما أقيم تحقيقاً لمصلحة إسرائيلية ومطلبا إسرائيليا عبرت عنه جولدا مائير عندما قالت "لن يكون هناك سلام غلا يوم استطيع أن استقل سيارة وأذهب للقاهرة .. للتسويق"

وحاول البعض أن يدعي بأن هذا النفق يخدم أغراضا عسكرية فرد الفريق الجمسي بأن هذا النفق لم تطلبه القوات المسلحة وليس لها فيه أية مسلحة ! ففي حالة قيام حرب فإن أول شئ يسعى إليه الطرفان هيونسف هذا النفق الذي تكلف 200 مليون جنيه كانت وحدها كافية لإقامة المساكن الشعبية وحل أزمة الإسكان ! ولكنها دخلت جيوب الشركات الاستعمارية والمقاولين المصريين

منطق الخيانة

كان "الميثاق" الذي عبر عن نضال الشعب المصري ينص: " في مجال المال " " يجب أن تكون المصارف في إطار الملكية العامة فإن المال وظيفة وطنية لا تترك للمضاربة أو المغامرة

وبعد "الردة" قال وزير التعاون الاقتصادي في نظام السادات

إن الهجوم على البنوك الأجنبية يتركز حول أنها تهتم بجمع الودائع من العملة الصعبة والواقع أن المصريين كانوا " يقدمون عن طواعية واختيار هذه الودائع لتلك البنوك أو فروعها خارج مصر في بيروت ولندن أو سويسرا. باختصار .. فإن الدولة في مصر تقوم بما كان يقوم به المهربون سابقا

وقد واجه الوزير سؤالاً من محرر "روز اليوسف" قائلا

ولكن المعروف أن رأس لمال المالي هو عصب الاقتصاد والقباض عليه ألا تخشي أن تسيطر تلك البنوك الأجنبية وما في ذلك من خطر على الاقتصاد المصري؟

أشاح الوزير بيده قائلا

لا يوجد أي خطر من هذا على الإطلاق فحجم أعمال تلك البنوك محدود بالنسبة لحجم البنوك المحلية؟ بصراحة حتى يطمئن رأس المال الأجنبي للاستثمار أننا جادون فعلاً ولتسهيل التعامل مع المستثمرين عندما يجدون فروع بنوكهم الأصلية الموجودة في لندن ونيويورك وباريس في القاهرة ثم هذه البنوك في النهاية بدأت تساهم في عمليات اقتصادية إسرائيلية في حدود 40 مليون دولار حتى الآن والبقية تأتي

وهكذا يكشف الوزير أن كل ما قدمته البنوك الأجنبية التي تنهب مصر 40 مليون دولاراً فقط للاستثمار فكم نهبت؟ وكم من الأموال حولت إلى الخارج؟ وكم من الأرباح جنت منذ بداية الإنتاج؟

وكما حدث أيام الخديو إسماعيل يتقدم الأجانب بمشروعات وهمية يعترف بها وزير التعاون الاقتصادي في نظام الإنتاج فيقول إن أول قوافل الاستثماريين التي نزحت إلى مصر كانت من الأفارقة والنصابين الذين تخيلوا أن بوسعهم أن يقضوا الطورطة مجاناً

تقدم البعض بمشروع يساهم فيه بالآلات والمعدات وعند تقييم تلك المعدات وجدنا أنها لا تساوي ربع الثمن الذي تقدم به إلينا تقدم مستثمرون أجانب بعرض توريد كميات من السلع التي يريدون إنتاجها في مصر ثم تبين أن الهدف ليس استثمار أموال وإنما هو بيع سلع ! مثل آخر

تلك المشروعات الضخمة عن القوي السياحية كلها أوهام فهل تراجعت الدولة في ظل نظام "السادات" عن "الانفتاح" . أم تبادلت فيه وفتحت الأبواب على مصراعيها للسلع والبضائع الفاسدة والأرباح الخيالية المنهوبة من دماء الشعب

وعندما تنتهي مهمة "السادات" لدى الأسياد الأمريكيان سيجملونه وحوارييه تهمة الفساد لتبرئة النظام الرأسمالي الذي !! يقوم على الجشع والنهم ويخلق الظروف للفساد ثم يحاولن خلق "سادات" جديد

تصفية الناصرية

كان الخطأ الأساسي في المرحلة الناصرية أن عبد الناصر أراد أن يكون "الكل في واحد" وتكونت حلقات كل منها يدعي أنه يمثل تيارا وطنيا وجعلت من نفسها حاجزا بين عبد الناصر وال جماهير

والثورة الوطنية التي هي بطبيعتها في هذه المرحلة التاريخية ذات اتجاه اشتراكي لا يمكن أن تتم بمعزل عن الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ولا يمكن أن يقتصر دور الجماهير على .. تأييد القيادة مهما كانت مميزات تلك القيادة

والطريق الطبيعي لانجاز الثورة الوطنية الاشتراكية هي طريق تنظيم الجماهير في أحزاب ومنظمات حقيقية تنبثق منها .. السلطة السياسية التي تتولي القيادة ولكن الحلقات التي أحاطت بعبد الناصر حالت دون تنظيم الجماهير

واعتمدت "الناصرية" على الأجهزة البيروقراطية والبوليسية وعلى الرغم من تحقيق منجزات تقدمية وتحررية مهمة . إلا أنها لم تترك الفرصة لثورة حقيقية وظل "باب الردة" مفتوحا

وعلى اثر وفاة عبد الناصر انفجرت الصراعات بين حلقات النظام واستغلت القوي الإمبريالية هذه الصراعات وبدأ النفوذ الأمريكي العمل على تصفية "النظام الناصري" والقضاء على الاتجاه الاشتراكي ونسف المكاسب التي حققتها الجماهير وفي غيبة الجماهير اجتمعت قيادات هذه الحلقات التي أطلق عليها مراكز القوي ومن خلال المساومات بين "أفرادها اختاروا" السادات

وكان اختيار "السادات" صفة لكل القوي الوطنية الحقيقية وللنضال الوطني فإن ماضيه سواء في عدائه لحزب الوفد (كان يمثل الغالبية) أو في ارتمايه بين أحضان الملك أو انتمائه الفكري للنازية و كان معروفا للجميع وكانت هذه الاتجاهات تمثل عداء للاشتراكية

وبدأ السادات في تنفيذ الخطة المرسومة تحالف مع " مجموعة الصحفي هيكل "لضرب" مجموعة على صبري " وأدركت مجموعة "على صبري" أنها تواجه ارتباطات مشبوهة بالإمبريالية الأمريكية فحاولت أنتجر الاتحاد السوفيتي إلى التدخل في الشؤون الداخلية في مصر ولكن السوفيت ظلوا ملتزمين بموقف عدم التدخل

وتخرجت الولايات المتحدة وتم انقلاب 15 مايو وأبعدت احدي حلقات النظام عن السلطة إن هذه الفئة التي أبعدت لم تكن المعبرة الحقيقية عن أمانى وطموحات الجماهير في مصر ولعلها كانت المسنولة عن أغلب حوادث الإرهاب والوقوف بعنف ضد المنظمات الحزبية والنقابية واشتركت في النهب ورفعت وحقت شعار "أهل الثقة" فظهر على سطح المجتمع فئات طفيلية وعاجزة لتشغل مناصب ومراكز هامة

وبدأ صراع جديد بين مجموعة هيكل والسادات أو بمعنى آخر صراع بين اتجاهين

الاتجاه الأول يريد المساومة والتفاهم والمصالح وبشروطه التي كان ينادي بها تحييد الولايات المتحدة والانتقاء . معها في منتصف الطريق

الاتجاه الثاني ويمثله "السادات" يريد حسم المشكلة نهائيا ضد أمريكا أم مع أمريكا؟

والاتجاهان بعيدان عن تحالف قوي الشعب بعيدان عن خط التحرر الوطني ويضعان نهاية للمرحلة الناصرية ..الأول يريد أن يرسم نظريات جديدة لحركة التحرر العربية من خلال أو هام يحافظ بها على مكاسبه دون مشاركة الجماهير كان هذا الاتجاه يمثل ط الورثة للإمبرياليات القديمة ورث عنها ملكية الشركات والمؤسسات التي أمت وأقتنص الغرب والقصور التي تركها الأجانب وراءهم بعد التأميم وكانت خطة هذا الاتجاه تتمثل

التحالف مع الشعب بأشكال غير محددة يقدم للشعب ما يريد أن يمنحه ويمنع عنه مالا يريد أن يمنحه

التحالف مع الاتحاد السوفييتي والقوي الاشتراكية في حدود المنفعة أى منفعة طبقة . دون أن يلتزم بأى شئ للجماهير

. التنازل عن المكتسبات الشعبية مع الاحتفاظ بما نالته الطبقة البيروقراطية من مكاسب

:أما الاتجاه الثاني فيري

اقتلاع العشرين سنة الماضية من حياة الشعب المصري من عام 1952 حتى 1970

تجميد العلاقة نهائيا مع المعسكر الاشتراكي

إلغاء القطاع العام والمكاسب الاشتراكية

وكان الاتجاه الثاني يمثل مطلب الولايات المتحدة والرجعية العربية ولهذا سرعان ما انتصر هذا الاتجاه الذي يمثل داخل مصر السماسرة والطفيليين والرأسمالية الزراعية

واختفت من على مسرح الأحداث فئات البيروقراطية والرأسمالية الناشئة وكان الاتجاهان ضد حركة التطور وحركة الشعب وكان الشعب يقف بعيدا يرقب الصراعات ويعاني الأزمات .وسقطت قوي المساومة والتفاهم لتبقي قوي التسليم الكامل.

ولكن هل انتهى الصراع بين الاتجاهين؟ انفصل "هيكل" عن جناحه وبدأ يبشر " بالحقبة السعودية" وأخذ يقدم نفسه بديلا للسادات كاتجاه واعي وأكثر قدرة على ممارسة السياسة الأمريكية في المنطقة بشكل له المظهر العلمي أو الإقناع ! المدرس

الفصل الثالث: حرب أكتوبر

كانوا يتقدمون موجات بعد موجات كنا نطلق عليهم النار ويتقدمون كنا نحيل ما حولهم جحيما ويتقدمون. لقد كاتلون القناتة قانيا من الدم وهم يتقدمون الجنرال جوني القاند الإسرائيلي لجبهة سيناء

..حرب أكتوبر من النكسة إلى الردة

كان قرار "حرب أكتوبر" قد أعلن ليلة 9 يونيو عام 1967 عندما رفضت لجماهير العربية منطق الهزيمة والاستسلام .كان ما حدث في نكسة 5 يونيو ضد منطق انتصارات حركة التحرر الوطني وضد حقيقة القوي الذاتية العربية

ولهذا سرعان ما انطلقت الجماهير في القاهرة والخرطوم وبغداد ودمشق في كل الوطن العربي ترفض الهزيمة وسرعان ما أقيم الجسر الجوي بين موسكو والقاهرة وفي هذه اللحظات تأكدت الأسس العلمية والعملية التي تقوم عليها ثورات التحرير في نضالها ضد الإمبريالية والصهيونية العالمية

التحالف مع جماهير العمال والفلاحين تنظيم قوي الشعب ذات المصلحة الحقيقية في إطار تنظيماتها الطليعية ضد ..التحالف لرجعي الإمبريالي.إن حركة التحرر جزء من الثور العالمية

أولا: حركة الجماهير

كانت الحركة العفوية التي انطلقت ليلة 9 يونيو وعيا جماهيريا حقيقيا ولم يكن ينقصه سوي التنظيم والقيادة الطليعية ليكون وعيا علميا يواجه النكسات ففي تلك اللحظات حيث حوم شبح الهزيمة ورفع الرجعية شعار الاستسلام ووقف الاتحاد الاشتراكي يائسا عاجزا عن الحركة انطلقت الجماهير في كل مكان ترفض منطق النكسة

شعرت الجماهير أن "نظام الحكم" الذي فرض عليها الوصاية يتداعي وأن وراء الهزيمة والانهيار "مؤامرة" تستهدف سلب كل ما حققته الجماهير من انتصارات ضد الاستعمار والرجعية. كما تستهدف في المقام الأول ضرب مكتسبات التحرر من تأميم وتحرر من عبودية رأس المال ومن سيطرة ملاك الأرض الجشعين على وسائل معيشة الشعب

وكانت الجماهير تدرك أن قواها الثورية النامية التي هي جزء من الثورة العالمية لا يمكن ان تسقط في مثل "الهوة" التي حدثت خلال حرب 5 يونيو (حزيران).. وأكدت "" مؤامرة المشر " ومحاكمة شمس بدران أن ما حدث في 5 يونيو لم يكن نكسة بقدر ما كان مؤامرة وخيانة ساهم فيها ضباط خونة من سلالة الإقطاع وصحفيون معروفون بالانتماء إلى الرجعية

والواقع كانت الجموع التي انطلقت ليلة 9 يونيو تمثل جماهير الفلاحين الذين جاؤوا من أعماق الريف متسلقين .. القطارات والسيارات وعمال القطاع العام الذين زحفوا من الأحياء الشعبية والأزقة ونساء كادحات

ومع هذه الهبة الثورية انطلقت عناصر البورجوازية الصغيرة يجرفها المد الثوري والشعور الوطني بعد أن كانوا قد استسلموا أمام الهزيمة أما الرجعية والإمبريالية التي أخذتهما المفاجأة وكانت البورجوازية الصغيرة يجرفها المد .. الثوري والشعور الوطني بعد أن كانوا قد استسلموا أمام الهزيمة

أما الرجعية والإمبريالية التي أخذتهما المفاجأة وكانت تتربصان لتقفزا إلى الحكم فقد انزوتا تتربصان لفرصة أخرى تضربان فيها الشعب ولكن التلقائية والعفوية التي اتسمت بها حركة الجماهير في 9 يونيو تعرضت للنكسات والوقوع في براثن القوي المضادة فبينما تصدت الجماهير في تلقائية للمؤامرة الرجعية الصهيونية الأمريكية قامت اليمينية بعد أن أفاقت من هزيمتها باحتواء الانتفاضة وإجهاضها

ثانياً: التنظيم الطليعي

كان لوصول الجناح العسكري للحركة الوطنية عام 1952 إلى الحكم تأثير كبير على التطور في مصر وعلى مجري الأحداث وعندما أراد عبد الناصر أن يصحح الأخطاء بعد نكسة أو مؤامرة 5 يونيو (حزيران) لم يستطع أن يذهب إلى نهاية التغيير

ففي خطاب 23 يوليو 1967

أن الشعب يطالب بوضع حد للامتيازات التي حصل عليها البعض بغير وجه حق وأنا مع الشعب إن الشعب يطالب " بالتكافؤ في التضحيات وأنا معه في ذلك إن الشعب يطالب بالنقاء والطهارة الثورية وأنا أطالب مع الشعب بذلك

ولكن المشكلة لم تكن تتعلق بإرادة فرد بل شكل الحكم والقوي الاجتماعية والتغيرات الاقتصادية. فما أن زالت "عصبة المشير" التي أشار إليها عبد الناصر بقوله أن هناك فئة عسكرية اعتقدت أنها " الوريثة" حتى تشكلت مراكز قوي جديدة كان بعضها امتدادا لعصبة المشير والبعض الآخر قفز ليملاً الفراغ الذي تركته جماعة المشير

وسرعان ما أفاقت الرأسمالية الطفيلية والرجعية وأعدت تشكيل قواها من جديد ومدت يدها إلى مراكز القوي الجديدة . وتسلمت مراكز حساسة في الحكم

:ولم يكن في هذا جديد .. فقد حذر الفكر الاشتراكي من الحركات العفوية قاتلاً

قد يتساءل القاري لماذا كانت الحركة العفوية حركة الاتجاه نحو أهون السبل تؤدي على وجه الدقة إلى سيطرة " الأيديولوجية البرجوازية ؟

ويجب:

ذلك لمجرد كون الأيديولوجية البرجوازية من حيث منشؤها أقدم من الأيديولوجية الاشتراكية ولأنها مبحوثة " بصورة أكمل من جميع الوجوه ولأنها تتصرف بوسائل الشر أكثر بما لا يقاس

وهذا ما حدث بالفعل في مصر ارتفع شعار "لا صوت يعلو صوت المعركة" وخلف هذا الشعار عادت الامتيازات إلى أصحابها وزادت الاختلاسات من القطاع العام وبينما الجماهير تبذل التضحيات كانت الفئات المحظوظة تزداد ثراء وتجري وراء عقد الصفقات مع الغرب الرأسمالي وعاد التشكيك في القدرات والمساعدات الاقتصادية والعسكرية للعالم الاشتراكي بهدف عزل مصر عن حليفها

ثالثا: عزل مصر

في أعقاب النكسة مباشرة وبعد فشلت مؤامرة المشير وشمس بدران وتأكد تمسك الجماهير بعبد الناصر و جاء إلى مصر كبير محرري "نيوزويك" المجلة الأمريكية واجتمع بعدد من كبار الصحفيين المصريين وطلب منهم الدعوة إلى إخراج الخبراء السوفييت وقال صراحة أنه لا يعترض على استمرار هجومهم على الولايات المتحدة

وأخذت الرجعية تشكك في قدرة وكفاءة السلاح السوفيتي بهدف فصم العلاقات بين حركة الثورة العربية وقوي الثورة الاشتراكية والحقيقة أن "معركة السلام" والنزاع حول مصادر ونوع السلاح المطلوب للمواجهة ضد الاستعمار والصهيونية كانت من أبرز عناصر الصراع

كانت فضيحة السلاح "الفاسد" من القضايا التي تمخضت عنها حرب 1948 وأثبتت التحقيقات تأمر الرجعية والاستعمار في شراء وتقديم السلاح الفاسد إلى الجيش المصري مما أدى إلى مصرع عشرات من الجنود بأسلحتهم وليس بسلاح العدو وأثبتت التحقيقات أن الملك وحاشيته ورجاله العسكريين استطاعوا أن يكونوا ثروات طائلة من وراء عقد صفقات السلاح الفاسد

وعندما سقط تحالف الإقطاع والاستعمار تحررت مصر من قبضة تجار السلاح وعقدت أول صفقة سلاح من الاتحاد السوفيتي عام 1955 وثارث أمريكا

وقامت فرنسا وانكلترا بالعدوان مع إسرائيل دفاعا عن سوق السلاح الذي فقدوه وعن أسهم شركة القناة وبعد نكسة !!يونيو (حزيران) بدأت الإشاعات السلاح السوفيتي سلاح دفاعي والسلاح السوفيتي سبب الهزيمة

مما اضطر الاتحاد السوفيتي إلى عقد مؤتمرات صحفية يكشف فيها أن الأسلحة السوفيتية لم تقاتل بل سلمت من القادة الخونة إلى العدو دون أن تطلق طلقة واحدة العدو؟

أكد عدوان 5 يونيو (حزيران) أن الثورة العربية لا تواجه الصهيونية فحسب بل تواجه أمريكا وأعلن ذلك الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه بعد النكسة في 23 يوليو 1967 "أمريكا كانت مع العدوان وأيدت العدوان كان هناك تواطؤ بين "أمريكا وإسرائيل

وفي حديث رسمي بتاريخ 4 مارس 1968 قال

إن لدي القيادة العليا شواهد على أن الولايات المتحدة وبريطانيا اشتركتا في العدوان الإسرائيلي بطائرات من "حاملات الطائرات تؤمن إسرائيل بغطاء جوي لطائراتها أن تتفرغ للهجوم

ولم يكن موقف الولايات المتحدة مفاجأة بل امتداد طبيعيا لدورها في ضربة حركة التحرر العربي ولكن ظهور أمريكا بشكل سافر العداء كان من أبرز التغيرات التي حدثت في المنطقة منذ بدأ العدوان الصهيوني

إن عدوان 5 يونيو "حزيران" أكد أن خطوط القتال لم تكن تمر بين إسرائيل ودول المواجهة فحسب بل كانت تمتد لتشمل قواي الثورة العربية وحركات التحرر والعالم الاشتراكي في مواجهة مع الصهيونية والإمبريالية الأمريكية..والاحتكارات العالمية

ولكن اليمين الرجعي والرأسمالية الطفيلية استمرت في زحفها وأخذوا يتحدثون عن تقنين الثورة وتدعيم القطاع الخاص وعن الموقف الدولي وظهر شعار القوتان الأعظم ط لوضع الاتحاد السوفيتي وأمريكا في كفتي ميزان متعادلتين الذي يقدم لك السلاح للدفاع نفسك في موقف الذي يدمرك بالسلاح أو الذي يقدم السلاح لعدوك

وبينما كانت المتغيرات الدولية والعالمية تسير في اتجاه كبج جماح قواي العدوان كانت الرجعية العربية تحول هذه..المتغيرات إلى عناصر للهزيمة

وجاء في مقال نشرته مجلة "الطليلة" التي كانت تصدر عن "دار الأهرام" تحت عنوان المحتوي الجديد للوحدة "الوطنية والشعبية الجديد

انه يجب أن يعملوا النضال الوطني فوق النضال الاجتماعي حيث انه من الضروري استخدام كل الإمكانيات للقضاء على آثار العدوان وتتبوا المسألة الوطنية اليوم مكان الصدارة وقد احتلت المكانة الرئيسية من بين مهامنا في المرحلة المعاصرة يجب إدراك هذه الحقيقة بمنتهى العمق

وكان معني ذلك التراجع عن النضال الاجتماعي وفتح المجال أمام جماعة "زكريا محي الدين" التي كانت تدعو إلى ... إعادة النظر في خط مصر السياسي الذي اتخذته قبل 5 يونيو تجاه الولايات المتحدة

وأكدت صحيفة الأهرام في مقالات هيكّل أن الولايات المتحدة تقبض في يدها في الواقع على مصير الشرق الأوسط ! وكان ذلك هو التمهيد الأول لما قيل أن الولايات المتحدة في يدها 99% من الحل

واستمرت مقالات هيكّل تتحدث عن القنبلة الذرية التي تملكها إسرائيل وعن "مناطحة الثور للجيل" .. ويقصد به مواجهة الشعب العربي للولايات المتحدة

وبدأ رفع الحراسة عن الأموال والأراضي التي يملكها الإقطاعيون وأفرج عن أفراد من "عائلة الفقي" التي قتلت عضوا في الاتحاد الاشتراكي ومن المعروف أن عائلة الفقي " كانت احدي العائلات التي خانت مصر أيام الغزو البريطاني.

وظهرت الدعوة والعمل في سبيل القضاء على الدور القيادي للقطاع العام..وقامت صحيفة الأهرام بالدعوة علنا في !! بعض مقالاتها بالدعاية لوجهة نظر "الرأسماليين الجدد" والتأكيد على ضرورة تشجيع القطاع الخاص

وقامت جماعة " زكريا محي الدين وعبد المنعم القيسوني " بتقديم اقتراحات في أواخر 67 وأوائل 68 تهدف إلى إيقاف بناء المؤسسات الجديدة التابعة للدولة ونقل المؤسسات التابعة للقطاع العام المؤممة والتي بنيت حديثا " ولا ..تحقق ربحا إلى القطاع الخاص كما اقترح رفع السعار للمواد الاستهلاكية واستقال زكريا محي الدين من كل مناصبه

واستبعد عبد المنعم القيسوني بعد أن سعي الرأسماليون الجدد إلى تأييد البنك الدولي وبنك النقد الدولي في الحصول على قروض مقابل تغييرات جذرية في سياسة مصر والتخلي عن "التجربة الاقتصادية" التي بدأت منذ عام 1961 وتحسين العلاقات الأمريكية المصرية ولكن عبد الناصر أعلن في أكتوبر أن مصر ماضية في سياسة التنمية على الرغم .. من نصائح وتوجيهات البنك الدولي الذي طالب بتخفيض الاستثمارات في القطاع العام

وعلى الرغم من الاطاحة بالرؤوس المنفذة لخطط الرجعية إلا أن الرأسمالية الجديدة والرجعية كانت " معيشة " داخل ..أجهزة الدولة والإعلام تعمل في خبيث وذكاء ماهر

المؤامرة

في جلسة مجلس الوزراء فبراير (شباط) عام 1968 قال عبد الناصر

شايف أن الأمريكان عايزين يمشونا في سكة غير سكة قرار مجلس الأمن اجتماع مشترك بيننا وبين اليهود غير " موجود في قرار مجلس الأمن تفاوض مشترك غير موجود أيضا في القرار أنا شايف إنهم عايزين عن طريق السير في الإجراءات بالأسلوب اللي مخططين له يمشونا إلى مطلب إسرائيلي الأساسي هذا يجربنا إلى ضرورة استعراض خطط الأمريكان ضدنا وهذه الخطط مرت على ثلاث مراحل

. المرحلة الأولى ن الهزيمة تقضي على النظام ويقوم بدلا عنه نظام آخر موال للأمريكان

المرحلة الثانية كان في تقديرهم أن كل فلوسنا بتخليص في شهر ديسمبر بحيث نبقي غير قادرين على توفير القمح اللي بتعمل به العيش للناس لكن قرارات مؤتمر الخرطوم جاءت صدمة لهم وأخذنا الدعم الاقتصادي اللي قدرنا نعبر به هذه المرحلة

المرحلة الثالثة .وهي المرحلة الأخير لقد اتجه الأمريكان بعد ذلك للعمل على إسقاطنا داخليا عن طريق عدم الاستقرار الداخلي وأنا أقدر أن الأمريكان حيصرفوا السنة الجاية من 15 إلى 20 مليون جنيه في مصر على بعض العناصر الداخلية لتحقيق هذا الغرض

وتحقق ما تنبأ به عبد الناصر ولكن بعد وفاته وأدركته الجماهير وحدثت الانتفاضة الطلابية في يناير 1972 واصدر الطلبة بيانات تدعو إلى إنهاء كل المحاولات التي تبذلها الحكومة المصري (حكومة السادات) من أجل الوصول إلى حل ..سلمي طالبوها بأن تتخلي عن الاهتمام بمبادرة الولايات المتحدة

ودعا زعماء الطلبة إلى تجميد مرتبات كبار الموظفين وإلى حرية الكلام والصحافة طالبوا بأن تؤيد الحكومة تنظيمات المقاومة تأييدا كاملا و وبأن تفرج عن جميع العمال الذين ألقى القبض عليهم بعد إضراب حلوان ..وتميزت الخطب التي ألقاها الطلبة بشن حملات ضد "هيكل" رئيس تحرير الأهرام و"موسي صبري رئيس تحرير الأخبار

وامتلأت مباني الجامعة باللافتات والشعارات "نموت وتحيا مصر" افطعوا العلاقات مع "جزار عمان" "الحل السياسي . لا وجود له " وأصدرت اللجان الوطنية في الجامعات والكليات المختلفة بيانات تعبر عن اتجاهات الشعب

:وجاء في بيان اللجنة الوطنية العليا لطلاب جامعة القاهرة

إيقاف كل المحاولات لعقد حلول سلمية مع العدو الأمريكي الصهيوني وشجب كافة المحاولات السابقة وانتهاج منهج متنامي ضد العدو

البدء فورا في تعبئة جماهيرنا في شكل شعبي قوامه فرق الطلبة والعمال والفلاحين لمواجهة احتمالات الحرب . الطويلة ضد العدو

تعديل هيكل اقتصاديا كما يصبح اقتصادا للحرب بان يركز على الإنتاج الحربي وإيقاف الترف الاستهلاكي وتحميل الدخول الكبيرة العبء الأكبر من المعركة

إعلام غير هزيل و وديمقراطية غير مزيفة

وكانت بقية بيانات الطلبة في مختلف الجامعات والكليات تتضمن نفس المطالب مع إضافات أو تأكيد على اقتصاد الحرب .ووقف استيراد السلع الاستهلاكية وتقريب الفوارق بين المرتبات وتكوين الميليشيا الشعبية و تأكيد دعم المقاومة الفلسطينية

استمر الصراع عنيفا بين القوي الرجعية والمتآمرة وبين الشعب وفي الوقت الذي كان الطلبة يطالبون بموقف حاسم مع العدو الأمريكي كان النظام يقوم باتصالات سرية وعلمية مع الولايات المتحدة اقتضت بعد أن ابعاد " هيكل " عن " اللعبة " ونشر أسرار تلك الاتصالات في كتابة " الطريق إلى رمضان " وتبين أن السادات كان على اتصال بأمريكا عن طريقين. الأول ك وزارة الخارجية الثاني:المخابرات الأمريكية

وفي هذا الجو الملبد "بالضباب" كما قال السادات بالمؤامرات كما هي الحقيقة فوجئ الشعب في مصر والعالم لعربي باشتغال الحرب في 6 (تشرين أول) أكتوبر 73 ففي الوقت الذي كان السادات يتحدث عن عداء أمريكا ويلج على طلب السلاح من الاتحاد السوفييتي كانت هناك اتصالات مع كيسنجر حتى قبل أن يتولي منصب وزير الخارجية ..وعن طريق شبكات الاتصال المغلفة

:ويروي " هيكل " في كتابه " الطريق إلى رمضان " قصة هذه الاتصالات

فقد بذلت محاولات وسائل جديدة للاتصال ووجدت نفسي مشتركا في واحدة منها على الأقل وكان ذلك حين قام دونالد كانديل رئيس مجلس إدارة بيبسي كولا بزيارة القاهرة عام 1972و وكان كانديل صديقا شخصيا لنيسكون الذي كان محاميا للشركة وقد اتصل بي عن طريق محام مصري بارز هو الدكتور زكي هاشم (محامي الشركات الأمريكية) الذي "تولي بعد ذلك منصب وزير السياحة

هكذا اشتعلت الحرب ..الحرب كانوا يتقدمون موجات بعد موجات كنا نطلق عليهم النار ويتقدمون كنا نحيل ما حولهم جحيما ويتقدمون لقد كان لون القناة قانيا من الدم وهم يتقدمون

الجنرال جونين القائد الإسرائيلي لجبهة سيناء كان واضحا أن هؤلاء الجنود من الفلاحين والعمال الذين شقت لهم "الناصرية" طريق الحياة يريدون هذه الحياة لم يعودوا كما مهلا بل تفجرت فيهم ينابيع الإنسان المكبوتة منذ سنين

ولعل "الحرب الدفاعية" هي اسمي اللحظات التي تبدو فيها حقيقة الإنسان وقدراته الخارقة وظل الإنسان المصري محروما من الدفاع عن نفسه مكبلا بقيود ثقيلة و حتى جاءت اللحظة التي انطلق فيها من هذه القيود ليظهر حقيقة ..جوهره

فعندما قامت ثورة 23 يوليو لم يكن الجندي المصري يملك سلاحا إلا بقايا الحروب التي يوجد بها عليه العدو ولم تتح له فرصة التدريب على العمل وكان يحكم خطواته قادة من " أبناء الذوات " الذين فرضوا عليه التدريب من أجل ""الاستعراض

وكان من أبرز أهداف الثورة " تكوين الجيش الوطني " فلن تستطيع دولة أن تحمي بناءها وأبنائها بدون جيش قوي وبعد صراع عنيف استطاعت مصر أن تحصل على السلاح من الاتحاد السوفييتي .ولكن في اللحظة التي امتلكت مصر فيها السلاح كان الجيش قد انفصل عن الثورة وأصبح رصيذا للقوي المضادة

فكانت الأسلحة تظل في صناديقها والقادة والضباط الذين يدربون أو يتلقون أحدث فنون الحرب ينقلون إلى مراكز مدنية بمرتبات مغرية بمجرد عودتهم من الاتحاد السوفيتي وكان عبد الناصر عاجزا عن تغيير " المشير " أو " قادة الجيش .. المشيويين " وإلا أحدث صداما غير مأمون

وتفرغ عبد الناصر للبناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي حتى كانت نكسة 67 وسقط "المشير" و" رجاله " وخلال فترة قصيرة نسبيا أعيد بناء الجيش واختير القادة المؤهلون للعمل وتدقق على الجيش أبناء الفلاحين والعمال الذين " أتاحت لهم " الثورة " فرص التعليم وأصبح الجيش من المؤهلين "لمعركة الحرب الالكترونية الحديثة

: "ويروي " هيكل في كتابه " الطريق إلى رمضان

في اجتماع بين عبد الناصر والماريشال زاخاروف الذي ألقى عليه مسؤولية كل الجواب المعونة السوفيتية في إعادة بناء القوات المصرية المسلحة قال زاخاروف لعبد الناصر أنه إذا كان يريد نتائج سريعة فإن الحاجة تستدعي إحضار مزيد من مستشاري التدريب الروس زيادة على بضع المئات من الموجودين حاليا لديه .. ورد عبد الناصر بأنه مستعد لقبول عدد من المستشارين يصل إلى مستوى اللواء

وهكذا أصبح لكل قائد لواء مستشارا سوفيتيا معين له وكان عددهم قد بلغ حينذاك 1200 مستشارا ولعل عبد الناصر . كان يمثل بقول الفريق الشهيد عبد المنعم رياض

ليست لدي قانده في كل هذا الكلام عن الحل السلمي إن الجيش لا بد أن يقاتل وإذا لم تتح له الفرصة للقتال فإن رجالنا " سيصبحون عبيدا وتصبح نساؤنا كلهن بغايا

شئ هام أثير خلال الأعداد للمعركة ففي اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي تحدث عبد الناصر عن أهمية . تشكيل "الجيش الشعبي" لحماية الأهداف الرئيسية في مصر وقال عبد الناصر في هذا الاجتماع

لا بد أن نسرع في إعداد الجيش الشعبي لقد وعدني السوفييت بتسليح هذا الجيش الذي سيصل عدده إلى مليون مقاتل " وأن يكون واضحا للجميع أن هذا هو قرارنا وأنا مصررون على عدم الاستسلام إلى أن يحل آخرون محلنا فيحكموا " ويستسلموا أما نحن فلن نقبل هذا ما قلته عام 1956 وما زلت أقوله وأكرره مرات

وكانت فكرة "الجيش الشعبي" مطلباً جماهيرياً طالب به طلبة الجامعات في مؤتمراتهم كما طالب به العمال ولكن القوي المضادة استطاعت أن تكتب " الفكرة وأن تؤيد المحاولة .. إن " القوي المضادة" التي كانت تعيث فسادا في الجيش .. انتقلت بكل ثقلها إلى الجبهة الداخلية مستغلة انشغال "القائد" بالاستعداد للمعركة وسعت إلى قرارات رفع الحراسة .. وفتح الباب أمام القطاع الخاص وإلى تدعيم الطبقة الجديدة وزيادة شرعها إلى جمع المال

وهكذا اندلعت "الحرب" والصراع الطبقي في مصر على أشده ولكن البناء الذي أقيم خلال سنوات الثورة استطاع أن يبرز قيمة حقيقة الإنسان

القتال

ست سنوات وهم ينتظرون هذه اللحظة منات الزوارق تعبر القناة آلاف من الجنود ومع الجنود ركب المهندسون ومساعدوهم وكانت نيران العدو تنصب من خط برليف لاقتناص الرجال في زوارقهم وأصيب زوارق وسقط شهداء واشتعلت ضفتا القتال بالقذائف وسط هذا الجحيم عبرت القوارب المطاطية القناة عبر المشاة وعبرت الدبابات الجنود المصريون يقتحمون الدشم مستخدمين الأسلحة الخفيفة والقنابل اليدوية والألغام الجنود الإسرائيليون يتساعلون وهم في حالة ذهول بعد وقوعهم في الأسر

أين كان هؤلاء المصريون إنهم ليسوا هم المصريين الذين عرفناهم؟ ولكنهم كانوا المصريين كانوا مشروع السلاح محرومين من حق الحياة مفروض عليهم الجهل والامية وعندما تحرروا ظهرت قواهم الحقيقية ثم وجدوا السلاح والتدريب وأتيحت لهم فرصة مواجهة العدو مباشرة والاشتباك معه في قتال رفعوا العلم المصري فوق خط برليف

وتحطمت أسطورة " التفوق الصهيوني " لم تكن أسطورة كانت خدعة كان العدو "مسلحا الفانتوم" أو "السكاي هوك" وعندما تسلح الجندي المصري "بصاروخ سام 6 " تهاوي التفوق بل وواجهته "الميج " كان العدو مسلحا بالدبابات ..الأمريكية وعندما امتلك الجندي المصري الصواريخ "أرض أرض" انتهى التفوق الصهيوني

كان وراء الجندي الصهيوني عالما طويلا وعريضا من الثورة الصناعية ومن خبرة وتجارب التصنيع سواء في التنظيم أو الإدارة ومن العلم الحديث وانعكس ذلك كله في حرب 56, 67 واستطاع الإنسان المصري أن يعوض تخلفه خلال ..فترة زمنية تعد معجزة عندما ارتبط تصنيعه وتدريبه وعلومه بالثورة الاشتراكية

ففي خلال عقود طويلة ظل الإنسان المصري تحت الكبت الاستعماري مقيدا بالزراعة ولم ينل من تجارب الصناعة أو العلوم الحديثة إلا القليل الذي كان يمن به عليه العالم الرأسمالي .. وعندما تحرر وفك أسر القيود وانطلق بحثا عن المعرفة والعلم ظهرت له الحقيقة وهي أن التخلف ليس قدرا مكتوبا على شعوب دون أخرى ولم يكن عجيبا من أصحاب العقليات الفاشية أن يروا في تحطيم خرافة التفوق مفاجأة فقال رئيس الأركان الإسرائيلي .." إن لكل حرب مفاجأة "ومفاجأة هذه الحرب هي الجندي المصري

كانت القوات المصرية مجهزة ومدربة بشكل متفوق وبروح قتالية عالية واستطاع المصريون أن يحطموا خدعة التفوق الصهيوني وشاهدت سيناء خوذات الجنود الإسرائيليين مبعثرة هنا هناك والدبابات والمدرعات والسيارات المجنزرة ..الصهيونية محترقة ومتناثرة والجنود الصهيونيين يجرون مستسلمين حفاة رافعين أيديهم إلى أعلي

إن استعمال الصواريخ سواء الموجهة إلى الدبابات أو إلى الطائرات تحتاج إلى خبرات فنية عالية ومع ذلك استطاع ..العامل والفلاح المصري أن يدركها

وإذا كان قرار "الحرب" قد اتخذ ليلة 9 يونيو (حزيران) فإن القتال بدأ بالفعل " بحرب الاستنزاف" فكتب مراسل التايم الأمريكية أثناء الحرب يقولك "إن سلاح الطيران الإسرائيلي الذي كان فعلا عام 67 قد شلت فاعليته تقريبا بحائط الصواريخ".

واستشهد عشرات العمال المصريين الأبطال وهم يبنون قواعد الصواريخ وتحمل القطاع العام في مصر عبء إقامة وإنشاء حائط الصواريخ تحت وابل من قذائف طائرات العدو ويتضحيات مجيدة من المهندسين والعمال والفلة أبناء الفلاحين المصريين وكما قيل كان حائط الصواريخ ملحمة في تخطيطه وبنائه وكان إغراق المدمرة إيلات التي دمرتها..الكورييد المصرية في أكتوبر تشرين الأول عام 1967 إيذانا ببداية حرب أكتوبر

الوطن العربي

لم تكن معركة "أكتوبر" معركة مصر وحدها فالجماهير العربية التي انطلقت ليلة 9 يونيو في كل أنحاء الوطن العربي كانت تترقب لحظة القتال وكانت معركة سوريا من أروع معارك الحرب اشتعلت في نفس اللحظة التي خاضت فيها..الجيش المصرية القتال وكان العدو حائرا وهو ينقل قواته بين الجبهة المصرية والجبهة السورية

ووصلت القوات السودانية إلى مصر لتساهم في المعركة وقامت القوات العراقية بما يشبه المعجزة لتقطع أكثر من ألف .. كيلو مترا بأسلحتها لتخوض القتال بجانب القوات السورية وكانت هناك طائرات عراقية في مصر تساهم في القتال

واشتركت القوات الأردنية مع القوات السورية والعراقية في الهجوم على القوات الصهيونية وكانت هناك القوات الكويتية على ضفة القتال تقاتل جنبا إلى جنب مع القوات المصرية وأسمرت القوات السعودية إلى القتال بجانب القوات .. السورية

:وأعلنت الجزائر بعد أن اتجهت طائراتها إلى مصر للاشتراك في المعارك بيانا لمجلس الثورة والحكومة يقول

الآن وقد بدأت المعارك فإنه ينبغي أن تستمر حتى النصر واتجهت طائرات مغربية من الرباط إلى القاهرة وفي "أبو " ..ظبي" بدأ التبرع بالنقود والدم

وأعلنت "اليمن" أنها ستبدأ في إرسال القوات خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة كما أعلن رئيس وزراء اليمن الجنوبية انه قد وضع كافة موارد بلاده تحت تصرف مصر وسوريا والفدائيين الفلسطينيين وأذاع العراق أن موقف القوات العراقية في جبهة الجولان جيد وأشار الرئيس لعراقي أن العراق كان أول دولة تستخدم سلاح البترول؛

:وأضاف قائلا

"... إن الدم العربي بلا شك اغلي كثيرا من البترول "

وقام الفدائيون الفلسطينيون بضرب العدو بالصواريخ في عدة أماكن. واشتغل العالم الثالث .. وأعلنت أوغندا أن الجنود المتطوعين غادروا البلاد بالفعل لمساعدة العرب كما أقيم جسر جوي بين تشاد والقاهرة وقطعت فولتا العليا .. والكاميرون وجمهورية أفريقيا الوسطى والدول الأفريقية الأخرى علاقاتها بإسرائيل

الموقف الأمريكي

في اليوم الثاني للقتال تحركت إحدى حاملات الطائرات الأمريكية واتجهت على جزيرة كريت وفي اليوم التالي أعلن .. مصدر عسكري في واشنطن أن عدة وحدات من الأسطول السادس الأمريكي تحركت متجهة إلى جزيرة كريت

وتساءل الوزير الخارجية المصري خلال مناقشات مجلس الأمن عما إذا كان بعض المواطنين الأمريكيين قد طلبوا حقيقة التطوع في سلاح الطيران الإسرائيلي وإن حكومة الولايات المتحدة تستعد لإرسال 30 طائرة فانتوم إضافة إلى إسرائيل من نفس طراز الطائرات التي حاولت الإغارة على القاهرة الحرة لمصر وسوريا

ورفض المسئولون الأمريكيين أن يعقبوا على ما إذا كانت الولايات المتحدة مستمرة في إمداداتها بالمواد الحربية لإسرائيل أم لا .. وفي اليوم الخامس للمعركة كان مطار "هيثرو" بلندن وكأنه معسكر لترحيل الجنود وكان المئات من الشباب الأمريكي المتطوعين في حرب لشرق الأوسط ينتظرون السفر بالطائرات إلى إسرائيل ووصل أكثر من 500 .. رجل على طائرات نفثة من نوع الجامبو وانضموا إلى المتطوعين البريطانيين الذين ينتظرون السفر إلى إسرائيل

وتوقفت طائرة أمريكية تابعة لخطوط "بأن أمريكان" وهي في طريقها إلى فرانكفورت في مطار "هيثرو" وأنزلت 51 .. مجندا للسفر من لندن إلى ميدان القتال

ووقع 37 عضوا من أعضاء البرلمان الكويتي الخمسين بيانا يحث على سحب الأرصدة النقدية من الولايات المتحدة وإعادة النظر في صادرات البترول إلى أمريكا وأعلن ممثل "الهستدروت" اتحاد النقابات الإسرائيلي 9 إن القيادات النقابية الصفراء لعدة اتحادات عمالية قررت المساهمة ماليا في المجهود لحرب الإسرائيلي

وأعلن جورج ميني رئيس اتحاد عمال أمريكا مساندة وتضامن منظمته مع العمال الإسرائيليين وأكد متحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية أن حاملة الطائرات فرانكلين روزفلت غادرت برشلونة متجهة إلى شرق البحر الأبيض المتوسط

ورفض المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية في مؤتمره الصحفي اليوم التعليق عن شحنات معدات عسكرية فوق ... إحدى طائرات النقل الإسرائيلية وقد ذكرت الصحف أن هذه الطائرة حملت بصواريخ جو - جو

وفي اليوم السادس صرح مصدر بوزارة الدفاع الأمريكية أن هناك إمدادات عاجلة من قذائف المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات وبعض أنواع الذخيرة الأخرى في طريقها إلى إسرائيل وأوضح هؤلاء المسئولون أن طائرات النقل .. الإسرائيلية سوف تشحن بأنواع الذخيرة المطلوبة من القواعد الأمريكية

وأعلن كيسنجر أن الولايات المتحدة لا تري أن البيانات السوفيتية التي تحت الدول العربية على مساعدة مصر وسوريا ! عاملا " مساعدا " كما أن واشنطن غير راضية بالجهود العسكرية الروسية لإعادة تزويد العرب بالإمدادات

وذكر أن عدة منات من الأمريكيين والكنديين المتطوعين للخدمة أو القتال في إسرائيل قد وصلوا إلى مطار " هيثرو " بلندن " .. وقد سافرت أول مجموعة منهم وتتألف من 113 رجلا أغلبهم من الأمريكيين اليوم إلى إسرائيل ومن المقرر .. أن تغادر طائرتان بوينغ 707 أخريان لندن غدا نهارا

وذكرت صحيفة " يا " الأسبانية أن حوالي مائة وخمسين من الطيارين الأمريكيين الذين كانوا يقودون طائرات فانتوم في حرب فيتنام قد توقفوا في مدريد في طريقهم إلى إسرائيل وفي باريس ذكر السفراء العرب إن طائرات أمريكية .. بقيادة طيارين أمريكيين قد اشتركت في الغارات على دمشق

وكتب فريد " هوفمان " مراسل وكالة أ . ب . في واشنطن أن المسؤولين قد صرحوا اليوم بأن الولايات المتحدة ستبدأ .. في خلال أيام في تعويض إسرائيل عن بعض خسائرها الفادحة في الطائرات والدبابات والمعدات العسكرية الأخرى

وقد رفض المسؤولون في وزارة الدفاع الأمريكية مناقشة هذا الموضوع غير أن مصادر الحكومة الأمريكية ذكرت أن !! القرار الرئيسي بهذا الشأن قد اتخذ بالفعل وأن شحنات الأسلحة الأمريكية ستبدأ في التحرك صوب إسرائيل قريبا

ويقول المراسل أن ثمة دلائل تشير إلى أن الولايات المتحدة سوف تسحب أسلحة من قواتها الجوية ومن الجيش الأمريكي وربما تستعين بما لدي أوروبا ومناطق أخرى من العالم وكان هذا الإجراء أكثر أهمية من الجسر الجوي الذي كان يجري العمل به لإعادة تزويد إسرائيل بالأسلحة .. وكانت تقديرات البنتاغون أن إسرائيل قد تكبدت ضربة عسكرية .. كبيرة إذا لم تكن كارثة

وقال مراسل وكالة الأنباء لفرنسية في جزيرة ترسييرا (احدي جزر الأزور) حيث توجد قاعدة أمريكية جوية كبيرة أن .. ثلاثمائة طائرة أمريكية تقريبا قد مرت بقاعدة لاجس الأمريكية خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة

وقد صرح أحد ضباط السلاح الجوي البرتغالي في القاعدة البرتغالية الأمريكية المشتركة في جزر الأزور بأن عدد . ضخما من الطائرات كان يمر عبر القاعدة محملا بكل ما يحتاجه المرء في الحرب

وحددت وكالة الأنباء البرتغالية الطائرات بأنها طائرات نقل من طراز (سي - 130) و(بوينغ 707) وبعض طائرات الفانتوم المقاتلة وقال الضابط البرتغالي أن التقارير في لشبونة تقول أن هذه الطائرات تطير من هنا إلى إسرائيل .. مباشرة

وفي اليوم الثاني عشر للقتال قدم لمجلس الشيوخ الأمريكي مشروع قرار يحدد أن سياسة الولايات المتحدة مهمته بالمحافظة على قوة إسرائيل وبالتالي تزويدها بكافة الوسائل اللازمة التي تكفل لها الدفاع عن نفسها !وينص المشروع ..على أن الولايات المتحدة ينبغي عليها تزويد إسرائيل بجميع الوسائل اللازمة لهزيمة العدوان

منذ بدء المعركة ذكر تقرير نشرته صحيفة "ليدجرستار" عن شهود عيان في محطة بحرية على المحيط قولهم

أن البحارة قاموا بلصق أوراق على العلامات الإسرائيلية فوق ذيل الطائرة عندما كان يجري شحنها ثم قاموا بدهن "الأوراق بالطلاء

وكانت الطائرة الإسرائيلية تقوم بشحن صواريخ (جو - جو) من محطة جوية بحرية في فرجينيا وردا على هذا التحدي الأمريكي كتب الصحفي ارنولد بوشغريف في اليوم السابع للقتال معبرا عن تفكير المصريين الذين تلاقى معهم

إن الولايات المتحدة تنادي بضبط النفس إننا نوافقها تماما على أن الحرب لا يجب أن تتوسع يجب ألا تنتقل من الجبهة العسكرية إلى الجبهة المدنية . ولكن من الضروري جدا أن تكون الولايات المتحدة أول من يتمسك بضبط النفس الذي ..تدعوا له

إذا كانت الولايات المتحدة بعد اجتماع حزب العمال الإسرائيلي وقراره بالاستمرار في ضم الأراضي ستقرر إعطاء إسرائيل مزيدا من الأسلحة حتى تساعد في سياسة ضم الأرض فإن الولايات المتحدة تكون بذلك تعمل ضد كل عوامل ضبط النفس لقد صرحت الولايات المتحدة من قبل بأنها تزود إسرائيل بأسلحة من أجل سلامتها وليس من أجل التوسع وإذا عاونت الولايات المتحدة قرار حزب العمال وساندته بشحنات من الأسلحة فإنها إذن تعاون التوسع

ومن الواضح أن إسرائيل تحاول أن تجذب أطرافا كثيرة في هذه الحرب خاصة الولايات المتحدة عن طريق شحنات الأسلحة والمتطوعين الأمريكيين والطيارين الحربيين السابقين إذا حدث ذلك فإن الولايات المتحدة ستكون على خط النار ضد مصر وسوف تنشب فينتام أخرى

الموقف السوفييتي

كانت المفاجأة الأولى في الحرب قد حدثت منذ سنوات عندما أغرقت القوات البحرية المصرية المدمرة "ايلات" بصواريخ من زوارق الطوربيد ..وكانت المفاجأة الثانية عندما أغارت الطائرات الإسرائيلية على القناة وفاجأتها بصواريخ سام 3 وسام 6

وكانت المفاجأة الثالثة في حرب أكتوبر عندما قام المشاة من حملة الصواريخ ولأول مرة في تاريخ الحروب بمواجهة "الدبابات ..وكما يروي كتاب " حرب الساعات الست" كانت الأسلحة " زي الرز

ومنذ اليوم الأول للقتال تحرك السوفييت في مواجهة الولايات المتحدة وأرسل بريجنيف إلى الرئيس الجزائري يومدين رسالة أعلن فيها

أن مسؤولية الانفجار العسكري في الشرق الأوسط تقع كلية على عاتق حكام تل أبيب .. ولم توقف إسرائيل منذ " ..يونيو 1967 اعتداءاتها ضد البلاد العربية تساندها في ذلك وتحميها الدوائر الإمبريالية

:وأضاف بريجنيف في رسالته

أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي والحكومة السوفييتية مقتنعتان تماما بأن القادة الجزائريين الذين" لديهم خبرة واسعة في مجال النضال ضد الإمبريالية يدركون جيدا مدى تعقد الموقف الحالي ..وهما واثقتان من أن القادة الجزائريين تحذوهم المثل العليا والتضامن الأخوي سيستخدمون جميع إمكانياتهم ويتخذون الإجراءات اللازمة .. لتقديم مساندتهم لسوريا ومصر في النضال الذي فرضه عليهما المعتدي الإسرائيلي

..وقال أخيرا

أما الاتحاد السوفييتي فإنه يقدم للبلاد الرابية الصديقة كل صور المساعدة والمساندة في النضال العادل الذي" تخوضه هذه البلاد ضد العدوان الإمبريالي الصهيوني

:وعن موقف السوفييت أبدي أبا أيان ثلاث ملاحظات هي

. أن الاتحاد السوفييتي سلح مصر وسوريا بطريقته مكثفة مما يغريهما بالهجوم

أن ليونيد بريجنيف طلب علنا إلى رئيس الحكومة الجزائرية الاشتراك في النزاع وهو ما يعد تحريضا سافرا على .. توسيع نطاق النزاع

أن موسكو منذ بدء المعارك زودت مصر وسوريا بكميات كبيرة من الأسلحة .. وفي اليوم السابع من القتال أعلن .. البنتاغون الأمريكي أن السوفييت قد أقاموا جسرا حقيقيا لإمداد سوريا ومصر بكافة أنواع الأسلحة

:وصرح أندريه جريشكو وزير الدفاع السوفييتي

" .. إن الدول العربية تدافع عن استقلالها الوطني في نضال عادل"

ومن ناحية أخرى ذكرت صحيفة "داي فيلت" التي تصدر في "هامبورغ" أن جمهورية ألمانيا الديمقراطية قد بعثت .. بطيارين وخبراء في شؤون الدفاع الجوي المضاد إلى سوريا كمستشارين عسكريين

واستعمل سلاح "البترول" لأول مرة مما جعل الدول الأوروبية الرأسمالية تقف في حذر متزايدة بالنسبة للقتال ... فيينا
كان الاحتكاريون في فرنسا وانكلترا يحثون حكوماتهم على مساندة إسرائيل أصرت الحكومتان على اتخاذ موقف
.. الحياد

كان العالم كله في جانب وإسرائيل وأمريكا في جانب وكما صرحت غولدا مائير

وليس لإسرائيل أصدقاء في الغرب سوى أمريكا "توقف القتال فجأة بعد أن دخلت طلائع الجيش إلى "ممر متلا" "
وكان لطريق مفتوحا لاستعادة العريش دون مقاومة وظل العالم كله وليس الشعب العربي وحده في دهشة عن سر
.. توقف القتال المفاجئ لجيش منتصر والطريق مفتوحا أمامه لتحرير الأرض

ويقول مراسل "روز اليوسف" في ميدان المعركة " وكان الضابط يقولان الإسرائيليون على وشك القيام بهجوم مضاد
كبير .. وسألته: " لماذا لا تقوم بالهجوم الكبير المنتظر لدفع قواتنا إلى الأمام في طريق العريش والممرات لم يجنبي
.. الضابط

ونشرت مجلة "نيوزويك" أن بعض رجال المخابرات الأمريكية ذكروا أنه كان ممكنا للمصريين أن يندفعوا في الأيام
الأولى للقتال للاستيلاء على "الممرات" وكان ممكنا نجاحهم .. وقال مجلة "تايم" أيضا أن المصريين قد فشلوا في أن
.. يستغلوا الفرصة المواتية في سيناء لهم بعد النزول للتقدم نحو "ممرات متلا" مثلا

كان توقف القتال واستئنافه مرة ثانية يوم 14 أكتوبر أشبه بالهدنة التي عقدت في حرب 48 واستغلتها الصهيونية في
تدعيم قواها بأسلحة ورجال من أوروبا وأمريكا ثم استأنف القتال الذي انتهى بمأساة بالنسبة للقوات المصرية التي
.. كانت على مشارف تل أبيب قبل الهدنة

استأنف القتال في 14 أكتوبر بعد أن وصلت القنابل التلفزيونية الأمريكية والديابات والمتطوعين من الولايات المتحدة
.. وكانت الديابات الأمريكية تهبط من الطائرات إلى ميدان المعركة

وتوقف تقدم القوات المصرية على مسافة تتراوح بين 12 و15 كيلو متر من نقطة بدايته مع تكبيدها خسائر كبيرة
.. وتلقت الوحدات المصرية المهاجمة بعد ذلك أمرا بالتراجع إلى الخطوط التي بدأت منها الهجوم

الثغرة .. الدفراسوار

بدأ هجوم القوات الصهيونية عبر القناة في منطقة الدفرسوار في 12 أكتوبر أى أن الهجوم المصري لم يستأنف إلا بعد أن وصلت القوات الإسرائيلية إلى الضفة القناة وظلت ثغرة " الدفرسوار " مثار الحديث والمناقشات بعد إعلان قرار وقف القتال وظلت الحقيقة تائهة أو ملفوفة بالضباب حتى فجرها الفريق الشاذلي وكشفت دور القيادة السياسية في المعركة

قال الفريق الشاذلي

.. وقع خلاف بيني وبين السادات بدأ الخلاف يوم 13 أكتوبر ثم تجدد بعد وقف إطلاق النار في 22 أكتوبر "

ويقول

حادثة 13 أكتوبر (تشرين الأول) بدأت بكذبة صغيرة وانتهت بكذبة كبيرة في صباح ذلك اليوم وكنا في مقر رئاسة " أركان الجبهة فوجئت بصحيفة " الأهرام " ومعها " الأخبار " تنشر أن بضع دبابات اخترقت المواقع المصرية

ثم يقول

كان الخبر غير دقيق لأن مئات الدبابات الإسرائيلية كانت قد بدأت حصارها للجيش الثالث .. فطلبت موعدا عاجلا " مع وزير الحربية الفريق أحمد إسماعيل وسألته عن مصدر الخبر فأجاب:دي تعليمات الرئيس

فهل صحيح أن ثغرة الدفرسوار نشأت نتيجة أوامر من القيادة السياسية بنقل قوات مدرعة كانت تحمي " الدفرسوار " إلى الضفة الشرقية رغم معارضة القادة العسكريين ؟

وهل صحيح أن الفريق الشاذلي طلب عند حدوث الثغرة بتراجع فرقة من المدرعات من الضفة الشرقية إلى الضفة " الغربية ولكن السادات رفض ويجيب " هيكل " في كتابة " الطريق إلى رمضان

كان المخططون المصريون يضعون في اعتبارهم وأعدوا بالفعل خطة لمواجهة هجوم تقوم به القوات الإسرائيلية " على الضفة الغربية للقناة أطلق عليها اسم " الخطة 2000 " وخصصوا لها القوات التي ستقوم بتنفيذها وكان " الدفرسوار " أحد ثلاث أماكن محتملة لاستخدامها في العبور إلى الضفة الغربية

وعندما سئل المشير أحمد إسماعيل.. هل حقا أن أحد أسباب نجاح الإسرائيليين في فتح الثغرة هو أننا كنا قد نقلنا كل احتياطي الدبابات من الغرب إلى الشرق بحيث أصبحت الضفة الغربية عارية ؟

أجاب المشير:

ليس هذا صحيحا فقد كانت الفرقة الرابعة موجودة فعلا؟ وهكذا لم ينف المشير وإن كان قد ذكر أن الفرقة الرابعة وحدها كانت موجودة أما " هيكل " فيؤكد أنه كانت هناك فجوة في منطقة الدفرسوار بلا حراسة .وعلى الرغم من ذلك ..حدث ما هو أبشع من مجرد نقل القوات التي كانت تحمي الدفرسوار

ففي يوم 17 أكتوبر صدر الأمر إلى لواء المظلات المصري 22 بالتحرك للسيطرة على الموقف وكانت عناصر من هذا اللواء قد وصلت تقريبا إلى تقاطع الطرق الإسرائيلية كما كان رجال الضفادع البشرية بالتنسيق مع قيادة اللواء قد استعدوا لنسف الجسر عندما تلقوا الأمر بالتراجع وإقامة جبهة على خط الفرقة نفسه الواقعة بجانبهم لتجنب وجود تنوع وكان من العسير على قائد اللواء أن يصدق أن هذا الأمر قد صار من مقر القيادة المصرية وطلب تعزيزا له؛

فجاءه التعزيز من ضابط يعرف صوته لكن في محاولة منه لكسب الوقت وإتاحة لفرصة لنجاح مهمته فإنه طلب تعزيز للأمر من مقر القيادة العامة للقوات المسلحة في القاهرة وجاءه التعزيز أيضا فأضطر رغم أنفه إلى رفع قبضته عن " زمارة " الرقبة الإسرائيلية وكان قاب قوسين أو أدنى منها

وكانت مدفعية الجيش الثاني و عناصر من مدفعية الجيش الثالث و قد بدأت في قصف جسور العدو وأصابته بأكثر ! من إصابة مباشرة حين تلقت القيادتان بدورهما أمرا بالانسحاب

لم يكن تدخل القيادة السياسية أو بمعنى أصح "السادات" في العمل العسكري قاصرا على " عملية الثغرة " بل كان السادات يضع لتحرك العسكري في حدود رسمها ولم يطلع عليها القادة العسكريين غلا لحظة العملية فعندما سنل المشير أحمد إسماعيل

لماذا لم يتقدم الجيش المصري بعد العبور وإقامة رؤوس الكباري نحو ممرات سيناء المشهورة لاحتلالها واكتفي باحتلال مساحة على طول الشاطئ الشرقي للقناة بعمق ما بين عشرة وخمسة عشر كيلوا مترات ؟

: أجاب المشير أحمد إسماعيل

لأول مرة في تاريخ العسكرية المصرية تخرج توجيهات سياسية مكتوبة للقائد العام للقوات المسلحة (السادات) !! بجانب التوجيهات العسكرية توضح طبيعة المهمة والعملية

وليست المسألة في حاجة إلى ذكاء لنذكر لماذا لم تتقدم القوات المنتصرة لاحتلال الممرات أو الوصول إلى العريش ..إن احتلال هذا الجزء من الشاطئ الشرقي للقناة هو نفس ما طلبته الولايات المتحدة وأعلنه السادات واستنكره في خطابات 17, 24 يوليو تموز قبل حرب أكتوبر مباشرة

مزيد عن الثغرة

هل كانت " الثغرة " قاتلة؟

أى هل كانت " ثغرة الدفرسوار " هي الدافع إلى وقف القتال والتسليم؟ قبل أن نخوض في مسألة الثغرة نجد أننا أمام .. بعض الحقائق التي لابد أن تستوقفنا

أولاً: كان "السادات" يتدخل في سير القتال بتوجيهات سياسية ورأي المشير أحمد إسماعيل أنها سابقة لم تحدث من قبل في تاريخ العسكرية المصرية

. ثانياً: كان "السادات" قبل القتال وبعد القتال على اتصال بالعدو الأمريكي عن طريق شبكات الاتصال المغلفة

ثالثاً: أفرج "السادات" عن الضباط المدانين في حرب 67 والمتهمين بالتآمر والتقصير الذي بلغ حد الخيانة وأخرجهم .. من السجون وأعاد بعضهم إلى الجيش وتولوا مناصب خطيرة

ذكر "فينوغرادوف" أنه وخبرائه العسكريين يشعرون بأشد القلق تجاه الموقف العسكري ويرون أن كثافة حشود القوات فوق شريط من الأرض محدود في الضفة الشرقية يعرضها لخطر كبير

وقال السفير السوفييتي للصحفي هيكل:

ذلك لأنه إذا بدا الإسرائيليون عملية ضرب المنطقة فإن خسائركم ستكون أسوأ منأى شئ تعرضتم له في عام " 1967" واتصل هيكل بالفريق أحمد إسماعيل وبلغه رأي السوفييت في ضرورة تقدم القوات المصرية لاحتلال الممرات ! فقال:أتعرف ..تلك كانت نيتي

وعندما بلغ هذا الرأي للسادات قال إن الأرض ليست مهمة إنما المهم هو استنزاف العدو ولما أصدر " السادات " الأمر باستئناف الهجوم في 14 أكتوبر انقسمت الآراء بين ضباط القيادة المصرية سواء القيادة العامة أو القيادات التابعة حول الهجوم فرأى البعض أن اللحظة المثالية لم تنتهز ولكن لا تزال هناك فرصة طيبة للتقدم وربما استطاعت بتشديد !!! الهجوم أن تعوض الزمن المفقود ولكن البعض الآخر كان يري أن الفرصة ولت وأن الوقت متأخر للقيام بالهجوم

وهكذا ضاعت فرصة احتلال الممرات التي أجمع المعلقون العسكريون في العالم أجمع على أن احتلالها كان في يد القوات المصرية إن لم تكن القوات المصرية قد وصلت إليها بالفعل وصدر إليها الأمر بالانسحاب

وخلال تلك الأيام حدثت الثغرة وعندما أعلن وقف القتال لم تتمكن القوات الإسرائيلية حتى تلك اللحظة من السيطرة على الطريق الرئيسي المؤدي من القاهرة إلى مدينة السويس ولا على المواقع الإستراتيجية الموجودة في المنطقة وبهذا ..حرمت قوات "الثغرة" من تحقيق أهدافها الإستراتيجية وأصبحت في وضع مهدد ومحرج من الوجهة العسكرية

وعندما قبلت "إسرائيل" قرار مجلس الأمن كان هناك توافق بين كيسنجر وإسرائيل على الغدر موقفهم في الثغرة ... فعندما عرض كيسنجر على القادة الإسرائيليين القرار طالبوه بفسحة من الوقت لدعم موقفهم في الثغرة فسألهم

كم من الوقت يلزمكم ؟

وكان الرد:

"يومين أو ثلاثة "

وأجاب كيسنجر

! يوم يومين لا يهم إن قرار وقف القتال في فيتنام لم ينفذ إلا بعد يومين

وهكذا أعطي كيسنجر للقادة الصهيونيين الإشارة الخضراء لدعم موقفهم بينما كانت الأوامر للقوات المصرية هي ! الالتزام الكامل بقرار وقف القتال

ووقف الجندي المصري محروما من الدفع عن أرضه وهو يري القوات الصهيونية تتقدم أمامه وتحتل أراض جديدة .. وعندما تم وقف القتال في 25 أكتوبر كان قرار مجلس الأمن يدعو إلى الامتنثال لقراريه السابقين بعودة القوات . المتحاربة إلى خطوط 73/10م22 ولكن القوات الصهيونية ظلت متمسكة بمواقفها

حدثت الثغرة وقاومها الجيش المصري وخرج سلميا وبدأت الخطط استعدادا للقضاء عليها ووضعت خطة شاملة يقول عنها المشير أحمد إسماعيل:كانت لدينا خطتان للقضاء على الثغرة خطة محدودة " ثم خطة أكبر تلائم تطور الثغرة "واتساعها

لقد كانت لدينا خمس فرق للانقضاض على الإسرائيليين وقد رأي الأمريكيون بواسطة أقمارهم الصناعية التجسسية استعداداتنا وكان حتما أن نقضي على الثغرة وأعطيت السيد رئيس الجمهورية " تمام " قاتلا أن وضعنا جيد قبل سفره " إلى أسوان

: وقال الفريق الجمسي

تم إيقاف النار الفعلي ظهر يوم 28 أكتوبر بعد وصول قوات الأمم المتحدة واعتبارا من 31 أكتوبر بدأنا تنفيذ حرب " الاستنزاف المخططة ضد العدو غرب وشرق القناة كانت أماننا مهمة رئيسية وهي ألا نسمح للعدو أن يتمركز أو يخندق ويثبت أقدامه في الغرب كان هذا عملا يوميا للقوات المسلحة إلى أن يبدأ الهجوم لتصفية هذا الجيب بعملية ..شاملة

قد وضعت خطة الهجوم الشامل وقد سلمت لخطة الهجومية لجميع قيادات القوات المسلحة الطيران والدفاع الجوي والبحرية واختير اللواء سعد مأمون لقيادة قوات الهجوم وتنفيذ الخطة وعرضت على السيد الرئيس في 24 ديسمبر وصدق عليها ولم يبق إلا تحديد الموعد بقرار من الرئيس أما اللواء سعد مأمون فيري من ناحيته

كان شعاري أن نلقن العدو درسا أقصى من درس العبور وتحطيم حصون بارليف كل دبابة للعدو في الغرب كان يقابلها " حوالي دبابتين في قواتنا وقطعتين مضادتين للدبابات علاوة على نيران المدفعية والطيران علاوة على احتياطي القيادة . العامة للقوات المسلحة الموضوعه تحت سيطرة المشير

ولكن السادات فاجأ القوات المسلحة للمرة الثالثة أو الرابعة بقبول اتفاق فك الارتباط كانت المفاجأة الأول من السادات . خلال المعركة هي صدور أوامره بوقف الهجوم بعد اختراق خط بارليف

وكانت المفاجأة الثانية أوامره بنقل اللواء المدرع من منطقة الدفر سوار إلى الضفة الشرقية مما أتاح للعدو فتح الثغرة وكانت المفاجأة الثالثة قبول وقف القتال في 22 أكتوبر ثم المفاجأة الرابعة قبول اتفاق " فك الارتباط " رغم تحديد موعد تصفية الثغرة .. واستعداد سوريا في تلك اللحظات للقيام بهجومها الكبير فهل كان السوفييت أو السوريون هم الداعين إلى وقف القتال كما أعلن السادات؟

وهنا تبرز وثيقة شبه رسمية لم ينكرها السادات ولم تكذبها وسائل إعلامه تشرح لنا ما حدث . الوثيقة هي نص حديث لفلاديمير فينو غرادوف السفير السوفيتي في القاهرة مع عدد من الشخصيات المصرية الرسمية والعسكرية ونشرته صحيفة "السفير" اللبنانية في عددها الصادر في 16 أبريل نيسان 1974

هدف الحرب المباشر!سأل القادة السوفييت عن الهدف المباشر المطلوب تحقيقه من هذه الحرب وهل هو التحرير الشامل للأراضي العربية المحتلة؟

:وأجاب السادات

إن الهدف عمل محدد لتغيير ميزان القوى العسكري والسياسي لصالح العرب والهدم نظرية الأمن الإسرائيلي .. ولتحريك جمود الأزمة

ويقول السفير السوفيتي

ونقلت للرئيس السادات وجهة نظر القيادة السوفيتية في أن هذا الهدف قد تحقق بالفعل وأن التفكير في طلب وقف إطلاق النار في هذه المرحلة يعد أمرا منطقيا ما دام الهدف قد تحقق وقبل أن تفيق إسرائيل من صدمة الهزيمة المفاجئة .. إلا إذا كانت هناك نية لتحقيق أهداف أخرى أكبر

وقال السادات

إنني أريد استغلال الحجم الكبير للنجاح العسكري الذي تحقق على الجبهة المصرية لتطوير الهجوم والتقدم " لاسترداد الممرات

تطوير الهجوم صباح يوم 10 تشرين وافقت القيادة السوفيتية وأكدت له إذا كانت مصر تريد تطوير الهجوم لاسترداد الممرات فيجب أن يتم ذلك فورا دون إبطاء لأن الفرصة المتاحة للاستفادة من نجاحات 6 أكتوبر واستغلال المفاجأة الإستراتيجية ما زالت قائمة وإن لم تكن لوقت طويل لأن أجهزة الاستطلاع السوفيتية رصدت حشودا إسرائيلية ضخمة...تستعد للعمل في الجبهة المصرية

قال السادات

إنه يفضل الانتظار في المواقع الحالية واصطيادها في صحراء مكشوفة قبل التقدم لاسترداد الممرات ..ولم يبدأ تطوير الهجوم المصري إلا يوم 14 أكتوبر

الاختراق الإسرائيلي

وفي يوم 16 تشرين وبعد خطاب السادات في مجلس الشعب وصل إلى القاهرة كوسيجين واجتمع مع السادات عدة مرات وكان الاختراق الإسرائيلي للقوات المصرية شرق القناة وبدء تسلل القوات الإسرائيلية غرب القناة قد أصبح أمرا واقعا؛

وتم الاتفاق بين كوسيجين والسادات على أن يبدأ الاتحاد السوفيتي اتصالات لوقف إطلاق النار وقدر لهذه الاتصالات أن تستغرق فترة كافية تتمكن مصر خلالها من القضاء على التسلل والاختراق الإسرائيلي وتتمكن سوريا من القيام..بهجوم مضاد في الجولان وحتى يتم وقف إطلاق النار والوضع ملانم للعرب مائة بالمائة

وقف إطلاق النار

وقال السفير السوفييتي

في فجر 20 تشرين وفي الساعة الثالثة صباحا بالضبط اتصل بي الرئيس السادات وطلب مني إبلاغ بريجنيف " رسالة عاجلة بالموقف ومطالبة بالتدخل لتحقيق الوقف الفوري لإطلاق النار وكما علمت بعد ذلك فإن سوريا لم تكن تريد وقف إطلاق النار في ذلك الوقت حيث أنها كانت على وشك القيام بهجومها المضاد الكبير

وأصدر القادة السوفييت قرارا فوريا بإعلان التعبئة الجزئية في القوات السوفيتية وحشد سبع فرق عسكرية سوفيتية ووضعتها على أهبة الاستعداد للسفر والقتال على الجبهة المصري بل وصلت طلائعها بالفعل إلى القاهرة

قرارات خطيرة

ومضي السفير السوفييتي قائلا

وكلنا نعرف قصة الأيام التالية والحزب الإسرائيلي لوقف إطلاق النار والتهديد السوفييتي بالتدخل المنفرد عسكريا . والاتصالات مع أمريكا حتى تحقق وقف إطلاق النار النهائي في 26 أكتوبر

لم أخف شيئا إلا بعض القرارات البالغة الخطورة التي اتخذها الاتحاد السوفييتي في الفترة من 23 إلى 25 وتعرفها " القيادة المصرية جيدا .. ولم يحن الوقت بعد لإذاعتها رغم أنها كافية وحدها دون أية تفاصيل أخرى ليعلم العربي المدى "الذي وصل إليه الاتحاد السوفييتي في تأييده لحركة التحرر الوطني العربية

ويؤيد كلام السفير السوفييتي ما جاء في " الوثائق " التي نشرت في صحيفة " القبس " الكويتية بتاريخ 24 م 1975/9 وهي عبارة عن نص البرقيتين المتبادلتين بين السادات والأسد في 21 أكتوبر 1973.. "من السيد الرئيس .. محمد أنور السادات إلى السيد الرئيس حافظ الأسد

يتطور الموقف بصورة خطيرة على جبهتنا اتضح لى في العشرة أيام الأخيرة إنني أحارب أمريكا ولست أستطيع أن .. أتحمّل المسؤولية التاريخية لتبديد قواتي مرة أخرى لذلك أخطرت روسيا بقبولي وقف القتال على الخطوط الحالية

إن قلبي ليقطر دما وأنا أخطرك بهذا ولأن مسؤوليتي تحتم على اتخاذ هذا القرار ..ولسوف أواجه أمتا في الوقت " المناسب لكي يحاسبني الشعب

ورد الأسد في برقية تحمل نفس التاريخ أى 21 أكتوبر 1973

من الرئيس حافظ الأسد إلى الرئيس محمد أنور السادات تلقيت برقيتكم وكانت مؤثرة للغاية أخي الرئيس حاولت " بعد وصول برقيتكم ان أمعن النظر مرة أخرى في الموقف العسكري على الجبهة الغربية وعلى ضفتي القتال وخرجت باستنتاج وهو أن الوضع لا يدعو إلى التشاؤم وأنه بالإمكان أن يستمر الصراع مع القوات المعادية سواء منها تلك التي اجتازت القتال أم تلك الموجودة أمام قواتنا على الضفة الشرقية ويمكن أن يؤدي استمرار الأعمال القتالية إلى "... تدمير القوات المعادية التي عبرت القتال

وإذا تغاضينا عن الخيالات والإحساس الزائد بالذات في كتابات حسنين هيكل إلا أننا نلجأ إليه كشاهد معروف باتتمانه إلى الغرب والولايات المتحدة بالذات فماذا قال في كتابه " الطريق إلى رمضان " عن لقاء بينه وبين السفير " السوفييتي:" قال السفير السوفييتي

لقد كنت طوال اليوم في اجتماعات مستمرة مع ملحقينا العسكريين وأقول لك الحق أنهم غير مرتاحين إلى النحو الذي يتطور إليه الموقف ولست أدري السير فيعدم تقدم قواتكم لماذا لم تدعموا مكاسبكم وتبدأوا الاندفاع إلى الممرات ؟ إن .. هذا ليس بالأمر المنطقي

:وقال السفير

إن الجسر الجوي لمصر وسوريا قد بدأ بالفعل

:ويقول هيكل

إن من بين الأسئلة التي وجهها إليه بريجنيف (أى إلى السفير السوفييتي) بالتليفون (ما هي حدود أهدافهم " المحدودة) كان الرئيس السادات لا يزال يؤكد للسوفييت هذه حرب "أهداف محدودة" إن هذه الوثائق تؤيد بعض ! الحقائق وليس كلها

أولاً: إن السادات عندما أعلن الحرب في أكتوبر لم يكن هدفه التحرير بل " التحريك " وكانت أهدافه المحدودة سرا لم .. يعلنه

ثانياً: إن السادات لم يكن يحارب أمريكا كما ادعي بل كانت تقف بجانيه قوات سوفيتية .. وفي مقابل الجسر الأمريكي لإسرائيل كان هناك جسر سوفيتي لمصر

ثالثاً : إن السادات حقق بالحرب ما طالبت به الولايات المتحدة به التقدم إلى عشرين كيلو متر شرق القناة .. وفتح القناة .. للملاحة والتفاوض مع إسرائيل

المعركة ..وماذا بعدها؟

الذين شاهدوا الصمت والألم والغضب على الوجوه لحظة وقف إطلاق النار لن ينسوا تلك اللحظات والذين عاشوا تحت قصف طائرات العدو وشاهدوا الضحايا من الأطفال والنساء صرعي قتابل النابالم الأمريكية لم ينسوا الآلام التي تفجرت لحظة وقف إطلاق النار .

كانت المعركة في عفوانها والعالم مذهول من قدرة هذا الشعب العربي الذي وصفوه بالجهل والتخلف والاستكانة ولاحت تباشير النصر زو فالعالم كلها يتحرك معنا

الشعب العربي ينطلق من قيوده والوحدة العربية تؤكد وجودها والتضامن الأفريقي يتصاعد والعالم الاشتراكي يمارس صداقته وتحالفه في أروع صوره بالسلاح والمعدات والرجال وتفجرت صراعات العالم الرأسمالي

ووقفت إسرائيل وحيدة إلا من التأييد الأمريكي وأوشك الحصار أن يطبق على العدو ولم يكن أمام أمريكا غلا أن تخوض معركة عنيفة وقاسية كحرب فيتنام لإنقاذ إسرائيل

كانت هذه اللحظات هي قمة الصراع واهتز العالم الرأسمالي أمام المفاجأة العربية في 6 أكتوبر وأذهله تطور الأحداث ورفعت الولايات المتحدة حالة التأهب بين قواتها إلى درجة القصوى ولكنها كانت أشبه بمن يتشبث بأوهي الوسائل ..للتماسك أمام العالم

كانت الولايات المتحدة تواجه نفس المصير الذي واجهته بريطانيا وفرنسا بعد معركة 1956 ولكن ما حدث في أعقاب حرب أكتوبر كان نقيضا لما حدث بعد معركة 1956

كانت المعركة ضد الإمبراطوريتين الهرمتين فرنسا وانكلترا نتيجة لتأميم قناة السويس وكانت ضربة التأميم للاستعمار القديم وأعلنت كل من فرنسا وانكلترا حالة التأهب القصوى وشتنا الحرب إلى جانب الكيان الصهيوني رأس الجسر . للمصالح الاستعمارية واحتلتا بور سعيد

وتقدمنا نحو الإسماعيلية كل هذا لم يمه المعركة بل استمرت حتى اندحرت أكبر إمبراطوريتين شهدهما التاريخ الحديث .وكانت آثار المعركة ونتائجها رهيبة على العدو وحلفائه

وسقط النظام الملكي الرجعي في العراق

تحقق النصر لثورة الجزائر

تفككت وانحلت إمبراطورية فرنسا في أفريقيا

تم تأميم كل المصالح الفرنسية والاتكليزية في مصر

وهنا يتبادر السؤال التالي

هل خافت الأنظمة الرجعية أن يتكرر في أعقاب معركة 6 أكتوبر ما حدث في أعقاب 56 ؟.

هل خافت القوي الرجعية أن تسقط هيبة حليفتها الكبرى أمريكا فتتساقط مواقعها كما سقطت أنظمة رجعية من قبل ؟

هل خافت القوي الرجعية على ما تنهيه من ثروات شعوبها أن يضيع مع ضياع الأمبراطورية الأمريكية

يقال كيسنجر لأحد وزراء الخارجية العرب في لقاء بواشنطن

من الأفضل أن ننتظر مدة ثلاثة أو أربعة أسابيع إلى أن تنهك الأطراف المتحاربة بعضها بعضا وعندئذ يصبح "التوصل إلى تسوية ما ممكنا

وقال أيضا

إننا لا نعتبر الرئيس السادات عدوا لنا!" كانت الولايات المتحدة تفصل بين الشعب المصري والسادات فهي لا تري " السادات عدوا . ولكنها تقصف المدنيين في بور سعيد وتسليح إسرائيل للقضاء على الجيش المصري

وهكذا كانت تجري حرب 6 أكتوبر تماما كما جرت 48 زعماء أو حكام في علاقات حسن مع الولايات المتحدة وشعوب تخوض حربا مدمرة ضد الولايات المتحدة ففي الوقت الذي طلب السادات من كيسنجر إن يزور القاهرة عن طريق "الاتصالات" غير المرئية

وكان ذلك قبل قرار مجلس المن بوقف القتال كان الجيش المصري يخوض اعنف المعارك ضد القوات الأمريكية والصهيونية وكان الجسر الجوي السوفييتي يقدم العون وأعلنت حالة الطوارئ في وحدات الجيش الأحمر وتم نقل ألوية مظلات إلى جنوب المجر ومن هناك إلى مصر عبر يوغوسلافيا وقدرت القوات السوفييتية بخمسين ألف جندي

وأعلنت الولايات المتحدة حالة التأهب النووي القصوى ولم يأبه الاتحاد السوفييتي وكان الهدف من التحرك السوفييتي فك الحصار عن الجيش الثالث. ودعم القوات المصرية للقضاء على الثغرة وتوقف القتال بعد أن تلكأت إسرائيل في .. تنفيذه ولكن بدأ الاستعداد للقضاء على الثغرة

وقال كيسنجر بصراحة أنه إذا حدث ذلك فإن أمريكا ستجد نفسها مضطرة لمساندة إسرائيل صراحة ولم يكن كلام كيسنجر إلا تحصيل حاصل فالولايات المتحدة ساندت إسرائيل صراحة منذ بداية القتال ولم يكن التهديد الجديد إلا من قبيل استعراض العضلات كما حدث في حالة "التأهب النووي" فإن الولايات المتحدة كانت تدرك أن أي خطوة ستجعلها في مواجهة مباشرة مع الاتحاد السوفييتي .

:وفجأة أعلن اتفاق "فك الاشتباك" و"فصل القوات" وكانت جريدة "الأهرام" نشرت قبل الاتفاق بأربعة أيام ما يلي

:إن بقاء إسرائيل على الضفة الغربية يؤدي إلى النتائج التالية

. أولا: يعرضها لاستنزاف مرهق

ثانيا: يحمل اقتصادها ضغوطا يتعذر عليها احتمالها إلى ما لا نهاية

. ثالثا: يلومها الاحتفاظ باحتياطها في حالة تأهب

" ثم قالت صحيفة " الأهرام

أما الفصل بين القوات إلى مسافة زادت أو قلت عن القناة معناه

أولا: يلغي احتمال تجدد القتال بوجود قوات دولية فاصلة

ثانيا: يثير قضية فتح القناة ويجرد مصر من حجمها في عدم إعادة فتح القناة ثالثا : الحل الجزئي بفتح القناة ينزع عوامل الضغط على المجتمع الدولي

رابعا: يجعل من الصعب استمرار شهر سلاح البترول

:ويختتم المقال كلماته بالقول

لإسرائيل إذن مصلحة في الفصل بين القوات بأية شروط أو بدون شروط " وعلى الرغم من هذا كله بل على الرغم " من كل البطولات والتضحيات وفي غياب الرقابة الدولية وفي غفلة من الرأي العام العربي فجأة وبأسرع مما كنا نتخيل ". يتم التوقيع على اتفاق فصل القوات

في أعقاب حرب 67 استطاع الشعب في مصر وفي الوطن العربي أن يحول "النكسة" إلى " صمود " وإصرار على . مواصلة القتال وكانت أهم الخطوات نحو هذا الهدف

.إغلاق قناة السويس

.إخلاء مدن القناة استعدادا للمعركة

.تدعيم العلاقات مع الاتحاد السوفييتي والعالم الثالث

وكانت عملية إخلاء مدن القناة من أروع ما حققه الشعب في مصر واستطاع أن ينقل مصانعه وبيوته وحياته كلها إلى مدن وقري بعيدا عن مدافع العدو وتقبل سكان مدن القناة حياة اللاجئين بصمود وصبر

وزرعنا قواعد الصواريخ في كل شبر وفي ظروف غاية في القسوة والعنف وسقط عشرات من المهندسين والعمال المصريين وسقط بجانبهم خبراء سوفيت

كل هذا حدث بعد " نكسة " أو " مؤامرة" فقدنا فيها كل سلاحنا وأموالا طائلة وتعرض الشعب العربي لأبشع أنواع الاتهامات والطعون والتشكيك في قدراته

ولكن الشعب لم يستسلم لم يفقد الأمل لم يفقد الإصرار على مواجهة الإمبراطورية الأمريكية أو الصهيونية الفاشية . وجاء 6 أكتوبر على قمة هذا البناء الشامخ الذي شاده الشعب طوال سنوات رائعة من الصمود والكفاح والقتال

ولاح النصر كان العالم كله معنا يدين الصهيونية والغدر الأمريكي وظهرت بوادر التناقض والتفكك في المعسكر الاستعماري الرأسمالي وبدأت دول أفريقيا تسحب اعترافها بإسرائيل دولة بعد دولة ووجه الاتحاد السوفييتي نداه إلى .. المسلمين السوفييت لمساندة إخوانهم العرب

وفجأة انطفأ لهيب المعركة وساد الظلام. وتحرك كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي اليهودي وتم توقيع اتفاق الكيلو

وإذا بنا أمام واقع جديد.تم فتح قناة السويس تعمير مدن القناة الثلاثة السويس والإسماعيلية وبورسعيد تأكيداً لعدم العودة إلى حرب التحرير كما شاعت إسرائيل تخفيض القوات المصرية شرق القناة أى سحبها والاكتفاء بقوات رمزية

تدمير قواعد الصواريخ على ضفتي القناة وانتهى كل شئ ذهبت كل هذه الحروب والدماء والأرواح هباء وكان "فك . الاشتباك" تمهيدا للمفاوضات الثنائية والاعتراف بإسرائيل وفتح الأبواب للإمبريالية الأمريكية

تراجع الجندي المصري عن أرضه التي حررها بدمائه ورواها بدمه وأنفاسه وأصبحت الولايات المتحدة " رسولاً للسلام " ومنحت "وسام الامتنان " على قذف أطفال مدرسة بحر البقر بقنابل النابالم من طائرات الفانتوم وهلاك العمال في مصانع "أبو زعبل" تحت سيل القنابل الأمريكية

وحصلت أمريكا على "دور منفرد" في العبور إلى الشرق الأوسط وإل عالمنا العربي وصدرت التصريحات لتأمين كل الظروف لغزو الرأسمال الاستعماري للتشييد والبناء وليس التصنيع وهو نهج الاستعمار الأمريكي في التنمية فلا ! تصنيع ولا تطوير بل إقامة فنادق للسياح وتعبيد الطرق للحلاف العسكرية وممارسة تجارة المخدرات والجنس

وأعلن " موشي دايان " بعد اتفاق الكيلو 101

" . إن حالة من التغيير في التفكير والأسلوب قد حدثت للقيادة المصرية"

وصرح بأن هذه الاتفاقية التي تمت هي اتفاقية ثنائية بين إسرائيل ومصر ولا يضمنها طرف ثالث!!وكانت السخرية أن ! يعلن السادات بأننا أمام نقطة تحول تاريخية

ولكن أية سخرية أقسى على النفس العربية من أن يقف كيسنجر عند معابد فيلة وينظر إلى السد العالي ويقول

"إنني من هذا المكان أستطيع أن أجمع بين الماضي ممثلاً في معابد فيلة والحاضر ممثلاً في السد العالي"

!"وأية سخرية أقسى على النفس من أن نسمع كيسنجر يرد على أحد المصريين الذين قالوا له:"إننا سننزع الصحراء

فيريدي كيسنجر

! "ولكن أحب الصحراء "

وأية سخرية أقسى على النفس من أن يقف كيسنجر عند السد العالي ويتحدث عن إمكانيات مصر الاقتصادية والزراعية
! والبشرية

:وبعد ذلك ردد الدعاة عن حرب أكتوبر قائلين

ألا يكفي أن القضية تحركت وتحركت القضية ولكن إلى أين؟ إلى طريق الثورة أم إلى الطريق المضاد؟ كانت حرب
أكتوبر في معاركها خطوة إلى الأمام كانت رمزا لكل ما أنجز خلال العشرين عاما من عمر الثورة فإذا بها ترتد خطوات
إلى الوراء بل إلى الهاوية وجعلها "السادات" إشارة للتحويل وخاتمة لمرحلة مضيئة وبداية لمرحلة مظلمة

الفصل الرابع: كامب ديفيد

عندما كان السادات في وقفة انتباه ليتلقى التحية من كتيبة الجيش الإسرائيلي ثم اتجه يحي العلم الإسرائيلي بعد ذلك
كان العالم العربي يقف مشدوها في أبشع وأقسى اللحظات المؤلمة

بينما غالبية العالم شعر بالذهول والصدمة لم يكن سوى الصهيونية والإمبريالية التي لم تدار فرحتها من كتاب الصحفي
الهندي هار بها خان سنج

كامب ديفيد من الخيمة إلى الزيارة

الذين قالوا أنهم قد فوجئوا لم يفاجأوا وحدهم الشهداء وقتلي الحروب الأربع وأبناء عمان وتل الزعتر وبحر البقر "
وبورسعيد فوجئوا حدهم الفقراء الذين أكلت أجسادهم الأمراض والآلات والسيارات والأحلام فوجئوا أما الذين ادعوا
"المفاجأة فهم يكذبون الذين باعوا العرب وتسلبوا على العرب وسجنوا العرب يكذبون

لعل مصر لم تشهد في تاريخها الطويل خاننا طعننا في أعماقها مثلما فعل السادات بل لعل التاريخ لم يشهد خاننا
! استباح عرض شعبه واستباح دماء شهدائه مثلما فعل السادات

! لم يشهد التاريخ خاننا يسلم شعبه إلى أعدائه وهو في قمة النصر

! لم يشهد التاريخ قاندا يطعن جيشه من خلف وهو يحرر أرضه

لم يشهد التاريخ ملكا أو سلطانا يعيد ثروة بلاده إلى العدو بعد أن انتزعت منه مثلما فعل السادات

! لم يشهد التاريخ رجلا يدوس بأقدامه على تاريخ شعبه وأمتة ويمتهن كرامتها ويمزق أمجادها مثل ما فعل السادات

تاريخ طويل من النضال والكفاح والدماء والدموع والقتال والاستشهاد آمال شعب ومستقبل أمة وتاريخ أجيال أهدره
"السادات في "كامب ديفيد

كل شيء سلمه السادات الأرض الشعب لقمة العيش ووقف يبتسم في لامبالاة وكأن هذا لا يعنيه و"بيغن" يردد في قحة
وتحدي واستفزاز في أعقاب توقيع الاتفاقيات المشؤومة

ويجب أن يطلق على مؤتمر "كامب ديفيد" مؤتمر جيمي كارتر لقد بذل الرئيس جهودا شاقة أكثر مما بذله أجدادنا في
.. بناء أهرامات مصر

إن بيغن وكارتر لم يستردا مصر التي سارت في طريق الاشتراكية بل يريدون "الأهرامات" يريدون الحاضر والماضي
.. وتحقق قول الشاعر "مشي على تاريخهم مستهزنا ولو استطاع مشي على الأهرام

من القتال ... إلى التآمر

في أقل من شهر من بدء القتال وبعد أسبوعين من وقف القتال وصل كيسنجر إلى مصر وبعد لقاء مع السادات أعلن
! عن عودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الأمريكية

وارتفع العلم الأمريكي فوق القاهرة بعد أن ساهمت في الحرب ضد الشعب المصري بالسلح والرجال فهل حدث هذا
عفوا ؟ أم أن هذه السرعة في إعادة العلاقات كان متفقا عليها قبل الحرب؟

ذكرت صحيفة " هارتس " الإسرائيلية في عددها بتاريخ 12/5م 1973 الحقائق التالية

أولا: أن المخابرات الأمريكية وضعت يدها على الخطة الكاملة للحرب في شهر أبريل (نيسان) 1973

ثانيا: أن الموعد المحدد لبدء الحرب لم يكن محددا

أما الخطة المصرية للحرب كما أوردتها الصحيفة فتتضمن المواد التالية

. عبور القوات المصرية لقناة السويس بأعداد كبيرة في القطاع الأوسط وتحطيم خط برليف
.إعادة تنظيم القوات في الضفة الشرقية للقناة بعد العبور والتقدم لاحتلال الممرات الإستراتيجية
(احتلال كل صحراء سيناء وفصل شرم الشيخ ولتوقف عند حدود الخامس من حزيران (يونيو

وبالفعل كان الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الأركان يدعو إلى زيادة هجمات قوات الصاعقة المصرية وفاعليتها خلف
الممرات في سيناء لإرباك القيادة الإسرائيلية ودب الفوضي في صفوف وحداتها ودفع المدرعات المصرية للتوغل بعيدا
في سيناء حسب ما نصت عليه الخطة

وكان هذا الرأي يلقي تجاوبا وتأيدا من قادة الوحدات كما يتفق هذا الرأي مع وجهة نظر القادة السوفييت العسكريين
التي أبلغها السفير السوفييتي في القاهرة

أما وزير الحربية الفريق أحمد إسماعيل الذي كان يتلقي توجيهات سياسية للعمليات الحربية من السادات فظل ينتظر
الأمر بالهجوم حتى يوم 14 أكتوبر الخطوة الثانية التي اتخذها "السادات" تمهيدا للتسليم كانت في 13 ديسمبر 73
عندما قرارات التغيير في القيادة العسكرية

:وكانت كالتالي

إقالة الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة من منصبه إقالة اللواء عبد المنعم واصل
وتعيين اللواء أحمد بدوي الذي شغل منصب قائد احدى فرق الجيش الثالث قائدا لذلك الجيش

وقال "السادات" أنه أقال الفريق الشاذلي في أكتوبر بعد حدوث الثغرة وانهيار الشاذلي ومطالبته بسحب القوات
المصرية إلى غرب القناة ولم يقل "السادات" الحقيقة كان الشاذلي في منصبه حتى 13 ديسمبر (كانون الأول) ويؤكد
ذلك تصريح له نشرته صحيفة "الأهرام" في 5 ديسمبر (كانون الأول) يتوعد القوات الإسرائيلية غربي القناة بالقضاء
عليها .

وقال السادات أن الفريق الشاذلي طالب بسحب القوات المصرية والحقيقة كما جاءت في كتاب "حرب رمضان" أن
الشاذلي طالب بعودة القوات المدرعة التي كانت تحمي الثغرة إلى مواقعها وكانت هذه القوات المدرعة قد تركت
! مواقعها بأوامر من السادات

لماذا أقيل الشاذلي؟

كانت إقالة الفريق الشاذلي بعد اتفاق السادات وكيسنجر على تأجيل فك ارتباط القوات المصري الإسرائيلية وبحته في جنيف كما أن إقالة اللواء عبد المنعم واصل وتولي اللواء أحمد بدوي قيادة الجيش الثالث كانت تمهيدا للغزو الأمريكي القادم.

خطوات سريعة

تقرر عقد مؤتمر "جنيف" في 21 ديسمبر (كانون الأول) 1973 وفي 17 يناير (كانون الثاني) 1974 أعلن من القاهرة وواشنطن والقدس عن اتفاق حكومة مصر وإسرائيل بشأن فصل القوات وفك الاشتباك وأعلن الرئيس الأمريكي .. نيكسون بنفسه نبأ الاتفاق

ونص الاتفاق على نصوص خطيرة وكان أخطر منها ما أعلنته جولدا مائير بأن هناك ملاحق سرية وإعلانها عن حق مرور السفن الإسرائيلية في القناة

أولاً: نص الاتفاق على سحب الجيش المصري من سيناء وبقاء قوات رمزية في مسافة لا تبعد سوي 20 كيلو متر من القناة نص الاتفاق على سحب قواعد الصواريخ من الضفة الشرقية والغربية للقناة أى أن مصر فقدت سيادتها على أرضها.

. ثانياً: أكدت صحيفة نيوزويك أن مصر ستسمح للسفن الصهيونية بالمرور

ثالثاً: أكدت جولدا مائير في بيان ألقته أمام الكنيسة أن هناك وثائق إضافية سرية تشكل جزءاً من الاتفاق بين حكومتي مصر وإسرائيل لن تداع محتوياتها وان انسحاب القوات الصهيونية لن يتجاوز 20 كيلو

وأدخل "السادات" مصر تحت المظلة الأمريكية وأخذت إسرائيل في تنفيذ مطالبها التي خاض الشعب المصري أربع حروب للتصدي لها

وتتالت الخطوات

في 2 فبراير عين على أمين أحد أعمدة الإعلام الأمريكي مديراً لتحرير الأهرام

في نفس اليوم وقعت أول اتفاقية بترول مع ألمانيا الغربية وهي المرة الأولى التي سمح فيها لشركة من ألمانيا للبحث عن البترول في مصر

. في 6 فبراير اجتمع عبد المنعم القيسوني مع دافيد روكفلر رئيس بنك تشيرمنهاتن

.في 8 فبراير نسفت القوات المصرية أربع قواعد صاروخية (أرض – جو) على الضفة الشرقية للقناة

.في 11 فبراير وافق السادات على أربع قرارات اقتصادية هامة تتعلق بتشجيع الاستثمار العربي والأجنبي في مصر

.بيار الجميل رئيس الكتائب اللبنانية الفاشية يشيد بخطة السادات

.المرشدون الأجانب يطلبون العودة للعمل بالقناة

. خطوات متتالية منذ وقف القتال نحو الانهيار ! حتى الوصول إلى كامب ديفيد

خانن ... خانن

.ما يحدث في تاريخ مصر منذ قرون بل لعله لم يحدث أبدا حدث في ظل حكم السادات في بساطة ويسر

ف عندما زحفت شركات النهب الاستعماري على مصر عام 1870 تصدت لهم الثورة العربية في قتال ونضال طويل
استشهد أبطال عظام

:وكان احمد عرابي الزعيم المصري قد كتب إلى مستر بلنت يقول

"أما ما يهددنا به أصحاب البنوك ورجال المال في أوروبا فإننا سنحمل في ذلك في ثبات وحكمة ففي رأينا أن ذلك "
"الوعيد لن يضر إلا أنفسهم" "وإن هذا الذي اكتبه إليك هو ما يفكر فيه كل مصري حر العقل محب لبلاده

أما السادات فقد فتح لرجال المال أبواب مصر وأعلن وزير المالية الصهيوني بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد إن طريقا
جديدا يفتح أمام "إسرائيل" إذ منذ زيارة السادات للقدس وضع الخبراء في وزارتي سلسلة من المشروعات عن
التعاون المصري الإسرائيلي يمكن أن يفتح آفاق واسعة للغاية وإذا ما توصلنا إلى السلام مع جميع جيراننا فإن مستقبل
" المنطقة كلها سيتبدل

ما تريد الصهيونية أن تسيطر عليه ليس مصر فحسب بل المنطقة كلها أي من النيل إلى الفرات! وبذا يحقق الغزو الاستعماري أهدافه

لم تزحف الصهيونية أو الجيوش الأمريكية إلى قلب القاهرة كما فعلت الجيوش البريطانية عام 1882 ولكن دخلت رؤوس الأموال والغزو المالي والاستنزاف الاقتصادي من خلال الخيانة

كشف الاستعمار الإمبريالي والصهيوني عن أهدافه لأول مرة في التاريخ صراحة فالوثائق "وثائق كامب" ووثائق تاريخية حقا فلم يسبق للإمبريالية أن أفصحت عن أهدافها كما فعلت في نصوص هذه الوثائق خلال العدوان الثلاثي عام 1956 لم يعلنوا أن هدفهم هو استرداد شركة القناة أما في عام 1977 فقد أصرت الصهيونية والإمبريالية أن تتحدي ونصت الوثائق على ما يلي

ويجب أن تشمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على

. اعتراف كامل

.إلغاء المقاطعة الاقتصادية

. الضمان في أن يتمتع المواطنون في ظل السلطة القضائية بحماية الإجراءات القانونية

.يجب على الموقعين استكشاف إمكانيات التطور الاقتصادي في إطار اتفاقيات السلام النهائية

وهكذا تهدم وثائق كامب ديفيد كل تاريخ ونضال الشعب منذ حاولت الصهيونية احتلال الأرض العربية إلى نضال الثورة العربية ضد الغزو المالي إلى كفاح الشعب المصري ضد المعاهدة البريطانية التي فرضت عليه عام 1936 إلى الكفاح العربي المشترك ضد الصهيونية والإمبريالية الأمريكية

إن ما ارتكبه السادات في "كامب ديفيد" جريمة متعمدة مع سبق الإصرار والترصد ظل السادات متربصا بثورة يوليو ينتظر الفرصة المناسبة ليقفز إلى الحكم ويرتكب جريمته والسادات يعلم ماذا تني الثورة ضد الصهيونية ويدرك معنى الغزو المالي وهو في تنازله يعرف مغزي هذه التنازلات

كان السادات عضوا في مجلس قيادة ثورة 23 يوليو وسواء شارك أو لم يشارك وسواء كان في صميم الأحداث أم على هامشها وسواء كان مؤمنا بهذه الثورة أو كافرا بها فإنه استمع إلى كلمات ميثاق الثورة وأنصت إلى خطابات عبد الناصر

كانت كلمات "الميثاق" واضحة الأهداف بالنسبة للكيان الصهيوني والصهيونية ففي الباب الرابع نقرأ "إن قطعة من الأرض العربية في فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عدوانية عنصرية أرادها المستعمر لتكون سوطا في يده ويلهب به ظهر النضال العربي إذ استطاع يوما أن يتخلص من المهانة أو يخرج من الأزمة

الطاحنة كما أرادها المستعمر فاصلا يعوق امتداد الأرض العربية ويحجز المشرق عن المغرب ثم أرادها عملية "امتصاص مستمرة للجهد الذاتي للأمة العربية تشغلها عن حركة البناء الإيجابي

كما قرأ السادات وأدرك ما يعنيه " الميثاق " بقوله

اضطر الاستعمار تحت هذه الظروف إلى الاتجاه نحو وسائل العمل غير المباشر عن طريق غزو الشعوب والسيطرة " عليها من الداخل وعن طريق التكتلات الاقتصادية والاحتكارية وعن طريق الحرب الباردة التي تدخل في نطاقها محاولة "تشكيك الأمم الصغيرة في قدراتها على تطوير نفسها وعلى الإسهام الإيجابي المتكافئ في خدمة المجتمع الإنساني

و"السادات" قرأ وفهم وأدرك ما قاله "الميثاق " عن الأموال التي سلبت من الشعب تحت ظروف الامتيازات الأجنبية وفي العهود التي استبيحت فيها حرمة الثروة الوطنية لتكون نهبا للمغامرين الأجانب

و"السادات" هو الذي قال بلسانه أمام عبد الناصر بعد نكسة 67 بأن أية تنازلات أمام العدو معناها أنتحيم مصر من الخارج.

وعندما وقع "السادات" في "كامب ديفيد" على وثائق تتعارض مع كل ما أقرته ثورة 23 يوليو ونصوص تتنافى مع مصالح الشعب في مصر وفي الوطن العربي وهو يعلم ذلك فإنه هنا يرتكب جريمة عامدا متعمدا بل كما يقول رجال "القانون" جريمة مع التردد وسبق الإصرار

وإذا كان القائل الذي يرتكب جريمة القتل ضد فرد مع التردد وسبق الإصرار تكون عقوبته الإعدام فما بالنا بارتكاب الجريمة ضد شعب بأكمله

كان مجرد توقيع الاتفاقيات إدانة كان خروجاً عن النضال الوطني في مصر وكان خروجاً على الإجماع العربي كان تحدياً للشعب المصري ولكل العالم العربي شعوبه وحكوماته ورؤسائه

وما تضمنته الوثائق رهيب وبشع وكأنما المقصود منها هو الإذلال وتحطيم كل ما بناه وآمن به الإنسان في مصر والوطن العربي بل محاولة لتحطيم الإنسان العربي وتمزيق روحه

البداية

منذ البداية في الأسطر الأولى من مقدمة الوثيقة الأولى نجد شرط الإملاء والفرض ونقرأ كلمة "يجب" وتكرر الكلمة بعد ذلك في كل صفحات الاتفاقيات

. البحث عن السلام أن يسترشد

"لكي يصبح للسلام معمرا" يجب

. يجب أن تكون هناك ترتيبات انتقالية

. يجب أن تشمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن

وهكذا نجد كلمة " يجب " مفروضة وكأنما كان السادات "تلميذا في مدرسة كامب ديفيد" يتلقى العقاب من أساتذته؟ عقاب على هذه الحروب التي استمرت ثلاثين عاما وارتكب فيها التلميذ أخطاء يجب تصحيحها

! عدم الاعتراف خطأ ويجب الاعتراف الكامل

! المقاطعة الاقتصادية خطأ يجب تصحيحه

! وهكذا تتوالي اعترافات المذنب أمام الكاهن يطلب الغفران

ومن البداية في الصفحة الأولى من الوثيقة الأولى تتجاهل الاتفاقيات الشعب في العالم العربي وكأنه غير موجود وغير معترف به

ففي الفقرة الثانية من المقدمة نجد الحديث عن "المبادرة" وكيف استقبل السادات من برلمان وحكومة وشعب إسرائيلي ولا نجد بعد ذلك ذكر لبرلمان أو حكومة أو شعب أو قطر من الأقطار العربية بما فيه مصر! إلا في الفقرات التي تتحدث عن ممثلين للجماعات المستسلمة

ومنذ البداية تكشف الوثائق عن أهداف العدوان الصهيوني وفرض هذه الأهداف على العالم العربي وكأنما العرب أصبحوا أمة مغلوبة على أمرها عليها أن تستسلم لشروط المنتصر ونقرأ النص في الفقرة الأولى من المقدمة

إن شعوب الشرق الأوسط تتشوق إلى السلام حتى يمكن تحويل موارد الأقاليم البشرية والطبيعية الشاسعة لمتابعة " أهداف السلام" أي أن السلام مرتبط باستغلال الأقاليم البشرية والطبيعية الشاسعة وما لم تسلم وتستسلم الحكومات والشعوب العربية لهذا الاستغلال فلا سلام! ولم يكن في هذا جديد

فكل ما جاءت به اتفاقيات "كامب ديفيد" بشرية كتاب " بعد أن تسكت المدافع " وهو صادر عن دار مجهولة الهوية أطلقت عن نفسها " دار القضايا " والكتاب صدر عام 1975 والمؤلف رغم إدعائه اليسارية يسقط الفكر العلمي من "منهجه ليحل مكانه "علم استقراء المستقبل

والمؤلف بذكاء كان في كتبه كقارئة الكف استطاع أن يقدم ما تخبؤه القوي الاستعمارية وما تعده للمنطقة فقال " هناك إذن تسليم شبه عام بأن وجود إسرائيل لا مفر من قبوله داخل "حدود آمنة ومعترف بها" بعد استرداد العرب أراضيهم المحتلة وبعد قيام كيان فلسطيني ما الذي يمنع ذلك أن يتطور ذا التسليم "بوجود إسرائيل " إلى الاعتراف بأن يكون لإسرائيل "دور وظيفي" في المنطقة؟

ولكن المؤلف اخطأ في تنبئه فإن اتفاقيات "كامب ديفيد" أقرت الدور الوظيفي والتسليم بوجود إسرائيل دون استرداد العرب أراضيهم المحتلة دون قيام الكيان الفلسطيني نلاحظ أن الكتاب يتحدث عن "الوطن الفلسطيني " ككيان بينما ! يتحدث عن "الكيان الصهيوني" كدولة

إن هذا الكتاب يعد بالفعل وثيقة مكملة لاتفاقيات كامب ديفيد فهو يكشف الأهداف الحقيقية والخفية لهذه الاتفاقيات يقول

أول مرة يلوح نمط قد يحث البعض على البحث عن مصلحة في قيام ط تكامل ما " بين " الكيف الإسرائيلي والكم " العربي تكامل بين قدرات إسرائيل التكنولوجية ومقدراتها البشرية من جانب وبين المال العربي وحاجة العرب إلى "توظيف هذا المال في صورة انجازات تحقق منافع من الجانب الآخر

وما تعمد أن يتجاهله المؤلف

أولاً: أن المعادلة كما هي مطروحة من الجانب الصهيوني هي استغلال صهيوني ومال عربي وأيد عاملة عربية .رخصة

ثانياً: أن القدرات الصهيونية كانت موجودة في العالم العربي قبل ثورات التحرير ولم تترك خلفها إلا ركاما للتخلف .ولم تقدم انجازات

ثالثاً: أن العالم العربي لم يشاهد المصانع الثقيلة أو التطور التكنولوجي إلا بعد طرد الاستعمار والصهيونية من .أقطاره فأقيمت مجمعات الحديد ومصانع الالومنيوم والصناعات الثقيلة المتعددة في مصر والعراق وسوريا

وأقرت اتفاقيات "كامب ديفيد" في صفحاتها الأولى الدور الجديد للكيان الصهيوني

الحقيقة والخداع

تتحدث المقدمة في "الوثيقة الأولى" عن مواد ميثاق الأمم المتحدة والقوانين الدولية .. فهل تقر القوانين الدولية احتلال أراضي الدول الأخرى بالقوة؟ في الوثيقة الثانية الخاصة بمصر وإسرائيل نقرأ "أن تتواجد في المنطقة في حدود ثلاثة كيلومترات شرق الحدود الدولية قوات عسكرية إسرائيلية

فهل يتفق هذا مع ميثاق الأمم المتحدة أو القوانين الدولية؟ وتقر الوثيقة الثانية الاحتلال الصهيوني للأراضي المصرية فلا يتم الانسحاب إلا بعد توقيع اتفاقية سلام فماذا يحدث إذا لم توقع اتفاقية السلام؟ هل يستمر الاحتلال؟

وتقول الاتفاقيات "وافق الطرفان على الممارسة التامة للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب" فهل تقييد حركة الجيش المصري وعدم السماح له بالعبور إلا في حدود 50 كيلوا متر يسمى سيادة للحدود المعترف بها دوليا؟

فإذا انتقلنا من الأرض المصرية المحتلة إلى الضفة الغربية وغزة نجد الاتفاقيات تتجاهل كل القوانين الدولية وتقر مبدأ الاحتلال بالقوة لتستقر القوات الصهيونية لمدة خمس سنوات انتقالية تبدأ بعدها مفاوضات جديدة

إن كل سطر من أسطر الاتفاقيات يتناقض مع القوانين الدولية وحق السيادة المعترف به دوليا بل نجد عنصر الإلزام وفرض الأمر الواقع واضحا في نصوص الاتفاقيات افترضت الاتفاقيات أن السادات هو الممثل الوحيد ليس لمصر فحسب سيناء أو فلسطين بل تتعداهما ونقرأ

إن الأطراف إذ تضع هذه العوامل في الاعتبار مصممة على التواصل إلى تسوية عادلة شاملة و "معركة لصراع الشرق الأوسط" ويجب أن يشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع أعمق تأثير

إن هذا الإطار مناسب ليشكل أساسا لسلام لا بين مصر و"إسرائيل" فحسب بل وكذلك بين "إسرائيل" وكل جيرانها الآخرين .

.. ثم تتناول الاتفاقيات الضفة الغربية وغزة دون مراعاة للشعب الفلسطيني أو حكومة الأردن

لقد أصبح السادات حسب نصوص "اتفاقيات كامب ديفيد" التي وقعها وكيلا عن الصهيونية والإمبريالية الأمريكية لفرض شروط الاستسلام

وتنص الوثيقة الأولى على أن نصوصها ينبغي أن تطبق أيضا على "معاهدات السلام" بين إسرائيل وكل جيرانها العرب لبنان وسوريا والأردن وهذه سابقة خطيرة في العلاقات الدولية والقانون الدولي .. إذ يتفق الطرفان على إلزام أطراف أخرى لم تشارك في المفاوضات ولم توقعها على وجوب التقيد بنصوص وضعت دون علمها أو موافقتها

ولكن هذا يعطي مؤشرا إلى ما سوف تؤول إليه الأمور في المنطقة بزعامة "إسرائيل" تحت المظلة الأمريكية ويقوم !! السادات بدور الوسيط أو السمسار

هل تحل اتفاقيات "كامب ديفيد" مشاكل مصر؟ وهل نرفع عن كاهل الشعب أعباء حروب متصلة استنفدت الكثير من ثرواتها ومن دماء أبنائها؟

وهل صحيح أن "مشكلة فلسطين" كانت عبئا على مصر وتحملت فيه النصيب الأكبر وأن مصر اليوم في حاجة إلى السلام؟ منذ البداية لم تكن فلسطين أبداً هي الهدف ولكنها كانت دائما الطريق إلى غزو مصر والشعب العربي يعرف معنى الغزو ومعنى الاستعمار عاش عقودا طويلة تحت القهر والنهب البريطاني والفرنسي

والأجيال التي لم تعان من الاحتلال البريطاني أو الاحتلال الفرنسي تشهد اليوم مأساة "الاستعمار لجديد" في تشيلي والسلفادور كما شهدته في إيران وجنوب شرق آسيا عمليات نهب بالقوة وفقر ندق لملايين البشر وثراء فاحش لقلة من الأفراد واستنزاف من الشركات الاحتكارية لثروات البلاد كل هذا يتم بغزو من الداخل وبالمؤامرات والجيش المحترفة وأجهزة المخابرات

فماذا تعني اتفاقيات كامب ديفيد؟ عرفت مصر خلال تاريخها الحديث نوعين من الاتفاقيات أو المعاهدات

الأولى: كانت تنص صراحة على تحديد قوة مصر العسكرية كشرط أساسي من بنودها وتتمثل هذه المعاهدات في اتفاقية لندن التي فرضت على مصر أيام محمد علي وحددت عدد القوات المصرية وفتحت الأبواب أمام تدفق رأس المال الغربي كما تتمثل في معاهدة 1936 التي فرضت خضوع الجيش المصري للبعثة البريطانية

الثانية: معاهدات الصداقة بين طرفين متساويين في الإرادة وتهدف إلى تطوير العلاقات واستكمال العناصر الحضارية التي لا تتمكن مصر بقدراتها الذاتية من الحصول عليها وكانت معاهدة الصداقة المصرية السوفييتية نموذجا لهذه المعاهدات فأين نضع اتفاقيات " كامب ديفيد"؟

منذ بدأ السادات مفاوضاته مع الغرب الرأسمالي كان البنك الدولي أحد عناصر المفاوضات واشترط لتقديم القروض تخفيض عدد الجيش المصري وتخفيض مصاريف الدفاع هذا الشرط أرادوا إملأه على عبد الناصر لتمويل السد العالي وطالبوا بوقف شراء مزيد من السلام السوفييتي ولكنه رفض

وبعد عشرين عاما حقق الغرب أهدافه وفي أعقاب توقيع اتفاقيات " كامب ديفيد" أعلن وزير دفاع السادات تحديد عدد القوات المسلحة كما أعلن أن الجيش المصري تحول من الحرب إلى الدفاع أي أن الحكومة المصرية نفضت يدها من

مسؤولية استرداد نصف سيناء المحتل بالقوات الصهيونية أو المنزوعة السلاح كما نفضت يدها من مسؤولياتها العربية.

ونري في هذه الشروط نفس القيود التي فرضت على مصر عام 1840 بعد هزيمة محمد علي أمام الجيوش الأوربية والتي حددت عدد الجيش وقلصت علاقة مصر بالعالم العربي

ونراها أيضا في أعقاب الاحتلال البريطاني لمصر عام 1982 عندما أصدر الخديوي مرسوما بتجريد جميع الضباط ! الذين أيدوا "عرابي" من رتبهم .. وحدد عدد الجيش بستة آلاف

إن " اتفاقية كامب ديفيد" تحمل في مضمونها كل المعاني والشروط التي يملئها "الاستعمار" بعد الغزو أو القهر لقد استطاع السادات أن ينهي وجود " الخبراء السوفييت " في مصر بالتليفون كما قال فهل استطاع أن يزيح جندي صهيوني واحد من ارض مصر بغير الدماء؟

وهل استطاعت دولة واحدة من دول العالم الثالث التي وقعت في قبضة "الخبراء الأمريكيين" أن تنهي وجودهم بغير بحور الدماء إن ما حدث في إيران ونيكارجوا وما حدث في فيتنام شاهد لن تناساه الأجيال ولن يغفره التاريخ

الدولة الأولى بالرعاية

الاستعمار الجديد في مصر ليس أمريكا فحسب بل إن نصوص اتفاقيات " كامب ديفيد " تنص على منح الامتيازات للعدو الصهيوني وعلى الرغم من أن الجيوش الأمريكية أو الصهيونية لم تحتل "القاهرة " كما حدث أيام الاحتلال البريطاني بل ردت على أعقابها وأدانها العالم أجمع فإن السادات أعطي إسرائيل "حقوق الدولة الأولى بالرعاية إتقرأ . في الوثيقة الأولى في باب" المبادئ المرتبطة النقطة الرابعة

رابعا: يجب إقامة لجان للدعوى القضائية في الحسم المتبادل لجميع الدعاوي القضائية المالية "إن هذا الشرط جري . العرف أن يدون في "البروتوكولات " أو الملاحق الخاصة بالمعاهدات الاقتصادية

ولكن النص هنا شامل وعام ومعني ذلك أنه يعطي امتيازاً استثنائياً "لإسرائيل " على بقية دول العالم إن الدعاوي القضائية والمالية بين مصر وإسرائيل لن تعرض على القضاء العادي بل على لجان أشبه بالمحاكم للفصل في الخلافات .. وهكذا تعود المحاكم المختلطة بصورة جديدة يشترك في إصدار الأحكام فيها قضاة إسرائيليون

ومعني ذلك أن "قضية هضبة الأهرام " و" فضيحة العامرية " وما شابهها من فضائح ورشاوي واختلاسات لن تعرض على القضاء المصري ولن يكون لمجلس الوزراء أو مجلس الشعب الحق في نقضها أو نقدها . بل أصبحت من "اختصاصات "لجان الدعاوي ط حسب نصوص اتفاقيات " كامب ديفيد

فهل توجد في نصوص موثيق الجامعة العربية وهل تتمتع دولة عربية بمثل هذه الحقوق أو الامتيازات في مصر؟ أن هذه اللجان الخاصة بالدعاوي القضائية بادرة خطيرة وهي كما يبدو هدف مبيت منذ العدوان الصهيوني الأمريكي أنه قد يطلب من الدول العربية الأخرى التسليم بوجود هذه الامتيازات أو المحاكم الخاصة ! فهل تخضع اتفاقيات البترول في المستقبل لمثل هذه المحاكم ويكون لها وحدها الحق في الفصل لجميع الدعاوي المالية ؟

الدور الوظيفي

إن اتفاقيات "كامب ديفيد" وضعت النقط على الحروف وأكدت المخطط الإمبريالي الصهيوني كما جاء في كتاب "بعد أن . "تسكت المدافع

يقول الكتاب:

إن النزاع العربي الإسرائيلي في صورته التي عاشتها المنطقة منذ ربع قرن أصبح عينا يعرض مصالح الاستعمار " في المنطقة بأسرها لمخاطر جدية ومن هنا بدأت تبدو حاجة في نظر دوائر استعمارية بعينها لأن تتقمص إسرائيل دور " بيت الخبرة" في المنطقة بدلا من أن تواصل فقط دورها " كشرطي" لحسابها

إن " بيت الخبرة " الذي بشر به المؤلف منذ ثلاث سنوات (قبل عقد الاتفاقيات) تحقق خلال " كامب ديفيد" فكما نقرأ في البند الأولي من المقدمة نجد أن شروط السلام مرتبطة بتحويل موارد الإقليم البشرية في خدمة " بيت الخبرة " أي " خدمة " إسرائيل

ولم تمض أيام على توقيع الاتفاقيات حتى أعلنت " فتح أبواب الهجرة من مصر إلى الضفة الغربية للعمال المصريين العمال الذين أذلوا إسرائيل فوق خط بارليف يخلعون ملابس الجندي ويزدهبون في "ذلة" للعمل في الحقول والمصانع ! الإسرائيلية أما المصانع المصرية فتتكس فيها السلع ويتعطل العمل وتغلق أبوابها

هكذا بدأ "بيت الخبرة" عمله بعد أسبوعين من توقيع الاتفاقيات أما المثقفون الذين تخرجوا في الجامعات فيعملون في مطاحن أوروبا والدول البترولية ويعيشون باعة متجولين في عواصم العالم ليحل مكانهم في البنوك والشركات . عناصر يهودية كما كان الحال قبل ثورة 1952

إن نصوص الاتفاقيات وما أعقبها من تصريحات أجاب على كل منهج التسويات وكشف ما فيه من خداع أو خيانة وفضح حقيقة "بيت الخبرة" ففي كتاب "بعد أن تسكت المدافع" نقرأ ما نصه " بعد الانتهاء من إيجاد التسوية في الشرق الأوسط أي بعد حلول السلام القائم على لعدل الذي يزيل أسباب النزاع الأصلية هل في مقدور إسرائيل أن تنهض بدور وظيفي في إطار العالم العربي شبيه بذلك الذي سعت إليه حيال أفريقيا؟ وهل في مقدور الدول العربية أن تقبل هذا الدور "الوظيفي" وأن تري فيه ما يفيد تطور تنميتها مستقبلا لا العكس ؟

هذا هو جوهر الاتفاقيات والذي طرحه الكتاب قبل توقيع الاتفاقيات بثلاث سنوات والغريب أن هذه التفسيرات أو التبريرات لمنهج التسوية نسيت أن التنمية في أساسها عملية حضارية لا يمكن أن تنهض بها دولة تضرب مدارس .. الأطفال بقتابل " النابالم" وتدمر المصانع على عمالها بالصواريخ

إن مثل هذه الأفكار عن دور الإمبريالية في تطور أو تنمية الدول المتخلفة أو الدور "الوظيفي" بالتعبير الحديث هذه الأفكار ظهرت في بداية القرن الحالي ورد على هذه الترهات "لينين" بقوله

الإمبريالية هي عهد الرأسمال المالي والاحتكارات التي تحمل في كل مكان النزعة إلى السيطرة لا إلى الحرية " ونتائج هذه النزعة هي الرجعية على طول الخ. ولمست الدول العربية الدور الوظيفي لكل من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا عندما قررت عصبة الأمم مبدأ الانتداب لهذه الدول على الأقطار العربية

كما يتجاهل أصحاب فكرة "الدور الوظيفي" الصراع الدموي بين قوي التحرر العربي التي تنشد التطور واللاحق بمنجزات العصر والقوي المضادة التي تحاول الإبقاء على التخلف في العالم العربي

فكانت حرب 56 بعد تأميم القناة التي سلبت من مصر وانتزعوا دخلها لعشرات السنين وعندما أمتت القناة لبناء . السد العالي اشتعلت الحرب وكانت حرب 76 بعد القوانين الاشتراكية وتنفيذ خطة التنمية الأولي

وكانت حرب 73 بعد تأميم البترول في العراق وبدء مرحلة التصنيع فهل يمكن أن تتحول "القعدة العدوانية" إلى أداة للتنمية؟

على أي حال أجابت اتفاقيات "كامب ديفيد" على هذه التساؤلات كما كشفت تصريحات كارتر وبيغن عن الأهداف قلن .. يكون الدور الوظيفي لإسرائيل سوي الغزو من الداخل بعد أن فشل الغزو من الخارج

الكم العربي .. والكيف الإسرائيلي

إن أبشع ما أسفرت عنه اتفاقيات كامب ديفيد أنها أقرت المبدأ القائل بأن المواجهة العربية الإسرائيلية هي الصراع بين ! "الكيف الإسرائيلي" و" الكم العربي" أي بين " العبقرية اليهودية "و" القطيع العربي

ففي الخطوة الأولى من مقدمة الوثيقة الأولى كما رأينا نجد النص على استثمار الموارد البشرية والطبيعية وكأنما هذه ! الموارد كانت في انتظار " العبقرية الصهيونية " لاستغلالها

ثم نجد في نصوص الاتفاقيات ما ينص على أنها يجب أن تشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع ...وأنها أساس لما ! يجب أن تكون عليه العلاقات بين إسرائيل وجيرانها

وكانما هذا "القطيع العربي" مساق للخضوع لهذه الاتفاقيات دون إرادة أو رأي .. بل أننا نجد الإصرار والتأكيد على "العرقية اليهودية" و "القطيع العربي" من مجمل نصوص الاتفاقيات التي سلمت "إسرائيل" بكل مطالبها كما أعلنها ! بيغن بينما استسلم السادات وتنازل عن كل المطالب العربية

فهل هناك حقا "عرقية يهودية" و "قطيع عربي" لقد كثر الحديث عن "العرقية اليهودية" و "الكيف الإسرائيلي" . و "قدرات إسرائيل التكنولوجية" وتكاد هذه الخدعة من كثرة ترديدها أن تفرض نفسها كحقيقة

ولنتعود إلى الماضي القديم لتتحدث عما قدمه العالم العربي من حضارات لا شك كنت تابعة من عقول وفكر وقدرات .. بشرية متميزة. ولن نتحدث عن شخصيات عربية. أو مساهمات عربية كانت جذورا لحضارة العالم الحديث

ولكن نتساءل هل كانت "حرب أكتوبر" بين "كم عربي" و "كيف صهيوني" أم كانت في الحقيقة بين "كيف عربي" و "كم استعماري"

وهل العرب هم الذين فوجئوا بعرقية بناء خط برليف أم أن إسرائيل وهي التي فوجئت بالصواريخ تمزق الدبابات وتهوي بالطائرات الصهيونية؟

وهل العرب هن الذين ذهلوا عندما غرقت "البارجة ايلات" بصاروخ أطلق من قارب بحري؟ إن ما سمي بالعرقية "الإسرائيلية" أو شكت أن تستسلم في الأيام الأولى لحرب أكتوبر لولا لجسر لاجوي الذي أمدها به كيسنجر ونيكسون والاحتكارات الأمريكية

وأوشكت الإمبريالية الأمريكية والصهيونية أن تستسلم بعد وصول الإمدادات السوفيتية إلى مصر وسوريا لولا تخاذل السادات ! إن المعركة لم تكن أبدا بين "الكيف الإسرائيلي" و "الكم العربي" ولكنها كانت دائما بين حركة التحرر العربي . والعدوان الصهيوني أو الغزو الإمبريالي

وعندما تأتي اتفاقيات "كامب ديفيد" لتفرض علينا الاعتراف "بالكيف الصهيوني" إنما تحاول أن تفرض خدعة أو .. كذبة لا تقوم على أساس واهن ومصيرها الانهيار

وما يقوم على باطل فهو باطل فالحديث عن التكامل بين "الكيف الصهيوني" و "الكم العربي" سينهار مهما نصت ! الاتفاقيات والمعاهدات فهو يقوم على أساس باطل من الخدع والكذب

وكما سخر العالم من ادعاء "بيغن" بأن أجداده هم الذين بنوا أهرامات الجيزة فإن صحف العالم بل الصحف الأمريكية نفسها بدأت التشكيك في جدوى اتفاقيات "كامب ديفيد" ومجلة "تايم الأمريكية" تقول: "آمال السلام تحترق فوق .. الصحراء .." أما "واشنطن بوست" فقال: "وهذا ليس وقت التفاوض الزائد لا الصعوبات المقبلة خطيرة السلام المزعوم

هل جاءت اتفاقيات "كامب ديفيد" بالسلام؟ وهل ستتعمر مصر أو المنطقة بهذا السلام؟ وتترك صحف العالم الغربي تتحدث قالت "الفيجارو" الصحيفة الفرنسية "كامب ديفيد" لم يعط السلام .. لكن أجل موعد الانفجار

:أما صحيفة "لوموند" الفرنسية فقالت

الاتفاقية التي وقعها كل من الرئيس المصري أنور السادات ورئيس الحكومة الإسرائيلية مناحم بيغن لن تسوي ما "اتفق على تسمية مشكلة الشرق الأوسط

أما وجهة نظر الصحافة البريطانية فتتمثل في أقوال صحيفة "التايمز" التي قالت "كامب ديفيد تجاهلت جوهر الصراع" وقال "الأوبزفر": "إن الاتفاقيات فرصة هشة للسلام

إن الرأي العام العالمي بعد الصراع العربي الطويل أصبح يدرك ويرى حقيقة الصراع في المنطقة. ولهذا لم يصدق أن .. اتفاقيات "كامب ديفيد" تحقق أي سلام

ولهذا تنبأت وكالة أنباء "الاسوشيتد بريس" في تحليل لها بأنه سيطاح بالسادات إذا أصر على تنفيذ اتفاقيات كامب ديفيد وقالت "الوكالة" أن أمريكا أرادت أن تنقل مبادرة السلام من "كامب ديفيد" إلى العالم العربي ولكن جاء وزير خارجية أمريكا ليجد أن السادات يقف وحيدا مع اتفاقيته

تمخضت اتفاقيات "كامب ديفيد" عن حل يشعل المنطقة ولا يأتي بالسلام كان السادات يقسم وبعد الوطن العربي "ومجلس الشعب في مصر بأنه لا حل منفردا

فأحنث في وعده وفي قسمه وإذا كان السادات قد حاول إيهام الجماهير في مصر بأن المبادرة كانت "حدثا تاريخيا" فإنه لا يستطيع الادعاء بأنه لم يعقد حلا منفردا

.. لم توقع دولة عربية واحدة على الاتفاقيات

لم تعلن دولة عربية واحدة تأييدها للاتفاقيات

. لم يشارك أى طرف عربي في المفاوضات

وبعد فمأذا يكون الحل المنفرد إذا لم تكن اتفاقيات "كامب ديفيد" حلا منفردا بل حل فردي "فرد واحد" أراد إملاء إرادته على شعب مصر وعلى الأمة العربية بملايينها التي تجاوزت لمائة مليون خرج على إجماعها عندما حطم . "اللاءات الثلاثة" التي أجمعت عليها الدول العربية في مؤتمرات الخرطوم . والرباط . والجزائر

وقبل أن يذهب إلى " كامب ديفيد" أعلن عن إقالة وزرائه وشكل حزبا جديدا هرول إليه أعضاء حزب الحكومة المنحلة . فلا مساندة عربية ولا تأييد مصري

وللمصريين كلمة

منذ أعلنت "المبادرة" المشنومة هب الشعب المصري في غضبة واحدة صارخا ضد هذه "الخطوة" وعندما أعلنت اتفاقية " كامب ديفيد" تصدت مصر بقياداتها السياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار تندد بالاتفاقيات داخل مجلس الشعب أو خارجه رافضا الانقياد للسياسة الأمريكية الصهيونية

أدان أعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو في بيان وجهوه إلى السادات اتفاقيات "كامب ديفيد" وألزموه حانطا عندما . لخصوا أقواله وتعهداته في المذكرة

هناك فرق بين سلام صحيح فيه عدل وأمن ومحافظة على السيادة الوطنية يرجع لحق إلى أصحابه ويوفر الأمن لهم وبين سلام خادع لا الحق فيه عاد ولا الأمن استقر ولكن يضيع فيه كفاح الماضي وأمل المستقبل وحتى لا نتجني على أنفسنا ولا على أحد فإننا نذكر أنفسنا ونذكرك بأقوالك وتصريحاتك بتعهداتك في مناسبة داخلية أو خارجية للمواطنين هنا في الاجتماعات العامة أو في مجلس الشعب أو في اللجنة المركزية أو مع قادة الأمة العربية في مؤتمرات القمة أو في رسائلك إليها أو في مباحثاتك معهم أو في لمنظمات الدولية والأفريقية والأوروبية أو في منظمة دول عدم الانحياز . أو في الأمم المتحدة أو في مجلس الأمن حيث اقتنع الجميع بصدق حقنا وعدالة قضيتنا

:وتتلخص أقوالك وتعهداتك في الآتي

عدم التفريط في أى شبر من الأرض العربية التي احتلت في يونيو 1967 ووجوب الانسحاب الإسرائيلي من كافة هذه الأراضي وهي القدس والضفة الغربية غزة والجولان وسيناء

. أنه لبلوغ السلام الدائم يجب أنتحل المشكلة الفلسطينية

. أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني

. أنه لا يمكن توقيع اتفاق سلام منفرد مع إسرائيل لما يجره من ويلات على الأمة العربية

إن الأساس الأول لمواجهة عدونا واستعادة حقوقنا الآن وفي المستقبل كله هو وحده الصف العربي وأن الثغرة الرئيسية التي يمكن أن ينفذ منها العدو هي تمزيق هذه الوحدة

ولقد أصابتنا اتفاقيات كامب ديفيد بمفاجأة شديدة لأنها تتناقض مع كل ما سبق .واصدر " التجمع الوطني التقدمي الوحدوي " عدة بيانات تشجب الاتفاقيات وكان الحزب قد اصدر بيانا حول "مؤتمر كامب ديفيد" قبل توقيع الاتفاقيات .. أوضح فيه عددا من الملاحظات

الملاحظة الأولى أن رحلة القدس وما أعقبها من اتصالات ومفاوضات حملت معنى التنازل من الجانب المصري فيعدد من القضايا الإستراتيجية دون مقابل مثل الاعتراف الكامل بإسرائيل وبمطالبها المنية والعسكرية والسياسية وتطبيع العلاقات

الملاحظة الثانية أن الجانب الأمريكي ظل "وما يزال" يحث الجانبين نظريا على إبداء مزيد من المرونة في مواقفهما . في حين انه من الناحية العملية يدعم الموقف المتعنت الإسرائيلي بمزيد من المساعدات العسكرية والاقتصادية

والملاحظة الثالثة . أن هذه الاتصالات والمفاوضات المباشرة قد انحصرت محليا ودوليا في أطراف ثلاثة فقط هي مصر وإسرائيل والولايات المتحدة الأمر الذي يناقض طبيعة الصراع المتعدد الأطراف والأبعاد وكتب " عمر التلمساني " في "مجلة الدعوة " الناطقة بلسان الإخوان المسلمين

قائلا: أين الانسحاب الكامل إذا كنا لا نتمتع بحرية إقامة المطارات المدنية والعسكرية في سيناء كلها وكيف لا نستطيع قواتنا حرية التصرف إلا في حدود خمسين كيلو مترا شرقي القناة وأتى هذا الشرط لم تترك لنا فيه حرية التنقل .. والتصرف بل علينا ألا نشغل هذه المساحة إلا بفرقة واحدة وأما باقي سيناء فقد ترك للقوات الدولية

" .وأضاف: " ما كنا نظن أن يكون هذا حظنا في الاتفاق ونحسب أنه أمر يجوز رضا المسلمين

وقال بيان الحزب الشيوعي المصري أن " كامب ديفيد " خيانة لمصر قبل أن تكون خيانة لفلسطين والعرب وفي تحليله لنصوص الاتفاقيات قال

. أولا: معاهدة سلام مقابل مجرد وعد على صك استسلام

. ثانيا: احتلال سياسي فوق الاحتلال العسكري

ثالثا: الانسحاب الموعود لا يضع سيناء تحت السيادة المصرية

. رابعا: الخيانة لمصر قبل أن تكون لفلسطين والعرب

. خامسا: كل شئ تحت المظلة الأمريكية وتحت الإشراف الأمريكي

الخلاصة المؤسفة: هي انتصار كامل لعدوان 67 الامبريالي الأمريكي

معارضة شاملة

وشجب القادة السياسيون من جميع الاتجاهات "كامب ديفيد" واعتبروها طعنة للنضال الوطني وخيانة للمسيرة الوطنية وارتفعت الأصوات في مجلس الشعب تندد بهذه الاتفاقيات وأحيطت المناقشات بتكتم شديد ولم تنشرها الصحف رغم أنها تمثل مختلف القوي والتيارات السياسية فيمصر

ولم تكن هذه الأصوات تعكس مجرد آراء أفراد ولكنها عكست مواقف قوي سياسية لها وزنها في الشارع المصري وكان في مقدمة هؤلاء المعارضين الشيخ صلاح أبو إسماعيل الذي يمثل التيار الديني

:فاستشهد بالآيات الكريمة . وبالنضال الوطني والسيادة القومية فقال

إنني أسأل هؤلاء الإخوة الذين يحتجون بالقرآن الكريم أين هم من دم الشهداء الذين دفعنا بهم عبر الثلاثين عاما فباعوا الله أنفسهم وأموالهم رخيصة وثمنا للسيادة يقول البعض دمرتنا الحروب ! ومن الذي قال أن طريق الحروب طريق مفروش بالورود ومن الذي قال أن طريق الحروب مفروش بالحريز ؟ إن الله الذي كتب علينا القتال هو الذي . أخبرنا أن الجهاد سبيل مقرون بالظمأ والتعب والمجاعة

:ثم قال

فعدونا على صلف وبغي وما جنح للسلم وتاريخه طويل في نقض المعاهدات وخرق الاتفاقيات والاعتداء على " الهدنة التي عقدت مرة بعد مرة وما أظن غده إلا كيومه وكامسه ولنكن دائما على حذر

:واستطرد

أن الإسلام فرض القتال دفاعا عن النفس وقد سفكوا الدماء وقد قتلوا النساء والأطفال والشيوخ .. دفاعا عن الأموال وقد انتهبوا دفاعا عن الديار وقد أخرجوا منها أهلها فالآية التي يتعين علينا ان نستضي بها قول الله تعالى :
""واقتلوهم حيث ثقتهموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل

وتحدث النائب ممتاز نصار المستشار السابق ورئيس نادي القضاة السابق فتحدث من الناحية القانونية واعتمد على التحليل القانوني لاتفاقيات " كامب ديفيد" مبينا خطورتها بل ومخالفتها في الكثير من بنودها لقواعد العرف الدولي وقال:- "" إن الاتفاقيتين تضمنتا كلاما كثيرا عن تصورات تمس سيادتنا وأول هذه التصورات في المعاهدة الثانية "المرجمة بصفة خاصة أننا التزمنا فيها بإيجاد علاقة طبيعية مع إسرائيل

:فقد نصت على ما يأتي

وبعد توقيع اتفاقية السلام وبعد إتمام الانسحاب المؤقت تقام علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل تتضمن الاعتراف الكامل بما في ذلك قيام علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية إنها المقاطعة الاقتصادية والحواجز أمام حرية السلع .. والأشخاص والحماية المتبادلة للمواطنين وفقا للقانون

ولا يمكن أن أوفر النمو لإسرائيل بهذه الصورة إن هذا النص يسمح لإسرائيل بالنمو على حسابنا وعلى حساب مصر وهذا ما أخطر منه بصورة قاطعة وملزمة

وتحدث خالد محي الدين رئيس حزب التجمع الوطني ليؤكد أن شروط الاتفاقيات تمثل إخلالا بالسيادة المصرية كما أنها تجعل الحدود السياسية لمصر عند "رفح" بينما تتوقف الحدود العسكرية عند قناة السويس

وقال إن اتفاقيات " كامب ديفيد" ستؤدي إلى نتائج سياسية خطيرة في مسار الحركة الوطنية المصرية والحركة القومية العربية وإن مصر دخلت مع العرب في معركة مصيرية ولا ينبغي لها أن تخرج منها منفردة

:وقال

شركات إسرائيلية تدخل السوق المصري في إطار قانون استثمار رأس المال العربي و الأجنبي وهذه كارثة .ورد " النائب مصطفى كامل مراد الضابط السابق والذي خلع ملاپسه العسكرية ليعمل وكيلا للشركات الأجنبية فقال "هذه ! ليست كارثة ولكنها شئ عظيم

وأكمل خالد محي الدين كلامه ليكشف أسراراً وراء الاتفاقات فقال:- "" أنني أعلم أنه من المطالب التي تقدمت بها إسرائيل في مؤتمر القاهرة في 14 ديسمبر طلبة غربيين جدا رفضتهما مصر في ذلك الوقت ولكن هناك احتمال لعرضهما مرة أخرى .

. الأمر الأول: أن تنزل من برامج التعليم كل الكلمات التي بها عداء لإسرائيل

الأمر الثاني: أن يحذف شرط من شروط المناقصات الحكومية فهناك شرط في شروط المناقصات الحكومية وهو أن من حق الحكومة رفض أى مناقصة دون إبداء الأسباب من أجل الأمن وإسرائيل طلبت إلغاء هذا الشرط

لذلك فإنه يجب علينا أن نضع في الاعتبار أننا أمام عدو خطر وشرس .وتحدث النائبان أحمد ناصر عن الناصريين وأحمد طه عن اليسار وشجبا الاتفاقيات

وأمام هذا الإجماع حل السادات مجلس الشعب ووقفت الولايات المتحدة تتفرج علي العبث بالديمقراطية والحريات في مصر بل مضت تساند السادات وتدعم حكمه دون أن يرتفع صوت في طول الولايات المتحدة وعرضها ليتكلم عن حقوق الإنسان !

مع الأسف كانت الجماهير أكثر حسا وإدراكا بما يببب لها عن قياداتها فأدركت منذ بداية عام 1977 أن مسيرة السادات الداخلية لا بد أن تقود إلى هذا الموقف من الاستعمار الصهيوني الإمبريالي فكانت هبة أو انتفاضة 18,19 يناير التي انطلقت في غياب القيادات السياسية وعبرت عن نفسها بالدم والهتاف " بسقوط السادات " واللغات على حكم الطبقة الطفيلية الخائنة

كانت الانتفاضة امتداد لحركة الطلبة عام 1972 وانتفاضة 68 والحركة الشعبية عام 1950 والحركة الوطنية عام 1946 عندما اسقط الشعب معاهدة صدقي بيغن وأرغم حزب الوفد على إلغاء المعاهدة (المصرية – الانجليزية) . والتصدع لمشروع الدفاع المشترك الأمريكي عام 1951

ثم عبر عبد الناصر عن إرادة الجماهير في التصدي للأحلاف . فكانت انتفاضة 18,19 يناير تعبيرا عن رأي الشعب " في سياسة السادات " واشترك في هذه الانتفاضة عمال القطاع العام في حلوان وطلبة الجامعات فكانوا الطليعة للجماهير الشعبية التي خرجت وانضمت إلى المظاهرات ونفس التحرك حدث في الإسكندرية وامتدت الانتفاضة إلى مدن . القطر من أسوان إلى بورسعيد والإسكندرية كما تجاوب معها الفلاحون في بنادر وقرى الريف

كان إجماعا شعبيا عبر عن نفسه سياسيا واجتماعيا واقتصاديا بالهتافات . فكانت الهتافات تدور جدل سياسة الحكومة . المعادية للجماهير الشعبية

الصهيوني فوق ترابي

.والمباحث على بابي

يا أمريكا لمي فلوسك

بكره الشعب العربي يدوسك

إحنا الطلبة مع العمال

. ضد تحالف رأس المال

يا حاكمنا من عابدين

باسم الحق وباسم الدين فين الحق و فين الدين؟

فكانت الجماهير في انتفاضة 18 و19 سباقة إلى إدراك مسيرة السادات وأن خطواته الداخلة هي تمهيد للسياسة . الخارجية في الاستسلام و وتسليم مصر إلى أعدائها

وعلى الرغم من هذا الإجماع الشعبي قيادة وجماهيريا فإن الولايات المتحدة تحدث الشعب المصري وهي تساند . "السادات" لتوقيع اتفاقيات الخيانة في كامب ديفيد

اتفاقيات سرية

لم تكتف الولايات المتحدة بتوقيع " اتفاقيات الكامب " بل تمادت لتوقيع اتفاقات سرية لم تعلن في وقتها وإنما أرجئ نشرها إلى وقت لاحق وأعلن في " مدريد " نص 3 اتفاقيات سرية بين مصر وإسرائيل وأمريكا حول التعاون العسكري .. والسياسي

وقالت صحيفة " بايس " أن السادات التزم بموجب الاتفاقية الأولى التي وقعها مع مناحم بيغن رئيس الوزراء الإسرائيلي بعدم اشتراك مصر في أى حرب يمكن أن تنشأ بين إسرائيل ودولة عربية أو أكثر وأشارت إلى أن الرئيس المصري التزم أيضا بموجب الاتفاقية بمساعدة إسرائيل في الكشف عن قواعد المقاومة الفلسطينية وتبادل المعلومات الأمنية بين المخابرات المصرية والإسرائيلية واتفق الجانبان كذلك كما ذكرت الجريدة على تبادل وجهات النظر السياسية والعسكرية ومتابعة المفاوضات المباشرة حول قيام تعاون عسكري

وقالت "الصحيفة" أن السادات أعطي تعهدا بعدم إعطاء أى دور للمقاومة الفلسطينية سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة . وبإيجاد قوة تابعة من عناصر فلسطينية الأردن

والاتفاقية السرية الثانية وقعت بين الرئيسين السادات وكارتر وتنص على إرسال خمسة آلاف فني ومستشار عسكري أمريكي إلى مصر للعمل في قواته المسلحة كما التزمت الولايات المتحدة بحماية حكم الرئيس المصري والعمل على خلق مشاكل بين القطر العربية لتخفيف الضغط عنه .

وقال الصحيفة أن الاتفاقية الثانية تدعو الولايات المتحدة إلى الضغط على الأقطار العربية التي توصف بالمعتدلة لحملها على دعم اتفاقيات " كامب ديفيد " بشكل مباشر أو غير مباشر .

وأضافت الصحيفة انه وفقا للاتفاقية الثالثة بين الولايات المتحدة وإسرائيل ستقدم الولايات المتحدة إلى تل أبيب قروضا مالية وأسلحة عسكرية متطورة خلال السنوات الخمس المقبلة واتفق الطرفان أيضا على متابعة مباحثات لتوقيع معاهدة .. دفاع مشترك

وبعد أسبوعين من نشر هذه الاتفاقيات السرية كشفت مجلة " نيوزريك " الأمريكية الصادرة في 16 أكتوبر (تشرين الأول) عام 1978 عن سلسلة من الاتفاقيات السرية وقعها أنور السادات وجيمي كارتر ومناحم بيغن أثناء مباحثات . كامب ديفيد

وقالت "المجلة " نقلا عن مصادر أمريكية موثقة أن هذه الاتفاقيات ستؤدي إلى زيادة الدور الأمريكي في المنطقة بشكل حاسم

و:أضافت إن الاتفاقيات تضمنت النقاط التالية

" إعادة انتشار القوات المدرعة المصرية الموجودة في سيناء ونقلها إلى مكان آخر بعيدا عن القوات الإسرائيلية

. توسيع التعاون بين المخابرات المصرية والصهيونية لإفشال أى تحرك شعبي

تخفيض الجيش المصري إلى نصف حجمه الحالي وإعادة بنائه بمساعدة الخبراء الأمريكيان ليكون جاهزا لتنفيذ . مهام محددة في أفريقيا

وأكدت المجلة أن كارتر اشترك بموجب هذه الاتفاقيات السرية أن يكون تسليم الأسلحة الثقيلة على نظام السادات . مرتبطا بمدي تنفيذه لبنود اتفاقية "كامب ديفيد" وتوقيع اتفاق " السلام النهائي " مع الكيان الصهيوني

وتعهد كارتر بأنه في حالة قطع المساعدات العربية عن نظام السادات ستقوم مجموعة من الدول الغربية بتعويض هذه المساعدات بإشراف أمريكا .

وبموجب هذه الاتفاقيات ستقوم الولايات المتحدة بتزويد الكيان الصهيوني بالتكنولوجيا الأمريكية الحديثة التي تمكنه من وضع أسلحة متطورة إضافة إلى تلبية جميع احتياجاته من الطائرات الأمريكية النفاثة المقاتلة من طراز " ف 15 " و " ف - 16 " والتي سبق أن طلبتها حكومة العدو .

وأكدت صحيفة " لو موند " هذه الأنباء وقالت أن عدة اتفاقيات سرية وقعتها المشاركون بمؤتمر " كامب ديفيد " لتسهيل الدور الذي ستلعبه الولايات المتحدة في المنطقة

. وأجرت مجلة " تايم " الأمريكية لقاء مع مناحم بيغن بعد توقيع اتفاقيات " كامب ديفيد " وكان السؤال الأول

لم يتنازل أى شخص في مؤتمر كامب ديفيد عن مبادئه , ولقد قدم الوفد الإسرائيلي خطة سلام وبقي الوفد الإسرائيلي مصرا عليها طيلة فترة المفاوضات

. وتحققت على أى حال ونحن لم نطلب من أحد أن يتنازل عن أى مبدأ يؤمن به

على السادات تنازل عن مطلبه وهو إعادة جميع الأراضي العربية المحتلة ؟

. لا أستطيع أن أتكلم عن السادات

ثم قال بيغن خلال الحديث

"إن اتفاقية كامب ديفيد تعد انقلابا حقيقيا بل تعد ثورة في الشرق الأوسط "

ويكشف لنا الحديث أن إسرائيل لم تقدم تنازلا واحدا من خط العدوان التي قامت عليها والتي فرضت على العرب القتال في نفس الوقت يري بيغن أن السادات لم يتنازل عن مبدأ يؤمن به فكل ما وقعه السادات كان نتيجة للتسلسل الطبيعي لأفكاره كإرهابي وحليف للنازيين وعضو في الحرس الحديدي الملكي

أما ما من به الشعب في مصر والوطن العربي فهذا شئ آخر لم يؤمن به السادات وإبالفعل كانت " كامب ديفيد " تمثل انقلابا حقيقيا كمال قال بيغن انقلابا ضد الشعب المصري وضد حرك التحرر العربي وهي ثورة أيضا ولكنها ثورة مضادة

تحمل كل أبعاد الخيانة للنضال الوطني الطويل منذ هب الشعب المصري ضد الشركات الأجنبية وبنوك النهب الصهيوني . عام 1875

الفصل الخامس: عود روتشيلد

أهل البنوكا والطيان

صارو علي الأعيان اعيان

وابن البلد ماشي عريان

ممعاه ولاحق الدخان

"عبد الله النديم عام 1881"

في حركة " مسرحية " بعد عودته من زيارته المشنومة للقدس وقف السادات في مجلس الشعب يخطب مبررا الزيارة :قائلا

ماذا أقول لشعبنا شعب مصر الشهداء مصر التضحيات ماذا أقول للشعبي الذي تحمل عن الأمة العربية من المحيط " إلى الخليج أثقل أعباء البذل والعطاء حتى التضحية بالقوت

وقال:

لماذا ضحينا بأكبر نصيب من دخلنا القومي بل ضحينا بقوتنا اليومي ولا نزال نضحى لكي نشترى السلاح المتطور " ونحن أحوج ما نكون لكل مورد مهما صغرت قيمته ؟"كنت أريد للزوجة ألا تترمل للطفل ألا يتيم وللآباء ألا يفقدوا " أبناءهم

وكان السادات قد استهل بخطابه بصرخات هستيرية يردد " لن تنحني أبدا هذه القامة إلا للشعب.ولن تركع أبدا هذه "القامة إلا لله ؟

كانت الصحف العالمية قد انتزعت صورة للسادات من بين المصلين ومن مراسم الصلاة في القدس. وأظهرته "راكعا" وإذ تغاضينا مؤقتا عن قضية شراء السلاح والتضحية بالقوت التي أظهرت الأيام خداعها فشراء السلاح لم يتوقف وإن . كان قد تحول إلى تجارة واستمرت التضحيات بقوت الشعب حتى جاع

أما التباكي من أجل الأرامل واليتامى فظهرت الحقيقة بعد أن جعل السادات من الجيش الوطني مجموعات من المرتزقة . تحارب في زانير وضد ليبيا وتشارك في ضرب الحركة الوطنية في عمان والسودان

وأعلن السادات أنه على استعداد لإرسال القوات المصرية إلى أى مكان في أفريقيا أو آسيا دفاعا عن الشركات الاحتكارية بل وأرسل السلاح والرجال إلى أفغانستان لدعم عصابات الإقطاع والاستعمار. وخطر من ذلك كله أنه وضع مصر كلها نساؤها وأطفالها ورجالها في مرجل الصراع العالمي بعد أن سمح بالقواعد أو التسهيلات الأمريكية في مصر .

ويبقى السؤال الهام

هل تحمل الشعب المصري التضحيات عن الأمة العربية أم دفاعا عن نفسه ومن أجل تحررها؟

وهل كان الصراع المصري الإسرائيلي صراعا عربيا تورطت مصر فيه دون أن يكون لها مصلحة في المعركة؟

فهل مات من مات هباء؟ وهل كل ما بذلنا راح وانتهى؟ الدم.والمال والأيام الحزينة والأيام المجيدة؟

الشهيد أحمد عبد العزيز وعبد المنعم رياض وآلاف الشهداء والعلم المصري على " بارليف " وهل كان هذا كابوسا ثقيلًا. أم كان وهما وخبالات مريضة؟ وهل كان حقا " عقدة نفسية" كما كان يقول السادات؟

وهل حقا سيسود السلام مصر؟

وهل سيعم الرخاء مصر؟ وهل سيجد الإنسان في مصر كل ما يحلم به من مسكن ومواصلات ومعيشة لائقة؟

وهل كانت الحرب استنزافا لثروة مصر. أم دفاعا عن حباتها؟

هل كل ما قدمته مصر كان من أجل فلسطين أو دفاعا العربية؟ ثم ماذا نالت مصر بعد كل ما ضحت به من مال ودماء وشهداء ؟

:السؤال الأول

هل كانت مصر تدافع عن فلسطين؟

:قبل الغزو الفرنسي لمصر في بداية القرن الماضي نشرت في فرنسا رسالة لأحد أعضاء الطائفة اليهودية جاء بها

أنا أقترح احتلال بلد باذن فرنسا يشمل مصر الأسفل وكذلك منطقة تمتد حدودها من عكا إلى البحر الميت ومن الطرف " الجنوبي لهذه البحيرة إلى البحر الأحمر

:ويحدد صاحب الرسالة أهداف هذا الاحتلال فيقول

إذا شغلنا هذا الوضع الذي هو أنفع وضع في العالم نصبح بفضل الملاحة في البحر الأحمر ملوك التجارة في الهند " والبلاد العربية وأفريقيا الجنوبية والشرقية ولحبشة.أى هذه البلدان الفائقة الغني

ثم يأتي نابليون يغزو مصر ويقوم بأول محاولة جدية لاستعمار فلسطين بإسكان اليهود فيها لتحقيق أهدافه الإستراتيجية .

وتفشل محاولة نابليون بعد فشل حملته على مصر وتبدأ محاولات الاستعمار البريطاني وفي عام 1840 يقترح "اللورد بالمرستون " إقامة مستوطنات يهودية في الأرض المقدسة تعمل على مساندة الإمبراطورية العثمانية التي كانت .. انجلترا تدعمها في صراعها ضد مصر وفرنسا

:وفي رسالة "بالمرستون" التي وجهها إلى السفير الإنجليز في الأستانة نقرأ

يري اليهود المبعثرون في شتي أرجاء أوروبا أن الوقت قد حان لعودتهم إلى فلسطين تحت حماية السلطان وإذا " عاد هؤلاء إلى فلسطين فسيصبح في إمكانهم أن يساعدونا في القضاء على أطماع محمد علي باشا أو أطماع ورثته

ولم تكن رسالة "اللورد بالمرستون" مجرد أمنيات ففي نفس العام نشرت صحيفة "التايمز " الانجليزية وفي مقال " افتتاحي " تنفيذ خطة لتوطين "اليهود" في أرض أجدادهم وأن يتم ضمان حقوق وامتيازات المستوطنات اليهودية بإعلان إحدى الدول الأوروبية الكبرى لها وطبيعي أن تكون تلك الدولة بريطانيا العظمي ..كانت فكرة الغزو الاستعماري . والبحث عن الأسواق وموارد المواد الخام قد أصبحت سمة النظام الرأسمالي

وهكذا بدأت قصة الصراع منذ أكثر من مائة وثمانين عاما كانت مصر هي الهدف دائما من إقامة وطن لليهود في فلسطين ..وكانت فلسطين منذ القدم هي الطريق الذي يزحف العدو عليه ليصل إلى مصر.وكان الدفاع عن فلسطين دفاعا عن مصر .

من فلسطين زحف الهكسوس والتتار والغزو العثماني .. وكل قوة طاغية طمعت في مصر جاءت عن طريق فلسطين . وكان دفع فلسطين دفاعا عن مصر وصدأ للغزاة .

ولم تكن مصر وحدها هي الهدف التالي بعد احتلال فلسطين بل نجد سوريا في نفس الموقف ويصرح أحد عتاه :الاستعمار الجنرال " جورج غاولر " عام 1853 داخل البرلمان البريطاني

إن العناية الإلهية وضعت مصر وسوريا في طريق بريطانيا إلى أهم مناطق تجارتها الخارجية لاستعمارية إلى الهند " ولصين والأرخبيل الهندي وأستراليا ينبغي لبريطانيا أن تجدد سوريا بواسطة الشعب الوحيد الصالح لأداء هذه الرسالة . والذي يمكن استخدامه بصورة دائمة وفعالة أى بواسطة أبناء هذه الأرض الحقيقيين " أبناء إسرائيل

:كانت العراق أيضا في المخطط الاستعماري وصرح تشرشل عام 1917 في دفاعه عن وعد بلفور

هذا الوطن القومي لليهود الذي سيكون في حاجة إلى الدفاع عن نفسه ضد الامتداد العربي الواسع سوف يبقى " دائما في أحضان الغرب الذي يستطيع في أى وقت أن يستعمله كقاعدة للعمل ضد أى تهديد للمصالح البريطانية في " مصر من ناحية أو في العراق من ناحية أخرى

:أما الهدف الصهيوني فيعرضه " تيودور هيرتزل" في كتابه " الدولة اليهودية بقوله

إن الدولة اليهودية في فلسطين ستكون جزءا من الحصن الأوروبي لمواجهة لقارة الآسيوية وسنكون نحن أس " الحربة للحضارة ضد الهمجية

: " ويؤكد هذه النظرة الصهيونية للعرب قول "بن عريون" الذي ذكره الكاتب الإسرائيلي " أوبري هور

لم يكن بن غوريون يولي اهتماما كبيرا للعرب لقد كان يحتقر طريقة الحياة العربية ويحذر علنا من خطر أن تصبح " إسرائيل دولة من دول المشرق كالعربية لسعودية أو العراق

لم تكن محاولات الصهيونية قاصرة على الإمبراطوريتين الفرنسية والانجليزية ... بل لجأت إلى ألمانيا فقابل "هيرتزل" "مستشار الرايخ الألماني" بسمارك

: وفي عام 1895 كتب هيرتزل إليه

إذا كان مشروعى سابقا لأوانه فأني أضعه تحت تصرف الحكومة الألمانية وفي إمكانها استخدامه في الوقت الذي " تراه ملائما أى أن الصهيونية منذ بدايته كانت تضع خدمتها تحت تصرف أى قوى عدوانية ضد العرب

وعندما حاول هيرتزل أن يتحدث مع سلطان تركيا من أجل دولة مستقلة في فلسطين كان رد السلطان

انصحوه أن لا يتقدم خطوة خري في هذا المسعى . فإن لا أستطيع ن أبيع شبرا واحدا من هذه الأرض فهي ليست " رضي بل أرض الرعية فليحتفظ اليهود بملايينهم وإذا تجزأت هذه الإمبراطورية فسيصبح بمقدورهم الحصول على " فلسطين مجانا ولن يملوا إلا فوق جثتي

فلم يكن الشعب الفلسطيني إلا ضحية مسيرة الاستعمار إلى مصر ولم تكن فلسطين إلا مقدمة للزحف الإمبريالي على . العالم العربي

الحرب ... والسلام

هل كانت الحروب ضد الصهيونية استنزافا لموارد مصر؟ وهل الغلاء الفاحش والاقتصاد المنهار في مصر نتيجة استنزاف الحروب لمواردنا؟

من الطبيعي أن الحروب تستنزف مالا ودما وطوال الحروب الأربعة من عام 1948 حتى 1973 كان الشعب يدفع من .. عرقه ودم أبنائه وكان يدرك أن هذه الحروب مفروضة عليه فكان يدفع بسخاء دفاعا عن أرضه ومستقبل أبنائه

وكان الشعب يدرك ويشعر أنه ليس أقل من شعب فيتنام الذي دفع مليوني شهيد .. ودمار وخراب في كل المدن . والقرى وحياة أقرب إلى المجاعة ... ومع ذلك صمد ولم يستسلم

ولكن في عالمنا العربي ارتفعت أصوات الهزيمة والاستسلام من فئة المترفين التي كانت تستمتع أثناء القتال بكل ما ..يقدمه شارع الهرم من ملذات وشهوات حقيرة ولكن فئات المترفين تريد المزيد

ومن المؤلم أن هذه الأصوات ارتفعت في عالمنا العربي بعد أن لمست ورأت هزيمة أمريكا أما الشعب الفيتنامي .. وتعترف بحقوقه وتسلم بسيادته

ومع ذلك يبقى السؤال

هل يأتي السلام المزعوم أو الاستسلام بالرخاء؟

عندما دخل نيكسون القاهرة غازيا بعد اتفاقية سيناء الأولى سرت الدعايات ودبجت المقالات بالعيش الرغد وأمنيات
! الرخاء

فماذا حدث؟

بعد حربين حرب 1956 وحرب 1967 إلى نهاية عام 1970 وكانت مصر قد استعادت قوته للحرب الثالثة كانت
الديون التي تتحملها مصر أربعة آلاف مليون دولار مدنية وعسكرية على أقساط طويلة وبسعر فائدة لا يتجاوز 2,5 في
المائة .

أما الدين القصير الأجل فكن في حدود 104 مليون جنيه وبفائدة تتراوح ما بين 10 إلى 14 في المائة. هكذا قالت
الأرقام الرسمية للبنك المركزي المصري في تقرير صادر في يناير عام 1968. وكل هذه الديون لم تبلغ نصف الدين
التركي عندما كانت تركي تسير في ركاب أمريكا وتله وراء الاقتصاد الحر

فماذا حدث بعد الاستسلام وسياسة الانفتاح ودخول نيسكون القاهرة في عقاب حرب أكتوبر؟

في مايو 1977 أعلن القيسوني أن جملة ديون مصر المدنية حتى 31 ديسمبر 1976 بلغت 12 مليون دولار ! أي
ثلاثة أضعاف ما استدانته مصر بعد حربين وبعد بناء السد العالي ومجمع الحديد الصلب وعشرات المصانع الإنتاجية

كيف حدث هذا؟

الأرقام تقول أن الديون القصيرة الأجل لم تتجاوز 200 مليون دولار عام 1970 بلغت بليون دولار عام 1976 وكلها
ديون للبنوك والموردين وفانديتها 20 في المائة

ويدخل ضمنها شراء صفقة " البوينج " المشبوهة. وصفقة سيارات الأوتوبيس من إيران التي أثرت فضيحتها في
مجلس الشعب وصفقة الحديد المسلح من أسبانيا

ويقول القيسوني في صراحة

هذه الديون تكون قصيرة المدة تكون مرتفعة الفائدة بل إنها في بعض الأحيان تكون أكثر كلفة لأن بعض الموردين " ينتهز فرصة تمويله البضاعة أي يوردها فيرفع سعرها فنخسر مرتين أولا خسارة في سعر البضاعة وثانيا نخسر بسبب ارتفاع سعر الفائدة .. أما الديون الطويلة الأجل فهي للحكومات وكما قال القيسوني أصبحت أمريكا تقدم ألف مليون ! دولار كل عام

وفي ظل السياسة الجديدة تدفقت البنوك الأجنبية على مصر وحتى مارس 1977 كانت البنوك التي لم يزد رأسمالها عن 36 مليون جنيه قد أودعت في فروعها بالخارج 160 مليون جنيه تم نهبها من دم وعرق الشعب المصري

أما فضائح الشركات الأجنبية والصفقات المريبة التي أثرت في مجلس الشعب وعلى صفحات الصحف فلم يتم التحقيق ! في واحدة منه حتى الآن

فضيحة شركة لوكهيد .. فضيحة الحديد المسلح وهضبة الأهرام .. وعندما أثرت في مجلس الشعب قصة " القط السمان " لم يحاول أحد من المسؤولين أن يرد على النائب الدكتور أحمد قطب؛

عندما قال :

أريد أن أعرف من هم القطط السمان : إن قطط مصر لا يعرفهم " والقطط السمان " هم الخمسمائة مليونير الذين " ظهروا في مصر مع بداية عصر الانفتاح وكذلك لم يحصل النائب زكريا البري على جواب عندما سأل: " هل الـ 2000 مليون جنيه عمولة من دم الشعب قانونية أم غير قانونية

إن طبقة جديدة في الطفيليين تتطلع إلى عودة الصهيونية إلى مصر لتعمل في خدمتها وتشاركها الأرباح. فكما كان صدقي "باشا" عدو الشعب وعضو مجالس عشرات من الشركات الصهيونية يرفض أن تحارب مصر عام 1948 يظهر . الآن على سطح السفينة الغارقة " قطط سمان " يتطلعون إلى عضوية الشركات الصهيونية وخدمتها

رخاء أم دمار؟

لماذا كانت الحروب .. لماذا كانت التضحيات بالأرواح والأموال ؟ كان نهب مصر هو الهدف منذ البداية واشتركت الصهيونية والاستعمار البريطاني في عملية النهب البشع. وكانت صفقة بيع أسهم قناة السويس عام 1875 أعظم صفقة . عقدها اليهود لصالح بريطانيا

كانت هذه بداية التسلط البريطاني على مصر ثم على العالم العربي وعندما أمت مصر القتال التي كانت تدر ملايين الجنيهات للرأسمالية العالمية و الصهيونية قامت إسرائيل بالوفاء بوعدها الذي أعلنه " وايزمان " عام 1914 وأعلن فيه أن اليهود إذا أنشئ الوطن القومي سيقومون بتشكيل حراسة فعالة للغاية لقناة السويس

فلم تكن حرب 1956 سوي عدوان مدبر داخل الإطار المرسوم لدور إسرائيل في المنطقة فلم تكد مصر تعلن استرداد القناة واستعادة أموالها المنهوبة حتى قام كلب الحراسة بدوره في المخطط الاستعماري

وكذلك كانت حرب 67 نتيجة تأميم الشركات والبنوك والمؤسسات التي كانت الصهيونية تملك أكثر من ثلثها وكان الباقي موزعا على الرأسمالية العالمية والرأسماليين الكبار في مصر

كانت الحروب ضد الصهيونية من أجل التصدي للنهب الاستعماري واسترداد حق الشعب في روته كانت حروبا وطنية .. من أجل التحرر الاقتصادي والاستقلال الوطني

وخلال هذه المرحلة الوطنية الشاقة تم وضع الأسس لانتقال مصر من مجتمع زراعي متخلف إلى مجتمع صناعي متطور وخرج الآلاف من أبناء القرى إلى المدن ليحصلوا على التعليم الجامعي الذي حرّموا منه وتحول الجيش المصري من جيش محترف للقتل بهاجم ويحاصر العمال والمصانع والقرى والمزارع إلى جيش وطني يدافع عن شعب .. مصر ويحمي تطوره ويذود عن أرضه وثرواته

وعندما ارتفع العلم المصري فوق خط " برليف " لم تدمع عين أم الشهيد ولم يشرد ابن البطل .. ولم يبك والد على .. ولده بل ارتفعت الهامات كأروع ما تكون لحظات الخلود للشعوب

وكما يحدث في السينما عندما يقوم المنتجون بإعادة إخراج أفلام الرعب والأفلام البوليسية تحت عنوان " عودة دراكولا " أو " عودة كينج كونج " شهدت القاهرة عودة روتشيلد " و " عودة عدس

:وقد يقال

هل هناك من جديد؟ بعد دخول بيغن وموشي ديان إلى القاهرة أليس طبيعيا أن نشهد " عودة روتشيلد "؟

إن عودة روتشيلد تعني استكمال الضلع الثالث في مثلث الرعب الصهيوني الضلع الأول تمثل في الحرب والعدوان واحتلال فلسطين بالقوة.ثم التوسع

الضلع الثاني تمثل في المفاوضات أى العمل السياسي وفرض شروط الانفتاح الاقتصادي وفتح الحدود أمام القراصنة اليهود..ويأتي الضلع الثالث ليطبق على العالم العربي في شكل الغزو الاقتصادي الذي يحمل رايته المليونير الصهيوني روتشيلد.

والمشكلة لم تعد مصر وحدها بل كل الشعب العربي ففي اللحظة التي تعاني القاهرة بعد اتفاقيات الكامب من غلاء الأسعار الفاحشة . ونهب الشركات الأجنبية وقضايا الرشوة والاختلاس نجد الحديث في كثر من عاصمة عربية عن " . حلول سلمية جديدة " ومفاوضات واتفاقيات في الطريق

و"روتشيلد" لا يأتي لمصر وحدها فمصر لا تشبع نهم أصحاب المليارات ولكن عودة روتشيلد تعني الغزو الاقتصادي الصهيوني لكل الشعب العربي نهي الشركات وارتفاع أسعار العمولات وتدمير الصناعات الوطنية وفتح الأبواب لتدمير الإنسان العربي خلقيا ونفسي واجتماعيا وبعد ذلك كمال قال روكفلر في رسالته الشهيرة:-" بعد السيطرة " الاقتصادية تأتي القواعد العسكرية

روتشيلد الأول

ما حدث من استقبال " السادات " لروتشيلد في القاهرة أى عودة روتشيلد تعني أكثر من معنى لا نستطيع أن نتبينها . إلا إذا تتبعنا قصة الروتشيلد

كان " ليونيل " روتشيلد . هو العنصر الأساس في قصة أو مؤامرة " السرقة بالإكراه " التي تم بها انتزاع " قناة .. السويس " من مصر ومهدت للاحتلال البريطاني

ففي عام 1875 علم دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا أن الخديوي إسماعيل يريد رهن حصته في أسهم " شركة قناة السويس " وأرسلت بريطانيا إلى الخديوي تهده إذا ما فكر في البيع لغير إنجلترا

وتلقت لندن نتيجة مسعي مندوبها في القاهرة واستعداد الخديوي لبيع الجميع سهم مصر مقابل 100 مليون فرنك.. وأسرع " دزرائيلي " إلى روتشيلد يطلب منه دفع 4 ملايين جنيه ثمن أسهم القناة

ثم راح "دزرائيلي" إلى الملكة يزف إليها البشري . فقد أصبح للحكومة البريطانية 44% من أسهم القناة المصرية .. وكان الثمن الحقيقي للأسهم أكثر من أربعة أضعاف المبلغ المدفوع

قد عبر "جلادستون" زعيم حزب الأحرار البريطاني عن هذه الصفقة في هجومه على " دزرائيلي . ومات وهو يحمل دعوة مفتوحة لحضور موائد روتشيلد مساء كل أربعاء

روتشيلد الثاني

في لندن على يد "ليونيل" روتشيلد سرقت بريطانيا قناة السويس عام 1875 ومهدت بهذه السرقة لاحتلال مصر عام 1882 احتلال دام سبعين عاما.. وفي باريس على يد "أدموند" روتشيلد تحولت قري فلسطين إلى مستعمرات يهودية

في نفس العام الذي احتلت فيه بريطانيا مصر قام "أدموند" بزيارة فلسطين ولم تكن هذه الزيارة الأولى أو الأخيرة فقد زاره من قبل سبع سنوات ولكنه في هذه المرة تبرع بثلاثين ألف من الفرنكات سجلها التاريخ باهتمام لقد كانت اللبنة الأولى في إقامة "الوطن اليهودي في فلسطين

كان هذا المبلغ ثمن تهجير الدفعة الأولى من اليهود إلى فلسطين وبدأت عملية التهجير عام 1900 وتكلف إنشاء المستعمرات اليهودية الأولى 70 ألفا من الفرنكات الذهبية

كانت الصهيونية في صراع ومناقشات حول اختيار المكان الذي يصلح وطنا للصهيونية أما أدموند "روتشيلد" فكان رجلا عمليا وترك المناقشات جانبا وبدأ في بناء هذا الوطن في فلسطين

أصبحت مصر تحت نير الاحتلال البريطاني وتحقق السند القوي للصهيونية وأصبح مكتب "أدموند" روتشيلد في شارع .. "لافيت" بباريس مركز النشاط الصهيوني للمشروعات في فلسطين

كانت الخطوة الأولى تهجير اليهود من أوروبا إلى فلسطين وبدأ بترحيل احدي عشرة أسرة كانت هي النواة الأولى للمستعمرات. ثم إنشاء مدرسة الزراعة التجريبية ليخلق من هذه النواة الأولى فلاحين

لم يبدأ بالتجارة أو الصناعة بل الفلاحة إذ أن الأرض تشد الفلاح إليها وبالزراعة يرتبط المهاجرون بالأرض التي يفلحونها وظهرت المزارع الجماعية مزارع القمح البرتقال والعنب والخروع وأزهار الزينة وزراعات لا تحتاج إلى .. مساحات واسعة وتعطي محاصيل وفيرة

وشرع في عملية شراء الأراضي من أصحابها العرب مهما كلفه الأمر بالرضي إن أمكن في ظل حكومة الانتداب البريطاني ثم بدأت خطوات التصنيع بتحويل روافد الأردن إلى مشروع "روتنبرج" لتوليد الكهرباء وأسهم فيه البارون .. "أدموند روتشيلد" بمائة ألف جنيه

وقامت صناعات لأسمنت والمنسوجات والروانج وبدأت تجارب الاستخراج من البحر الميت ..وتلي ذلك التجارة وفتح أسواق جديدة في آسيا و أفريقيا وأمريكا اللاتينية

إلى مصر

نال "روتشيلد" النصيب الأول من نهب مصر خلال القروض التي قدمتها الصهيونية إلى خديوي مصر التي مهدت للاحتلال بعد إعلان إفلاس الخزنة المصرية .

وتدفقت العناصر الصهيونية على مصر حتى بلغ تعداد الطائفة اليهودية حوالي 65639 نسمة عام 1947 أى ما يعادل 3 % من السكان .

هذه الأقلية الصهيونية امتلكت ثلث الشركات المساهمة في مصر استغل " اليهود" الامتيازات الأجنبية في مصر بالتجنس بالجنسيات المختلفة فكان كل منهم ينتمي إلى " حماية " إما انجليزية أو فرنسية أو أسبانية وبذلك لا يخضعون للقوانين المصرية عند ارتكاب الجرائم وحتى يفروا من التزاماتهم

كانوا يبدأون نشاطهم الاقتصادي من الصفر دائما أو برأسمال قليل وبأساليبهم التجارية الخاصة سرعان ما يكونون ثروات ضخمة وأنشئوا مؤسسات مالية وصناعية وتجارية وهدفها الأول نهب الشعب المصري وتحويل الأرباح إلى ..الخارج

وامتلكوا الأراضي الزراعية من الفلاحين عن طريق القروض التي كانت تتم بالربا الفاحش. وظهرت عائلات يهودية بأكملها تعمل في مجال المال وحده و في مجال التجارة بالجملة

وفي مجال السمسرة والوكالات التجارية ومن هذه العائلات

عائلة " قطوي " و" عدس " و" رولو" و" جاتينبو" و" مزارحي " و" شيكوريل " و" منشة " .. واستغلت الفلاحين المصريين في الأراضي الزراعية التي امتلكتها. فكانوا يقيمون "القصور" خارج القرى محاطة بأشجار الفاكهة بينما الفلاح لا يجد رداؤه ولا قوته

واستغلوا العمال في المصانع بشع استغلال فلا تحديد لساعات العمل ولا مراعاة لسن الأطفال ولا أجور تتناسب مع تكاليف المعيشة

وفي التجارة سيطروا على تجارة الجملة وتحكموا في الأسعار ونهبوا من الأرباح . كانت عائلة "موصيري" وحدها كمثل تمتلك بنكا عرف باسمها وكنت تملك عدة دور للسينما واحتكرت استيراد الأفلام الخام وطبع الترجمة على الأفلام (الأجنبية وقدرت أرباح هذه الأسرة بما لا يقل عن 300 ألف جنيه سنويا (بأسعار عام 1947

كان عدد الشركات المساهمة في مصر يبلغ 308 شركة لليهود السيطرة والتوجيه على 103 شركات أى نحو 30 % ! من لشركت المساهمة في مصر

وكان اليهود من أحقق السماسرة والمضاربين في سوق الأوراق المالية وجنوا الثروات الطائلة بينما فلس كبار الماليين
لمصريين وأمام تكتل اليهود ومؤامراتهم

حتى في التجارة تقفو مع المصانع لأوروبية من خلال الصهيونية العالمية على الاستئثار بتجارة الجملة وتمكنوا من
ضرب البيوت التجارية المصرية أمثال بيت الماوردي والجمال ومدكور ليحل مكانها محلات شيكوريل وأوروزدي باك
وينزيون ثم أخذوا يسيطرون على جميع تجارة الوارد والصادر حتى أمكنهم أن يطوقوا عنق الحياة الاقتصادية في
مصر .

السيطرة الاقتصادية

:عندما أعلن عبد الناصر

يجب أن تكون المصارف في إطار الملكية العامة فإن المال وظيفة لا تترك للمضاربة أو المغامرة كذلك فإن شركات "
التأمين لابد أن تكون في نفس إطار الملكية العامة صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية وضمانا لحسن توجيهها
" والحفاظ عليها

كان عبد الناصر يعبر عن الإرادة الوطنية ففي ميدان النشاط المالي ساهم الرأسمالي اليهود في إنشاء وإدارة توجيه
البنوك وشركات التأمين وكانوا يمولون بالأرباح التي يبتزونها الحركة الصهيونية

البنك العقاري المصري أسسه ثلاثة من كبار البيوت اليهودية واستطاعت عن طريق ممارسة النشاط الربوي أن تحصل
على ثروات ضخمة وبلغت أرباحه عام 1910 أكثر من مليون ونصف مليون جنيه

. البنك الأهلي المصري يشترك في إدارته هراري وروبير روالو

. البنك التجاري المصري . من أعضاء مجلس إدارته جاك سوارس

. بنك موصيري ويكاد يكون مملوكا ملكية تامة لعائلي كورييل وموصيري

.بنك سوارس

كذلك

شركة الإسكندرية للتأمين وشركة الإسكندرية للتأمين على الحياة وشركة التأمين الأهلية المصرية ويشترك في مجالس إدارتها خمسة أو ستة من اليهود

أعاد السادات البنوك. كما أعادت اتفاقيات "كامب ديفيد" اليهود إلى النشاط الاقتصادي المصري ولعملية النهب الربوي والاستغلالي. وتعود العناصر الصهيونية لممارسة كل نشاطها السابق في نهب الشعب المصري

ففي مجال الاستغلال الزراعي كان لليهود عدد من شركات الأراضي الزراعية التي تقوم بامتلاكها واستغلالها والمضاربة فيها

وفي ميدان استغلال أراضي البناء أقاموا وأداروا عدة شركات لتقسيم الأراضي وبيعها وشراء المباني واستغلالها وإعادة بيعها

. وفي النقل البري والبحري شارك اليهود في إدارة وتوجيه العديد من الشركات

وساهم اليهود في الصناعات الزراعية

. واشترك الرأسمالية اليهود في شركات صناعة البناء وإنتاج مواد البناء ولوازمه

. وفي مجال الصناعات الخفية شاركوا في صناعة الطحين والملح والسجائر والتلج والتجارة والفنادق

وليس هذه سوي نماذج لمجالات النهب التي مارسوها! ونلاحظ أن مجالات النشاط الاقتصادي التي ظهرت بعد سياسة الانفتاح هي نفس مجالات النشاط التي مارسها اليهود قبل ثورة 1952. الفنادق ... والبنوك .. وشركات البناء .. تقسيم الأراضي والاستغلال الزراعي . أي مجالات الربح السريع ونقل الأرباح والأموال إلى الخارج دون أن تترك وراءها أثرا للتنمية أو التطور

!السيادة

تغلغل النفوذ الصهيوني في البورصات والغرف التجارية فكان أمين صندوق الغرفة التجارية بالإسكندرية اليهودي الصهيوني حاييم دره . وكان سلفاتور شيكوريل عضوا بمجلس الغرفة التجارية المصرية منذ عام 1925 وكان أدوين جعار من أكبر المستوردين والمصدرين وكان رئيسا لجمعية التجار المصدرين بالإسكندرية ولجنة بذرة القطن

بل لقد احتل الصهيونيون مركز القيادة والتخطيط للصناعات المصرية فكان يوسف قطاوي باشا عضوا في لجنة التجارة والصناعة التي أفتتها الحكومة في عام 1916 وذلك لدراسة الأسس التي تشاد عليها الصناعة المصرية

وكذلك رأس اتحاد الصناعات المصري هنري نوس بك وكان سكرتير الاتحاد في نفس الوقت دكتور جليغي. وعندما شكلت الحكومة البعثة الاقتصادية المصرية إلى السودان والتي تشكلت من رشوان محفوظ باشا وفؤاد أباطة باشا ضمت إليها اليهودي الصهيوني شيكوريل .

وشارك الصهيونية في السيطرة على الاقتصاد المصري عدد من كبار الساسة المصريين الذين كانوا واسطة لليهود لتسهيل أعمالهم وليكونوا واجهة لهم فكان إسماعيل صدقي عضوا في مجالس إدارة أكثر من ثماني شركات واختير رئيسا لاتحاد الصناعات الذي كانت الغالبية فيه للأجانب واليهود

واشتهر إسماعيل صدقي بلقب "أبو السباع" إذ حكم مصر بالحديد والنار عام 1930 وحاول فرض معاهدة (صدقي - ! بيغن) عام 1947 وكان الصوت الوحيد الذي ارتفع ضد حرب 1948 بدعوي الرغبة في السلام

وكان حسين سري " باشا " عضوا في أكثر من 6 شركات وتولي رئاسة حكومات الملك أو الأقليات. أما حافظ عفيفي العميل الانجليزي والذي رأس الديوان الملكي عام 1951 وقام بانقلاب 26 يناير 1952 فقد فاق الجميع في عضوية مجالس الشركات التي ضمت العناصر الصهيونية

كما نال رشوة العضوية أحمد زيور " باشا " وعلى ماهر " باشا " و" حافظ رمضان باشا " من السياسيين. وأحمد عبود ومحمد فرغلي وعلى يحي من رجال الاقتصاد .إن هذه الطبقة التي تجددت على يد عثمان أحمد عثمان والقيسوني " والسيدة جيهان السادات تفتح ذراعيها من جديد لاستقبال "روتشيلد" و" عدس

في أعقاب مؤامرة أو نكسة 1967 اجتمع روتشيلد المليونير الصهيوني مع عدد من كبار الرأسماليين اليهود لإنشاء معهد لدراسة إمكانيات الاستثمار في العالم العربي. كانوا يتخيلون أن الأمة قد ركعت واستسلمت وأن أبوابها فتحت للغزاة. ورفع عبد الناصر شعار الصمود أما بعد الحرب البطولية التي خاضها الشعب في أكتوبر 1973

تأتي نصوص اتفاقيات " كامب ديفيد " بعد ذلك وتنص

" يجب على الموقعين استكشاف إمكانيات التطور الاقتصادي في اتفاقيات السلام النهائية "

: وتأتي السطور الأخيرة من الوثيقة الثانية لتنص على التالي

وبعد توقيع اتفاقيات سلام وبعد إتمام الانسحاب المؤقت تقام علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل تتضمن الاعتراف " الكامل بما في ذلك قيام علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وإنهاء المقاطعات الاقتصادية والحواجز أمام حرية حركة السلع والأشخاص والحماية المتبادلة للمواطنين وفقا للقانون

وليس هذا فحسب بل تلزم اتفاقية "كامب ديفيد" بمنح إسرائيل امتيازات كالامتيازات التي فرضها الاحتلال البريطاني على مصر عندما أنشئت المحاكم المختلطة ويأتي النص في نهاية الوثيقة الأولى: " يجب إقامة لجان للدعوى الثقافية " في الحسم المتبادل لجميع الدعوى المالية

نهب مصر

جاءت اتفاقية " كامب ديفيد" لتحقيق أحلام عائلة روتشيلد التي أراد أن يحققها في أعقاب نكسة 1967. فإذا عدنا إلى الوراء قليلا سنجد أن " روتشيلد " الحفيد لن يكون أفضل من روتشيلد الجد

أجمعت الدوائر المالية عام 1876 حتى اليوم على أن أضخم صفقة نهب واحتيال حدثت في التاريخ عندما اشترى "روتشيلد" أسهم قناة السويس بـ 4 ملايين من الجنيهات لحساب انجلترا وغطت أرباح الأسهم الثمن المدفوع خلال سنوات تعد على أصابع اليد . بينما استمرت ملكيتها حتى تأميمها عام 1956

لقد صدرت عشرات الكتب من تاريخ النهب الاستعماري لمصر. وكشفت كيف أبتز القانون الصهاينة ثروة مصر وأنقلوها بالديون وكان هذا تمهيدا للاحتلال البريطاني

ولعل كتاب " خراب مصر " الذي ألفه روزنشتين وترجمة الدكتور العبادي أروع ما كتب عن هذه المرحلة التي سبقت الاحتلال ثم أعقبته فكانت أموال وعرق الفلاحين تتدفق على البنوك الأجنبية وتحوّل إلى الخارج بينما سادت المجاعة شعب مصر وكان الفلاحون ينبشون الأرض بحثا عما يسد الرمق

وصرحت حتى الصحف البريطانية من أن عملية ابتزاز المصريين لسد فوائد القروض تجري بطريقة لا إنسانية فالفلاح المصري الذي أثقلته الضرائب يموت جوعا ليس حال الموظف المحدود الدخل أفضل من حال الفلاح

: ثم قالت

" أنهم لا يحلبون البقرة حتى آخر نقطة من اللبن وحسب بل ويمتصون دمه "

فهل نحن أمام مرحلة احتلال جديد؟ بعد الانفتاح وقبل اتفاقيات الكامب بدأت عملية غزو البنوك لمصر مصر فان دوليان 12 مصرفا مشتركا 14 فرعا لبنوك أجنبية 22 مكتبا لتمثيل بنوك أجنبية وكشفت الميزانيات المعلنة وكذلك إعلان

الأرباح أن البنوك الأجنبية حققت أرباحا هائلة بالنسبة لرأس المال بلغت أرباح المصرف العربي الدولي " 24 مليونا . "من الدولارات " وتشيس مانهاتن الدولي " مليوني دولار " ومصر الدولي " مليوني دولار

وهذه الأرباح غير قانونية فرنيس بنك مصر يعلن أن الأرباح المالية التي حققتها البنوك الأجنبية ترجع إلى اشتغالها بعمليات تمويل التجارة الخارجية بينما ينص قانون البنوك الأجنبية في مادته 12 على أن هذه البنوك للأعمال والاستثمار وليس للتجارة بل عمدت هذه البنوك إلى رفع سعر الفائدة على الودائع وشهادات الاستثمار لإغراء المصريين على بيع أسهم الشركات والاتجاه إلى الإيداع

وأدت هذه "الخدعة الاقتصادية" إلى هبوط قيمة أسهم شركات راکتا "الخزف الصيني" و" هيلتون " و" الأسمنت " إلى ما دون النصف بل أحيانا إلى ما يقل عن الثلث كما هو الحال الشركة القومية للأسمت التي هبط سهمها من 11 .. جنبها إلى 360 قرشا

ويتقدم المستثمرون الأجانب إلى شراء الأسهم التي تمثل القطاع العام الذي بناه الشعب أثناء نضاله بدمه وعرقه بأقل من أسعارها الحقيقية ثم تحول أرباحها إلى الخارج

ثم يأتي نهب مصر عن طريق فتحا كسوق للبضائع الأجنبية وتكتب صحيفة " الجمهورية " تقول

ثلاثي جنوب آسيا اليابان . هونج كونج . تايوان هي مراكز للشركات المتعددة الجنسية أغرقوا السوق المصري " بأدوات المائدة الرخيصة الأدوات تعرض في كل مكان في محلات القطاع العام والخاص والبوتيكات والأرصفة

الأسعار رخيصة بالفعل ولهذا نجحت حالة الإغراق بدليل أن المنتج المصري انسحب من السوق وتوقف عن الإنتاج بينما استعد وكلاء استيراد ثلاثي جنوب شرق آسيا لرفع الأسعار بعد أن فرضوا وجودهم في السوق وانسحب " المنافسون !

وهكذا تغلق مصانع القطاع الخاص والعام الوطني أمام الغزو الأجنبي وفي ظل " الانفتاح تدمر صناعات مصر بدعوي " الأمن الغذائي " أو " الثورة الخضراء " ولكي تعود مصر مرة ثانية إلى " مزرعة " كما أرادها اللورد منذ مائة عام !

: في خطاب 23 يوليو عام 1971 قال السادات عن منطقة حلوان

" المنطقة التي كانت مشتي صغيرا أصبحت قاعدة للصناعات الثقيلة التي كانت متروكة للاسترخاء والكسل "

وقال:

" حلوان أكبر قاعدة للصناعات الثقيلة في مصر وفي العالم العربي وفي الشرق الأوسط وفي أفريقيا"

وبعد سبع سنوات من هذا الخطاب تنشر صحيفة "الجمهورية" القاهرية صرخة لأحد رجال مصنع الحديد والصلب يقول !! فيها أن المصنع تحول إلى حديد خرّدة هجره المهندسون والفنيون وتركه العمال. وينفك قطعة قطعة

ثم تأتي محاولة بيع القطاع العام للدواء وتصدي له وزير الصحة السابق وأذاع فضيحة الرشوة التي قدمها تجار الخرّدة " " لتحويل أرباح قطاع الدواء من خدمة الجماهير إلى رصيد للمستثمرين في البنوك الأجنبية

! كان هذا حدث ولم تكن اتفاقيات " كامب ديفيد" وقعت أما بعد " الاتفاقيات " فالمصيبة أكبر

الغزو الصهيوني

والسؤال

ماذا تعني حرية السلع والأشخاص التي نصت عليها الاتفاقيات؟ هل تتسع إسرائيل لهجرة المصريين أو حركة السلع المصرية؟ أم أن المقصود هو بيع جهد العامل المصري في سوق النخاسة الرأسمالية؟ وانتقال الأيدي العاملة المصرية الرخيصة إلى المصانع الصهيونية؟ وعودة اليهود إلى مصر ليحلوا مكان المصريين في الشركات والبنوك الأجنبية؟

لكي ندرك معنى السيطرة والغزو الاقتصادي الجديد للصهيونية لابد من العودة إلى الوراء قبل عام 1952 لنري سيطرت ..العناصر الصهيونية على الحياة الاقتصادية والثقافية في مصر

:كتبت صحيفة " مصر الفتاة" التي كانت تصدر في مصر عام 1939 نقول

" اليهود سوس ينخر في جسم الحياة الاقتصادية والاجتماعية ويهدد كيانتنا بأعظم الأخطار "

ومن الواضح أن الكاتب لم يقصد اليهود كأقلية دينية بل كعناصر صهيونية تنخر في الحياة الاقتصادية وكما يقول مؤلف .. "كتاب " صراع الطبقات في مصر

من المؤكد أن السبب في وصف اليهود كسوس لا يرجع إلى حجم اليهود في مصر لأن عددهم حسب تعداد عام " 1937: لم يتجاوز 62 ألفا مقابل 63 ألفا عام 1827 إنما يرجع هذا النفوذ إلى عاملين هامين

الأول: استغلال الامتيازات الأجنبية

" الثاني الاستعداد الموروث والخبرة بأساليب العمل التجاري

العنصر الأول وفرته لهم نصوص الوثيقة " لكامب ديفيد" والعنصر الثاني أى الاستعداد والخبرة أو ما يسمى "بالعبرية واليهودية " فهذا تكشفها لنا أساليب العمل الصهيوني فهي لا ترجع إلى الوراثة أو الموهبة بل إلى التناسق والترابط الذي تخلقه العناصر الصهيونية بين اليهود داخليا وعالميا وسيطرتهم على كثير من المركز الاقتصادية عالمية . والتجأهم إلى الأساليب الأخلاقية في تنفيذ أهدافهم

فعندما أنشئت المحاكم المختلطة في مصر وكانت مختصة في الديون والمسائل المالية وضعت الصهيونية رجالها حراسا قضائيين على الحجوزات ونصوبهم وكلاء عن أصحاب الديون واشتغلوا بالتصفية والبيع وخرجوا من هذا كله بأموال طائلة وسيطرت العناصر الصهيونية على سوق الأوراق المالية والمستندات العقارية واستبدال النقود ودفع الديون عن . المدنيين الموثوق بهم تحت شروط باهظة ثقيلة لا تطاق يكون من نتيجتها سلب المدين كل أملاكه

في مطلع القرن العشرين كانت هناك بيوت تجارية مصرية كبرى تعمل على أوسع نطاق ولكن سيطرة الصهيونية عن طريق الاتفاق مع البيوت المالية الكبرى .. وكذلك عن طريق الاتفاق مع المصانع الأوروبية وأخذ الوساطة بين المورد . الأجنبي والمستورد المصري تمكنوا من ضرب هذه البيوت المصرية فأخذت في الإفلاس لتحل محلها البيوت اليهودية

ولم يقتصر التخريب الصهيوني على النواحي الاقتصادي والاجتماعية بل تسللوا في المنظمات السياسية وقاموا بدور تخريبي يشع وتولي يوسف أصلان قطاوي وزارة المالية في وزارة الخائن أحمد زيور "باشا" كما سيظهر يوسف . درويش وأحمد صادق (يهودي ادعي الإسلام) وريمون دويك على الطليعة الوفدية

ولم يسلم بنك مصر من تسلل العناصر الصهيونية وسيطرتهم على توجيه سياسته فعندما أراد طلعت حرب إنشاء " بنك مصر، فلسطين " هددت العناصر الصهيونية بسحب ودائعها من بنك مصر . واضطر طلعت حرب إلى التراجع . وعدل من تنفيذ فكرته

وفي مجال الصناعة احتكرت عائلات "منشة ودره وجوزيف سلامة " صناعة الغزل والنسيج والحريز واحتكرت عائلة " شامرمان " تجارة الأدوات الكهربائية البطاريات ومنتجات البلاستيك .. ومن خلال مصر كانت هذه السلع تصدر إلى . بعض البلاد العربية كالعراق وسوريا ولبنان

رأس الرمح

وحققت الولايات المتحدة أهدافها من العدوان الصهيوني على مصر لم تحققه " الهزيمة أو استعمال قنابل النابالم" أو الغارات على المدنيين بل حققه "السادات" نازعا نفسه من مصر ومن الوطن العربي مرتيميا في أحضان الصهيونية والإمبريالية الأمريكية .

"يقول تقرير خاص عن الاقتصاد نشرته الصحف العربية في أعقاب اتفاقيات " كامب ديفيد

"إن الشركات الأمريكية العاملة في مصر باتت تقارب الشركات المصرية وذلك أمر لا يخلو من الخطورة "

وتأتي لغة الأرقام لتكشف لنا عن عملية غزو رهيب أشبه بغزو أسراب الجراد لأرض خضراء جاء ليلتهم كل شئ.بلغ عدد الشركات الأمريكية العاملة في مصر حتى نهاية عام 1977 نحو 206 شركات منها 106 شركات أساسية يضاف إليها 46 فرعاً في محافظات مصر الرئيسية الإسكندرية , بورسعيد والسويس

في رأس القائمة 25 شركة للبترول يغطي مختلف مجالات التنقيب والاستكشاف والاستخراج و التسويق والشحن.يلي ذلك شركات ومكاتب الاستشارات الهندسية وعددها 26 شركة.وتعمل في مصر الآن عشر شركات لتوزيع الأدوية والمواد والتجهيزات الطبية و9 شركات ومكاتب للمحاسبة و7 للخدمات الإنتاجية و6 فنادق و5 شركات لتوزيع الأفلام السينمائية و5 للملاحة و4 للصناعات حتى الخدمات القانونية والطباعة والصيدلة والتجارة تولتها شركات أمريكية ..ووجرز ومساعدوه للخدمات القانونية .. ميد كوربورشن للطباعة .. سكويب وأولاده للصيدلة

فإذا ألقينا نظرة سريعة على أسماء الشركات الأمريكية كمقدمة للزحف الاستعماري على مصر نلاحظ التالي

. أولاً: جميع الشركات الأمريكية الوافدة على مصر هي شركات خدمات أو لزيادة الاستهلاك

. ثانياً: أن جميع هذه الشركات يوجد في مصر ما يماثلها سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص

ثالثاً: أن هذه الشركات جاءت لتنافس جميع الفئات وطبقات الشعب ولتقضي عليها سواء كانت هذه الفئات مهنية أو حرفية أو فنية أو تجارية كما أنها تنافس القطاع العام وتنقل الأرباح من الشعب إلى الخارج

فهل جاء السلام الأمريكي بالرخاء؟

لقد كشف " نهرو" دور الولايات المتحدة لأبنته أنديرا غاندي منذ أكثر من نصف قرن عندما كتب إليها رسائله من داخل السجن وقال

" فهي "أي الولايات المتحدة" تسعى جهدها إلى وضع ثروات البلد تحت إشرافها وتنال حقها من ثرواته "

قبل توقيع اتفاقيات " الكامب " بدأ التمهيد بالحديث عن " الصقور والحمائم " وكما بدأ "الاستسلام" بشعارات " تحييد أمريكا " والتخويف من " القنبلة الذرية" الصهيونية عاد الحديث من جديد بعد الاتفاقيات عن " الصقور والحمائم " ولم يعد هذا الشعار يعني " المعارضة الإسرائيلية " أو " الاعتراف " بل أصبح يتضمن ما هو أبعد مدي وأخطر على حياتنا ومستقبلنا ... ولم تعد كلمة " الحمائم " تعني السلام أو نبذ الحروب بل أصبحت تعني " التطبيع " و" الخضوع "!

عود على بدء

قيل أن التاريخ عندما يعيد نفسه يكون في المرة الأولى مهزلة وفي المرة الثانية مأساة ! فعندما قررت بريطانيا غزو مصر عام 1882 وكان " حزب المحافظين " هو الحاكم هب أعضاء " حزب الأحرار " ينددون بالوحشية

وبالغزو وما أن جاءوا إلى الحكم حتى دعموا السيطرة البريطانية على مصر. وخلال مفاوضات " سعد زغلول " مع الحكومة البريطانية وقف حزب العمال المعارض متعاطفا مع سعد ولكن ما أن جاء "العمال" إلى الحكم حتى أظهروا ! تشددا أكثر من المحافظين

هي " لعبة " معروفة يتقاسمون فيها الأدوار وظلت هذه " اللعبة " مستمرة حتى عدوان 56 عندما عارض حزب العمال ! العدوان ثم صفقوا عندما أعلن " ايدن " احتلال القوات البريطانية لمدينة بورسعيد

فأين كان " الحمائم أو الصقور " خلال فترة الاحتلال التي استمرت في مصر أكثر من سبعين عاما؟ كانوا يتقاسمون " الكعكة " كانوا شركاء في النهب الاستعماري كانوا مساهمين أو أعضاء في مجالس إدارات الشركات التي امتصت دماء المصريين .

وظل الاحتلال البريطاني مخيما على مصر في ظل " الحمائم " و" الصقور " ولم ينته إلا بالمواجهة التي استمدت قواها من قوى الثورة العالمية ومن وعي حركة التحرر الوطني التي نقلت المواجهة من يد الإقطاع والرأسمالية إلى أيدي قوي تحالف الشعب .

وما حدث في وطننا العربي حدث في أوطان أخرى على يد الإمبريالية الأمريكية وتبادل الحزب الديمقراطي والجمهوري الحكم أكثر من مرة ومع ذلك ظل العدوان الأمريكي على فيتنام مستمرا ولم يوقف العدوان حمان الديمقراطيين أو صقور الجمهوريين ولكن الذي أوقفه هو صمود وتضحيات الشعب في فيتنام

:اتجاهان

لا جدال أن الحركة " الصهيونية " تتنازعها عدة اتجاهات اتجاهات دينية واتجاهات اقتصادية واتجاهات سياسية فاشية ولكنها تصب في مصب الحركة العنصرية التي جاءت لغزو الوطن العربي بأهداف محددة

! أولا: حماية أوروبا من "البربرية" العربية أى التصدي لحركة التحرر العربي

!ثانيا: خلق قاعدة صناعية صهيونية في وطن عربي متخلف قانع بالزراعة أو الرعي

ثالثا: أن تكون إسرائيل القاعدة العسكرية القاندة لحلقة من القواعد لحماية نهب الشركات الاحتكارية والدفاع عن المصالح الإمبريالية في المنطقة .

إن هوية الصهيونية الاستعمارية وطبيعتها العدوانية ليست في حاجة إلى برهان. حتى هؤلاء الذين يحملون بإحلال " التعاون" محل " العداء المستحكم " لا يستطيعون إنكار دور الصهيوني قبل انتزاع أرض فلسطين في نهب ثروة الشعب . في مصر وإعلان إفلاسها على يد الخديوي

ولعل ما يحدث في مصر بعد سياسة الانفتاح وتدفق العناصر الأجنبية بما فيها العناصر الصهيونية , وارتفاع ديون مصر إلى 18 مليون دولار . وعمليات النهب التي تمارسها الشركات الأجنبية بما لها من ارتباطات صهيونية يؤكد أن الدور الذي بدأت الصهيونية في استنزاف ثروات الشعب العربي ما زال مستمرا

إن ما هي قصة " الحمام والصقور "؟

. القصة ببساطة تنبع من اتجاهين داخل الحركة الصهيونية

.. الأول: يحلم بامبراطورية صهيونية تمتد من النيل إلى الفرات وتضم كل هذه الأرض الشاسعة

الثاني: يري الاكتفاء بما حصل عليه من أرض فلسطين لتكون قاعدة عسكرية واقتصادية وسياسة تمد نفوذها إلى أعماق الأرض العربية دون أن تحتلها

أصحاب الاتجاه الأول: يؤكدون إمكانية تحقيق أحلامهم بإقامة المستوطنات المسلحة وسط الأرض التي يحتلونها ... أى إقامة قواعد صناعية وعسكرية وسط الريف العربي وبذلك يمكنهم من ضم أوسع رقعة من الأرض العربية إلى . إمبراطوريتهم الموعودة

أصحاب الاتجاه الثاني هدفهم الغزو الاقتصادي ويرون في عملية التوسع في احتلال الأرض عائقا أمام مشروعاتهم التي جاءوا من أجل تحقيقها في نهب ثروات الشعب العربي عن طريق التجارة أو السمسرة ولهذا لا يمانعون في التخلي عن أجزاء من الأرض المحتلة مقابل فتح الحدود العربية أمام انتقال رأس المال والأشخاص .

وأصبح أصحاب الاتجاه الأول اتجاه التوسع ينعنون بالصقور بينما يطلق على " أصحاب الاتجاه الثاني اسم الحمام " وكان الأجدر أن يطلق عليهم اسم " الثعالب

الخلاف

لعل بيغن أصدق من عبر عن منطق "الصقور" جاء هذا اليهودي البولندي إلى عالمنا العربي وعندما وصل إلى شرق " الأردن أول مرة قال عنها "ارثنا وراثنا

ويقول عنها أنها كانت في عهد الرومان مخزن غلال الشرق الأوسط أما اليوم فيراها بيغن "أن المنطقة تكاد تكون خالية تماما " ويتحدث في كتابه " التمرد " عن الدولة اليهودية . والدولة الكبرى ويتغني بكل أعمال الإرهاب وسفك الدماء التي مارسها مع عصابة " الأراجون" ضد الأطفال والنساء العرب

وكما يقول مترجم الكتاب في المقدمة

ليس هناك أصوب من العودة إلى الأسس التي تقوم عليها العقيدة الصهيونية لكشف دعانمها الثلاث وهي

دعوي التفوق العرقي

التوسع لتحقيق إسرائيل الكبرى

. اعتناق العنف كهدف ووسيلة لتحقيق هذا الهدف

"وفلسفة هذا الجناح جناح الصقور يستند في تحقيق أهدافه إلى فلسفة ألمانية فاشية يعبر عنها بيغن " في كتابة التمرد

أنتم الإسرائيليون يجب ألا تأخذكم شفقة أو رحمة عندما تقتلون عدوكم... يجب أن تقضوا عله حتى ندمر ما يسمى " بحضارة العرب التي سوف تشيد على أنقاضها حضارتنا اليهودية

إن هذا الجناح الفاشي في الحركة الصهيونية يتجاهل مسيرة التاريخ تماما ولذلك تركته الإمبريالية الأمريكية ليتلقى الدرس القاسي في حرب أكتوبر ثم أسرعت ثقيله من عثرته لتؤد به وتعلمه أنه ليس " الدولة النازية الجديدة" ولكنه قاعدة تابعة للإمبريالية العالمية في مرحلتها الجديدة وفي ظروف عالم اليوم

جناح " الثعالب " وهو ما يطلق عليه " الحمام " يدركون تماما أن عصر التوسع الاستعماري انتهى وهم يسامون على الاتسحاب من الأرض المحتلة مقابل الاعتراف وفتح الحدود وتغلغل رأس المال الصهيوني في الوطن العربي ..وجناح " الثعالب " يجد في الوطن العربي , من يدعمه بل يتعاون معه ويساهم معه ويتعاون في استنزاف الشعب والحصول على الربح

إن هذا " الجناح " بالتعاون مع بعض العناصر العربية يريد أن ينهي حركة التحرر العربي بإسقاط حجة تحرير الأرض !! وذلك بعودة الصهيونية في حدود 67 وكأنما الغزو الاقتصادي ليس استعمارا

الخلاف بين " الصقور " و" الثعالب " لا يتعدى الشكل ولكنه سرعان ما أصبح في وحدة عندما يبدأ التوسع الاقتصادي أو العسكري .ووجد " الصقور " فرصتهم مع انقلاب 15 مايو ووصول " السادات " إلى الحكم وسواء كان " السادات " على اتصال سابق بالصهيونية أو الولايات المتحدة إلا أن الذي لا شك فيه أن السادات التقى مع بيغن فكبرا فكلهما فاشي الفكر إرهابي الاتجاه .من خلال هذا اللقاء حققت الصهيونية أهدافا لم تخطر على أكثر المتفانين منهم عندما "وقعت اتفاقيات " كامب ديفيد

أهداف الثعالب

لعل أهداف " الثعالب " لم تتكشف من قبل كما أوضحها كتاب " بعد أن تسكت المدافع" يتحدث الكتاب عن دوافع الأمن في المنطقة ويقول أن ما يصح أي التسوية في قطاع من الأرض العربية يجوز أن يمتد فيما بعد إلى دائرة أوسع من .. الأرض العربية

: أما ماذا بعد التسوية فيقول

إن أبعاد التسوية مستقبلا تنطوي في النهاية على مرحلتين متميزتين:مرحلة أولى يستعين فيها الجانب العربي " بالمجتمع الدولي لترويض إسرائيل واستيعابها في المنطقة ثم يستعين في مرحلة ثانية بإسرائيل لتوظيف كفاءتها البشرية والتكنولوجية من أجل مقومات المجتمع العربي في وجه المجتمع الدولي ..هذه الكلمات لا تعبر عن فكر الثعالب " الصهيونية وحدها بل أفكار " الثعالب العربية

إن دورا " وظيفيا " للصهيونية في الوطن العربي ليس حلم الصهيونية وحدها فمنذ بدأ الغزو الصهيوني للوطن العربي . كانت النسبة بالتساوي بين الصهيونية والرجعية والاستعمار

ففي إحصائيات عن الشركات الرأسمالية في مصر تبين أن الصهيونية كانت تمتلك 30 % من الأسهم والعناصر
%الأجنبية غير اليهودية تمتلك 30% ورضيت الرجعية المصرية بمشاركة لا تتجاوز 30

وبعد التأميم عام 1962 انتقلت كل هذه الأموال إلى ملكية الشعب في مصر وفي ظل سياسة " الانفتاح " تعود
الصهيونية مع الأفاقين الأجانب وتسترد سيطرتها على الاقتصاد المصري وتقدم القروض والاستثمارات وتحصل على
. الفوائد والأرباح

وما يحدث في مصر يجوز بل يجب كما تنص اتفاقيات " كامب " أن يمتد إلى دائرة أوسع من الأرض العربية أن التكتل
الرجعي الصهيوني الإمبريالي الذي بدأ عام 1956 بعد تأميم قناة السويس كان يتسع كلما مضت حركة التحرر العربية
خطوات إلى الأمام فمنذ قامت الطائرات البريطانية من مطار الحبانية لتشارك الصهيونية عدوانها عام 1956 كانت
. القوي الرجعية تشن عدوانا ضد الشعب العربي وساد الإرهاب والمؤامرات والحرائق

استبدال الأسياد

إن دعاة " التسوية " بعد سقوط الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية يتحركون من منطلق الانتقال من سيادة إلى
. سيادة أو مع الأسف من أغلال عبودية الاستعمار القديم إلى أغلال وعبودية الاستعمار الجديد

انتهى عصر الاستعمار الأوروبي بمعناه القديم ودخل الاستعمار مرحلة جديدة بقيادة الولايات المتحدة. ولكن الولايات
المتحدة فقدت القناع الذي كانت تتخفي به من أنها لم تكن من دول الاستعمار القديم وأنها لم تشارك في غزو أو احتلال
أرض الغير

فالعنوان المفصوح على فينتام ومساندة الانقلابات الرجعية وتدعيم عصابات الحكم الفاشية كشف أن الاستعمار الجديد
لا يختلف عن الاستعمار القديم شكلا ومضمونا أسلوب العدوان قائم. وأسلوب النهب والسلب عن طريق القروض أو
. الشركات مستمر

فما هو الحل؟

أصبحت الرغبة في إظهار إسرائيل كظاهرة ليست مرتبطة بالاستعمار ولكنها مشروع له أهدافه وخصائصه المتميزة
وبذلك يمكن تحييد الولايات المتحدة ثم نصل إلى أن الوجود الإسرائيلي ليس ظاهرة صهيونية وبذلك يمكن التعامل معها
. وفتح الأبواب أو الحدود لها

أصحاب هذه الآراء يريدون وضع " غمامات " على عيون الشعب العربي فلا يري القواعد العسكرية الأمريكية في
سنا ولا يري السلاح الأمريكي الذي يتفق على الصهيونية ولا يري ولا يري " الأهداف " الأمريكية وراء مخططات
. التسوية المطروحة بعد كامب ديفيد

إن " الثعالب العربية " لا تختلف عن " الثعالب الصهيونية " فهي ترتدي ثياب " حمام السلام " وتحت " أجنحة السلام " المزعوم يخفون سلاح العدوان والإرهاب لتنتسلل الاحتكارات الأمريكية والصهيونية وينالون نصيبهم من عمليات نهب ما تبقى من قوت الشعب الذي عاني من الاستعمار القديم ويريدون له أن يستبدل سيد بسيد .. أو استعمار !! قديم باستعمار جديد أشد قبحا وعدوانا

منح " السادات " إسرائيل امتيازات الدول الكبرى فالقراءة الأولى لاتفاقيات " كامب ديفيد " تكشف الطابع الاستعماري . بل فرض الإرادة الاستعمارية في مصر والوطن العربي

وكما كشفت اتفاقيات "الكامب" حقيقة الصراع بين مص وإسرائيل وحقيقة النوايا الأمريكية في المنطقة فإنها أكدت أن الحروب التي خاضتها مصر ضد الصهيونية لم تكن دفاعا عن فلسطين أو تصديا لقضايا عربية لا تمسها بل أكدت الاتفاقيات أن مصر هي الهدف وهي المدخل للسيطرة الاستعمارية على الوطن العربي . فما نصتا عليه الاتفاقيات لا يذكر إلا في نصوص معاهدات بين جيش قاهر وجيش مقهور وبين دولة غازية ودولة مهزومة

أولا : فقدان السيادة إن الأرض المصرية التي تجلو عنها إسرائيل والتي تعود إلى الوطن لا تتجاوز 50 كيلو مترا لا تملك مصر عليها حق السيادة فلا تملك تحريك قواتها العسكرية على أرضها

ثانيا: الامتيازات الاقتصادية وتتمثل في رفع القضايا المالية إلى لجان المشتركة وليس إلى القضاء المصري ولا تخضع للقوانين المصري

ثالثا: تحديد الجيش

إن تركيز الاتفاقيات على السلام وما أعلنه وزير الحربية عن تحديد الجيش المصري يؤكد أن هذا القرار جاء بناء على رضوخ للجانب الإسرائيلي والأمريكي ومما يؤكد ذلك محاولة أمريكا عرقلة صفقة السلاح السوفيتي عام 1955 والعدوان الإسرائيلي ردا على هذه الصفقة . إن ما تضمنه نصوص الاتفاقيات هي تسليم بغزو استعماري وخضوع لإرادة عدو

حركة التحرر

قفزت حرب أكتوبر " تشرين " بحركة التحرر الوطني إلى آفاق جديدة وأكدت صدق النتائج التي توصلت إليها الثورة "من خلال عملية"الخطأ والصواب

ففي حرب أكتوبر ظهر التضامن العربي في أروع صورة اختلط الدم العربي على ضفاف قناة السويس ومرتفعات الجولان وأكدت حرب أكتوبر فاعلية سلاح البترول العربي في المعركة

وفي الداخل ظهر من خلال المعارك معني تحالف قوي الشعب ففي أثر مؤامرة النكسة أبعدت عن الجيش القيادات الرجعية وتولي القيادة ضباط من أبناء العمال والفلاحين والمتقنين كما كشفت معارك أكتوبر دور القطاع العام التي بنته ثورة التحرير كأساس للاستقلال الاقتصادي وكان هذا القطاع هو الدعامة للجبهة الداخلية وللجيش خلال المعركة فكان السند الأساسي في مساندة الجيش سواء من حيث التموين الغذائي أو الإمداد الطبي أو بناء قواعد الصواريخ

وانتهت حرب أكتوبر وديون مصر ومشاكلها محدودة كان يساندها العالم الاشتراكي ودول العالم الثالث والوطن العربي ..وتأكد خلال المعركة دور السوفيت في مساندة حركة التحرر

وقال السادات

لقد صرحت , والمعارك قائمة بأتنا عبرنا بالسلح السوفييتي وأكدت أكثر من مرة أننا نقدر دور الاتحاد السوفييتي " ومساعدته ومناصرته

وفي حركة غدر وقع السادات وثنائق الاستسلام للصهيونية وارتفعت الأصوات كنعيق اليوم تتحدث عن " الممكن وغير الممكن " أو ما البديل ؟فهل يمكن أن تكون اتفاقيات " الكامب " هي البديل الذي لا بديل عنه؟

الرايخ الصهيوني

إن ما تريده إسرائيل . أو ما تتشده الصهيونية لم يعد سوى أنهم يتكلمون بعد الاتفاقيات بصوت عال وتنشر الصحف :الصهيونية نصوص الحوار الدائر داخل إسرائيل وبصلافة ووقاحة يعلن العميد "بليد " أحد القادة العسكريين

علينا أن نقرر ماذا سيكون حجم دولة (إسرائيل) ووفقا لذلك علينا أن نقرر حدودها وستفرض هذه الحدود على " العرب عن طريق حرب نبادر إليها وسنرغم في هذه الدولة وسنطرد أو نصفي كل من لا يسلم بسلطتنا واليهود الذين " يعارضون ذلك هم عملاء المخابرات السوفييتية

:ويستطرد الصهيوني الوقح قاتلا

لكي يعيش أحفادي وأحفاد أحفادي هنا في دولة مواطنوها من اليهود وغير اليهود .. احتاج إلى نهر الليطاني إلى مصادر المياه في أرض (إسرائيل) الغربية إلى الأردن نزولا إلى ايلات منطقة النوبية وشرم الشيخ خط مباشر إلى العريش هذا هو المنزل الذي أريده

خارطة واضحة فالمجال الحيوي الذي يتحدث عنه العميد الصهيوني " بليد" يتضمن أراضي من لبنان ومصر بالإضافة إلى كل المناطق الواقعة غرب الأردن

ويرد يهودي آخر ساخرا ولكنه يكشف أعماق الفكر الصهيوني فيقول

في القوات الحاضر يوجد لدينا أسلحة كافية من أجل إنهاء الحرب المقبلة الحاسمة سنحارب العرب في جميع " الجهات وسننزل بهم ضربة قاضية وسنحتل ونضم الأراضي التي تقع ضمن مجالنا الحيوي ..وماذا بعد ذلك ؟ بعد أن .. تحتل القاهرة ودمشق فلم لا نرسله أيضا إلى الرياض وساحل الخليج

وقد يبدو هذا كله ضربا من الخيال ولكن التاريخ علمنا أن هذا الخيال المريض قد يصبح حقيقة فعندما احتل "هتلر" الأرض المحرمة على الحدود بين ألمانيا وفرنسا ووقف العالم صامتا مستسلما كانت الخطوة التالية المطالبة بأرض السودان وبعد ضم "السوديت " وبعد توقيع " اتفاقية ميونيخ" استمر الزحف النازي و هتلر يوقع الاتفاقيات والمعاهدات ويمزقها في اليوم التالي ويزحف بجيوشه حتى احتل براغ ووارسو وباريس وبلغراد وصوفيا اسقط الملوك . وطارد الرؤساء وأقام معسكرات الاعتقال وأفران الموت للشعوب وفرض عملاء له على هذه الدول ينفذون إرادته

إن ما تحلم به إسرائيل اليوم كان يبدو حلما من هوس مجنون ولكن هتلر نفذ هل الحلم الرهيب.ولم يستيقظ العالم من هذا الكابوس إلا عندما أعلن تشرشل أنه يتحالف مع " الشيطان " في سبيل القضاء على النازية وكان هذا الشيطان من " وجهة نظره هو " الاتحاد السوفييتي

فهل نتعلم من التاريخ ؟

ظلت أوروبا رافضة التحالف مع الاتحاد السوفييتي رفضت تشيكوسلوفاكيا ورفضت بولندا وبعد أن أصبح الخطر رهيبا قبلت انكلترا والولايات المتحدة هذا التحالف ولكن بعد أن دفعت شعوب العالم 40 مليونا من الشهداء والضحايا .. وبعد أن ذاقَت الشعوب ألوانا من التعذيب أبشع من الجحيم

ولم تكن مجازر " دير ياسين " و" كفر قاسم" في فلسطين إلا امتدادا لهذا الجحيم الرهيب وهو البداية للوحش الصهيوني ضد شعبنا العربي . الصهيونية والنازية

هل يختلف الفكر النازي عن الفكر الصهيوني؟يحاولون التفرقة بين الفكر النازي والفكر الصهيوني بدعوي أن النازية كانت تضطهد اليهود وأنها قامت على أساس تفوق العنصر الجرمانى وكانت هذه هي الأكذوبة التي روجت لها . الصهيونية لتخفي حقيقة الوجه البشع للنازي وبالتالي الوجه البشع للصهيونية

قامت " النازية " أساسا على أساس تفوق العنصر الجرمانى .وتقوم "الصهيونية" على أساس تفوق العقل اليهودي ! ومع الأسف ترتفع أصوات عربية نتحدث عن "العرقية اليهودية" وتزاجهت مع رأس المال العربي

وهي بذلك تؤكد النظرية الفاشية الصهيونية التي تعلن أن اليهود يمتلكون صفات لا تمتلك مثلها أية أمة أخرى في العالم .قامت " النازية " في أعقاب أزمات النظام الرأسمالي وتقوم الصهيونية اليوم بنفس الدور بعد أن واجه الاستعمار . حركات التحرر في العالم العربي وأفريقيا وآسيا

وقامت " النازية " لتتحدي القوانين والمعاهدات والمواثيق الدولية وتتحدى الصهيونية كل قرارات الأمم المتحدة والمواثي الدولية ..فهل صحيح بعد هذا كله أن الصهيونية نقيض للنازية؟ أم أننا أمام نفس الخطر ونفس المخاطر؟هل يمكن أن يكون هذا هو " البديل " لحركة التحرر العربي؟

إن الصهيونية لم تتردد عن المشاركة في إبادة ملايين اليهود في سبيل إقامة إسرائيل فهل تتردد عن إبادة ملايين العرب ؟

إن محاكمة الدكتور رودلف كاستنر أحد الزعماء البارزين في حزب الماباي كشفت أن الزعماء الصهيونيين في لندن والولايات المتحدة الأمريكية كانوا على علم تام بالخطط التي وضعها النازي لإبادة اليهود في ألمانيا وفي المناطق التي احتلتها وقد وافق بن غوريون وموشي شاريت ووايزمان بذبح ملايين من أبناء جلدتهم في معسكرات التعذيب النازية . في سبيل أن يفلحوا في إقامة دولة صهيونية

. وأقام الصهيونية دولتهم على الإرهاب والغدر والتوسع والإبادة هكذا كانت النازية وهكذا تحرم إسرائيل

الفصل السادس:المأساة العربية

إن الاستعمار كشف نفسه , وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها معه وأصبح محتما على الشعوب ضربهما معا وهزيمتهما " معا تأكيدا لانتصار الثورة السياسية في بقية أجزاء الوطن العربي ودعمًا لحق الإنسان العربي في حياة أفضل لم يعد قادرا على صنعها بغير الطريق الثوري .." جمال عبد الناصر

عندما بلغ "ايدن" رئيس وزراء بريطانيا أن عبد الناصر أعلن تأميم القناة فقد أعصابه وراح يصرخ غاصبا:كيف يستطيع أن يفعل ذلك؟كيف يستطيع؟كان أنطوني ايدن في اللحظة التي أعلن فيها عبد الناصر التأميم يقيم حفلة عشاء ...للملك فيصل عاهل العراق يصحبه نوري السعيد

:وعلق نور السعيد على النبأ بقوله لأيدن

" لم يبق أمامكم سوي سبيل واحد للعمل هو:أضربوا الآن واضربوه بشدة .. وإلا فسوف يفوت الأوان"

ودبرت المؤتمرات ضد عبد الناصر بواسطة ما سمي حركة "مصر الحرة" التي كان يمولها المليونير أبو الفتح ويغذيها أفراد من عائلته ونشطت العناصر التي غادرت مصر من الإخوان المسلمين وأصحاب الإقطاعيات كما قامت وكالة المخابرات المركزية بتمهيد الطريق لتغيير النظام وبدأ الإعداد للعدوان الثلاثي

كان الملك حسين قد اجتمع بوزرائه وطالبيهم بالموافقة على الانضمام إلى حلف بغداد ولكن المظاهرات انطلقت وسقط شهداء وتراجع الملك .. وفي 14 يوليو 1958 .. تم القضاء على العائلة المالكة في العراق واستولي الضباط الوطنيون .. على الحكم

والملك سعود الذي أفرغته الوحدة بين مصر وسوريا وتطور الأحداث في الوطن العربي دفع مليوني جندي لوضع قبلة في طائرة عبد الناصر واتجه الأسطول السادس إلى شواطئ لبنان لا تزال قوات من المشاة وأرسلت بريطانيا جنودها. المظليين عبر أجواء إسرائيل لحماية عرش الأردن

ولم يهدأ العالم العربي كانت الثورة قائمة والثورة المضادة تقاوم تريد استعادة الأرض التي فقدتها. كانت الملايين المحرومة تتحرك شوقا إلى العدالة الاجتماعية بينما ملوك الأرض والمال يتشبثون بما يملكون ويدعمون العدو الخارجي الذي ظل يذهب الشعب العربي طويلا

أدرك عبد الناصر وجود الثورة المضادة وأعلن بعد نكسة 67 أن وجود الثورة يعني وجود ثورة مضادة كما أعلن في " الميثاق " أن الاستعمار يتخفي في قصور الرجعية "إن الاستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب "مباشرة وكان مخبؤه الطبيعي بحكم الظروف داخل قصور الرجعية

وأكد ارتباط الثورة السياسية بالثورة الاجتماعية التي أفرغت الرجعية وجعلها ترتطم في أحضان الاستعمار وتسفر عن عدائها للشعب إن الاستعمار كشف نفسه وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها للتعاون معه وأصبح محتما على الشعوب ضربهما معا وهزيمتهما معا تأكيدا لانتصار القوة السياسية في بقية أجزاء الوطن العربي ودعما لحق الإنسان العربي . في حياة أفضل لم يعد قادرا على صنعها بغير الطريق الثوري

وبعد أن كانت " الوحدة العربية " مجرد شعارات دخلت دور الممارسة العملية سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية .. وخرجت من خلال الممارسة بتجارب ووجهات نظر أثرت العمل العربي الموحد

فكما جاء في ميثاق 62

إن التقاء القوي التقدمية الشعبية على الأمل الواحد في كل مكان من الأرض العربية وتجمع القوي الرجعية على "المصالح المتحدة في كل مكان من الأرض العربية هو في حد ذاته دليل على الوحدة أكثر من هو دليل على التفرقة

كانت هذه الحقائق التي توصل إليها عبد الناصر محصلة نضال شعبي طويل فلم يكن اتجاه يوليو إلى الاتجاه العربي أو العمل العربي نزوة بل امتداد وضعت بذرة تضامن الشعوب العربية في نضالها الحديث .. ففي الشام حمل الرجال السلاح .. وأعدوا كتائب المجاهدين ولكن الاستعمار التركي حال دونهم والوصول إلى مصر

وفي تونس أخذت الصحافة العربية بعرابي وتلقبه بحامي العرب وهرع الناس إلى المساجد وصلوا في مسجد القيروان يدعون الله أن ينصر أحمد عرابي ويخذل الإنكليز

:ويقول " برودلي" أحد شهود الثورة

كان العربي في تونس يهمس في أذن الآخر لقد ظهر أخيرا منقذ العروبة من الاستعمار ..وسرت موجات الكراهية " .. ضد الأوروبيين في كل البلاد العربية وأثار اعتداء الإنكليز على مصر ذكرى العدوان الفرنسي على المغرب والجزائر

مصر وفلسطين

كان أول لقاء مصري فلسطيني في حوادث " البراق " عام 1929 عندما بادرت جمعية "الشبان المسلمين " بانتداب أحمد زكي ومحمد على علوية للدفاع أمام لجنة البراق الدولية الأردنية

وساهم محمد على علوية في " إقامة المؤتمر العالمي بالقدس " عام 1930 وبدأت الأحزاب المصرية تتلمس الاتجاه العربي .. والحكومات تسعى إلى إقامة علاقات عربية مجارة للرأي العام الشعبي المصري في نصرة فلسطين العربية وفي عام 1937 بدأ العمل الشعبي الجاد بعد الإحساس بخطر ما يدبره الاستعمار والصهيونية لخلق الدولة اليهودية .. وتشكلت لجنة الدفاع عن فلسطين التي ساهم فيها السيدات المسلمات وجمعية الشبان وجمعية الرواد المسلمين واتحاد .. طلاب الجامعة واتحاد الأزهر

وعبرت الصحافة المصرية عن الرأي العام الرسمي والشعبي ودعت الحكومة والشعب إلى الاحتجاج والاستنكار وبينت خطورة خلق دولة غريبة على حدود مصر وطالبت بحق الفلسطينيين خوفا على مركز مصر الاقتصادي لأن ما يحدث .. بجارتها يعد خطرا على اقتصادها ومركزها الثقافي وأمنها القومي

وكتبت جريدة "السياسة الأسبوعية" عام 1937 تحذر من التهاون في حق فلسطين بقولها أن التهاون في حق .. فلسطين العربي يؤثر في اقتصاد مصر والدفاع عن أرضها

وقامت مظاهرات طلبة الأزهر ودار العلوم والمدارس الثانوية عام 1938 هاتفة بحياة فلسطين وسقوط الاستعمار البريطاني .. وعقد أول مؤتمر نسائي عربي دعا إليه الاتحاد النسائي المصري واشتركت فيه مندوبات من مصر وسوريا ولبنان والعراق والأردن وفلسطين واتخذت فيه قرارات تؤيد قضية فلسطين والكفاح المسلح ومعاونة .. الفلسطينيين ماديا وأديبا

وشارك المصريون في مؤتمر بلودان الذي عقد عام 1937 .. وكان أهم اقتراحات اللجنة الاقتصادية مقاطعة البضائع الصهيونية ..وعندما طلب الرئيس الأمريكي ترومان إلى رئيس وزراء بريطانيا فتح باب الهجرة إلى فلسطين وقبول 100 ألف يهودي قامت الهيئات الشعبية في غصبة ثائرة

واجتمعت الجامعة العربية وقررت تسليح الفلسطينيين وتدريبهم عسكريا .. واعترضت انكلترا في الوقت الذي سلحت فيه 100 ألف يهودي وخلقت قوة عسكرية يهودية .. وعندما وافقت الأمم المتحدة على التقسيم عام 1947 أدرك الشعب المصري خطر المؤامرة وعبر المثقفون في مصر عن هذا الخطر الذي يهدد مصر بالذات بحريا وتجاريا وحذروا من أطماع الصهيونية في شبه جزيرة سيناء وأن أي تضحية ليست في سبيل فلسطين وحدها وإنما من أجل مصر أيضا .. وليست عاطفة بل أصبحت مصلحة وجود

وخرج عشرات الألوف من الطلبة والعمال في مظاهرات ضخمة تجوب شوارع العاصمة وتطوف بالسفارات والمفوضيات الأجنبية هاتفة بحياة فلسطين عربية إلى الأبد وقام الأزهر بدوره وتقدم علمائه المظاهرات ودعوا إلى الجهاد لإنقاذ فلسطين من خطر الصهيونية

:وجاء في ندائهم

يا أبنا العروبة والإسلام خذوا حذرکم فانفروا جميعا وإياکم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الأماجد قد خروا أمام "

.. الظلم ساجدين

واندفع الفدائيون الفلسطينيون في قتال دفاعا عن أرضهم وتطوع الشباب المصري وأقيمت ساحات التدريب وتكونت ..الهيئات لجمع المساعدات المادية والمهمات الطبية

وجاءت الحرب حرب 1948

انبرت الحكومات العربية لتحمل عبء النضال الشعبي ضد الصهيونية وأخلت الساحة من المتطوعين والفدائيين وأصبحت الكلمة للملوك وقادة الجيوش دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين في 15 مايو عام 1948 وسرعان ما انعقدت الجامعة العربية في 25 مايو

وأعلنوا الهدنة بعد أن هدد الملك عبد الله بالانسحاب من الحرب بحجة نقص الذخيرة كما هدد بالانسحاب من الجامعة العربية وأدركت الجامعة العربية أن العراق سيحذو حذو الأردن كانت القوات العربية على بعد كيلو مترات من تل أبيب ! ومع ذلك أوقفوا القتال وأجمع المؤرخون والساسة أن الهدنة كانت بداية النكبة

ففي الوقت الذي أعلنت فيه الهدنة بناء على طلب انكلترا وأمريكا .. قامت الدولتان بمد إسرائيل بالمال والسلاح .. والخبراء العسكريين .. بينما وقفت الجيوش العربية صامدة عاجزة عن الحركة أمام استعدادات إسرائيل

وعندما استؤنف الحرب في 9 يونيو 1948 تبين أن هناك مخططا استعماريا قامت بتنفيذه القوات الأردنية وهو وقوف الجيش الأردني عند الحدود التي وضعها التقسيم والانسحاب من بعض المناطق وعدم التحرك لمساعدة الجيش المصري عند اندفاع اليهود إلى الجبهة المصرية ومنع القوات العراقية والسورية من مساندته وتولي غلوب باشا تنفيذ الخطة

عن طريق الملك عبد الله فأصدر أوامره إلى القوات الأردنية والعراقية بالانسحاب من اللد والرملة ورأس العين ومرج .. بن عام والجليل الغربي لوقف تقدم الجيوش العربية الأخرى

وفي خطاب 26 يونيو 1957 قال عبد الناصر

كلما يعرف ما حدث في اللد والرملة وكيف تركت إسرائيل وفتح أمامها الطريق حتى تهجم على مصر وحتى يواجهه " الجيش المصري وحده قوات إسرائيل وكانت الجيوش العربية الأخرى في هذا الوقت طبعاً تتلقى أوامر من أخواننا الذين كانوا يتآمرون مع الاستعمار والاستعمار كان يحمي الصهيونية العالمية

بعد حب 1948 التي اندلعت في مايو (مايس) تبين أن الملك عبد الله كان قد اجتمع في (نيسان) أي قبل الحرب بشه واحد بموسي شاريت ثم اجتمع بجولدا ماير من 11 إلى 12 مايو وانتهى الاجتماع إلى موافقة اليهود على ضم القسم .. العربي من القدس للملك عبد الله

كان هناك اتجاهان وطني ينشد التحرر من الاستعمار ويقاوم الصهيونية .. واتجاه خائن ارتمي في أحضان .. الاستعمار والصهيونية

.. حروب عبد الناصر

في عام 1955 أصبحت الدولة نفسها تفقد الثورة عندما حطمت أغلال الاستعمار ورفعت قيود التسليح وأبرمت اتفاقية السلاح مع الدول الاشتراكية وجاء " تأميم قناة السويس " ليوحه ضربة عنيفة إلى الاستعمار والنظام الرأسمالي فأعاد إلى الشعب في مصر ثروته المنهوبة فالقناة التي بناها الفلاحون المصريون بعرقهم ودمانهم بيعت بـ 4 ملايين جنيه .. وكانت تدر لحظة تأميمها أمثر من 35 مليوناً

كانت " هذه الضربة " في مضمونها لطمة قاصمة لحملة الأسهم الكسالي الذين يجلسون في قصورهم يقطعون " كويونات الأرباح " ويجنون الأموال دون أن يؤدوا عملاً وكما أشار " سلوين لويد " أن الحكومة البريطانية عندما كانت . تعد للعدوان الثلاثي حذرت الوزراء من التلميح بأن العدوان بسبب تأميم القناة أو استعادة السيطرة المالية على القناة

عادت الأموال إلى أصحابها وتحولت من جيوب المترفين في الخارج إلى الأرض المصرية لتشييد السد العالي .. وأدرك كلاب الرأسمالية من ثروة العرب والغرب أن ما ينهبونه من الشعوب أصبح مهدداً بالانتزاع من قبل شعوبهم .. وحدث . العدوان الثلاثي وكانت إسرائيل رأس الرمح

ولأول مرة في تاريخ إسرائيل تضطر القوات الصهيونية إلى الانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها بمساعدة . القوات الفرنسية والاتكليزية أمام الإنذار السوفيتي

ومهما قيل عن دور الإنذار السوفييتي في وقت العدوان فإن الذعر الذي أصاب أوروبا أر الإنذار .. وسقوط الإمبراطوريتين القديمتين (انكلترا وفرنسا) وتراجع إسرائيل إلى حدودها أبرز دور الاتحاد السوفييتي في مساندة .. حركات التحرر

وهب الشعب العربي في كل مكان يساند مصر ويندد بالعدوان ففي الكويت قامت المظاهرات وطالبت لجنة أندية الكويت بوقف تصدير البترول إلى المعتدين وسحب الأموال العربية من البنك البريطاني وإيداعها في البنك الوطني ومقاطعة .. البضائع البريطانية والفرنسية .. وفي البحرين أشعلت المظاهرات النيران في الشركات البريطانية

وفي سوريا .. نسف الشعب أنابيب البترول وقطعت الحكومة علاقاتها الدبلوماسية بفرنسا وانكلترا وأرسلت بعثة طبية .. إلى مصر .. وفي ليبيا قامت المظاهرات وفجرت قنبلة زمنية بنك بركليز في طرابلس ونسفت بعض المنشآت البريطانية

وفي السودان وتونس والمغرب .. واليمن .. ولبنان اجتاحت المظاهرات كل المدن .. وانتقلت فكرة " القومية العربية " من مجرد شعارات إلى واقع ملموس تصنعه جماهير الشعب العربي

بينما التيار المعادي وقف مذعورا أو متربصا .. ففي العراق اكتفت الحكومة بالاحتجاج ولكنها سمحت للطائرات البريطانية بالتموين من مطار الحبانية بالوقود والذخيرة وهب الشعب يطالب بالخروج من حلف بغداد وأضرب الطلبة .. وقاومتهم الحكومة بالعنف

وفي الأردن .. ما أن مرت الأزمة بسلام حتى عصف الملك بالجبهة الوطنية وأقال حكومة النابلسي التي سادت مصر في المعركة وأخذت الثورة والثورة المضادة أشكالا متعددة في العالم العربي ففي سوريا التي توحدت مع مصر بدأت ..المؤامرات ضد الوحدة

وفي العراق سقط نوري السعيد وازدادت الثورة الجزائرية اشتعالا وأخذ عنف الثورة المضادة أشكالا متعددة من العصف بالحيات إلى التعذيب الوحشي إلى المعتقلات والسجون وبدأت تظهر أساليب جديدة للقمع لم يكن يعرفها الشعب العربي من قبل

ولكن القومية العربية قامت خلال ذلك كله تمارس دورها وتخوض التجربة نحو الوحدة ..اشتعلت الثورة في الوطن العربي من الجزائر والمغرب في المغرب إلى العراق وعمان في الخليج ومن عدن في الجنوب إلى سوريا في الشمال ..وسقطت عروش

اهتزت ممالك فأطيح بأسرة محمد على التي مكنت الانكليز من احتلال مصر وانتزعت أراضي الفلاحين عنوة وقسرا وحولتها إلى ملكية خاصة وكدست الأموال المنهوبة من الفقراء وحولتها إلى الخارج وسقطت الأسرة الهاشمية في العراق وهي الأسرة التي أقامها الانكليز على الحكم بعد الحرب العالمية الأولى وسقط حكم " الأمامية " في اليمن الذي ..حكم ونجحت ثورة الجزائر في طرد الفرنسيين وتحقق جلاء الانكليز عن عدن

ولكن الثورة العربية لم تكن في مستوى واحد نتيجة الظروف الاجتماعية المتباينة فبينما كانت هناك أقطار تعيش في ظروف ما قبل التاريخ كانت هناك أقطار تصارع من أجل اللحاق بالمدنية الحديثة وتدخل مرحلة الرأسمالية وتطرق أبواب الاشتراكية.

وكانت قيادة الثورة متمثلة في أغلب الأقطار من عناصر المثقفين الممزقين بين ما شاهدوه من حضارة وتقدم في العالم المتقدم أو ما نالوه من ثقافة وبين واقعهم الملئ بالحرمان والطغيان وفقدان أبسط حقوق الإنسان.

كانت الحكومات الرجعية تزداد عنفا كلما شاهدت العروش تنهاري حولها وكانت هي تتشيث بما تملك تدافع عن نفسها ضد يقظة الشعب بالسجون والمعتقلات واستوردت أدوات التعذيب النازية وتفننت في ملاحقة المثقفين الثائرين

ولجأ الشعب المتعطش إلى العدالة الاجتماعية إلى كل أساليب المقاومة سواء كانت سرية أم علنية أو كانت سلمية أو مسلحة وأخذت المعركة أبعادا جديدة بعد وصول الأسلحة السوفييتية إلى كل من مصر وسوريا ثم العراق وبعد أن رفعت .. الثورة في الدول الثلاث شعار الاشتراكية

وازداد ضغط الاستعمار من الخارج .. كما نشطت الحكومات الرجعية واشتد الصراع الداخلي في كل قطر عربي وأصبح كل طرف يبحث عن حليف يساعده في المقاومة ففي اللحظة التي وجه الاتحاد السوفييتي إنذاره ضد دول العدوان الثلاثي أرسل الملك سعود يشكر ايزنهاور على موقفه من العدوان ولم يكن موقف ايزنهاور أو أمريكا يختلف عن موقف الدول ..المعتدية .. فقد جمدت أمريكا أرصدة مصر ... كما وقف الأسطول السادس يحيي ويبارك القوات المعتدية

الوحدة المصرية السورية

في بداية عام 1957 صرح عبد الناصر أنه لا يمكن تحقيق الوحدة إلا إذا تحققت مقوماتها الثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ولكن عبد الناصر تحت الضغط السوري رحب بالاتحاد قبل نهاية العام وتم التمهيد للوحدة بعودة ..!الرقابة على الصحافة في مصر

كان واضحا أن الثورة الاجتماعية في سوريا وصلت إلى نقطة حرجية فكان انتخاب خالد بكداش نائبا عن دمشق .. " ووجود عفيف البرزي على قيادة الجيش مثيرا للرأسمالية السورية التي كانت تتعب من ذكر كلمة " الشيوعية

:وعلى الرغم من التقارير المصرية التي قالت

"الفروق كبيرة والواقع مختلف , وقبول الوحدة محفوف بالخطر والنصيحة هي التأجيل "

إلا أن اتجاها آخر أدي إلى تأييد الوحدة الشاملة وقال عبد اللطيف بغدادي " اضطررنا للاستجابة تفاديا لنفوذ .. الشيوعيين المتزايد في سوريا

وهكذا بدأت الوحدة بالصراع بين القومي الوطنية بدلا من أن تكون دعما لتحالف القومي الشعبية ..فهل كان الشيوعيون ضد الوحدة؟

:أجاب خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري قائلا

لقد أبدي حزبنا منذ زمن طويل رأيه بأن شعار الوحدة العربية ليس وليد نشاط أو دعاية حزب من الأحزاب بل هو " منبتق من الواقع الموضوعي للبلدان العربية فتحليل الوضع في العالم العربي على أساس الماركسية اللينينية يؤدي " حتما إلى اعتناق شعار الوحدة العربية فهو إذن شعار تملّيه علينا مبادئنا نفسها

ثم قال

وعلى كل حال يجب التمهيد للوحدة العربية بإقامة علاقات اجتماعية أخوية بين البلدان العربية المتحررة تخلق جوا " من الثقة المتبادلة التي يجب أن تتعاظم خلال التعاون السياسي والثقافي والاقتصادي

ولكن الوحدة قامت . كانت وحدة العناصر الرأسمالية فوجدت الرأسمالية السورية في الوحدة فرصة للنشاط في سوق كبير غزت أسواق القاهرة لجمع المال وسافر من القاهرة إلى دمشق رئيس مجلس إدارة بنك مصر لغزو أسواق دمشق .

وخلال فترة الوحدة هاجرت رؤوس أموال سورية كثيرة للاستثمار في مصر وأنشئت شركات ومصانع خاصة . ووجد ضباط الجيش فرصة في الوحدة لتحقيق تطلعاتهم فكانت العربات الرسمية تنقل كل شئ مطلوب وغير مطلوب من بيروت والطائرات الحربية تحمل شاحنات خاصة من الثلاجات والسخانات ..وعمد الضباط إلى تصفية الأحزاب وبدأ و بمهادنة . البعث للقضاء على الحزب الشيوعي ثم بدأت تصفية حزب البعث

وتلاقت تصرفات القيادات الوطنية مع اتجاهات الولايات المتحدة ففي دمشق كان السفير الأمريكي قد أبلغ عبد الحميد السراج أن الولايات المتحدة زهقت من الأحزاب !وفي نفس الوقت كان يوسف يس مستشار الملك سعود قد اتصل ! بالرئيس القوتلي يعرض عليه حلف إسلامي ليباعد عن الوحدة والاتحاد السوفييتي

وبدأ الملك سعود يستخدم أموال النفط في تدبير المؤامرات ضد الوحدة وإثارة الشكوك حول وجود الضباط المصريين في سوريا وصوروه كآله نوع من الاحتلال كما صوروا وجود الضباط السوريين في مصر على أنه إبعاد لهم عن سوريا ..

الوحدة الشعبية

وقفت الجماهير ذاهلة في سوريا وهي تشهد " الوحدة " ذلك الحلم الجماهيري ينهار بيد من بنوها بينما الجماهير في مصر متفرجة " شاهد ما شافش حاجة " تمت الوحدة من فوق وحدث الانفصال من فوق أيضا

وعلى الرغم من ذلك فإن انفصام الوحدة الرسمية لم يمنع الجماهير من ممارسة دورها الوحدوي هذه الوحدة التي كانت قد تجلت بأسمى معانيها خلال معركة 56 عندما قرر الاتحاد الدولي للعمال العرب حرمان المعتدين من البترول العربي وتعطيل القواعد والسفن والطائرات المعادية حتى لا تستخدم ضد مصر

: وجاء في بيانه

إن هذه ليست معركة مصر أو معركة القناة إنها معركة الاستعمار والصهيونية للفتك بالأمة العربية واحتلال " أراضيها والسيادة عليها سنموت قبل أن يحدث ذلك

كما عقد الطلاب العرب مؤتمرا عاما في القاهرة. وطالبوا الدول العربية بقطع علاقاتها مع كل من بريطانيا وفرنسا. وطالبوا العراق بالانسحاب من حلف بغداد وتصفية جميع القواعد العسكرية في الوطن العربي

كانت " الوحدة العربية " تنمو بجناحها العسكري والاقتصادي ففي الوقت الذي وجدت فيه الحليف الذي يمددها بالسلاح والعون العسكري للدفاع عن كيانها ضد الغزو الإمبريالي والصهيوني كانت التنمية الاقتصادية تأخذ طريقها لتحقيق التطور الصناعي والانتقال من مرحلة الرعي والزراعة إلى مرحلة التصنيع

وأحرزت مصر نجاحا في كلا المجالين الصناعي والزراعي فبلغ معدل النمو في الإنتاج الصناعي 3,9% سنويا بين عام 1967-1957 وزاد الدخل الحقيقي بأكثر من 3 % سنويا بين عامي 56-1967 بعد ركود طويل لفترة تقرب من 50 عاما .

وخلال هذه الفترة زادت واردات مصر من سوريا بمقدار مرتين ونصف كما زادت واردات سوريا من مصر بأكثر من خمسة أمثالها .

وأبرمت مصر عددا كبيرا من اتفاقيات التجارة والدفع مع معظم البلاد العربية قضت بتخفيض أو إلغاء الرسوم الجمركية على عدد كبير من السلع وشهدت نفس الفترة إبرام اتفاقيات هامة بين عدد من الدول العربية وأنشئ مجلس الوحدة الاقتصادية وصدر قرار بإنشاء " السوق العربية المشتركة" في عام 1964 التي قضت بإلغاء كل القيود التجارية . والرسوم الجمركية بين الدول الأطراف وهي مصر وسوريا والعراق والأردن والكويت

: " وفي هذه الفترة كما يقول الدكتور جلال أمين في كتابه " المشرق العربي والغرب

بدأ شعور بالكبرياء الوطني يحل ببطء محل الشعور المتراكم عبر القرون بتفوق الأجنبي واضطرت الطبقات " الوسطى إلى استهلاك المصنوعات المصرية حتى بدأ يزول بالتدريج الاعتقاد بضرورة تفوق السلع الأجنبية على السلع الوطنية فارتدي أفرادها النسيج المصري بدلا من الأقمشة البريطانية وشربوا المشروبات الوطنية بدلا من الكوكاكولا . التي اختفت من السوق

وزاد اشتراك المرأة المصرية في الحياة السياسية والاجتماعية وتكونت طبقة عاملة صناعية كبيرة ذات آمال بعيدة في الاستهلاك والتعليم وتطلع أفرادها أن يحصل أبناءهم وبناتهم على شهادات جامعة وفتحت لهم أماكن كانت مغلقة عليهم

وما يحدث في مصر ينعكس بدوره على الوطن العربي فكان الإنسان العربي في كل مكان يفضل المصنوعات المصرية . "والعربية ويفخر باقتناء سيارة " نصر " ويفضلها على السيارة " المرسيدس " أو " البويك

وأمام هذا التطور الصناعي والاجتماعي في الأقطار المتحررة اضطرت الحكومات العربية الأخرى إلى القيام بإصلاحات عاجلة في محاولة لصد تيار الحركة الوطنية وتهدة شعوبها فتولي الملك فيصل الحكم للقيام بإصلاحات عاجلة وطردت حكومة الأردن القيادة البريطانية للجيش الأردني وطلبت حكومة ليبيا من بريطانيا والولايات المتحدة إجلاء القواعد الحربية عن أراضيها .

وكان التطور الصناعي في الدول العربية يؤدي إلى زيادة التبادل التجاري فيما بينها بينما يتقلص هذا التبادل مع الدول الإمبريالية .

القوانين الاشتراكية

صدرت قوانين التأمين في مصر وكان صدورها نتيجة الثراء الفاحش الذي ظهر في مصر عقب الثورة وكان ثراء طفيليا لم يسهم في التصنيع إلا بصورة ضئيلة ومع ذلك كما يروي أحمد حمروش عن عبد الناصر "أنا كان عندي أو 12 مليونيرا أصبحوا حوالي 30 إلى 400 مليونية والبراجوازية في مصر اتسعت قاعدتها

رفضت هذه الرأسمالية أن تتقدم إلى ميادين التنمية فضلت أن تحبس أموالها في صورة ودائع في البنوك أو تخرج بحثا عن أي استثمار سهل سريع الربح مضمون العائد مثل المباتي والتجارة والمقاولات

وعلق البنك الأهلي في عام 1953 على رغبة الثورة في التصنيع بقوله

بدلا من الدعوة إلى التصنيع لإيجاد عمل للفائض من الأيدي العاملة الزراعية يجدر بنا أن نتناول المسألة من " جانبها الآخر بمعنى أنه يجب البدء بتنمية الزراعة

وبدأت الرأسمالية في ألعيبها وسحبت الأموال من القطاع العام الوليد عن طريق عقود الاستيراد والتصدير والمقاولات بل لجأت إلى تهريب الأموال إلى خارج البلاد على نطاق واسع مستفيدة من تجارة الاستيراد والتصدير وبخاصة تجارة الدواء .

وكشفت الرأسمالية نوعيتها فلا هي تقوم بالتصنيع ولا تريد من الدولة أن تقوم به فهي كما سميت " رأسمالية رثة " قتعت بأن تكون ذبلا للاستعمار تعمل تابعة له مستظلة بحمايته وفي سبيل المحافظة على الوضع الاستعماري قامت بالتخريب عن طريق التهريب أو العقود والرشاوي

واستقر رأي عبد الناصر على إصدار القوانين الاشتراكية . واعترض وزراء " الوحدة " السوريون على إصدار هذه القوانين على الرغم من أن التأميم لم يصب سوى ثلاث شركات الخماسية وشركة الأخشاب الاسمية وشركة الحرير في حلب .

واعترض الرأسماليون على قرارات حظر خروج النقد من سوريا وحظر الاستيراد إلا بشرط . وخطب عبد الناصر في اللاذقية وقال أنه يستهدف مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات وأنه لن يتوقف عن تنفيذ ذلك .. وأما المضاربون والمهربون فلا دعوة لنا بهم ولكن الرأسمالية السورية التي كانت تعيش من التجارة لم يكن يهمها زيادة الدخل القومي . بقدر اهتمامها بأرباحها وثرانها

وأحدثت قوانين التأميم ذعرا في قصور الرجعية العربية وأنبري أمام اليمن يتصدي لها بقصيدة من الشعر وتحركت . السعودية واستعملت المال للمؤامرات في سوريا

ولم ترض الرجعية عن توزيع الأراضي على الفلاحين غضبت الرأسمالية والاحتكارات العالمية من التأميم وتحالفت . القوي الرجعية في العالم العربي مع الاستعمار لضرب الوحدة (المصرية – السورية) .. وحدث الانفصال

نكسة الوحدة

كانت الوحدة (المصرية – السورية) هي التجربة الأولى. وتلتها تجارب متعددة وكلها تبدأ لتعود إلى الانفصال وكما أعلن عبد الناصر في احتفال الوحدة عام 1967

مين اللي صنع الوحدة سنة 1958 الشعب السوري والشعب المصري .. من هم انفضوا على الوحدة عام 1961 " أعداء الوحدة هم أطراف تحالف الاستعمار والرجعية

أكدت تجربه الوحدة المصرية السورية ومحاولات الوحدة التالية أن " الوحدة " لا يمكن أن تكون مجرد شعار يأخذ شكلا رسميا بل لا يمكن كما قال عبد الناصر تحقيق الوحدة إلا إذا تحققت مقوماتها الثقافية والاقتصادية والعسكرية

وإذا كانت القوميات الغربية قد قامت من أجل السوق فإن القومية العربية لن تحقق وحدتها إلا بالسوق .وكما تبين من خلال التجارب ... ليس هناك فوارق تفصل بين الاشتراكية والحرية والوحدة

ولكن الحرية لن تحقق إلا بالتححر الاقتصادي كما ثبت أن التححر الاقتصادي لا يمكن أن يتحقق إلا بحمايته من العدوان وأثر وفاة عبد الناصر عام 1970

:كتب " مالكولم كي " أستاذ العلوم السياسي الأمريكي

لم يعد هناك مفر أمام أكثر الرومانسيين إمعانا في الوهم من أن يطرحوا جانباً لأجل غير محدود آمالهم في تحقيق " أو بعث الوحدة العربية وبكلمة واحدة:لقد بددت أسكورة بروسيا العربية إذ بينت حرب الأيام الستة بوضوح أن مصر ليست بروسيا وجاءت وفاة عيد الناصر فأزالت بدورها " بسمارك العرب " وتبين بعد ثلاث سنوات من وفاة ناصر أن الوحدة لم تكن وهما وأكدت وجودها خلال معركة أكتوبر وظهر أن الوهم بالتفوق الصهيوني كان أكذوبة وأن الذي تبدد ! " هو " العبقريّة اليهودية

ولكن الرجعية العربية التي فتحت أبواب مصر للغزو الصهيوني الأمريكي جعلت " فاتكينونيس " أستاذ العلوم السياسية في بريطانيا يعلن عام 1977 : " لقد نجحت مصر والمملكة السعودية في أن يطرحا جانباً ذلك الأسلوب البالي والملئ !!! بالادعاءات إلى القومية العربية ذات الطراز الثوري

: وكتب " مالكولم كير " الأستاذ الأمريكي

إننا نأكل أن يؤدي زوال الخرافة الناصرية عن الوحدة العربية إلى أن تتبني كل من الحكومات العربية أفكاراً أكثر " تواضعا وواقعية وأن تشعر النظم المحافظة كالسعودية والأردن التي دأبت في الماضي على الشعور بالخوف من عبد " الناصر وشركائه أن تشعر بالراحة والاطمئنان

قفزت الرجعية العربية على انتصارات حرب أكتوبر وبعد أن وأدتها حولت الدماء العربية إلى سبائك ذهبية لتجعل منها قيوداً للشعب العربي .إن الرجعية العربية التي أفزعتها انتصارات الشعب العربي في معركة أكتوبر أسرع إلى مباركة السادات في خطوات التسليم والاستسلام وتحول شعار " لا صوت يعلو صوت المعركة" إلى شعار " لا صوت بعد المعركة"

وألغت الكويت الحياة النيابية كما قام السادات بمباركة من السعودية بإلغاء معاهدة الصداقة (المصرية – السوفيتية) وتصفية الاتحادى الاشتراكي والقطاع العام

:وتحقق ما قال عبد الناصر بعد النكسة

" الهدف هو ضرب المكاسب الشعبية والقضاء على التحولات الاشتراكية والانتاجات الاجتماعية التي تحققت "

وكما أعقب انتهاء حكم محمد على سير حثيث من جانب خلفائه إلى الارتقاء في أحضان الاستعمار وتحويل مصر إلى سوق للبضائع الأجنبية والقضاء على الصناعة الوطنية أعقب انتهاء عهد جمال عبد الناصر نفس المصير

: وأوضح ذلك الاقتصادي المصري جلال أمين بقوله

أعقب انتهاء عهد جمال عبد الناصر في عام 1970 فتح باب الاقتصاد على مصراعيه للسلع والاستثمارات الأجنبية وإقامة المناطق الحرة ومنحت الاستثمارات الأجنبية الإعفاءات من ضرائب الدخل ووارداتها من الرسوم الجمركية وأرباحها من قيود التحويل إلى الخارج وملكيته من المصادرة أو التأميم وإدارتها من مشاركة العمال وبدأ بالتدريج اتجاه نحو التخلي عن الملكية العامة في الصناعة وعن تدخل الدولة في الاقتصاد وعن الحماية الممنوحة للصناعة المحلية وبدأت دول عربية أخرى السير في الاتجاه نفسه

وكما تدفقت السلع الصناعية البريطانية على البلاد العربية ابتداء من منتصف القرن الماضي لتحل محل منتجات الصناعة المحلية تدفقت السلع الأمريكية على البلاد العربية في بداية السبعينات وعلى الأخص ابتداء من 1973 فزادت الصادرات الأمريكية إلى مصر بنسبة 78% في عامين (74- 1976) وإلى السودان بنسبة 66% وإلى الأردن بنسبة 122% وإلى اليمن الشمالي بنسبة 150 % وإلى سوريا بنسبة 597

وقامت الطبقة التي أثرت من القطاع العام بالفتح مكاتب توكيلات تجارية للبيوت الأجنبية وزاد الثراء الطفيلي من العمولات والرشاوي. وكما أثري أصحاب الملايين العرب من استخراج البترول دون جهد إنتاجي قامت " الطبقة الجديدة " في مصر بتكديس الثروات من الوساطة التجارية دون إنتاج حقيقي وكانت الأموال تجمع من المصريين الذين انحدروا إلى حالات من الفقر المدقع ولجأوا إلى سكني القبور ليثري الطفيليون وتحولت "مصر" إلى مشنّي لأصحاب الملايين والأوروبيين وإلى مصيف لأغنياء العرب

وأقيمت الفنادق الفخمة بدلا من المصانع وانتشر السكن الفاخر بدل المساكن الشعبية وانتشرت السلع الترفيهية بدل الغذاء للشعب. وما حدث في مصر تكرر في أكثر من قطر عربي وأصبح العرب مشردين خارج أقطارهم بعد أن تدفق الأفاقون الأجانب من كل جنس ولون

في عام 1980 كانت التهمة الموجهة لرئيس الوزراء مصطفى خليل أن له مكتبا استشاريا اشرف على الدراسات المتعلقة بتحويل وتنفيذ مشروعات هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية . وتقاضي عمولة خمسة ملايين جنيه وأن .. عدنان الخاشقجي كان الوسيط بعمولة

وأصدر مجلس الشعب في مصر قرارا ببراءة رئيس الوزراء وعدنان الخاشقجي من أخذ العمولات . ونشرت مجلة "الوطن العربي" تحقيقا صحفيا عن عالم المال والشهرة جاء فيه

اتهمت الحكومة الأمريكية شركتي لوكهيد ونورتروب بدفع عمولات لعدنان الخاشقجي للقيام بتمرير عمليات وصفقات وعقود لحسابها في بعض دول الشرق الأوسط ..وقالت شركة نورتروب أنه طلب عمولة قدرها 450 ألف دولار ليدفعها . إلى ضابطين كبيرين من ضباط سلاح الجو في احدي دول العالم الثالث

أما شركة لوكهيد فتدعي أنه تقاضي منها 105 ملايين دولار كعمولات لترويج طائرتها المنكودة الخط لـ 1011 وذلك في الفترة من عام 1970 حتى عام 1975 .ومع أن السيد الخاشقجي لم يؤكد أن ينفي الاتهامات إلا أنه أوضح أن تقاضي العمولة لترويج منتجات معينة أمر مشروع وجائز ومعروف في عالم التجارة والمال

إن خيانة " السادات " بدأت بوساطة " كمال أدهم " من السعودية وفي السعودية تفجر النفط وخرج من باطن الأرض وظهرت الثورة وأصبحت في يد قلة لم تبذل جهدا من العمل

وكان النفط بداية ظهور الطبقة "الرأسمالية الطفيلية" في الوطن العربي والتي امتدت أذرعها إلى كل قطر عربي وارتبطت مصالحها بالرأسمالية العالمية والشركات الاحتكارية وليس خافيا أن الصهيونية تساهم بقدر كبير في هذه الشركات والبنوك العالمية

وما دام العرب أو قادة العرب بمعنى أصبح يتعاملون مع الصهيونية من خلال الشركات والبنوك رغم قرارات المقاطعة " فلماذا لا يكون هذا التعامل جهارا نهارا كما صرح بطرس غالي " ونحن في حاجة إلى نوع من سوق مشتركة خاصة " بالشرق الأوسط حيث تكون إسرائيل عضوا في هذه المجموعة الجديدة التي تقبل تكاملها الاقتصادي

كان نشاط روتشيلد الأول في مجال الإنتاج والتكرير ففي النفس الفترة التي اشترت عائلة روتشيلد 40% من أسهم قناة السويس كانت العائلة قد حصلت على حق تسويق الكيوسين من روسيا .ولكن روتشيلد اليهودي بحاسته أدرك أن . الثورة الاشتراكية على أبواب روسيا فباع تصيبه من حقول باكو إلى شركة شل عام 1910

وفي الوقت عام 1883 أثيرت في الولايات المتحدة قضية " هنري باين " التي نشرتها صحيفة " نيويورك صن " وقالت " تحت عنوان " هل أشتري انتخاب مستريباين

من المعتقد الآن كما اعتقد أنا شخصا أن شركة ستاندر للبتترول قد اشترت بأموالها أخيرا مركز عضوية مجلس " الشيوخ لولاية أهايو لمستر " هنري باين " ثم حملت الصحيفة على الفساد والاحلال ثم قالت:لا يوجد هناك خطر يهدد " المؤسسات الحرة مثل بيع أو شراء السلطة السياسية

ومع ظهور البترول في الوطن العربي انتقل إليه النشاط الصهيوني كما انتقل الفساد والاحلال أو شراء السلطة .. السياسية

الوطن . أم المال؟

كان من بين الزوار " المرغوب فيهم " للقاهرة بعد توقيع اتفاقية " كامب ديفيد " المبارون اليهودي روتشيلد وديفيد روكفلر رئيس مجلس إدارة بنك " تشيز مانهاتن و" ريتشارد هيلمز " مدير المخابرات المركزية ومدير شركة أمريكية للعلاقات العامة ولم يكن " فتح القاهرة " أما الصهيونية والاحتكارات الأمريكية إلا امتدادا لمسيرة الدول العربية النفطية .

ففي الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تم إسرائيل بقتابل النابالم والقنابل التلفزيونية التي استعملت في حرب أكتوبر .. ضد الجيوش العربية كانت الأموال النفطية العربية تتدفق على بنوك العالم التي تساهم أو تسيطر عليها الصهيونية

ففي الخمسينات كانت مجمل عائدات " الأوبك " وعلى مدى 10 سنوات 6 مليارات دولار لم تسجل أية فوائض. في الستينيات تلقت الدول المنتجة للنفط وعلى مدى عشر سنوات 10 مليارات دولار كعائدات بقي منها مليار دولار كفائض .

في السبعينات اختلف الوضع جذريا ففي عام 1973 تحولت حرب أكتوبر إلى ثورة في أسعار البترول.أسرعت الدول العربية تؤيد السادات في وقف إطلاق النار وعقد اتفاقية سيناء الأولى .

وبدل أن يكون حصاد الدماء التي استنزفت في الحرب تحرير الأرض أسرع ملوك البترول إلى جمع المليارات .ففي عام 1973 بلغت العائدات النفطية لدول " أوبك " 39 مليار دولار فتكون فائض مالي قدره 9 مليارات دولار

في عام 1974 بلغت العائدات 122 مليار دولار والفائض 40 مليار .في عام 1978 كانت العائدات 141 مليار دولار ! والفائض 9 مليارات فقط

لقد استطاعت الدول الرأسمالية تصدير التضخم إلى البلاد العربية وامتعضت سريعا عن طريق رفع الأسعار ما حققته . الأقطار العربية من أرباح

وبلغت فوائض " الأوبك " منذ عام 1974 وحتى نهاية عام 1979 في حدود 251,1 مليار دولار ينقص منها 96,9 مليار للتحويلات الرسمية ومساهمة " الأوبك " بالمنظمة الدولية واستثمارات وتسهيلات ثنائية خاصة ليصبح الباقي 154,2 مليار هذه الأموال؛

: كما يقول بنك انكلترا موزعة بالشكل التالي

مليار دولار أى ما نسبته 33% من مجمل صافي الفوائد بالدولار الأمريكي 7 مليارات أى 4% بالجنيه 51,2 " الإسترليني , 42,4 مليارات أى ما نسبة 27 % موظفة في بريطانيا وإنما بعملات أجنبية 53,5 مليار موظفة في مناطق " نقدية وجغرافية أخرى

ومن المتوقع أن تزداد الفوائض في الثمانينات غير أنه من المتوقع أيضا أن تنقص قوتها الشرائية فالتضخم مستمر ! وهكذا بينما امتزج الدم العربي على رأس فلسطين تزواج المال العربي والصهيوني في بنوك العالم وفي الصفقات الفوائض ومصر

في عام 1979 نشرت جريدة الرياض التي تصدر في السعودية إن المملكة السعودية قدمت لمصر خلال الأعوان الماضية أى بعد حرب تشرين مساعدات ومعونات بلغت 7 مليارات دولار

"وقالت جريدة " الرياض

أن الرقم لا يشمل الدعم السعودي الذي قدم لمصر قبل 1973 أو استثمارات القطاع الخاص السعودي في الشركات والمشاريع المصرية كما أنه من المحتمل ألا يشمل تبرعات وقروضا صغيرة تدفع إلى هيئات حكومية أو عامة في مصر ..

وأضافت الصحيفة

"إن الدعم السعودي قدم بستة أشكال مختلفة بعضها غير قابل للاسترداد وكانت أشكال الدعم على النحو التالي "

. مساعدات نقدية تدفع فورا للحكومة بدون التزام بالرد

. تمويلات نقدية تفتح لها خطابات اعتماد مصرفية لصالح جهات تتفق معها مصر على شراء سلاح ومعدات

قروض نقدية أو ودائع بموجب اتفاقيات تحدد مدة القرض أو الوديعة وموعد استردادها وجمع هذه القروض على .. آجال طويلة

قروض تقدم من مؤسسات عربية اشتركت السعودية في تأسيسها مع دول عربية أخرى مثل قروض هيئة الخليج . التي أسست خصيصا لدعم التنمية في مصر واشتركت فيها إلى جانب المملكة كل من الكويت وقطر والإمارات العربية

.. أسست المملكة عدة شركات مع حكومة مصر هدفها الأصلي العمل في مجال معين

. قروض قدمتها المملكة عن طريق الصندوق السعودي للتنمية

وقالت الصحيفة أنه منذ عام 1973 وحتى عام 1979 تم تبين السعودية ومصر ترتيب 35 اتفاقا كل منها يمثل عملية دعم يتخذ شكلا من الأشكال السابقة

وقال رئيس مجلس إدارة هيئة الخليج للتنمية في مصر السيد عبد العزيز الدخيل في 21 / 6 1978 أن الهيئة قدمت . مبلغ 1700 مليون دولار خلال عامي 1977 و 1978 إلى مصر لدعم ميزان مدفوعاتها

وذكر السيد الدخيل أن مهمة الهيئة مساعدة الاقتصاد المصري والهيئة تتعاون مع كافة الهيئات والمؤسسات الدولية !! بما فيها صندوق النقد الدولي الذي يهتم بالاقتصاد المصري

وكان من أبرز ثمار التعاون المصري - السعودي توقيع عقد تأسيس الشركة المصرية السعودية للفنادق ! وكان ميلاد أول مشروعاتها فندق " رامادا" وتصل تكاليفه إلى 45 مليون دولار واشترك في تصميمه مجموعة من الشركات العالمية وتم التعاقد مع شركة " رامادا" الأمريكية لإدارة الفندق ! والمتوقع أن يكون الفندق ملتقى للوفود السياحية ! ولرجال الأعمال

:والسؤال

وأولاً: كم دفعت الدول العربية لعبد الناصر أثناء كفاحه ؟ وهل توازي ما دفعته الدول العربية للسادات مع ما كان يقدم خلال نضالها ؟

ثانياً: ألم تكن هذه المعونات للسادات دعماً لموقفه الاستسلامي ؟ ألم تكن القروض والمساعدات دفعا للذهاب إلى القدس ؟

ثالثاً: ألم يكن أسلوب المساعدات العربية متمشياً مع سياسة البنك الدولي وسياسة الولايات المتحدة في التخلي عن النهج الاقتصادي التحرري والعودة للارتقاء في أحضان الشركات الاحتكارية والإمبريالية العالمية ؟

الفوائض وأمريكا

في الدراسة العلمية التي قدمها الدكتور جلال أمين عن تطور العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية والولايات المتحدة . بعد عام 1973 في كتابه "المشرق العربي والغرب" ما يؤكد ارتباط الرجعية العربية باتفاقيات الاستسلام

فكما انفتحت " مصر " على أمريكا زادت العلاقات الاقتصادية أو النهب الاستعماري للأقطار العربية يقول الاقتصادي : المصري في كتابه

بينما زاد إنفاق الولايات المتحدة على استيراد النفط في عام 1974 بالمقارنة بسنة 1973 بمقدار 17,8 ألف " مليون دولار نتيجة ارتفاع أسعار النفط عادت الولايات المتحدة فاستردت منها في العام نفسه 11 ألف مليون دولار في صورة ودائع وقروض واستثمارات من الدول الأعضاء في منظمة الأقطار المصدرة للنفط

على أن مبلغ 11 ألف مليون سابق الذكر لا يشمل ما أنفقته دول النفط على استيراد سلع أمريكية ففي عام 1974 صدرت الولايات المتحدة إلى الدول العربية التسع المصدرة للنفط ما قيمته 2,1 ألف مليون دولار وفي عام 1976 ارتفعت قيمة الصادرات إلى 5,2 ألف مليون دولار أي بزيادة قدرها 148% خلال سنتين؛

بالمقارنة بزيادة قدرها 16,4 % في مجموع الصادرات الأمريكية إلى العالم ككل خلال الفترة نفسها وقد احتلت المملكة العربية السعودية مكان الصدارة من بين دول النفط العربية كمستقبل للصادرات الأمريكية فقد استوردت وحدها في عام 1974 سلعا أمريكية قيمتها 828 مليون دولار زادت في عام 1976 إلى 1743 مليون بزيادة قدرها 230% " خلال هذين العامين

ويستمر الكاتب الاقتصادي في فضح عملية النهب الأمريكي للوطن العربي فيقول

وهكذا شهدت السنوات التالية لازمة النفط" رواجاً لم يسبق له مثيل لتجارة الاستيراد في دول الخليج واكتظت " موانئها بالسفن التي تنتظر التفريغ وتدفع على فنادقها ممثلو الشركات والبنوك ومكاتب الخبراء والاستشارات الأجنبية؛

تماماً كما حدث في مصر بعد الردة واشترك رجال السفارات الغربية الذين تحولوا في الواقع إلى وكلاء أعمال للشركات والبنوك في التسابق على اكتساب أكبر قدر من الغنائم قبل أن يقتنصها ممثلو دول أخرى منافسة وتلقوا تعليمات من دولهم تخطرهم فيها بأن تقويم كفاءة كل منهم سوف يكون أساس مدي نجاحه في تسهيل مهمة ممثلي " شركاته وأصدرت الصحف الغربية ملاحق خاصة تكبل الثناء لأمراء النفط ومعلومات عن فرص الاستثمار

وكتبت صحيفة "ألفا ينانشال تيميز" البريطانية تقول بأنه

" من المستحيل على أي مترد يمتلك قدراً يسيراً من الذكاء والتجربة أن يفشل في ظل ظروف نمو وازدهار كهذه "

وكتبت مجلة " بيزنيس ويك" الأمريكية

"إن منطقة الشرق الأوسط هي احدي المناطق القليلة من العالم التي عاد فيها النشاط الفردي إلى سابق ازدهاره "

وفي أثناء زيارة نيكسون للوطن العربي عام 1974 ألقى وزير التجارة الأمريكي حديا أشار فيه إلى أن إيرادات النفط

تمثل بالنسبة للاقتصاد الأمريكي فرصا مذهلة لزيادة التسويق وتمتد هذه الفرص لتشمل كل شئ من السلع "

"الاستهلاكية إلى المصانع الكاملة إلى مشروعات البنية الأساسية الضخمة

المحصلة الفاتلة

عادت الأرض العربية سوقا للغرب الرأسمالي تماما كما حدث خلال الغزو البريطاني وكما عادت مصر إلى الوراء 100 عام عندما جاء الاحتلال البريطاني وقضي على الصناعات المصرية وحول مصر إلى مزرعة قطن لتغذية مصانع لانكشير الانكليزية وجعلت مص سوقا لصناعاتها أصبح الوطن العربي كله نهبا للغزو الأمريكي والشركات الاحتكارية .. المتعددة الجنسية فكما انفتحت الأبواب في مصر للغزو الصهيوني تلتها الأبواب العربية

وتدفقت على الوطن العربي كل أنواع الترف الاستهلاكي من أمريكا واليابان وفرنسا وانكلترا وألمانيا وحتى من كوريا الجنوبية وتايوان وبعد أن كان المواطن العربي يفخر بركوب سيارات نصر أصبحت " المرسيدس " النيتوتا " وفولفو " . و " الكاديلاك " في شوارع المدن العربية بل تحولت المدن العربية إلى " جراجات " لهذا السبيل من السيارات

! وتدفقت الأدوات الكهربائية من الفيديو إلى الغسالات والثلاجات وما تتخيله وما لا تتخيله من السلع الاستهلاكية

ولم يكتف الاستعمار الجديد بما اعتاد في الماضي أن تصدره بل دخل منافسا للفلاحين الصغار وأصحاب المصانع الصغيرة فظهرت في الأسواق أنواع الجبن المستوردة التي كان ينتجها الفلاح في الماضي وتدفقت المصنوعات التقليدية التي كان يصنعها العامل المصري بجهد الذاتي كالأحذية والملابس الجاهزة أو المنتجات التي اعتاد الوطن العربي إنتاجها كالمشروبات الغازية والزجاج والأثاث المنزلي

وأخذت الشركات الأجنبية تبتكر أساليب للاستهلاك وصل إلى مستوى تغليف " المكسرات " في علب وأصبحت الكمية التي كانت تباع بخمسة أو عشرة فلوس تباع بدينار وقامت شركة "انفتاح أجنبي" بتعبئة مياه النيل في زجاجات وبيعها . على أنها مياه صحية

وبعد أن اختفت المصنوعات المحلية أو العربية بدأت السلع الأجنبية في رفع أسعارها ليصل ثمن الحذاء إلى 30 و 40 ..دينارا بعد أن كان يباع في القاهرة أو يستورد من مصر بدينارين أو ثلاثة

وتدفق الأجانب بمشروعات وهمية أو مشروعات " أبهة " مثل إقامة القصور واللوكاندات وارتفعت المآذن الحديدية لتشييد " عمارات " لمواقف السيارات كما زحفت " البلدوزرات " لتمهيد الطرق بعد أن كان يشقها العرب بأنفسهم . ! وأقيمت الكباري العلوية وإنفاق بالتكنولوجيا

وكما قالت صحفية " الأهالي " إن عائلات بأكملها تخصصت في عمليات التوكيلات والاستيراد من الخارج وتدفقت . الأرباح والرشاوي إلى جيوب المستثمرين الأجانب والخونة العرب .

ولم يقتصر الأمر على السلع الاستهلاكية بل ظهرت مشروعات تقوم على استيراد معظم المواد الأولية من الخارج فقامت صناعات تستورد معظم عناصرها من الخارج على أساس تصريف منتجاتها في الخارج أيضا وتستغل الأيدي العاملة العربية الرخيصة وتصبح هذه الصناعات مجرد " صناعة عابرة " لا تترك أثرا في تطور الإنسان العربي أو .. تنمية موارده

ففي السعودية أقيم مشروع صناعة الصلب ويقوم على أساس استيراد الحديد من البرازيل واستخدام الغاز الطبيعي المتوفر في السعودية وتشرف عليه شركة " ماركون الأمريكية " وتساهم فيه شركة " بترومين " وفي البحرين أقيمت صناعة الألومنيوم على أساس استيراد مادة الألومنيوم الخام من استراليا وتصنيعه باستخدام الغاز الطبيعي ثم تصدير الناتج .

وعندما ينتهي عمر النفط في البلاد العربية بقدر بـ 30 عاما تنتهي هذه الصناعات ! وكان هذا الأسلوب مستخدما في ظل الاستعمار القديم الذي أقام مشروعات شركات المواصلات والكهرباء والمياه وغيرها وحدد مدة الامتياز بـ 99 عاما وهي المدة التي قدرها لبقائه وبالفعل عندما جاءت نهاية الاستعمار القديم لم تجد المستعمرات إلا ركاما من الحديد ! الخردة والأسلاك الممزقة وواجهت الدول المتحررة مشاكل المواصلات والكهرباء والتليفونات والمياه

ولم تكن هذه هي مجاري التبذير وحدها بل جاءت تجارة السلاح لتستنزف بل تبتلع ثروات الشعب العربي. وعلى الرغم من التجربة القاسية التي مرت على إيران بشراء السلاح وتكديسه دون أن يستوعبه الجيش الإيراني وتم شراؤه بأثمان مرتفعة تفوق أسعاره الحقيقية فإن الدول العربية اندفعت إلى نفس الطريق

والعمولات في تجارة السلاح تتجاوز الآن الملايين وتندرج في اللانحة السرية للعملاء والوسطاء عشرات الأسماء اللامعة في المجال السياسي والعسكري والاقتصادي ..ويمكن تقدير فداحة العمولات التي يتقاضاها تجار السلاح . ووسطاؤه إذا ما عرفنا أن إنفاق العالم على السلاح في العام الأخير 500 مليار دولار

ونشرت الصحافه الأمريكية فضيحة زوجة السناتور الصهيوني " جاكوب جافيتس " عندما قدمت الحكومة الإيرانية . وثائق تثبت أنها تقاضت من شاه إيران المخلوع عمولات لتمير صفقات سلاح

وتبين خلال الحرب (الإيرانية - العراقية) أن صفقات السلاح الأمريكي هي امتداد لصفقات الأسلحة الفاسدة التي استوردها تجار السلاح في الوطن العربي خلال حرب 48

أنفقت السعودية على السلاح خلال 76 , 1977 نصف إجمالي الإنفاق الحكومي بدلا من نسبة الثلث المخصصة له وزاد إنفاقها على السلاح من 274 مليون دولار عام 1973 إلى 534 مليون عام 1974 إلى 7,5 ألف مليون في عام 1976 . ثم إلى 9,3 ألف مليون عام 1977 وقدرت تكاليف مدينة خالد العسكرية بين 12,9 ألف مليون دولار

ومن خلال الصفقات والمؤسسات تلاقت المصالح المالية لأثرياء العرب مع الصهيونية وتعلقت بأذيالهم الرجعية والرأسمالية الطفيلية في مصر واشتروا ناطحات سحاب وقصورا في لندن وأمريكا وفرنسا وبنوا العمارات في العواصم الأوروبية .

وبينما هذه القلة العربية تتمرغ في الثراء كانت مدن الصفيح والأكوخ تزداد حول العواصم العربية وتنهار البيوت على ساكنيها وتزداد وفيات الأطفال وترتفع الأسعار ويتضور الشعب جوعا

وأصبح من المألوف أن تجد أعلاما خاصة ترتفع فوق مباني الشركات الأجنبية في العواصم والمدن العربية ويسكن موظفوا هذه الشركات في قصور ويركبون السيارات الفارهة في خيلاء وخرج الشباب من المثقفين والعمال العرب من بلادهم مشردين يبحثون عن العمل أو لقمة العيش خارج بلادهم

هذا الثراء

عندما تسير في حواري وأزقة وقرى البلاد العربية لا تصدق أن هذا الشعب يملك هذه الثورة الضخمة التي تتحدث عنها الصحف الغربية وعندما تمر بمدينة فيينا إذا جاءتك الفرصة وتشاهد طلبة الجامعة وخريجي الجامعات العربية فوق ظهورهم لافتات تعلن أنهم باعة صحف

وعندما تتأكد أن الذين يغسلون الصحون أو يمسخون الأرض في لندن وباريس هم من حملة الشهادات العالية ثم تقرأ ما تكتبه الصحف الغربية من ثراء وإسراف وسفه فئات عربية على موائد القمار تتسائل على الفور

هل ما تفعله إسرائيل أو الصهيونية بالشعب الفلسطيني يختلف عما يفعله أمراء وثراة العرب بالشعب العربي ؟

في ليلة واحدة وفي سهرة طويلة بين موائد القمار الخضراء منح أحد أمراء الخليج موظفي ومضيفات الكازينو الفرنسي ما يقرب من ثلاثة ملايين فرنك كبقشيش

وفي زيارة خاطفة لأحد بيوت الأزياء الباريسية أعجبت أميرة عربية بثوب زفاف واشترته بنحو 30 ألف فرنك

وفي الدور السادس بإحدى عمارات شارع فوش " بباريس " تسلم أحد أمراء الخليج شفته الجديد من مهندس ديكور شاب اسمه ميشيل ويلموت بعد أن انتهى من خلق جنة صغيرة في الشقة الفاخرة تكلفت ديكوراتها فقط ما يقرب ! من 17 مليون فرنك

هذه نماذج لما نشرته مجلة " لوبوان " الفرنسية ونشرتها في عددها الصادر في 8 ديسمبر 1980

: قالت الصحيفة الفرنسية

منذ حرب أكتوبر عام 1973 كنتيجة مباشرة لتلك الحرب والأموال تتدفق على دول البترول في الخليج وبشكل لم " .
يكن في خيال أكثر الاقتصاديين تفاولا

ففي صباح كل يوم ومنذ شهور عديدة ماضية يحمل البترول دخلا جديدا إلى السعودية يصل إلى 300 مليون دولار،
6 مليون دولار للكويت، و65 مليون دولار لقطر، وبمعنى آخر فإن التقديرات النهائية لدخل دول البترول العربية عن
! عام 1980 يتراوح ما بين 110 و130 ألف مليون دولار

هذا المبلغ الخيالي غالبا ما يقتسمه بعض الأمراء في تلك الدول . ففي قطر مثلا يمنح القصر لكل أمير راتبا يوميا يبلغ
20,00! فرنك وفي السعودية يزيد مات يمنحه الملك سنويا للأمراء وحاشيتهم عن 2 مليار فرنك

ويوجد في العالم العربي ما يقرب من 200 شخص تتعدي ثروة كل منهم 500 مليون دولار ! وهناك على الأقل 2000
! غيرهم يملك كل منهم ما يزيد عن 100 مليون دولار أى أنه في العالم العربي 2500 مليونير بترولي

فاين تذهب هذه الأموال التي يطلق عليها الغربيون . دولارات البترول أو البترو دولار ؟ إن الأموال التي تدفقت على
الخليج كانت من آثار حرب تشرين فالدماء لم ترو المعركة ولم تحر الأرض بل تحولت إلى سبائك ذهب في يد قلة . فإذا
كانت دماء الكويتيين والمغاربة والسودانيين قد هانت على حكامهم فلماذا لا يحدث نفس الشيء في مصر ؟

وفي سرعة رهيبة بعد أن قفز المفاوضون إلى الحكم ظهر أصحاب الملايين في مصر , وأصبح في مصر أيضا 500
!! مليونيرا

وظهرت مشاريع مشتركة ويصرح أحد أفراد عائلة أكرم عجة وعدنان خاشنجي بعد اشتراكهم في مشاريع تجارية
موحدة " نحن شركة عائلية تماما كشركة روتشيلد, أولويس درينوس " ! اعترفوا أخيرا أن لا فرق بينهم وبين الصهاينة
!!

ولم تعد الأرض العربية أرضهم ولا الشعب العربي شعبهم إنهم يشترون الفيلات والأراضي والعقارات في باريس ولندن
ونيو يورك وبالمثل فعل " السادات " فاشترى ضيعة في الولايات المتحدة ودخل ابنه " جمال " في سلك أصحاب
الملايين وتتدفق الأموال العربية على البنوك الأمريكية والانكليزية والفرنسية وكما أعلن الأمريكيون أنفسهم إن
! الأرصد السعودية تدعم الاقتصاد الأمريكي

وأمرىكا لا تخفي دعمها للصهيونية .وليحترق الشعب العربي .من ذكريات عن معركة أيلول في الأردن نية الاستيلاء
:على الحكم؟ فأجاب

استطعنا أن نتصدى لما حدث بحزم وقوة وأننا سنضرب بالحديد والنار لأننا لن نسمح لأي كان أن يمس " السلطة " النظام وتروي المناضلة " جهاد حتر " في كتابها.كيف ضرب الملك حسين بالنار والحديد؟ وكيف حارب ضد الفلسطينيين دفاعا عن السلطة والنظام؟

: تقول

أحرقوا الجثث واقتلعوا عيونهم وقطعوا أطرافهم والثوار يتصدون للهجمات الوحشية بعنف وقوة ليلة 10 سبتمبر " وشنت السلطة أعنف هجوم لها على الجماهير بشكل لم يسبق له مثيل في أى من المؤامرات التي نفذتها " السلطة " . ضد شعبنا فقضي الشعب ليلة رهيبة في الملاجئ

قصف عنيف كانت تهتز معه جدران المستشفى يختلط صوت الموت مع صرخات الجرحى من الأطفال والنساء ! وقنابل النابالم والقنابل الفسفورية الأمريكية الصنع تحرق وتحصد الشباب والأطفال والنساء

هذه السلطة

إن مشكلة الوطن العربي تكمن في هذه السلطة التي تحكم في كل قطر ولعل الملك عبد العزيز آل سعود خير أو أسوأ من عبر عن هذه " السلطة " بقوله " أخذناها بالسيف ونحكمها بالسيف " فأنظمة الحكم الجائرة لا تدري كيف تفسر ! "سلطانها فهي تارة " إسلامية و" تارة " ديمقراطية " وتارة " شعبية " وهو في الحقيقة " حكم العائلة

ولم يكن " السادات" نشاذاً عندما أعلن نفسه " كبير العائلة " وأعطى لنفسه حق التصرف في مصير الشعب . ومستقبله وثرواته ولكي تؤدي العائلة وظيفتها تزوج ابن عثمان أحمد عثمان بكريمة السادات

كما ترابطت أسرة سيد مرعي والسادات وأصبح بحق "رب الأسرة " أسرة المقاولين والوسطاء والإقطاعيين وتكاملت . الأنظمة العربية وتطورت " السلطة" في الأقطار العربية المتقدمة لتسير إلى الوراء وتلحق بالأنظمة المتخلفة

وبينما كانت مصر عام 1800 قد وضعت وثيقة تلزم الحاكم بعدم فرض ضريبة إلا بموافقة الشيوخ والأعيان ثم حصلت على دستورها ومجلس نواب له حق بحث الميزانية عام 1879 أصبحت مصر عام 1970 كل ما فيها ملم للحاكم .يتصرف في ميزانيته وكأنها ثروة خاصة

ويعقد الاتفاقيات والمعاهدات بمفرده! كان مبدأ الفصل بين السلطات قد تقرر في الوطن العربي منذ مائة عام ولولا الاحتلال البريطاني لمصر لتطور النظام النيابي وأخذ مجراه الطبيعي كما هو حادث في الدول الكبرى ولاضطرت الأقطار العربية إلى مجازاة مصر ..

وجاء السادات ليحكم مصر كما تحكم الأقطار العربية لا فاصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة .. القضائية الكل في واحد الملك أو الأمير أو الزعيم

وأصبحت حياة الناس وأموالهم رهن إشارة الحاكم الأوحده يستمد سلطانه من أجهزة القمع ومساندة القوي الخارجية وشاهد الوطن العربي عمليات التعذيب والإرهاب التي لم تكن تقل وحشية عما ترتكبه إسرائيل ضد الشعب العربي في فلسطين .

الإرهاب والتعذيب

في الأربعينات عادت البعثة العسكرية من العراق واستقبلهم الإمام يحيى وهو جالس القرفصاء على الأرض يتعاطى القات ودخل الشبان العسكريون بملابسهم العسكرية وأدوا التحية

نظر إليهم واستنكر ملابسهم العسكرية فأمر بخلعها. وزج بهم في السجون وكان هذا مصير كل مثقف في اليمن! إن سجن حجة في اليمن كان رمزا لأبشع صور التعذيب يقع في جوف قمة جبل. ولا يري السجناء النور حتى يخرجوا. أمواتا أو نصف أحياء وكان قطع الرؤوس بالسيف سمة نظام الإمام الوحشي

إن هذا الأسلوب الرجعي والوحشي ظل ممتدا خلال مرحلة التحرر العربي الوطني والصراع ضد إسرائيل ولم يعد الإنسان العربي يدري هل هو يصارع ضد العدو الأجنبي أم ضد العدو الرابض في الداخل ؟

ففي مصر قيد أساتذة الجامعات والكتاب والصحفيون والقادة النقابيون في سلاسل حديدية واقتيدوا إلى سجن الواحات ليمثلوا أمام اللواء " همت باشا " وجردوا من ملابسهم وقفوا عرايا كما ولدتهم أمهاتهم يتلقون الضرب بالسياط . والشوم

وسقط الدكتور فريد حجازي وشهدى عطية شهداء من عنف الضربات والقسوة والوحشية كانت كل جريمتهم أنهم طالبوا للفقير بحقه في الحياة. كما قام عبد الحميد السراج في سوريا بإذابة جسد فرج الله الحلو المناضل اللباني بعد قتله في حامش كيميائي وشاهدت العراق بحار الدماء في الصراع بين القوي الوطنية

وتحولت الحركة الوطنية إلى مجزرة وحشية وكانت كل جماعة تقفز إلى الحكم تعلق المشائق لأطراف الجبهة الوطنية وما أن مات عبد الناصر حتى انطلق الوحش الكامن في الرجعية العربية وبعد أن كان التعذيب والإرهاب يجري في .. ظلمات السجون والأقبية أصبحت المذابح تحدث علنية ونهارا

تولي السادات الحكم بعد انقلاب 15 مايو وشاهد السودان ردة يوليو عام 1971 وقام النميري بشنق الزعيم الوطني عبد الخالق محجوب والزعيم النقابي العمالي الشفيق أحمد الشيخ

وفي تونس ألقى القبض على القادة النقابيين العمال وزج بهم في السجون وفي السعودية .تعرت الأنظمة العربية وكشفت كل عوراتها في أحداث السعودية ففي هذه المملكة التي تحكمها قوانين القرون الوسطي هب الشعب في انتفاضة عام 1979

اشترك فيها سعوديون ومصريون ويمنيون وعراقيون وسودانيون وكويتيون وعجرت الدولة بأجهزتها البوليسية .. والعسكرية على التغلب على الانتفاضة لم يكن رجال الحرس الوطني أو رجال الجيش إلا أبناء الشعب

ولجأت الدولة إلى حلفائها وعلى أثر وقوع الحاد بادرت الحكومة إلى حليفاتها الولايات المتحدة تطلب إرسال قوات : خاصة من الكوماندوس وقالت وكالة تاس

تم نقل أفراد هذه القوات الخاصة المحمولة جوا إلى قاعدة الظهران في المملكة العربية السعودية على متن عدة " طائرات نقل تابعة للسلاح الجوي الأميركي وكان أفرادها يرتدون الزي المدني وأحيطوا بتكتم وعناية حي قدموا على " أنهم مدنيون تابعون لشركة أرامكو

وكشفت مجلة " لوبوان " الفرنسية في تاريخ 28 /1/ 1980

إن الملك خالد طلب شخصا من الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان المساعدة في سرية تامة بعد أن عجرت " القوات السعودية على القضاء على الجيوب الأخيرة التي لجأت إلى الطابق الأسفل من المسجد وجاء هذا الطلب " خصوصا بعد أن لوحظ تردد بعض الضباط السعوديين في الاستمرار في الهجوم على المتمردين

وقوة ثالثة بعد أمريكا وفرنسا جاء دور المملكة الهاشمية الأردنية نسبت وكالة أنباء ألمانيا الغربية إلى مصادر دبلوماسية في القاهرة قولها

" إن السعودية استعانت بقوات مظلية أردنية وأن وحدات من هذه القوات وصلت إلى السعودية فعلا "

ونشرت صحيفة " السفير " اللبنانية

إن القوة الأردنية التي أرسلت كنجذات لتدعيم القوات السعودية في قتال المسلحين المعتصمين بالحرم المكي هي " كتيبة الصاعقة " 91" والتي يبلغ عدد أفرادها " 300" رجل بقيادة الضابط " تحسين سقم" الشركسي الأصل

! حلفاء

وصلت الانتفاضة الشعبية في مصر إلى أسوان كان ذلك قبل انتفاضة الشعب في السعودية وحاصرت الجماهير المصرية "!!" السادات " وجلاديه . فصرخت حرم وزير الخارجية. " فين الأمريكان " ؟ " هة فين الأمريكان ؟

:كانت صحيفة " الفاينشال تاميز " قد نشرت في 7 / 12 / 1979

ومنذ أصبح الأمير فهد وليا للعهد في نهاية حكم الملك فيصل اتبعت العربية السعودية سياسة مبنية على علاقات " اقتصادية متينة مع الغرب وتمتعت بتفاهم مع الولايات المتحدة حول أمن البلاد

إن هذه الأنظمة العربية التي تعيش في عزلة عن شعوبها تبحث عن الأمان في حماية القوات الأجنبية سواء كانت هذه القوات أمريكية أو فرنسية أو صهيونية . فالتكوين العضوي لهذه الأنظمة ومنحائها الاقتصادي وانفرادها بتبذير ثروات شعوبها جعلها في عزلة دفعها إلى البحث عن الأمان

وفي هذا تقول مجلة " نيوزويك " الأمريكية تحت عنوان " المملكة العربية السعودية ركيزة أمن الولايات المتحدة " المتزعزعة

أن أعظم خطر يهدد العائلة المالكة ما يزال الخطر الذي يمكن أن يأتي من بين صفوفها بالذات إن انفجار المواد " النفطية قد جعل من حوالي 800 أميراً سعودياً مليونيراً كبيراً .. وفي مصر ظهر أكثر من 500 مليونيراً فكما يحدث في السعودية يحدث في مصر تأليف شركة أعضاؤها مجموعة من أولاد بعض الوزراء والطريف كما تقول جريدة " أم القرى " السعودية أن بعضهم لم يتجاوز التاسعة من عمره ونشرت صحيفة " الأهالي " في مصر أسماء الشركات التي تحتكرها أسر بكاملها !! وما يحدث في السعودية أو مصر يتكرر في الدول العربية الأخرى

وإذا كانت السعودية ودول البترول تستنزف ما في بطن الأرض فإن الدول العربية الأخرى تستنزف دم شعوبها . ولا بد من حماية لهذه الأسر التي تستأثر بكل شئ وتترك شعوبها جائعة عارية . يعلن السادات هذه الحقيقة في تعقيب له على . تصريحات الأمير فهد

فيقول

مفيش واحد في إمارات الخليج بما فيها السعودية إلا ويعلم أن حاميته هي أمريكا ونحن لا نلومهم على هذا بل أنا " أعلنت إذا ما تعرض أى بلد عربي في الخليج لأى تهديد أجنبي وطلب من أمريكا أن تصل إليه لتتجده فسأعطي أمريكا " التسهيلات قبل أن تطلب أمريكا هذا ومن غير أن يطلب هؤلاء الجهال والأقزام

ثم يمضي السادات قاتلا

يخرج الزعيم الجديد (الأمير فهد) يقول بعد أنا ما أعلنت أن السعودية لا تعطي تسهيلات ولا تعطي قواعد ولا " تعطي شئ عيب , عيب لأن السعودية طلبت الطائرات (ف - 15) من أمريكا لكي تقوم بتظاهرة في السعودية (خطاب 28 يناير 1980)

ولم يكن التهديد أجنبيا بل من الداخل ونشرت جريدة النهار تحت عنوان بارز (أكبر عملية إعدام في تاريخ السعودية) وتحت عنوان " قطع الرؤوس " قالت مجلة " نيوزويك " في 21 يناير 1980

في فجر أحد أيام الأسبوع الماضي رفع جلادون ملكيون في ثمان مدن سعودية سيوفهم الفولاذية المزخرفة " وقطعوا رؤوس 63 رجلا وكان ذلك أكبر إعدام جماعي في تاريخ البلاد

ولم يكن ما حدث في السعودية فريدا . ففي عمان كانت القوات الإيرانية في عهد الشاه المخلوع تقوم بقصف المدن ! والقرى وقتل الرجال والنساء والأطفال حماية لعرش قابوس

وما يحدث في مصر هو امتداد لهذا الإرهاب والمذابح في الوطن العربي فبعد أن أطلق السادات الرصاص على الشعب " أخذ يبحث عن الحليف مع الرئيس جعفر نميري ونشرت مجلة " الدستور

تستطيع " الدستور " أن تؤكد أن اجتماعا سريا تم في أسوان بين السادات وجعفر نميري وأنه تم في هذا الاجتماع . تنسيق الأدوار فيما يتعلق بالنواحي العسكرية ذات الصلة الأكيدة بالتواجد الأمريكي العسكري في المنطقة

الجهل

في عام 1973 صدر مرسوم ملكي في السعودية يقر أن الأرض " كروية " بعد أن كان الإنسان قد دار حول الأرض بالسفن والطائرات والسفن الفضائية لم تكن هناك حاجة إلى براهين تثبت نظرية " كروية الأرض " بعد أن شاهدها . الإنسان بعينه كرة معلقة في الفضاء

وعندما صعد الإنسان إلى القمر وقف شيخ على منبر جامع في المغرب يعلن للناس أن ما يسمونه كذب وافتراء ووجه إليهم السؤال هل رأي أحد منكم هذه المركبة التي ادعوا أنها هبطت على القمر ؟

ولم تقف " المأساة " عند هذه الحدود فعندما أراد " السادات " أن يثبت تحضره ويخلق مبررا لشراء السلاح من ! الغرب أعلن أنه يريد أن يمسك كل من أبنائنا الجنود " الكتروننا " في يده

إن ما أصاب " الوطن العربي " في ظل أنظمة الحكم الرجعية القائمة من فقر وجهال وإرهاب ألقى بثقله على حركة التحرر وكانت النتيجة أن 40 % من خريجي الجامعات المصرية تركوا مصر وتقول إحصائيات الأمم المتحدة أن نسبة .. الوفيات بين الأطفال زادت وخرج العمال والفلاحون من مص يبحثون عن لقمة العيش

وما حدث في مصر حدث في كل من الأنظمة المتحررة وظهرت الطبقات الطفيلية لتكون رصيذا وسندا للرجعية القديمة وكانت الطبقة الجديدة أشد جهلا وتكونت من المقاولين والوسطاء والضباط الذين استغلوا الثورة لجمع الثروة واجتمع . المال والجهل ليسيطروا على الشعب

ونحيت الكفاءات بل أطيح برؤوسها بحد السيف وفرضت الأحكام العرفية والرقابة على الصحف والكتب وصدرت قوائم . الفصل للصحفيين وأساتذة الجامعات

وعاد الشعب العربي ليعش في ظلمات الجهل من جديد فمن ناحية تطارده إسرائيل وتغتال كل ما ينبغ فيه ومن ناحية . أخرى تطارده الأنظمة القائمة وتلقي به في غياهبات السجون أو إلى المجهول

وأصبحت أجهزة الإعلام بوقا لصاحب السلطة تردد ما يريد وتخفي ما يهيم الشعب من أحداث . وعاد العالم الاشتراكي . إلى الظل بعد أن كانت البعثات ترسل إليه ويتلقى أبناء الشعب الفقير التعليم العالي مجانا

وحرّم استيراد الكتب والأفلام والثقافة من الدول الاشتراكي في الوقت الذي تخصص فيه الجامعات الأوروبية والأمريكية دراسات عامة وخاصة عن هذا العالم . وما زالت "السعودية" حتى اليوم لا تعترف بالاتحاد السوفييتي كما فعلت أمس " بعدم اعترافها " بكروية الأرض

المأساة

تقدمت امرأة مسنة من الرئيس اللبناني الحص وأمسكت بثيابه وهي تصرخ

! ما بدناشي . ما بدناشي . ورجعونا على الجنوب بس

وكما قالت الصحف بدا الرئيس الحص متأثرا وقال لها

. عن قريب . عن قريب إنشاء الله

ألف نازح من الجنوب قري بأكملها نزحت إلى بيروت ولم يبق في الجنوب إلا من عجز عن الهرب إنهم اللبنانيون 250 . ليس الفلسطينيون وحدهم أو سكان ضفة القتال أو قري الجولان

وتقول وكالة "رويتر" أن من بين المناطق التي يحلق الطيران الإسرائيلي فوقها قاعدة "تبوك" الجوية في شمال غرب السعودية . ونشرت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية أن السلاح الجوي الإسرائيلي يتدرب إلى الكويت والسعودية . ودول الخليج

زحف جديد

في كل يوم كان عشرون ألف ينزحون إلى بيروت وعلى وجوههم صورة المأساة وعلائم البؤس والتعاسة ومعهم هول الكارثة .. ووقفت الدول العربية محايدة وهي تشهد ألفي فدائي في مواجهة 30 ألف جندي إسرائيلي وستون طائرة . تنصف المخيمات . وتدمر ميناء صور بالقتال الثقيلة

وقام أحد أصحاب البنايات الجديدة في بيروت بسد باب عمارته ببناء مسلح حتى لا يسكنه المساكين النازحون وبعض الميسورين استأجروا مسلحين من أصحاب " الدكاكين " العسكرية الخاصة لحمايتهم من التجاء المهاجرين

وفي القاهرة التجأ الشعب إلى المقابر يبحثون عن سكن وسط الأموات بينما الأغنياء يقيمون العمارات للسكن الفاخر ولمزيد من الاستعلامات يمكنك الاتصال بشركة " دلمان " للإسكان والفنادق 6 شارع عدلي بالقاهرة وشقق فاخرة 6 غرف وصالتين و3 حمامات ملونة ومطابخ استنيل

الشقة على مساحة 250 متر مربع مقدم الحجز 50 ألف جنيه للوحدة الواحدة أو 73 ألف دولار أو ما يعادلها بالعملات . الصعبة والأولوية للحاجزين بالعملات الحرة وفتح باب الحجز في البرج الأول من ابراج ماسبيرو

وفي تقرير لوكالة الأنباء الفرنسية أن عدد المساكن الآيلة للسقوط في القاهرة يقدر بنحو 50 ألف مسكن , ويقول التقرير في الشهر الماضي انهارات عمارة من 5 طوابق وكانت الخسائر 11 قتيلا . وهذه الخسائر تعد متواضعة إذا قورنت بالخسائر في الأرواح التي ترتبت على انهيارات العام الذي سبقه مثل حادث الظاهر 29 قتيلا والسيدة زينب 78 .. قتيلا

وتتمو العناصر الطفيلية مع الشركات الأمريكية في الوطن العربي وبعد أقل من خمس سنوات من ضرب مدينة السويس : بالقتال الأمريكية الصنع نقرأ الإعلان التالي

انطلاقا من تأكيدات الرئيس أنور السادات بضرورة تحقيق الأمن الغذائي قام " بلبوشي وشركاه " ببناء أكبر مجمع تبريد من نوعه بالمنطقة الحرة بالسويس وضمانا لنجاح المشروع تعاقد مع شركة " دانهام بوش " و " جنرال الكتريك " الأمريكيتين وهذا المجمع التبريدي عبارة عن ثلاثيات لحوم مجمدة وتتجسم مشكلة الشعب العربي في هذا الغزو الأمريكي الذي فتحت له الرجعية الربية ذراعها

وفي ظل هذا الغزو انحدرت طبقات بأكملها إلى هوة الفقر المدقع بينما صعدت قلة إلى قمة الهرم الاجتماعي تتعاون مع الغزاة الجدد وتحكم في حماية القوات الأجنبية وتسيطر بالسيف والإرهاب وتقف في عدااء صريح للشعب العربي

الفصل السابع:العالم الثالث

أيما ذهبت وحيثما كنت يا نيكسون فكر بالله تغفر وستظل فيتنام وكوبا مثالينا في مواجهة اعتداءات زماننا هذا " وستدافع شيلى مدعومة بأخواتها شأنها شأن هذين الشعبين الجسورين عن كرامتها الثورية الحقيقية

الشاعر بابلو نيرودا" من ديوان آخر الأشعار "

لم تكن وفاة " عبد الناصر " بداية المأساة . كانت مصر في نفس الطريق الذي أطاح بـ .. " سوكارنو، لومومبا، نكروما ".العالم الذي خرج من براثن الاستعمار القديم سرعان ما واجه غزو الإمبريالية الأمريكية

كان غزوا وحشيا دمويا . جاء في مرحلة فقر مدقع للجماهير وضيق في السوق الرأسمالي وتشبث من الطبقات المالكة . في الاحتفاظ بما تملك ! فكان الصراع قاسيا ومريرا

ولم يأت الغزو من الخارج كما كان يفعل الاستعمار القديم بل جاء من الداخل عندما فتحت العناصر " الخائنة " الأبواب " ليدخل الاستعمار الجديد وكان هذا مضمون سياسة الانفتاح " التي تبناها السادات

تساقطت حركات التحرر الوطنية الواحدة تلو الأخرى واندفعت الأنظمة الرجعية بشراسة إلى جانب الغرب تكيل الضربات إلى أنظمة الحكم التقدمية وكان هذا تأكيدا لتهديدات وزير الخارجية الأمريكي " دالاس " الذي توعد دول " عدم الانحياز " ووصف سياستها بأنها " لا أخلاقية

السياسة الأخلاقية

تبين للجنة التحقيق الخاصة التي شكلها مجلس الشيوخ الأمريكي وأشرف عليها السيناتور " تشرش " لبحث تجاوزات جرائم وكالة المخابرات الأمريكية

أولا: أن هذه الوكالة كانت وراء اغتيال " لومومبا " في الكونغو واغتيال "البندي" في شيلى وأنها حاولت اغتيال " كاسترو" و" مكاريوس

. ثانيا: إن هذه الوكالة نجحت في تدبير الانقلابات ضد " سوكارنو" في إندونيسيا ونكروما في غانا

ثالثاً: إن هذه الوكالة حاولت أكثر من مرة اغتيال عبد الناصر ولم تنجح وكانت العناصر المنفذة للعمليات من الداخل " وليست جيوشاً غازية ففي غانا اعترف الجنرال " أنكرا " بعد ثلاث سنوات من الانقلاب الذي أطاح بالزعيم الوطني " نكروما " أنه تلقى الأموال من الشركات الخاصة لأغراض سياسية وقدم استقالته عام 1969 " ومرة ثانية في عام 1972 بعد فوز الدكتور " كوفي بوذيا " رئيس الحزب التقدمي في الانتخابات بـ 102 مقعداً من أصل 140 مقعد بدأ . يتخذ خطوات نكروما

قامت الشركات التي مولت الانقلاب ضد نكروما بتدبير الانقلاب ضد " بوذيا " استحوذت شركة " فايرستون كوربوريشن " الأمريكية على جميع مزارع المطاط في غانا

كما سيطرت شركة " انترناشيونال هوليكز كوربوريشن " الأمريكية على كافة الفنادق وانفردت الولايات المتحدة بصناعة تكرير البترول وكتبت مجلة " أفريقيا " والعالم البريطانية أن غانا تحولت إلى جنة للاحتكارات الأجنبية وبالأخص . للاستغلال الاقتصادي الأمريكي

واحتفظت الاحتكارات الأجنبية بسعر " الكاكو " الذي تنتجه " غانا " بينما زادت أسعار البضائع المستوردة خمسة أضعاف . وأغلقت المصانع التي كانت قد أقيمت في مرحلة " نكروما " وتحولت الآلات إلى قطع من الحديد الخردة . وعادت " غانا " سوقاً للنهب الاستعماري ومورداً للمواد الخام

وعاد الشعب في غانا إلى سيرته الأولى في ظل الاستعمار القديم تحكمه القوة ويعصف به الفقر ويسيطر عليه الإرهاب .

الإغلاق والشركات

وفي إندونيسيا أطيح بالزعيم " سوكارنو " الذي قاد الشعب في معركة التحرير ضد الاستعمار الهولندي وتصدي للاستعمار الجديد قفز " سوهارتو " العصابة العسكرية إلى الحكم بعد أن حولوا شوارع المدن إلى بحور من الدماء وزجوا بالآلاف في السجون ويشهد سجن " ساليبا " في جاكرتا مئات النسوة اللواتي يقفن في صف طويل لزيارة . أزواجهن وتقديم طرود الملابس والأغطية

وفي معتقل جزيرة " بوردو " الوحشي يتم دفن السجناء السياسيين الإندونيسيين أحياء منذ تولي " سوهارتو " الحكم وفي هذا المعتقل أكثر من 10 آلاف معتقل لم يقدموا إلى المحاكمة لسبب بسيط هو أن السلطة لا تملك أن تدينهم قانونياً !

ومن بين المعتقلين 65 أستاذاً جامعي 13 اقتصادي 12 أستاذ تربية 343 من خريجي الجامعات وبين المعتقلين الشاعر ريني أبيه والروائي البارز انانتاتور والبروفسور سوبرايتو

وأبيد آلاف المواطنين بتهمة الشيوعية . وغرقت اندونيسيا في الدم والنتيجة

. أطلق الحكم العسكري مستشاري البنك الدولي وصندوق النقد الدولي بحرية في البلاد

. ارتفعت نسبة رأس المال الأمريكي إلى 33 % من مجموع الرأسمالي الأجنبي في البلاد

في تشريع 67 إعادة كافة المشاريع والشركات الصناعية والمزارع الكبيرة التي كانت أمت أو وضعت تحت سيطرة .. الدولة إلى المستغلين القدامى وعادت الشركات الأجنبية إلى اللصوص الأجانب

صدور قانون لاستثمار رؤوس الأموال الأجنبية بشروط أفضل لرأس المال الأجنبي وللمستثمر الحق في أن يخرج فوائده سنويا بالعملة الأجنبية وأن يخرج المال نفسه بعد خمس سنوات من بدء استثماره وتلتزم الحكومة بألا توقع أى . تأميم على المشاريع الأجنبية

حصلت اندونيسيا على قروض ضخمة استهلكت في شراء بضائع استهلاكية من الدول الغربية. وما زال سوهارتو يحكم رغم بحار الدماء ورغم تبيد ثروة الشعب ولم يرتفع صوت من العالم الرأسمالي يندد باهدار " حقوق الإنسان" أو ! ابتزاز ثورة الشعب

العائلة الحاكمة

عندما سئل " السادات " عن ممارسة السيدة " جيهان " زوجته لأعمال الاستثمارات قال : أن السيدة خريجة الجامعة ! وزوجة النبي كانت تمارس التجارة

:أما الرئيس " سوهارتو" فلم يكن في حاجة إلى تبرير أنه أذكي من السادات فأصدر بيانا رسميا قال فيه

" لم ولن أقدم أية تسهيلات خاصة إلى زوجتي أو أفراد عائلتي أو الذين يدعون أنني نسيبهم "

ولم يصدر هذا " البيان الرسمي " إلا بعد أن نالت زوجة الرئيس " سوهارتو " لقب " سيدة العشرة بالمائة " مع الاحتفاظ بلقب " سيدة اندونيسيا الأولى " ونترك الصحافة تحدثنا عن عملية النهب التي تقوم بها أسرة سوهارتو. تقول مجلة " الأسبوع الدولي " في عددها 182

ثمة إجماع على أهمية الدور التجاري الذي تلعبه زوجة الرئيس التي تلقب بـ " مدام تنب ير سانت " أي سيدة العشر " في المائة

ويقال أنها تمتلك حصصاً ثابتة في المؤسسات الفندقية ومطاحن الدقيق وصناعة الأسمنت وقد أكدت نشرة سرية وزعت مؤخراً في جاكارتا أن السيدة الأولى تمتلك 131 شركة تجارية وقد أوكلت إلى وسطاء صينيين عملية ترتيب الصفقات

ويسابق شقيق الرئيس الأصغر " سود كاتمونو" زوجة أخيه في استغلال نفوذ العائلة وجني الأرباح فقد تبين أنه من كبار المساهمين في شركة عقارية تدعى " متربوليتان ككتوتا" أقدمت على طرد 20 عائلة فقيرة من بيوتها قبل أن تقتلعها الجرافات وقد جري استملاك قطعة الأرض بالقوة لبناء مجموعة سكنية فخمة. ويقال إن أولاد الرئيس قد أعجبوا بمهنة التجارة وبدنوا يتدربون على " قضم " العملات

إن جولة قصيرة في " حزام " الفقر المحيط بالعاصمة جاكارتا يؤكد سوء الأوضاع المعيشية للسواد الأعظم من الشعب فبينما تقام الفنادق الفخمة واستراحات رجال الأعمال يعيش الناس في بيوت من الصفيح وأكوخ من القش ومعدل الدخل السنوي للفرد لا يزيد عن 300 دولار في السنة ويعيش 60% من السكان دون الحد الأدنى للمعيشة؛

والمعارضة تزداد واضطر " سوهارتو" إلى إلقاء خطاب في القوات المسلحة هاجم فيه التيارات الماركسية والشيوعية والإشتراكية والوطنية والدينية وبعد ثلاثة أسابيع أخرى ألقى خطاباً شن فيه الهجوم على ربات البيوت وضد الطلبة وكان الخطاب الأخير رداً على الشائعات التي انتشرت عن عقيلة سوهارتو بأنها تتلقي الرشاوى من المناقصات وأن ! سوهارتو اتخذ ممثلة جميلة عشيقة له

كوريا الجنوبية

ما يحدث في " إندونيسيا " بعد الانقلاب الذي أطاح بالرئيس سوهارنو . ليس سوى صورة متكررة لما يحدث في بلدان العالم الثالث التي سيطرت عليها الولايات المتحدة سواء عن طريق القوات المسلحة أو تغلغل الشركات أو السيطرة على .. السوق

ففي التقرير الذي وضع عام 1979 وقدم لمجلس الشيوخ الأمريكي يفسر خبراء الكونجرس الأمريكي الأهداف السياسية للوجود العسكري الأمريكي

القواعد والقوات الأمريكية تقدم فائدة كبرى للولايات المتحدة في مجمل علاقاتها مع القوي السياسية المهيمنة في " بلدان آسيا الشرقية

ففي كوريا الجنوبية 31 ألف جندي أمريكي من قوات المشاة و 8 آلاف في القوات الجوية. فماذا تحمي هذه القوات الأمريكية؟

تقول صحيفة " القبس " في رسالة لها من سيول

عاصمة كوريا الجنوبية إن سلطة الحكومة أصبحت تحت سيطر الجنرالات الذين عرف عنهم الفساد السياسي " والرشوة

وبعد قيام ديكتاتور عسكري جديد في كوريا الجنوبية تم طرد 232 من كبار الرسميين منهم وزير الصناعة والتجارة وخمسة وزراء ورؤساء دوائر حكومية كما قدم آخرون استقالاتهم من إدارات الجمارك ومن وزارة الداخلية و 100 من فاحصي الحسابات وفي 15 يوليو 1980 أعلنت الحكومة أنها طردت 4760 موظفا للفساد وعدم الكفاءة والأهلية

ويخرج المطرودون بعد أن جمعوا ثروات ضخمة ليعملوا بها في القطاع الخاص ويحل مكانهم فاسدون جدد! وقد استعملت الصحافة ومحطة التلفزيون والإذاعة بمثابة درع سياسي لحماية رجال الأعمال كما تبين أن عددا من الصحفيين كشفوا أنفسهم وأصبحوا مشتركين في تهمة الضلوع مع بعض السياسيين والفاستدين .ومن خلال حملات التطهير ضد الفساد يتم تطهير كوريا من المعارضين لنظام الحكم والولايات المتحدة وشركاتها

هذه الأنظمة

أكثر من أربعين انقلابا عسكريا أو محاولة انقلاب عسكرية حدثت في أفريقيا وحدها خلال ست سنوات ويقول المعلقون السياسيون عن أفريقيا أنها " تسلك طريق أمريكا اللاتينية " طريق الانقلابات العسكرية والحكومات العميلة والتغيرات المستمرة للأنظمة

.. ولم يكن الأمر قاصرا على " أفريقيا " وحدها .. بل نشاهده في الشرق الأوسط وفي آسيا

: فما سبب هذا الوضع؟ ونترك الكاتب الانجليزي "جاك وودس " يتحدث

تعد أهداف الإمبريالية أول عمل رئيسي ينبغي أخذه في الاعتبار فكل من الدول القديمة صاحبة المستعمرات في " أفريقيا، بريطانيا، فرنسا، البرتغال، بلجيكا وكذلك الدول الحديثة المتنافسة على السلطة والنفوذ في أفريقيا والولايات المتحدة ألمانيا الغربية ومنذ عهد قريبا اليابان كانت في الفترة التالية للحرب العالمية الثانية تهدف إلى تحويل أفريقيا "إلى مصدر لأرباح إضافية جديدة لنفسها وذلك في مساعيها للاستفادة من نفس انهيار النظام الاستعماري القديم

الاستعمار الجديد في محاولته للإحلال مكان الاستعمار القديم يقوم " بنقلاب " الأرض في المستعمرات ليقضي على الأوضاع الاجتماعية القديمة وليخلق ظروفًا جديدة مواتية لعملية والنهب والسلب الاستعماري الجديد

إن الطبقات القديمة في المستعمرات لم تعد قادرة على الحكم انكشفت خيانتها للقضية الوطنية وظهر نفسها وانحلالها .وكان لابد من تجديد دماها وظهر مبدأ تحديد الملكية ليووسع من طبقة الملاك وقضي على مبدأ الأرض لمن يزرعها

ليحل مكانه مبدأ " الأرض لمن يشتريها" وظهرت فئة " الرأسمالية الطفيلية " لتحل محل " الرأسمالية الوطنية " وفي كلا الحالين الأرض والتجارة وجد الضباط وحواربيهم الفرصة للأثراء وتربع الضباط على الحكم فهم أقدر هذه الفئات الجديدة على مواجهة الجماهير وكبت ثوراتهم وكبت المثقفين

وكمال قال " جوبلز" الداعية للنازي القديم .و" عندما اسمع كلمة الثقافة أتحسس مسدسي " وتقوم الفئات الحاكمة الجديدة في المستعمرات بنفس دور " النازية " في خدمة الاحتكارات والشركات المتعددة الجنسية ولكنها مع الأسف " فاشية " ذليلة فهي ذليلة في خدمة المستعمر الأجنبي وعلى الرغم مما تملك هذه الجيوش من سلاح فهي عاجزة عن مواجهة الجماهير وتلجأ إلى حليفها الاستعمار وكمال قال لينين

لا نحسب أن ثمة دليلا يظهر بوضوح مدهش البرجوازية الأوروبية كما يظهره تأييدها للرجعية في آسيا هذا التأيد " الناجم عن جشع المالبين والرأسماليين المحتالين

إن هذه الكلمات التي قيلت عام 1913 تظهر اليوم بوضوح تأييد البرجوازية العالمية للنظم العسكرية والرجعية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأصبحت المذابح تجري أنهارا في شوارع المدن ضد القوي الوطنية ... في طهران والقاهرة وجاكرتا وفرموزا وفي عمان وجنوب لبنان أي " وحوش يصبح رجال " السياسة عندما تبلغ الأمور مبلغ استيلاء الجماهير ضد رأس المال

الحرية المحرمة

بدأت الهجمة الشرسة للاستعمار الجديد في أعقاب الحرب العالمية الثانية وكان الهدف كما هو دائما في أعقاب كل حرب تخوضها الدول الرأسمالية إعادة توزيع الشعوب والأسواق ..كانت أول الضحايا دولة صغيرة في أمريكا اللاتينية محصورة بين فنزويلا في الغرب والبرازيل في الجنوب ويكاد تعدادها يتجاوز نصف المليون ساعة وقوع الأحداث أجريت انتخابات في ظل الاحتلال البريطاني وفاز حزب الدكتور " شبري جاجان " حاول هو وزملاءه أن ينفذوا . وعودهم الانتخابية

ولكن هذه الإصلاحات أزعجت الأمريكيين وأقلقت جال المال في لندن ممن يسيطرون على حياة غيانا البريطانية ويستغلون شعبها فأرسلت القوات المسلحة وعطل الدستور ..وكما هي العادة أصدرت حكومة صاحبة الجلالة الملكة في بريطانيا بيانا يقرر تعطيل الدستور وكالعادة أيضا تحدث البيان عن مؤامرة شيوعية وأعفي رئيس الوزراء المنتخب ! وزملاؤه من مناصبهم وأجلت اجتماعات مجلس النواب

تحركت الملكة والأسطول البريطاني والصحافة الصفراء دفاعا عن غيانا التي أوشكت أن تقع في يد الشيوعيين.فما هي الشيوعية التي كانت تهدد جمهورية غيانا البريطانية؟

يروى الدكتور "شديدي جاجان" رئيس الوزراء الذي نحي من مركزه في كتابة "الحرية المحرمة" وتقوم الآن شركات أجنبية عديدة أكثرها شركات أمريكية بأبحاث استكشافية واسعة للتنقيب عن المنجيز والبتروول والمعادن وللأمريكيين مصالح واسعة في غيانا البريطانية فهناك شركة ديميرارا للبوكسيت مع شقيقتها شركة سبو ستونز ليمتد وكلاهما فرع

لشركة الألومنيوم الكندية التي ترتبط هي نفسها بعملية الاحتكار المشترك التي تقوم به شركة الألومنيوم الأمريكية التي مولها " ميللون " أحد كبار الماليين الأمريكيين

وفي " كتابه " فضح الدكتور شيدي جاجان دور الشركات البريطانية في استغلال غيانا ثلاث شركات تمتلك مزارع السكر فثلث الأراضي المزروعة في غيانا مخصصة لهذا المحصول والشركات الثلاث مسجلة في بريطانية ومعظم ! أصحاب مزارع السكر رجال أعمال بريطانيون يقيمون في الخارج

فلم تكد غيانا تخطو خطوة للتحرر من سيطرة بريطانيا حتى جاء رجال الأعمال الأمريكيين بحثا عن الثروة ..كان " لينين " يصف رجال المال " بالعهر " وهذا ما أكدته أحداث " غيانا " فما كان الحزب التقدمي يفوز في الانتخابات حتى قامت بلاد " الحريات " ولم تقعد وأخذ " مومسات " الصحافة يكشفون عن عهر الرأسمالية فصحيفة " واشنطن بوست " وهي تسلم بأن انتصار حزب الشعب التقدمي في الانتخابات سبب القلق في الولايات المتحدة وطالبت بحرمان !! الشعب من حقوقه المحدودة واقترحت العودة إلى تخويل الحاكم العام سلطات حقيقة مطلقة

وقالت صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون

إن مسألة غيانا البريطانية ذات أهمية حيوية بالنسبة للولايات المتحدة بسبب موقعها الاستراتيجي إذا فنزويلا هي " الكلمة المرادفة لمادتين في غاية الأهمية بالنسبة لاقتصاد الولايات المتحدة البترول والحديد الخام

وأكدت صحيفة " تشيوش تيمس " هذا المعنى بقولها

إن مناجم الحديد الخام مساحتها 75 ميلا مربعا قد اكتشفت في فنزويلا قرب حدود غيانا البريطانية كما " اكتشفت أيضا مناجم للحديد الخام على حدود غيانا البريطانية المتاخمة لفنزويلا ويقال أنها أكبر مناجم من نوعها في " العالم

أما الشيوعية التي يتحدثون عنها فهي محاولات الخروج من حزام الفقر الذي ضرب حول الشعوب ويصف " بول لانشارد " وهو أحد رجال وزارة الخارجية الأمريكية الذين استيقظ فيهم الضمير

" فيقول في كتابه "الديمقراطية والإمبراطورية في " بحر الكاريبي

أن الشعب الكادح في كل المنطقة تقريبا يعيش في مستوي دون المستوي اللانق بالإنسان إذ تنتشر مظاهر الفقر في " منطقة الكاريبي فمن الملابس البالية إلى الأقدام الحافية إلى الأطفال ذوي الكروش المنتفخة إلى الأكواخ المصنوعة من الصفانح القديم إلى طوابي العمال العاطلين التي تنتظر أمام بوابات مغلقة فليست " الديمقراطية الرأسمالية " سوي ديمقراطية أصحاب الشركات ورجال الأعمال " وحققهم " في النهب والاحتيايل أما إذا انتقلت الديمقراطية إلى الشعب " وأراد أن يمارس حقوقه فهنا يرتفع الصراخ محذرا " الشيوعية

المأساة الإيرانية

كانت أول " علاقات حميمة" للسادات مع شاه إيران وكانت أول استثمارات تدخل مصر في عهد الانفتاح من إيران " وكانت أول فضيحة للعقود التي أبرمها السادات فضيحة " سيارات الباص

كانت إيران هي " النموذج " الذي يحلم به " السادات " منذ تولي الحكم طغمة من " الأوباش " تضع فوق رؤوسها التيجان الذهبية وتلمع صدرها بالأوسمة " الكاذبة " وترتدي أفخر الثياب وأغلاها وتعيش في قصور نائية عن الشعب وتطل على الجماهير من عل ووراء هذا الستار المزركش الكاذب المحاط بالدروع والمردعات والدبابات والغازات وكل ! أنواع السلاح وترتكب أخط المخازي البشرية بل الحيوانية

والقصة الطويلة

وتبدأ منذ دخل رجال المال البريطانيون إلى إيران عام 1872 حتى يوم طرد المحتالين الأمريكيين عام 1979 وأكثر من مائة عام تتحول فيه ثروة الشعب الإيراني إلى بريطانيا والولايات المتحدة لبناء ناطحات السحب والقصور الفخمة . والحياة الرغدة بينما يعيش الشعب صاحب الثروة في فقر مدقع

ففي عام 1872 منح "شاه فارس " امتيازاً للورد "جوليوس دي رويتر" مدته 70 عاما ويعلق لورد كيورون على هذه الصفقة قائلا:

كانت أتم وأعجب عملية تسليم لجميع الموارد الصناعية في مملكة من الممالك إلى أيدي الأجانب مما قد لا يخطر في الأحلام على الإطلاق فما بالك أن تحدث وتصبح حقيقة واقعة كان الامتياز يشمل جميع بلاد " فارس " وجميع الموارد ! المعدنية فيما عدا الذهب والفضة والأحجار الكريمة

وفي 28 مايو عام 1801 منح الشاه امتيازاً للبحث عن البترول إلى "شركة دارسي" مدته 60 عاما وحصل الشاه على أسهم قيمتها 30 ألف جنيه بينما نال رئيس الوزراء واثنين آخرين 20 ألف جنيه في صورة أسهم

وحاولت شركات أمريكية في سنوات 1921 , 1923 , 1944 الحصول على امتيازات بترولية في إيران بلا طائل ولكن في أعقاب الحرب ظلت الولايات المتحدة مثابرة على أهدافها حتى حصلت على ما تريد

المخابرات... والخونة

أجاب "الن دالاس " مرة على سؤال أحد الصحفيين ما إذا كان منصبه كمدير لوكالة المخابرات المركزية يتضمن التحريض على الثورة قائلا:

سيكون من العبث ألا نتعاون مع أصدقنا في الخارج لمساعدتهم في عمل كل ما يمكن عمله لاستكشاف ومقاومة " الحركات الشيوعية الهدامة

وكان التدخل الأمريكي في إيران عام 1953 لإزاحة رئيس وزارتها الدكتور محمد مصدق أول محاولة ناجحة لفترة ما . بعد الحب لتقويض الحكومات ذات الاتجاه الوطني

ويدهي أن تنتهم الولايات المتحدة حكومة مصدق أنها واقعة تحت تأثير الشيوعيين بعد أن أعلن مصدق تأميم شركة النفط وأعلن "بأن إيران تأخذ حقها في الثروة التي يرقد فوقها نئين كانت إيران قد حصلت من إيران تأخذ حقها في الثروة التي يرقد فوقها نئين

كانت إيران قد حصلت من إيرادات البترول على ما قيمته 316 مليون دولارا بينما حصلت الحكومة البريطانية على 700 مليون دولار فيما بين عامي 1911 حتى عام 1951 وفي السنة السابقة للتأميم أي عام 1950 قبضت إيران 45 مليون دولارا ووزارة المالية البريطانية 140 مليون دولارا

وكما تعودنا بدأت الصحافة الصفراء والتصريحات الرسمية تعلن أن وراء التأميم يدا شيوعية تمولها موسكو يحرض ! عليها الكرملين

ووصل إلى إيران " كلمنت روزفلت" رئيس العمليات في وكالة المخابرات الأمريكية ووضع روزفلت مع خمسة من العملاء الأمريكيين وسبعة من مسئولو المخابرات الإيرانية خطة الانقلاب في احدي الشقق الأرضية في طهران

وبينما كان الن دالاس يجتمع بالشاه (الذي كان قد عزل) في روما كان كلمنت روزفلت يجند أشقاء طهران ووزع . الأموال على العناصر الفاسدة لتأجيج الغوغاء ضد مصدق

ولعبت بعثة المساعدات العسكرية الأمريكية في إيران دورا نشيطا في العملية وقال رئيس المساعدات العسكرية الجنرال . جورج ستيوارت أمام لجنة الشؤون الخارجية في الكونجرس الأمريكي

: ما يلي

عندما جاءت الأزمة وبدا كأن الأمور على وشك الانهيار تجاوزنا طرقنا العادية وقمنا من ضمن ما قمنا به بتجهيز " الجيش مباشرة وبشكل عاجل بالبطانيات والأحذية والبذل ومولدات الكهرباء والأدوية بحي خلقت الظروف الملائمة لأن يسندوا شاه إن السلاح الذي كان في أيديهم والسيارات التي كانوا ينتقلون فيها والمدركات التي مكنتهم من السيطرة على الأوضاع قد جهزت من قبل برنامج المساعدة العسكرية ولو أن ذلك البرنامج لم يوضع موضع التنفيذ لكان ثمة . الآن في إيران حكومة معادية للولايات المتحدة

ونصب " زاهدي " الرجل المعروف بأنه " نازي " رئيسا للوزراء وعاد الشاه وتقاسمت أمريكا وإنجلترا وفرنسا بترول إيران أمريكا 40% وإنجلترا 40% وفرنسا 6%. تم اقتسامها بين الشركات وعادت الأرباح تتدفق على رجال الأعمال المحتالين في الغرب الرأسمالي على طغمة الشاه وعائلته

ومرت الأيام ثقيلة على الشعب الإيراني والولايات المتحدة تدرك ذلك فقد جاء في تقرير رابطة السياسة الخارجية .. " إن فئات الطبقة المتوسطة والمتقنين والعمال قد تبذرت أو هامهم الخاصة بالانحياز للغرب

وأعلن الشاه " ثورته الخضراء " وأرغم على الفاء الانتخابات التي أجراها والتي نال أنصاره 99% من الأصوات " واضطر إلى تعليق لافتة " ديمقراطية جديدة " نفس أسلوب " السادات

الزلازل

كان أصدق وصف لثورة الشعب الإيراني أنها " زلزال " هزت النظام الرأسمالي وشققت الأرض من تحته وأخرجت ما في باطن هذا النظام من عقق وقاذورات نقشعر النفس الإنسانية من سماعه أو رؤيته

سقطت الأقنعة الزائفة للنظام .. وكشفت ما فيه من احتيال وسرقة ودعارة وعهر ووحشية رهيبة . وكانت الولايات المتحدة تبارك كل هذا بل تعمل على دعمه فلم يكن ما يحدث في إيران إلا بامتداد لما يحدث في أمريكا نفسها مع فارق بسيط أن إيران دولة تابعة بينما الولايات المتحدة سيدة لهذا النظام فكانت الجرائم الوحشية ترتكب بعلم ومباركة أمريكية بل كانت الولايات المتحدة عن طريق المخابرات المركزية " سينة السمعة " تنظم هذه العمليات وتدريب " .. الكلاب " من رجال البوليس على اقترافها وتطلقهم لتعقب العناصر الوطنية

وفي تقرير اللجنة الدولية للصليب الأحمر التي قامت باللقاء مع 3086 سجيناً في 18 سجناً من سجون إيران في عهد الشاه نجد أساليب التعذيب التالية

. الضرب المبرح باليد المجردة أو بالرأس وقد حدث ذلك لنسبة تتراوح من 90% إلى 95% من السجناء

. الضرب باستخدام الأسلاك الكهربائية أو العصي وحدث ذلك بالنسبة لـ 80% من السجناء

الحرق بالسجاير المشتعلة تتراوح ما بين 50 إلى 65 من السجناء

الحرق بواسطة السوائل المشتعلة (الشمع) والمحروقات وقد حدث لنسبة تتراوح ما بين 30 إلى 40 بالمائة من السجناء

إيقاف وتثبيت السجين دون حراك وبمختلف الحالات المرهقة وعلى أنواع خاصة من الطاولات والكراسي (وطبقاً لقول السجناء ماكينة أبولو) وتعليق السجين واستخدام السلاسل الحديدية والضغط عليه بوسائل الأثقال

الاستفادة من التماس أو الشوك الكهربائي بدرجاته المختلفة والتأثيرات الإشعاعية بالنسبة 30 % بالمائة من السجناء

. الضغط الشديد وخلع الأظافر في حق 50% من السجناء

. بث الموجات الصوتية العالية وإذاعة الصيحات المزعجة بأصوات مؤذية لنسبة 5% من السجناء

. تثبت الرأس وتقطيره بقطرات متباعدة حدث بالنسبة لـ 5% من السجناء

. منع وتحريم النوم على السجنين بالنسبة لـ 80% من السجناء

هتك العرض والاعتداءات الجنسية الشنيعة في حق (النساء والرجال) والتجاوزات والحوادث الجنسية الأخرى مثل (الاعتداء السافر بوسيلة الزجاجة والعصي والبيض المحمي وإدخال الأسلاك الكهربائية في الرحم) والمعاملات غير الإنسانية وخاصة في سجن القصر وسجن أفين وفي سجون طهران وأصفهان

. التهديد بالإساءة لأفراد الأسرة لعدد 80% من السجناء

نقل السجناء الأصحاء عقليا إلى مستشفى الأمراض العقلية وطبقا لتصريحات أقوال السجناء فإن

الإساءات والأعمال الوحشية المذكورة كانت سببا في وفاة بعض السجناء كما أن عمليات التعذيب الشنيعة كانت سببا .. في الاختلالات العقلية والجسمية

فأين كانت الولايات المتحدة رافعة راية الدفاع عن حقوق الإنسان عندما ارتكب الشاه وزبائنه جرائمهم؟

ملك أم مجرم؟

قالت مجلة " تايم " الأمريكية أنه يوجد دليل مباشر على اشتراك "الشاه" في جرائم الإعدام والقتل أيضا إذا اعترف عملاء السافاك أمام محاكم الثورة الإيرانية أن الشاه أعطي بوليسه السري أمرا شفهيًا موجزا عام 1975 عندما تصاعدت موجة الاحتجاجات الدولية على كثرة المعتقلين السياسيين وأعمال التعذيب في إيران قال لهم فيه: " لا تأخذوا .. أى سجناء .. أقتلوهم" لم تكن هذه وحدها جرائم " السفاح " الإيراني

:فإن ما تتضمنه قائمة الاتهامات التي كانت موجهة إلى الشاه

. تهمة الخيانة بتحويل إيران لوكر للتجسس لصالح الولايات المتحدة والصهيونية وباع إيران للولايات المتحدة

. الانحراف عن القيم بإغراق البلاد بالنوادي الليلية وبيوت الدعارة وكازينوهات القمار

وأخذت الصحف الأمريكية بعد سقوط الشاه في نشر فضائح الشاه. وأسرت حتى تبرئ الولايات المتحدة نفسها من تهمة عودة الشاه بعد عزله عام 1953 . ولكي تغطي بهذه الفضائح حقيقة عملية النهب والاحتيايل الأمريكي لثروة الشعب في .. إيران

: قالت مجلة " تايم " الأمريكية

أيام كان حجم ثروة الشاه الخاصة فقد كان على رأس نظام حكم فاسد من البداية حتى النهاية إذا كان على الشركات " الأجنبية أن تدفع عملات إلى مسئولين في الحكومة أو إلى أعضاء الشاه كي تحصل على عقد في إيران وفي الوقت " الذي كان فيه معظم الشعب الإيراني يعاني من الفقر والقهر والعوز كان الشاه المخلوع يعيش حياة رفاهية مبالغ فيها

ويعتبر الشاه أو ورثته وأقاربه خاصة شقيقته التوأم الأميرة السابقة أشرف من أغني الأغنياء العالم يفعل ما سرقوه . وهبروه من أموال الدولة وهو ما قدر بعشرين مليون دولار

السادات والشاه

وعلى الرغم من استنكار الصحف الأمريكية لسلوك الشاه إلا أن أمريكا أقامت (السادات) ودعمت حكمه بعد سقوط الشاه . وتلاقي السادات والشاه

:ففي صحيفة " الأخبار " القاهرية في عدد 1975/12/16 نقرأ

مليون جنيه عمولات دخلت "الجيوب" والحسابات السرية في السنوات العشرة الأخيرة وضاعت على الدولة 2000 " "

في عام 1971 استوردنا ما قيمته 445 مليون جنيه وستصل استيرادنا خلال 75 إلى 1800 مليون جنيه وبذلك قد . تصل العمولات فقط خلال هذا العام (1975) إلى 90 مليون جنيه

:ونقرأ في الصحف العربية .. صحيفة " السياسة " في عددها الصادر في 1978/7/22 تحقيق صحفي يقول

" أندية القمار في القاهرة عالم يضح بالأسرار الغربية "

ثم يتحدث التحقيق الصحفي

فندق شيراتون بالقاهرة واحد من هذه الأماكن ذات النكهة الخاصة غالبا ما تتكرر فيه مشاهد من نوعية متقاربة " فالنساء الجميلات المتحولات هنا وهناك حول موائد القمار يشبعن الزبائن ذوي الجيوب المنتفخة بنظرات الإعجاب الواعدة والزائفة لتشجيعهم على موصلة اللعب ومشهد يتكرر ليليا والأسماء الكبيرة وأبناء الذوات والأسر الكبيرة من الداخل والخارج تتواجد بشكل ليلي في هذا المكان وقاسمها المشترك البحث عن الخسارة فوق موائد القمار والخسارة " من الحجم الكبيرة , بالطبع دون أن ترمش لهم عين أو تبدر عنهم إيماءة حزن أو أسف

في حدي للدكتور إسماعيل صبري وزير التخطيط السابق نشر في صحيفة السياسية الكويتية وقال

"بدل أن تأتي الأموال الأجنبية لتمويل المشاريع المصرية خرجت رؤوس الأموال المصرية في أنحاء العالم "

وفي تحقيق آخر نشرته الصحيفة جعلت عنوانه

شركة أمريكية لإنقاذ الاقتصاد المصري الشركات الأمريكية تغطي مختلف مجالات النشاط الاقتصادي 206 " والخدمات الإنتاجية " وهكذا يتكرر في مصر ما حدث في إيران

اللقاء

قالت مجلة "تايم" الأمريكي

أن الشاه المخلوع أو المرحوم كان يبدو غاضبا في لحظات التأمل وقال السادات عندما توقف في مصر عقب طرده من إيران أن مستشاريه أقاموا جدارا بينه وبين الشعب ثم قال:وعندما أفقت كنت قد فقدت كل شيء

ثم تقول المجلة

"لكن ذلك الجدار لم يكن مستشاروه هم الذين شيدوه بل الشاه هو الذي شيده "

وهكذا تحاول الولايات المتحدة التنصل من جريمتها بعد أن استنزفت بترول إيران وثرواته بجانب تجميد الأرصدة التي حلت حلا جزئيا بعد الإفراج عن الرهائن فإن إيران دفعت 18 مليون دولار منا لأسلحة ثبت فسادها في حرب العراق – إيران .

. وتكشف صحيفة " واشنطن بوست " حقيقة الجدار الذي أقامه الشاه حول نفسه وساندته الولايات المتحدة في إقامته

:" قال " دان مورغان " المحرر من واشنطن بوست

تمتلك مؤسسة بهلوي التي تديرها أسرة شاه إيران السابق شركة لإنتاج الأفلام ..ويشترك شاه إيران محمد رضا بهلوي وأقرباؤه في أعمال تجارية أكبر ويجنون أرباحا طائلة من هذه الأعمال مثل التعدين وحفظ اللحوم وإنتاج الصلب . والألمونيوم والمنسوجات والسيارات

وبالإضافة إلى ذلك اشترك أفراد الأسرة في مشروعات صناعية كبرى بل إنهم شركاء دوليون في جنرال موتورز وفيات وهوندا وجون ديري. أما أخت الشاه التوأم الأميرة أشرف فقد كانت تمارس سيطرتها على وكالة خدمات " اجتماعية رأسمالها عدد كبير من ملايين الدولارات ويتم تحويلها بواسطة أعمال القمار الدولية

: ويقول الصحفي الأمريكي

ففي بعض دول الشرق الأوسط وغيرها من الدول النامية نجد أن الإستراتيجية الأمريكية الاقتصادية والسياسية " ترتبط بأسر حاكمة محلية تسيطر على أنظمة تشبه ما كان قائما في إيران

ولم تقف "المهزلة" عند هذه الحدود بل بدأت عناصر حكم الشاه في نشر "الغسيل القذر" وتحدثت عن حفلات الجنس وندوات الخمر والمخدرات التي كان يتعاطاها الأميرات والأمراء وقادة الجيش وروي صديق ايطالي للأميرة أشرف صورا لهذه الحفلات تنأى عنها أحط المومسات كما اعترفت احدي عشيقات الشاه بأن الذي قادها إلى القصر الخاص للشاه كان أحد كبار القادة العسكريين !وما حدث في إيران ما زال يحدث في أنظمة الحكم التي نصبته الولايات المتحدة .. في كثير من بلدان العالم الثالث

إيران ... وإسرائيل

لم يكن لقاء السادات مع الصهيونية خلال زيارته للقدس بل تقرر اللقاء منذ مد يد الصداقة إلى الشاه .فالعلاقات الوطيدة بين إسرائيل والدول الإيرانية كانت الجسر الذي عبر عليه السادات إلى القدس

وترجع علاقات إيران (الشاه) بإسرائيل منذ كانت شركة البناء (سوليل بدينه) التابعة للهستدروت يقومون بتنفيذ مشاريع عمرانية في مدينة عبدان التي توجد فيها مصافي النفط وبعد قيام إسرائيل عام 1948 كانت إيران أول دولة إسلامية تعترف بإسرائيل وتحفظ بمفوضين لها في تل أبيب وظلت هذه العلاقات تتطور حتى قيام حركة مصدق وما أعقبها من عملية تأميم للنفط ووقفت إسرائيل في مجلس الأمن وتدين عملية التأميم وعادت العلاقات إلى سابق عهدها . بعد عودة الشاه إلى السلطة وسقوط حكومة مصدق الوطنية

وفي إطار العلاقات الجديدة في ظل الشاه فتحت إيران أبوابها لمئات الإسرائيليين لتنفيذ مشاريع تم التعاقد عليها في . مجالات البناء والري والزراعة وشق الطرق واستصلاح الأراضي الزراعية

ووقفت إسرائيل مؤيدة للشاه ضد الثورة الشعبية دون تحفظ أو تردد .وتردد أن إسرائيل أرسلت إلى إيران وحدات خاصة لحماية الشاه والتصدي للمظاهرات بعد أن ظهرت ميول الجيش في التعاطف مع الثورة

وهرع اليهود إلى مغادرة إيران مع بدء الأحداث حاملين معهم السجاد الإيراني الفاخر والحقائب المليئة بالأوراق النقدية

وفي مطار اللد حيث حطت بهم الطائرات فتح رجال الجمارك الحقائب والصناديق تبين أنها تحوي كميات كبيرة من الذهب والمجوهرات والأوراق النقدية بالإضافة إلى السجاد العجمي الفاخر ويقدر عدد السجاجيد التي دخلت إلى إسرائيل بحوالي 25 ألف سجادة عجمية وقد وجدت احدي السجاجيد مرصعة بالذهب والأحجار الكريمة وقدر ثمنها بحوالي 30 مليون دولار ووضع أكثر القادمين إلى تل أبيب أموالهم في البنوك الإسرائيلية وذكر أحد البنوك الإسرائيلية أنه تم وضع 72 مليون دولار في البنك من فئة الألف دولار

! وكان هذا بعض نتائج " تطبيع العلاقات " بين إيران وإسرائيل وتكرر مأساة التطبيع في مصر

فضحت أحداث إيران طبيعة الدور الذي تقوم به الولايات المتحدة في عالم اليوم ضد شعوب العالم الثالث بصورة بشعة لا يقل بشاعة عن دورها في حرب فيتنام ... أسقطت الحكومة الوطنية برئاسة مصدق وزجت به في السجن ونصبت عائلة الشاه غير المقدسة على رأس الشعب

وليست المشكلة حول أخلاقية أو لا أخلاقية الدولة الرأسمالية الكبرى التي وصلت إلى مرحلة الاحتكار بل مواجهة هذه الطبيعة الطبقيّة الاقتصادية للإمبريالية وسياساتها

فمنذ نهاية الهيمنة للإمبراطوريات القديمة بعد الحرب العالمية الثانية تواجه شعوب العالم الثالث عدوان الإمبريالية الأمريكية الذي يتخذ أساليب متعددة لتخريب حركات التحرر الوطني سواء بالردع العسكري أو الابتزاز العسكري أو الاعتماد على التفاوض المرن واستيعاب البرجوازية المحلية أو الاعتماد على وكالة المخابرات لتفرض نفسها كمركز بوليسي يحكم قبضته على رقبة شعوب العالم الثالث

إن تراكم الفساد والبؤس والشقاء الذي خلفه الاستعمار القديم لم يترك مجالا للشعوب سوي الثورة ضد الأوضاع الظالمة وهنا برزت الولايات المتحدة وأسفرت عن وجهها الاستعماري البشع وأصبحت السمّة البارزة في عالم اليوم هي فرض الانقلابات العسكرية أو فرض حكم الأقلية الفاسدة التي تنصبها أو تساندها أمريكا لكبت الشعوب وصدر مبدأ .. ترومان

" وقالت جريدة " نيويورك تايمز

" إن عصر الانعزال والتدخلات العابرة قد انتهى ويحل محله الآن عهد المسؤولية الأمريكية

:أما التاييس فقد وضعت الفكرة بشكل أوضح

" إنها سياسة خارجية جديدة وإيجابية هي اعتناق مسؤولية الحفاظ على السلك والنظام في كل أنحاء العالم "

التجربة الكبرى

كانت الصين من أوائل شعوب العالم الثالث في الثورة ضد الإمبريالية وكانت ثورة 1911 بداية ثورتها الجديدة التي أبرزت الطابع الاجتماعي لثورات التحرير

ونقرأ في أحد كتب الثورة الصينية الذي نشر عام 1949 تحت عنوان " الديمقراطية الجديدة " ما يأتي

ومع ذلك فقد طرأ تبدل على الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين بعد انفجار الحرب الإمبريالية العالمية " " الأولي عام 1914 وتأسيس الدولة الاشتراكية على سدس الكرة الأرضية نتيجة لثورة أكتوبر الروسية عام 1917

ورأت الصين أن " الثورة الديمقراطية البرجوازية " أي " ثورة التحرير " قد تبدلت طبيعتها فلم تعد تنتسب إلى الثورة الديمقراطية البرجوازية التي اجتاحت أوروبا منذ الثورة الفرنسية عام 1879 بل انتقلت من وجهة النظر الثورية . لتصبح جزءا من الثورة الاشتراكية

:" ونقرأ في كتاب "حول الديمقراطية الجديدة

وهكذا فإن هذه الثورة من ناحية أخي تقوم على وجه التحديد بتمهيد طريق أوسع وأرحب من أجل الاشتراكية وهي " ستمر خلال مسيرتها بعدة مراحل بسبب التبدلات الطارئة على معسكر العدو وعلى صفوف الحلفاء بيد أن طبيعتها الأساسية ستبقى كما هي دون تبدل

بما أن مثل هذه الثورة تضرب الإمبريالية بلا هوادة فإن الإمبريالية لا تتقبلها بل تناهضها ولكن الاشتراكية تتقبلها " فهي تلاقى التأييد والمساعدة من قبل الدول الاشتراكية والبروليتاريا العالمية الاشتراكية

كانت هذه الحقيقة التي أدركتها الثورة الصينية وأغفلتها الثورة العربية أو الثورات الوطنية في الوطن العربي هي التي أدت إلى عرقلة المسيرة الثورية حتى أدركها عبد الناصر وأعلنها في ميثاق 1962

كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة " للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين

واستطاعت الثورة الصينية, وبعدها الثورة العربية تحقيق انتصاراتها على العدو بالتأييد والمساندة من قبل الدول .. الاشتراكية

وعندما بدأت مرحلة التحرر الاقتصادي قامت الجهات السياسية بغرض إغراء وتضليل العناصر المتذبذبة وتمزيق .. الجبهة الوطنية في نفس التعاون مع القوي الاشتراكية

: وكانت الثورة الصينية قد تنبعت إلى هذه الأخطار من الناحية النظرية وأعلنت

" أن كلمة " المواطنين " يجوز استخدامها ولكن لا ينبغي ألا تشمل على المعادين للثورة والخونة "

ثم حذرت من الإغراء الاقتصادي الذي تقوم به الإمبريالية فيما يسمى بـ " الإدارة المشتركة للمؤسسات الاقتصادية فيسمح الغزاة الإمبرياليون للرأسماليين بمساهمة قدرها 51 % من رأسمال مثل هذه المؤسسات حيث يكون رأس المال %الأجنبي 49 % أو العكس أى يسمحون لرأس المال الأجنبي بمساهمة قدرها 51 % ولرأس المال الوطني بـ 49

إن بعض الرأسماليين العديمي الضمان الذين أغرتهم الأرباح ينسون كل المبادئ الأخلاقية متلهفين إلى الدخول في التجربة كما تندفع وراءهم فئات أخرى متخفية في معسكر الثورة ويبيعون جميع مصالح الأمة للعدو مقابل 49% أو 51 %.

: وخرجت الصين خلال نضالها المسلح بنتائج هامة ضمنها أربع مجلدات وجاء فيها

الفترة الحالية هي فترة تبذل فيها الإمبريالية محاولاتها الأخيرة وهي تعالج سكرات الموت إذ أن " الإمبريالية هي الرأسمالية المحتضرة " ولهذا السبب بالضبط تعتمد الإمبريالية أكثر من أى وقت مضى على المستعمرات وشبه المستعمرات من أجل البقاء ولن تسمح لأية مستعمرة أو شبه مستعمرة بأن تقيم أى مجتمع رأسمالي

إن الدول الإمبريالية في العالم جميعها أعداؤنا إذا كانت الصين تريد استقلالها فإنها لا تستطيع بتاتا الاستغناء عن مساعدة الدول الاشتراكية وهذا يعني أنها لا تستطيع الاستغناء عن مساعدة الاتحاد السوفيتي

ورغم أن جماهير المثقفين الثوريين الواسعة في الصين يمكن أن يلعبوا في الثورة دور الطليعة والجسر إلا أنه لا يمكن أن يسيروا جميعا في طريق الثورة حتى النهاية إن بعضهم سوف يهجر صفوف الثورة ويقف منها موقفا سلبيا . متى وصلت إلى اللحظة الحرجة وأن عددا قليلا منهم سوف يصبح من أعداء الثورة

إن هذه الحقائق التي استخلصت من تجربة الثورة الصينية لم تجنبها الهوة التي سقطت فيه ثورتها عام 1927 فما كادت الثورة تحرز الانتصار بفضل دماء وجهود العمال والفلاحين حتى ركلت الرأسمالية الصينية بزعامة البرجوازية الكبرى هذه الجماهير الشعبية جانبا واستأثرت بثمار الثورة وشكلت حلفا مضادا للثورة مع الإمبريالية

وما أن ظهر هذا التحالف الرجعي وسيطر على " الحزب " في الصين حتى أغلقت المصانع بدعوي أنها تكبد الصين ..خسائر وأصبح أكثر من 25 مليوناً عاملاً عاطلاً

الثورة – الثورة

إن النكسات التي حدثت في العالم الثالث لم تؤثر في سيرة حركة التحرر الوطني وإن كانت قد عرقلت الخطوات في بعض أجزائها ففي أمريكا اللاتينية استمرت الثورة في كوبا متحدية عنجهية القوة الأمريكية وانتصرت نيكاراغوا على السفاح والعميل الأمريكي سموزا وفي آسيا تحررت فيتنام وكامبوديا ولاوس كما قضى على الاستعمار والقطاع في أفغانستان وقضت اليمن الجنوبية على كل ألوان التبعية السياسية والاقتصادية

وفي أفريقيا انتصرت أنجولا وموزامبيق وسقط حكم هيل سلاسي وبدأت أثيوبيا مسيرتها نحو الاشتراكية ..لقد أعطت هذه الثورات لحركة التحرر دفعا جديدا أمام الهجمة الشرسة للإمبريالية كما أوضحت طريق الانتصار

ففي كوبا أعلن كاسترو في 15 أبريل (نيسان) عام 1959

لسنا شيوعيين نعم لقد قلت ذلك بصورة قاطعة إن ثورتنا تستلهم المبدأ الديمقراطي فلا ديكتاتورية لفرد ولا " ديكتاتورية لطبقة ولا ديكتاتورية لأنصاف معينة من الناس بل حرية مع الخبز دون رعب . تلك هي الإنسانية

وفي مايو 1959 يعلن كاسترو أول إصلاح زراعي ويبدأ ملاك الأرض بتسليح الثورة المضادة وتحتاز إليهم الولايات المتحدة وتهدد بتخفيض مشترياتها من السكر ويهدد أصحاب البنوك الوطنية بحجب الاعتمادات عن المزارعين ويتقدم الاتحاد السوفييتي لتمويل كوبا بالبتروول وترفض الشركات الأمريكية تصفية البتروول السوفييتي ويرد كاسترو بالاستيلاء ... على شركات " استندارد أويل وشل " ويصوت مجلس الشيوخ الأمريكي على قانون يوقف استيراد السكر الكوبي

وكاسترو لا يتخاذل فيصادر في اليوم التالي كل الممتلكات الأمريكية وفي 7 أغسطس (آب) 1960 تؤمم كوبا كل المشاريع الأمريكية القائمة في الجزيرة ..ويبدأ المعادون للثورة تساعد الولايات المتحدة في القيام بسلسلة من العدوان وتتابع أعمال التخريب وتحرق بعض مزارع القصب غير أن الشعب مصمم على حماية ثورته فينزل إلى الشارع ويطالب بإقامة محاكم ثورية

وجاء نجاح المعركة ضد الأمية عام 1961 ليزيد من قمة الثورة الكوبية ويكذب هجمات الإمبريالية. وفي 17 تشرين الأول (أكتوبر) عام 1961 يعلن كاسترو في التلفزيون

أن الثورة أتمت مرحلتها الأولى لتدخل في مرحلة جديدة

إن الأساليب التي استخدمت في المرحلة الأولى يجب أن تكون بالضرورة مختلفة عن تلك التي يجب تبنيها في " الثانية لقد كان علينا أن نستخدم أساليب عنيفة ولم يكن بالإمكان أن نعيش بانسجام مع الامتيازات الأجنبية ومع كبار الملاكين وكان ينبغي تصفيتهم وكان علينا فوق ذلك أن نصفي سلطة أقلية كانت قد استطاعت الهيمنة على الحركة الاقتصادية والسياسية واستخدامها لكي تسرق وتظلم إن سلطة الامتيازات الكبيرة في كوبا قد انتهت إلى غير رجعة وقد صفيت أقلية من الممتهزين على الصعيد الاقتصادي وكذلك على الصعيد السياسي

غير أن الإمبريالية والثورة المضادة لم تصمت فقامت الطائرات "من جهة مجهولة" بالغارات على مطارات كوبا وحدث الهجوم الإمبريالي الكبير على خليج الخنازير بوساطة المرتزقة وتم دحره وكما قيل " أكتسبت الثورة مزيدا من "التألق".

" وكتب هـ اليج في كتابه " كوبا الظافرة

ولكن ردود فعل الولايات المتحدة كانت هي نفسها تثيرها الصورة الجذرية التي كانت تتخذها الثورة بدافع من " الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ومن الممكن أن يكون كثيرون من الثوريين لم يشعروا شعورا واضحا جدا بأن الطريق المتبع كانت تؤدي إلى الاشتراكية ولكن أولئك هؤلاء حتى ولو لم يكونوا يعرفون هم أنفسهم النظرية ولا بد أنهم أدركوا أن التجربة التي كانوا يعيشونها والتي كانوا هم صناعها كانت تؤكد صحة نظريات الاشتراكية العلمية

وكانت هذه هي النتيجة التي توصل إليها عبد الناصر في نفس الوقت تقريبا وأعلنها في الميثاق عام 1962 في حتمية الحل الاشتراكي فأعلن:

" إن الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لإيجاد المنهج الصحيح للتقدم "

وتحدث " كاسترو" عن هذا المنهج وكيف توصل إلى هذه الأفكار التي أدت إلى انتصار الثورة الكوبية التي لا يتجاوز تعداد شعبها ستة ملايين ولا تبعد عن قلعة الإمبريالية إلا بضعة عشرات من الأميال

: فقال

إن الأفكار الاشتراكية التي هي الأفكار الثورية للمرحلة التاريخية الحاضرة قامت بالنسبة إلى قسم كبير من شعبنا " ولنقل بصراحة مطلقة بل بالنسبة إلى قسم كبير من العمال كانت تخيف باسمها وحدة

إن الدعاية التقليدية الضخمة والاستبدادية التي كنا ضحاياها بل إن مؤامرة الكذب الكبيرة التي نمتها الإمبريالية في بلادنا كانت تجرد الناس وحتى أولئك الذين لم يكن لديهم ما يفقدونه في ثورة ذات طبيعة اشتراكية بل على العكس كان لديهم فيها ربح كانوا على شيء من الخوف وكثير من الحذر تجاه الكلمة تجاه الوصف تجاه اللفظة لاتجاه الواقع وهكذا . جرت الأمور في كوبا فلقد أمتت الصناعات الرئيسية والمصارف

وتم حصر التجارة الخارجية في يد الدولة أي أن القسم الأكبر من اقتصادنا الصناعي ومصارفنا وتجارتنا الخارجية دخل في القطاع الاشتراكي وكان الشعب والطبقة العاملة يؤيدان تاما هذا التحول في اقتصادنا لقد تضامن الشعب مع هذا التغيير وفي ذات يوم اكتشف أو اتضح له أن ما صفق له وما يدعمه وما كان نصرا تاريخيا كبيرا للشعب الكوبي أي " هذه الثورة التي جاءت بمثل هذه التغييرات كانت ثورة اشتراكية

الثورة والجريمة

هناك ثورة لا تقل روعة عن ثورة "كوبا" هي "الثورة الفيتنامية" إن هذه الثورة التي لازمت الثورة العربية في نضالها ضد الاستعمار القديم ولاقت ما لقيه الشعب العربي من الاستعمار الجديد تكشف لنا كيف يكون الانتصار وكيف .. تكون المواجهة مع الخونة في الداخل والإمبريالية العفنة في الخارج

فكما حدث في " ثورة مصر " عام 1919 عندما قام الوفد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى يطالب بالاستقلال ظهر .. فيتنامي يسمي " نجوين أي كووك " وهو الاسم الذي اتخذ "هوشي منه" يطالب بحق تقرير المصير لفيتنام

:ويصف أحد رفاقه الغرفة التي كان يعيش فيها في باريس

وسرت خلفه إلى غرفة كانت شقة لشخص واحد مؤسسة بطريقة غاية في التواضع وفي ركن من الغرفة منضدة " تختفي تحت أكوام من الكتب والصحف والمجلات وبالقرب منها سرير من الحديد ودولاب صغير ولا شيء غير هذا " ولكنها نظيفة ومريحة

هكذا كانت بداية النضال وهكذا مضت حياة " هوشي منه" حتى عندما وصلت شهرته إلى كل بقاع العالم ظل بسيطا لا . يعرف كلفة عاش ومات كالأتبياء من أجل رسالته " تحرير فيتنام " لم يعرف القصور ولم يتذوق البذخ

:وفي عام 1962 أصدر كتابه " الطريق الثوري " وتحدث عن القوي الثورية في فيتنام فيقول

إن الضغط يولد الثورة ولهذا كلما اشتد الضغط على الإنسان ازدادت روحه الثورية قوة وازداد تصميمه الثوري " صلابة لقد كان الإقطاع بضغط في الماضي على الرأسمالية ولهذا السبب حدثت ثورة والآن تضغط الرأسمالية على العمال والفلاحين والنتيجة هي أنهم أصبحوا القوي الحقيقية للثورة

:وفي عام 193- أعلن " هوش منه " إنشاء " الحزب الشيوعي الفيتنامي " وأعلى مبادئه

. إسقاط الإمبرياليين والإقطاعيين وأعداء الثورة البرجوازيين في فيتنام وكفالة الاستقلال التام للهند الصينية

. إنشاء حكومة يشترك فيها العمال والفلاحون والجنود

. مصادر البنوك وغيرها من المرافق التي يملكها الإمبرياليون وإخضاعها لإشراف حكومة العمال والفلاحين والجنود

مصادرة كل المزارع والملكيات التي يملكها الإمبرياليون وأعداء الثورة من الفيتناميين البرجوازيين وذلك لتوزيعها على الفقراء

. كفالة الحرية في كل صورها للجماهير

. العمل ثماني ساعات في اليوم

وفي عام 1945 بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وجه "هوشي منه" نداء إلى الشعب ناشده فيه القيام بالتمرد العام قائلا:

لقد دقت الساعة الحاسمة في مصير الأمة أيها المواطنون في كل أرجاء البلاد .. لنهب جميعا بكل قوتنا كي نحرر " أنفسنا

واستجابت الشعب بأسره للنداء وكان أشبه بفيضان عارم يحطم كل ما يصادفه مع جسور وثار الأهالي في كل مكان وفي الشمال والجنوب في المدن والقرى في السهول والمناطق الجبلية ..وأعلن استقلال " فيتنام " ولكن ما حد في .. مصر عام 1956 سبق وحدث في فيتنام عام 1946 فحاولت القوات الفرنسية إعادة احتلال فيتنام

وبدأت " حرب المقاومة " فقام الأمريكيون بإمداد الفرنسيين بكل ما يحتاجون إليه .وقام الفرنسيون بتنفيذ الخطة الإمبريالية الأمريكية وفي " ديان بيان " فو أروع التاريخ كانت نهاية الاحتلال الفرنسي وهزيمة الإمبريالية الأمريكية . في فيتنام

وجاء قرار التقسيم ليفصل فيتنام إلى قسمين شمالي وجنوبي وأرادت الولايات المتحدة أن تحتفظ بالقسم الجنوبي وبدأت معارك جديدة ولجأت الولايات المتحدة بشهادة أبنائها إلى أبشع الجرائم لتحافظ على مصالحها أى على استغلال شركاتها لشعب فيتنام الجنوبية ونهب ثرواته .

ونقرأ في كتاب " جرائم الحرب الأمريكية" الذي وضعه الفيلسوف الانجليزي "براتراند رسل " نبذا من هذه الجرائم :
اقتبس نصوصها من الصحف

أنها حرب قذرة حرب وحشية بنفس قذارة ونفس وحشية الحرب التي قام بها الجيش الفرنسي في الجزائر " ذي " نبشون 1963/1/19 من المؤكد أن النابالم الذي استخدمه السلاح الجوي في فيتنام قد أدى إلى موت أشخاص أبرياء في كل الحروب " " نيويورك تايمز " 1963/4/8

وننتقل مع "رسل" من الحرب إلى معسكرات الاعتقال والتعذيب ويقدم لنا قصة مدام " نجوين في تهو " التي قبضوا عليها في أوتوبيس لأنها تكلمت مع الركاب

كانوا يضعون ثعابين سامة في فروج النساء فيفقدون الحياة بعد أيام فظيعة كانوا يدخلون الزجاج المكسور في " فروج المسجونات فيفقدون الوعي وينتهين بشكل عام إلى الموت وكان الحراس يغرسون المسامير الحديدية تحت " الأظافر ولا يتركون ظفرا واحدا ين يربطون الأصابع ويغمسونها بالبنزين ويشعلون فيها النار

:"ثم يقدم الفيلسوف الانجليزي قضية ضرب الطائرات الأمريكية لمدرسة " هونج فو

:"التي تكررت في مصر بالغارة الجوية على مدرسة " بحر البقر" فقالت مدرسة أسمها " تاى فان تام

كانت أشلاء الملابس والكتب والأدراج تطير عالية جدا في الهواء لدرجة أن كل العالم في الأماكن المجاورة عرف " أن المدرسة ضربت بالقنابل وهناك تلاميذ تمزقوا قطعا نتيجة الانفجاريات وأطفال عديدون هبطوا داخل الأرض وجدت نفسي بين عدد من دفنوا أحياء وأخرجوني فيما بعد وأعادوني إلى وعيي

كانت أشلاء من الأطفال تبرز من الأرض وكنا نعثر على رؤوسهم على مسافة 20 مترا من هنا وأحشائهم مبعثرة في كل جهة ورأيت اثنين من أطفال معلقين في نخلة كان الانفجار قد قذفهما عليها وأطفالا آخرين التصقت جثتهم بحواجز الخنادق وامتلاأت هذه الخنادق بالدم

وكان الأطفال بمسكون بكتبهم فيضغطونها بقوة على قلوبهم واختلطت الكتب بالدم إلى جانب الحبر وكنا نستخرج من الركاب أطفالا ينطق بعضهم بعدة كلمات قبل أن يتدفق الدم من أفواههم وأستطاع أحد الأطفال الذين دفنوا أن يستعيد " شعوره لحظة بعد إخراجهم فسأل عن عدد أصحابه الذين ماتوا ثم لم يلبث أن سقط بسبب الدم الذي ينزفه

هذا هو النظام العالمي للاستعمار والذي يمثل استثمارا عملاقا مخصصا للاستغلال والسيطرة ويستخدم هذا النظام أيضا جيشا سريا هو وكالة المخابرات المركزية التي قامت بفرض عصابات من الجنرالات الرجعيين الخونة حكاما وخلال سنوات عديدة قدمت الولايات المتحدة الأسلحة والتأييد إلى سموزا في نيكارجوا وتروخيللوا في الدومينكان وهما . أمثلة لما وصل إليه الحكام من إتباع أمريكا إلى أبشع درجات الهمجية والشراسة في العصور الحديثة

ويقول برتراند رسل في كتابه

ولننظر إلى نوع الحكومات التي تعتمد في وجودها على قوة الجيش الأمريكي إنها دائما حكومات تدعم الأغنياء " والملاك العقاريين وكبار الرأسماليين هذا هو الحال في البرازيل وفي بيرو وفي فنزويلا وفي سيام وفي اليابان وفي "كوريا الجنوبية وهذا هو الحال في العالم أجمع

أى نوع من الحكومات هذه التي تدعمها الولايات المتحدة؟ يكشف الحزب الفيتنامي الديمقراطي في سبتمبر (أيلول) عام .. 1963 عن حكومة فيتنام الجنوبية التي كانت قائمة فتقرأ في تقرير

.. أميط اللثام عن شبكة واسعة للتخريب من أبرز شخصياتها مدام ترانكان وهي زوجة جنرال معروف

وذكرت صحيفة " نيويورك هيرالد تريبيون" في فبراير 1964

" تباهي الجنرال خاتنة بأنه يملك عشرة ملايين دولار وأنه يستطيع أن يهرب من البلاد ليحيا مرفهة إذا أراد "

ولعل أوضح مقال هو الذي صدر في مجلة " أفيشن ويك" في 6 أبريل عام 1964 .. " وهناك شركة نقل بالطائرات هي " إير أمريكا " المسجلة في ديلا وير وهي حاليا الأداة الرئيسية لوسيع الحرب في لاوس وكمبوديا وفيتنام الشمالية هذه الشركة تستخدم حوالي مائتي طائرة وتحمل القوات الفيتنامية الجنوبية الخاصة إلى مختلف الجهات وفي رحلة العودة تحمل شحنة من الأفيون لنقلها بعد ذلك إلى أسواق الولايات المتحدة في طائرات ضخمة من طراز بوينج وهذه الطائرات تعمل تحت قيادة الجنرال الأمريكي هاركنر وطيارها عسكريون أمريكيون سابقون

وكانت أسرة " نجو دينه ديم" وكذلك أسرة زوجته " نهو " اللذين دافع عنهما الأمريكيون من الأسر الثرية الذي فروا من فيتنام الشمالية ونصبت لتحكم فيتنام الجنوبية وكانوا يمثلون مجموعة من الملاك العقاريين والفئات الكهنوتية . والكاثوليكية التي اتخذت الدين تجارة

وعلى الرغم من ذلك كله انتصرت فيتنام وحققت التحرر الكامل الاقتصادي والسياسي وأصبح الشعب سيدا لثروته أرضه . كما حدث في كوبا من قبل

إلى أين؟

والسؤال الذي يتبادر .. العالم الثالث .. إلى أين ؟ أو بمعنى أدق العالم العربي إلى أين ؟ في رده على سؤال خلال انعقاد المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي عام 1968 كان السؤال . هل ما زالت سياسة عدم الانحياز هي السياسة المثلى بالنسبة لنا؟

وجاءت إجابة عبد الناصر محددة

لا زالت هذه السياسة هي السياسة المثلى لنا لعدة أسباب أن إحنا بالنسبة للعالم الثالث الدول الغير منحازة كلها أو " أغلبها تؤيدنا وفي نفس الوقت الكتلة الشرقية والاتحاد السوفييتي لم يقصر أنه في يدينا كل المطالب التي احنا عايزينها . سواء بالنسبة للنواحي العسكرية أو حتى بالنسبة للنواحي الاقتصادية

سياسة عدم الانحياز يعني إيه ؟ إذا كانت أمريكا تقف ضدنا مش معناها إن أنا باقول سياستي عدم الانحياز أن أنا ما أتعرض لأمریکا لا اللي بيقف ضدي يا أتعرض له وأهاجمه وأقول رأيي فيه بصراحة وأقول أنه عدوي وأن الولايات المتحدة تساند إسرائيل وهي تعادي العرب كوني أقول هذا الكلام ذهب رضى لا يؤثر مطلقا على سياستي في عدم الانحياز لأن هذا العمل من ناحية الولايات المتحدة الأمريكية هو يمثل عدوان سواء سياستي أو في أى مجال من "المجالات الأخرى

ولم يتوقف عدوان الولايات المتحدة ضد مصر وظل يتصاعد لضرب حركة التحرر فيها ودعم عصابة السادات والمقاولين العرب حتى تم لها ضم مصر تحت مظلتها. وتم توقيع معاهدة الاستسلام " في كامب ديفيد" وتدفع الأفاقون . الأجانب والصهيوني بعد أن فتح لهم " الخونة " الأبواب

فهل معنى ذلك أن العالم الثالث وصل إلى نقطة الاختيار التي حددتها الثورة الصينية أثناء نضالها ضد الإمبريالية والذي جاء في مقال " حول الديمقراطية الجديدة " الذي كتب عام 1940

إزاء الوضع الراهن فإن جميع الأبطال في المستعمرات وشبه المستعمرات إما أن يلقوا إلى الجبهة المناهضة " للإمبريالية ويصبحوا جزءا من القوي المضادة للثورة في العالم وإما أن يلقوا إلى الجبهة المناهضة للإمبريالية "ويصبحوا جزءا من القوي الثورية في العالم ولا بد لهم أن يختاروا بين هذين الطريقين وليس ثمة طريق ثالث

إن مسيرة الأحداث بالنسبة للعالم الثالث أصبحت تحدد طريقه ففي " انجولا" استعانت حركة التحرير بدول المعسكر .. الاشتراكي لمواجهة عدوان النظام العنصري في جنوب أفريقيا والمرتزة العاملين مع المجموعات الرجعية

وذكر الرئيس نيريري أن الدول الاشتراكية هي التي ساعدت حركات التحرر الأفريقية طوال نضالها ضد القوي الاستعمارية وكنا جميعا ندعمها لمساعدة هذه الحركات وفي اليمن الجنوبية أوشتت الولايات المتحدة أن تحقق انقلابا لمصلحة أمريكا لولا تدخل القوات الاشتراكية ومساندتها للقوات الثورية

وفي أفغانستان قام الخائن " حفظ الله أمين" بقتل رفيقه " تراكي " وملأ السجون بالأحرار ولم يتحرك صوت ضده. وعندما لقي الخائن جزاءه هاجت الدول الرأسمالية وأخذت تمول الإقطاعيين وتمدهم بالمرتزة والسلاح .. وارتفعت الأصوات تدافع عن الشعب الأفغاني فهل يمكن لشعب أن يرفض أرضه من الإقطاعيين أو ثروته من أيدي ! اللصوص

ووقف العالم الرأسمالي يتفرج على ضياع الحق الرئيس الباكستاني وهو يعذب ويعدم ذو الفقار على بوتو. وما زال : ضياع الحق يتصدر اجتماعات المجموعة الإسلامية

ويلقي التأييد من الولايات المتحدة ولا يرتفع صوت واحد من أجل حقوق الإنسان ففي باكستان ثلاثة عشر زعيما من زعماء الأحزاب في السجون وما زال البوليس يطارد الآخرين واعتقلت أرملة على بوتو وابنته وأغلقت الصحف وشرذ " الصحفيون وما زالت باكستان كما قيل " لا تنتمي إلى القرن الذي تعيش فيه بل هي تنتمي إلى العصور الوسطى

ولم تكن أفغانستان تقل تخلفا عن باكستان ولهذا أصبح التطور في أفغانستان يثير قلق باكستان وارتفع شعار " الدفاع ! عن الإسلام " وكان الإسلام يحمي الفقر والتخلف والإرهاب

إن الولايات المتحدة التي فقدت السيطرة في جنوب شرق آسيا نقلت ثقلها إلى الشرق الأوسط وأفريقيا وتحاول أن تعوض خسائرها في فيتنام وكوبا وغيرهما من ثروات الشعب العربي .. ففي الوقت الذي ارتفعت فيه أسعار المعيشة في مصر وكانت مصر قد قررت خفض إنفاقها العسكري عقدت قرضا أمريكيا لتحديث قوة مصر العسكرية يتراوح قيمته . بين 3-6 مليارات دولار

وما زالت الأسلحة تتدفق على كل قطار الوطن العربي وتستنزف ثرواته وتتدفق في أعقابها الشركات المتعددة الجنسية.. وكان نتيجة ذلك أن بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية 400 مليون إنسان في حالة يصفها البنك الدولي بـ " الفقر المدقع" والذين يستفيدون من جوع هذه الملايين وما أكثرهم يسعون لتجميد الوضع على حاله لإبقاء الفوارق قائمة بين العالم الرأسمالي والعالم الفقير فإن شعب الولايات المتحدة الذي لا يمثل أكثر من 6% من سكان العالم .. يستهلك 35% من خيرات الأرض

وتقول دراسة نشرت في احدي الصحف العربية

إن إنتاج بعض دول العالم الثالث زادت بنسبة 30% خلال السنوات العشرين الماضية بينما لم تود قيمة المدخول " الحقيقي لهذه البلدان بأكثر من 4% والأمثلة كثيرة في هذا المجال ففي تنزانيا مثلاً أعلنت الحكومة أنه في عام 1963 كان الفلاح في حاجة لإنتاج 5 أطنان من الليف يستطيع شراء جرار زراعي. أما في عام 1970 فأصبح على الفلاح أن " ينتج 10 أطنان من الليف لشراء نفس الجرار

وهكذا بالنسبة للكافوا في غانا أو القطن في السودان والحلقة المفرغة مستمرة فالشركات المتعددة الجنسية تقوم باستغلال دول العالم الثالث من خلال المزارع والمصانع التي تنشئها في هذه الدول حيث توجد الأراضي الخصبة والأيدي العاملة الرخيصة ومنتجات هذه المزارع يجري تصديرها نحو البلدان المتطورة لتحويلها إلى منتجات .. استهلاكية يعاد بيعها في أسواق الدول التي أنتجها في البداية

فلاحو العالم الثالث ليسوا " كسولين " أو " لا يحبون العمل " إنما مشكلتهم أنهم لا يملكون وسائل الإنتاج وهذا يعني .. أن نمط الملكية العقارية هي المتخلفة وهي التي تمنع الإنتاجية في العالم الثالث

وأصبح شكل الحكم الذي تريده الولايات المتحدة هو الذي يقيمه أصحاب أنماط الملكيات العقارية تدعمه العصابات العسكرية وتتسلف المصانع أو تغلق أو تسد الطريق أمام مصادرها .. وتشاهد في الدول العربية اليوم المآذن الحديدية ترتفع لإقامة العمارات الشاهقة أو الفنادق الفخمة أو الطرق العلوية ولا تجد اتجاهها نحو التصنيع الحقيقي

!الفصل الثامن: خيانة الحليف

! لا تأخذوا أي سجناء ... اقتلوهم

شاه إيران رضا بهلوي

!خيانة الحليف

بدأت مرحلة " الردة " أو مرحلة " الخيانة " بعد انتهاء حرب 67 مباشرة فشلت أمريكا في تحقيق أهداف المؤامرة التي أعدها شمس بدران وجماعة العسكريين فبعد أن سلموا السلاح إلى العدو في سيناء أسرعوا بالعودة إلى القاهرة لتنفيذه . الانقلاب ولكن " مؤامرة الانقلاب " فشلت ولم يسقط عبد الناصر كما تسقط نكروما

وكما سقط سوكارنو من قبل. وبدأت حرب الإشاعات والتشكيك في الجيش المصري وإلقاء اللوم على السلاح السوفييتي .. والظعن في القطاع العام

:وتحقق ما قاله عبد الناصر

فيه حزب رجعي موجود في البلد وأن هذا الحزب الرجعي موجود ومنظم مستعد في أى وقت أن ينتفض على هذه " الثورة حتى يستعيد ما أخذته هذه الثورة

وأعلن عبد الناصر أن الهدف من العدوان الإسرائيلي هو القضاء على الثورة الاجتماعية الثورة الاشتراكية التي تصدوا لها بكل الوسائل بمحاولات الاغتيال ... وبالمؤامرات ويقطع المعونات ولم يكن أمامهم إلا إسرائيل

وقال ناصر

لم يكن احتلال الأرض هو الهدف الأصيل للعدوان الاستعماري الصهيوني إنما احتلال الأرض هدف جزئي يسعى به " إلى تحقيق الهدف الأصيل وهو تصفية الثورة العربية عامة

التمهيد للخيانة

في أعقاب النكسة وأمام المؤتمر العام للعمال ... قال عبد الناصر

في مثل هذه الأوقات التي تمر بها تظهر قوي انتهازية كبيرة ناس كانت بتشتغل بوش وتشوفها النهاردة بتشتغل " بوشين سن شئ غريب أوي أن إحنا نشوف النهاردة الناس بتشتغل بوشين ما هو بيقول لك أنا أمسك العصايا من الوسط هو أنا عارف حا يحصل إيه؟ ما هو الاستعمار قوي الاستعمار قادر وبقول لك أمريكا قادرة تعمل وأمريكا قادرة " تغير أمريكا مش حاتسينا طبعاً ده يبقى يمثل الانتهازيين

والحقيقة لم يكن الانتهازيون وحدهم الذين ظهروا في الصورة بعد النكسة بل قامت العناصر الرجعية الإقطاعية والذين أثروا من الثورة والعملاء القدامى بدورهم أدركوا أن نكسة بدورهم أدركوا أن نكسة 67 إشارة لهم بالحركة وأرادوا أن يحققوا ما لم تحققه النكس وبدأوا بالتحضير الفكري أو تهيئة الرأي العام إن هؤلاء الخونة نادوا وهم يتلفعون برداء الناصرية بشعار " المعركة الوطنية قبل المعركة الاجتماعية " ثم شعار " تحييد أمريكا " ثم التشكيك في دور " الوفاق " الدولي " وجعلوا منه نظرية لتقسيم العالم ووصلوا إلى غايتهم بشعار " القوتين العظيمين

وأصبح الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في موقف واحد بالنسبة للقضية العربية وكان ذلك تمهيدا للخطوة التالية وهي استبدال الحليف بالعدو. كان كبير مراسلي " نيوزويك " الأمريكية قد وصل إلى القاهرة واجتمع بعدد من الصحفيين المصريين بعد النكسة وطلب منهم صراحة العمل من أجل إخراج السوفييت من مصر

فانلا

" أنا لا أطلب منكم وقف الهجوم على أمريكا بل استمروا ولكن اعملوا على إخراج السوفييت "

:وكان عبد الناصر يرد على هذه الاتجاهات فقال في لقاء مع الضباط والجنود في احدي القواعد العسكرية

الأصدقاء في الاتحاد السوفييتي وقفوا معنا في جانبنا في وقت الشدة ولولا هذا ما كناش نقدر نقعد النهاردة في " هذه القاعدة ونشعر بالاطمننان

:وقال أيضا

صداقة الأصدقاء أدت دورها صداقة الأصدقاء تؤدي دورها في نواحي مختلفة بالنسبة للدول الغير منحازة وقفت " معنا في الأمم المتحدة في العمل السياسي بالنسبة للدول الآسيوية والأفريقية وقفت معنا

فهل كان ذلك يدخل في نطاق " الوفاق الدولي " كانت " نظرية الوفاق " تطورا لمفهوم التعايش السلمي الذي نادي ..به الاتحاد السوفييتي منذ قيامهوطالب بتعايش النظامين الرأسمالي والاشتراكي

وعلى الرغم من مطالبته بهذا التعايش لم يتوقف عن تأييد حركة التحرر الوطني ومد الثورة التركية بزعامه كمال أتاتورك بالمعونات وأيد وساند أفغانستان في نضالها لطرد المستعمرين وبعد الحرب العالمية الثانية استمر الاتحاد السوفييتي في سياسته المؤيدة لشعوب المستعمرات ولم يوقفه التعايش السلمي أو الوفاق الدولي عن مساندة مصر . عام 1956

أو 73 ولم يتردد عن تزويد فيتنام بكل ما تطلبه من سلاح أو تموين وهبت الدول الإشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي لنجدة مصر بعد النكسة عام 1967 وفي ظل الوفاق الدولي حققت كثير من الدول الآسيوية والأفريقية استقلالها.ولكن الذين أرادوا التشكيك في " الوفاق الدولي " كانوا يهدفون إلى أبعد من ذلك

قوتان .. أم اتجاهان

ارتفع شعار القوتين الأعظم وكان تمهيدا لسياسة " التفرد الأمريكي " ولعبت فكرة قوة الولايات المتحدة دورها وتحذثوا عن القوة العسكرية التي لا تقهر وجبروت الولايات المتحدة العسكري وشبهوا النضال ضد الإمبريالية " الأمريكية وبمناطحة الثور للجبل

وأنبري اليسار الزائف وأكد بالفعل أنه أشبه "بالفجل الأحمر " أبيض من الداخل وأحمر من الخارج وأخذ يفلسف للمدرسة الساداتية كبديل للمدرسة الناصرية ..وبدأ التشكيك في الانتجازات التي حققتها مرحلة "التحرر الوطني" ..وظهرت المقالات عن مشاكل النيل والسد العالي .. وخسائر القطاع العام وفشل التصنيع

وتأكد ما قاله لينين

إن أخطر شئ بهذا الخصوص أولئك الناس الذين لا يرغبون في إدراك واقع أن النضال ضد الإمبريالية هو عبارة " زائفة جوفاء إذا لم يرتبط ارتباطا لا ينفصم مع النضال ضد الانتهازية

خرجت الانتهازية من تحت رداء الناصرية لتبشر بالمرحلة الجديدة مرحلة " سيادة القانون" و" الانفتاح" وكان شعارها " أكذب وأصرخ وأخلق ضجيجا وكرر الكذب فإن شيئا من ذلك كله يبقي " وكان الهدف عزل مصر والوطن العربي عن الاتحاد السوفييتي وعاد العداء للدول الاشتراكية

فهل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة قوتان أو اتجاهان ؟تجاهل أصحاب هذه النظرية أو نظرية "القوتان الأعظم " الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبالتالي العسكرية لكل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة

وظهرت من جديد كلمة " روسيا " كبديل لاسم " الاتحاد السوفييتي " حتى يعودوا إلى عصر ما قبل ثورة 1917 ويتساوي بذلك المنظمات من وجهة نظرهم في وضعهما الاقتصادي والاجتماعي والسياسي فلا فرق بين نظام اشتراكي ! ونظام رأسمالي

ولا فرق بين الملكية العامة لوسائل الإنتاج والملكية الخاصة التي يستأثر بها أفراد أنانيون ولا فرق بين نظام يقبع على قيمته حكومة تمثل أصحاب الملايين ونظام تحكمه حكومة تمثل العمال والفلاحين

وكان هذا تمهيدا لشق الحركة الوطنية في مصر عن الحركة الثورية العالمية بذلك تحقق ما أردته الإمبريالية الأمريكية . من فرض نظرية التفرد الأمريكي الذي تفرضه الولايات المتحدة على شعوب العالم

وأستند أصحاب نظرية "القوتان الأعظم" أو " مبدأ التفرد" إلى جملة من الملاحظات الفعلية كالقدرة الاقتصادية والمستوي المرتفع لتطور الإنتاج الصناعي والتطور التكنولوجي ومستوي المعيشة وتجاهلوا الطبيعة الإمبريالية للاحتكارات الأمريكية ودورها في نهب الشعوب وممارستها لدور "الشرطي " لحماية النظام الرأسمالي وضرب حركات التحرر أو موافقها في دعم الكيان الصهيوني

أن أصحاب نظرية " القوتان الأعظم " انتقلوا بعد ذلك إلى نظرية الواقعية السياسية وسرقوا من الماركسية شعاراتها . وتحدثوا عن " فن الممكن" ومراعاة واقع الأمور

وقام هؤلاء الانتهازيون بـ "التنحيز الفكري" أو تهينة الرأي العام للاستسلام. ففي الوقت الذي بدأ هيكمل: نشر مقالاته عن "اللاحرب واللاسلم" ويهاجم الاتحاد السوفييتي على أنه أحد المستفيدين من حالة "اللاحرب واللاسلم" كان الفريق صادق يوجب العداء للسوفييت بين الضباط ففي الوقت الذي كانت مصر تلح على الاتحاد السوفييتي في تزويدها بالسلاح

:وأرسل الاتحاد السوفييتي رسالة إلى السادات قال فيها

لعلكم تذكرون يا سيادة الرئيس إن القيادة في كل من بلدنا قد اتفقت على ضرورة الحاجة إلى تقوية زحفكم إلى " الأمام وتدعيمه وزحف كل القوي التقدمية في الشرق الأوسط ونشعر بأن من حقنا أن نذكركم بهذا لأنكم أنتم أنفسكم قد تحدثتم إلينا عن النشاطات المتزايدة للقوي الرجعية داخل مصر

وعن الجهود التي تبذلها العناصر اليمينية بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالتحالف مع الاستعمار لوقف زحف مصر على الطريق التقدمي والعودة به إلى الوراء فإلى أين تتجه مصر ؟ إلى أين تساق بأيدي قوي من داخلها وخارج حدودها ؟ وما الذي ستكون العلاقات بيننا في المستقبل ؟ هذه هي الأسئلة التي تثير القلق لدي أصدقائكم وتقدم التشجيع " لأعدائكم

:ولكن السادات نفسه كان من العناصر اليمينية كان على اتصال بالعدو الأمريكي وتلقي رسالة سرية من واشنطن تقول

" تستطيع الآن أن تهدأ وأن تفعل ما تشاء ولكن عليك أن تذكر دائما أن مفتاح الحل هنا "

وصدر القرار بسحب الخبراء السوفييت من مصر وكانت هذه هي الخطوة العملية الثانية بعد خطوة " 15 مايو " التي مهدت لضرب الخط الناصري التحرري .

أن الخط الرجعي العدائي للإتحاد السوفييتي جاء من رغبة العودة إلى سيطرة الملكية الخاصة والنشاط الحر لأصحاب رؤوس الأموال واتجاه الرجعية العربية إلى التحالف مع الغرب الرأسمالي في نهب مصر فيقول هيكمل أحد منظري " هذه الحقبة "

هل كانت مجرد صدقة أن الأمير سلطان وزير الدفاع السعودي كان في زيارة لواشنطن قبل أن يصدر الرئيس قراره " بسحب الخبراء مباشرة كذلك فإن كمال أدهم كان في ذلك الوقت في زيارة القاهرة

: وتحقق تنبوء عبد الناصر الذي جاء في الميثاق

إن الاستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب مباشرة وكان مخبؤه الطبيعي بحكم الظروف " داخل قصور الرجعية

الغاء المعاهدة

" توج " السادات " موقفه من الاتحاد السوفييتي "ب الغاء معاهدة الصداقة المصرية السوفييتية

وكما مهد هيكل بمقالاته إلى سحب الخبراء السوفييت قام جيل آخر من المرتزقة بالتمهيد لإلغاء المعاهدة وبدأت " . الأخبار " تتحد عن المخطط السوفييتي وتحدثت عن وصاية الاتحاد السوفييتي لجهة الرفض

وكان لقرار إلغاء المعاهدة صدي في جميع أنحاء العالم ولم تنس إذاعة "كولونيا" أن تذكر السادات بماضيه الفاشي :فقالت

" على حد تعبير السادات أن هذه المعاهدة لم تكن سوى قصاصة من ورق "

"وقالت " الصنداي تايمز

مصر أدارت ظهرها للإتحاد السوفييتي ولم تستفد من انفتاحها على أمريكا مصر تقطع كل الجسور مع الاتحاد " " السوفييتي ولكنها لن تحصل على تعويض كاف من الغرب

:ونشرت صحيفة " الغارديان البريطانية تعليقا على إلغاء المعاهدة جاء فيه

السادات ما زال بحاجة لدعم الاتحاد السوفييتي وإلغاء المعاهدة المصرية السوفيتية لا يخدم مساعي السلام في " الشرق الأوسط

"وهللت الصحف الأمريكية لقرار السادات فقالت صحيفة " دينفر بوست

" ويمثل قرار السادات نصرا هاما للولايات المتحدة

"وقالت " بالتيمور صن

فليس هناك من ينكر أن ابتعاد الرئيس السادات عن الاتحاد السوفيتي خلال السنوات الأربع الماضية ورفضه . الاعتماد على موسكو قد جاء لمصلحة الولايات المتحدة

أما صحف العالم الثالث والصحف العربية والصحف الوطنية فقد فضحت الاتجاهات الجديدة للسادات وأوضحت أن إلغاء المعاهدة جاء كنكسة لحركة التحرر في مصر واستسلام للعدو

: فقالت صحيفة " أتا" الصادرة في سير يلانكا

جرت خلال الأونة الأخيرة في مصر أعمال كثيرة للقضاء على النهج التقدمي الذي اتبعه الرئيس المصري السابق " جمال عبد الناصر

:وقالت الصحيفة

إن النظام المصري يجهد لتطوير القطاع الخاص واضعا المكاسب التي حصل عليها الشعب المصري تحت طائلة " الخطر

وأثار إلغاء المعاهدة المصرية السوفيتية موجة من المرارة والامتعاض في الوطن العربي بين العناصر التقدمية والحررة

" فقالت إذاعة " صوت فلسطين

إن الصداقة السوفيتية العربية تعد عائقا رئيسيا يعترض تنفيذ مخططات الإمبريالية الأمريكية في الشرق الأوسط " فالاتحاد السوفيتي يبرز على كل المستويات كقوة فعالة تساند مساندة كاملة قضية العرب العادلة

: وقالت صحيفة " الفجر الجديد " الليبية

إن حكام مصر ساروا في سياستهم الخارجية نحو التواطؤ السافر مع قوي الإمبريالية الأمريكية في الشرق الأوسط " والصهيونية والرجعية العربية والقوا بالشعب المصري إلى هاوية الفاقة والظلم بعد أن فرطوا بالكثير من المكاسب " التقدمية التي حققتها الثورة المصرية وتناسوا تماما التعاليم الاشتراكية التي أوصي بها الرئيس جمال عبد الناصر

وتواصل جريدة " العراق فتقول

إن قرار الرئيس السادات لا يمكن النظر إليه بمعزل عن التصرفات التي تدل على ركوع القيادة المصرية أما أداء " . الشعب

ومن العالم الثالث قالت جريدة " هاراغفي " القبرصية

إن السادات حين وصلت به الأمور إلى حد فسخ معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي إنما يوجه ضربة " معينة لمصالح الشعب المصري

لم يكن إلغاء المعاهدة المصرية السوفييتية ضربة قاصمة للناصرية بل كان طعنة للكفاح ونضال الشعب المصري فلم تكن العلاقات المصرية السوفييتية وليدة الناصرية

كانت " روسيا " من الدول التي بينها وبين مصر علاقات دبلوماسية وقنصلية وعندما قامت ثورة أكتوبر كانت مصر تحت الحماية البريطانية وكانت وزارة الخارجية المصرية ملغاة وعندما أعلنت بريطانيا استقلال مصر بتصريح 28 فبراير شباط عام 1921 اتخذت حكومة جلالة الملك فؤاد قرارا بإنهاء العلاقة بين مصر والاتحاد السوفييتي وتبع ذلك ! العلاقات الاقتصادية بين البلدين

مما كان له صدي في البرلمان وتكرر طلب تصحيح ذلك الوضع لمصلحة مصر كذلك طالبت الصحف بفتح الأسواق السوفييتية أمام القطن المصري وفي جلسة مجلس النواب (1927/5/12) قام أحد النواب يسأل وزير الخارجية عن مدي صحة ما نشر من أن سفارة الاتحاد السوفييتي في لندن كتبت لوزير مصر المفوض هناك

أنها تجد صعوبة شديدة في حصولها على القطن المصري وأن السلطات المصرية تحول دون هذا الحصول واستوضح " النائب وزير الخارجية عن خطة الحكومة فيما يتعلق بمستقبل العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الاتحاد السوفييتي " خصوصا إذا راعينا أن المقدار الذي يحرم من الطلب السوفييتي يمثل سبع المحصول لمصر

وقدم نائب آخر سؤالا لوزير الخارجية أوضح فيه مدي أهمية التعامل التجاري مع الاتحاد السوفييتي في توسيع نطاق تجارة القطن المصرية وما يترتب على ذلك من تحسين الأسعار التي يئن منها المنتجون وقال أن أكثر الدول الأوروبية أقامت لها علاقات سياسية مع الاتحاد السوفييتي فلا أقل من أن يكون لمصر صلات تجارية

وقال النائب حسن يسن

أن قنصل مصر في باريس قال في تصريح له بأنه إذا لم تعجل مصر بإزالة العقبات عن طريق القطن المصري " المصدر إلى الاتحاد السوفييتي فإن السبيل سيسد في وجه القطن المصري

وتبين من الإحصاءات أن الاتحاد السوفييتي اشترى في السنوات من 1924 إلى 1927 من القطن المصري ما يبلغ متوسطه السنوي 504,000 قنطار لكنها لم تشتتر منه من السوق المصري إلا 21,000 قنطار والباقي وقدره 484,000 قنطارا في العام اشترته من الأسواق الأجنبية ولا سيما سوق ليفربول

أى أن قطع العلاقات في مصلحة الرأسماليين البريطانيين الذين يشترون القطن بالثمن البخرس وبييعونه بالثمن المربح لهم. ويسجل الاقتصادي المصري يوسف نحاس أرقاما للتدليل على أن القطن الأمريكي الذي كان أقل رتبة من القطن .. المصري كان يباع في ديسمبر 1926 بسعر يفوق كثيرا سعر القطن المصري

وظلت تجارة مصر مع الاتحاد السوفييتي محدودة حتى عام 1933 فتوقفت الصادرات المصرية إلى الاتحاد السوفييتي على الرغم من استمرار ورود البضائع السوفيتية إلى مصر وكانت معظم صادرات الاتحاد السوفييتي إلى مصر من الأخشاب والكيوسين وورق التبغ والوقود السائل

ثم قام صدقي باشا أكثر الرجعيين استسلاما للعدو ببيع قطن الحكومة إلى السوفييت على يد اثنين من المصدرين في الإسكندرية بمقادير هائلة على الرغم من عدم وجود علاقات سياسية بين مصر والاتحاد السوفييتي

العلاقات الدبلوماسية

في عام 1934 طرح في جلسة مجلس الشيوخ سؤال عن سبب عدم إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي فقال الياس عوض عضو الشيوخ

لقد كنت أتمنى أن تجنبنا الحكومة في هذا العام بنبا حسن وهو أن الحكومة شارعة في تجديد العلاقة مع الأمة " السوفييتية من الوجهتين التجارية والسياسية لأنه لا معنى أن تكون الأمة المصرية الأمة الوحيدة المستمرة في جفاء مع الأمة السوفييتية على حين أن الدولة الانكليزية هي الدولة التي تعمل على أن تكون سياسيتها الخارجية متفقة " وسياستها

وقدم النائب سليمان غنام سؤالا إلى رئيس الوزراء في عام 1938 يتساءل عن سبب عدم عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والاتحاد السوفييتي بعد أن اعترفت دول العالم بهذه الدولة وفي مقدمتها انكلترا التي عقدت مع الاتحاد .. السوفييتي معاهدة تجارية

ثم عاد النائب وتساءل في جلسة مجلس النواب 39/2/28 عن المانع الذي يقف في طريق الاعتراف بحكومة السوفييت . في وقت تسارع فيه الحكومة المصرية إلى الاعتراف بحكومة فرانكو الفاشستي في أسبانيا

: وجه النائب عزيز مرهم في جلسة مجلس الشيوخ عام 1939 استجابا

عن أسباب تباطؤ وزارة الخارجية في الاعتراف بحكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية تلك الحكومة " الممثلة لشعب أصبح اليوم من أقوى الشعوب وأرقاها وتطمع الدول الكبرى ومنها المتحالفة معنا في خطب وده والتعاقد معه "

وقررت الحكومة المصرية بناء على طلب وزارة التجارة والصناعة إعادة العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتي . تصحيحا للميزان التجاري وفي عام 1939 وافق مجلس الوزراء على الاعتراف بالاتحاد السوفياتي

ومع ذلك لم ينفذ هذا القرار إلا عندما أصبح الاتحاد السوفياتي حليفا لبريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية فوافق مجلس الوزراء عام 1943 على الاعتراف باتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية

وكان السفير البريطاني في القاهرة غير مرتاح لإقامة العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتي وكان القصر الملكي غير موافق من البداية وقد ظل الملك في موقف الرفض حتى بعض إقامة هذه العلاقات وحاول الملك أكثر من مرة بواسطة أحمد حسنين باشا أن يستميل البريطانيين إلى جانبه وفي النهاية رضخ الملك للأمر بعد أن ينس من وقوف البريطانيين في صفه وخوفا من أن يثير النحاس الموضوع في البرلمان وإظهار الملك بأنه عائق يحول بين مصر والاتحاد السوفياتي .

وعين كامل عبد الرحيم أول وزير مفوض لمصر في موسكو وكتب إلى وزارة الخارجية المصرية يطلب عقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفياتي وصرح الوزير المفوض بأنه مغتبط لتعيينه في موسكو أشد الاغتراب وأنه سيعمل على توثيق العلاقات السياسية بين البلدين وعلى تعرف عظمة الاتحاد السوفياتي وقوته من هاتين الناحيتين

:وقال في تصريح لصحيفة الأهرام

وفي الميدان الصناعي نواح كثيرة جدية باهتمامنا ببرامج السنوات الخمس التي نجحت في الاتحاد السوفياتي " نجاحا منقطع النظير علنا نصل إلى تطبيق نظام يتفق مع حالتنا لكي نبغي نهضة صناعية صحية اجتماعية شاملة " تدفعها إرادة قوية كتلك الإرادة التي دفعت بالأمة الروسية نحو تنفيذ هذه البرامج فأتت بأحسن الثمار

مشكلة التحرر

. ولم يكن اهتمام الاتحاد السوفياتي بحركة التحرر نابعا من قوته أو من وجوده كقوة عالمية أو تفوقه العسكري

فقد أبدى لينين اهتماما ببلدان الشرق وبنضال التحرر الوطني قبل أن يستولي الحزب الشيوعي على الحكم واستنكر العدوان على ليبيا عام 1911 وفي سنوات الحرب العالمية الأولى صد كتابه " الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية " ففضح طبيعة النظام الاستعماري والأسس الاقتصادية والطبقية التي يقوم عليها كشف أساليب النهب الاستعماري وخصائص السياسة الاستعمارية الإمبريالية وأوضح أن تراكم الرأسمال المالي وتشكيل الاحتكارات وإثراء الدول الكبرى جاء نتيجة الاستغلال الذي لا رحمة فيه لملايين العبيد في المستعمرات

وكتب " روتشتين " المؤرخ السوفييتي كتابه " خراب مصر " الذي فضح فيه السياسة الاستعمارية البريطانية في مصر وأوضح في الكتاب وسائل النهب البريطاني للفلاحين المصريين وانعكاس الاحتلال البريطانية على الاقتصاد المصري...وعندما انتصرت الثورة في روسيا كان أول شئ أعلنته " مرسوم السلام " الذي طالب بتحرير المستعمرات

وكان لانتصار " الثورة السوفييتية " صداها وأثرها في معركة التحرر الوطني وفي مؤتمر لوزان الدولي الذي عقد في نوفمبر تشرين الثاني عام 1922 نشر الوفد السوفييتي مذكرة أيد فيها مطالب الشعب العربي كما قدم وفد من " حزب الوفد " المصري بمقابلة رئيس الوفد السوفييتي وقدم إليه عدة وثائق عن السياسة الاستعمارية البريطانية في مصر بما في ذلك " الكتاب الأسود " عن الأعمال الوحشية التي اقترفها الإنكليز في مصر

وعندما استأنفت مصر نضالها ضد الاحتلال البريطاني أعلن الاتحاد السوفييتي تأييده لمطالب الشعب المصري في استعادة سيادته واستقلال بلاده

وفي مقابلة بين سفير مصر في موسكو ووزير الخارجية السوفييتي قال الوزير السوفييتي أن زمن الاستعمار قد انتهى . وأن الاتحاد السوفييتي يود أن يري الدول العربية من بين الدول الحرة التي تساهم في حفظ السلام في العالم

وفي مؤتمر وزراء الخارجية الذي عقد في باريس في يونيو 1946 ندد مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفييتي باستمرار بقاء القوات البريطانية في مصر

وأثناء مناقشة القضية المصرية أمام مجلس الأمن لم يقف بجانب مصر سوي ثلاث أعضاء هم الاتحاد السوفييتي :وبولندا وسوريا وألقي غروميكو رئيس الوفد السوفييتي خطابا أمام مجلس الأمن فقال

إن الاتحاد السوفييتي يكن تفهما وتعاطفا مع الأماني الوطنية لمصر وشعبها في الوجود المستقل على أساس " المساواة في السيادة مع الأمم والشعوب الأخرى

. وحاول مندوب بريطانيا شطب القضية من جدول أعمال مجلس الأمن فعارضه المندوب السوفييتي

: " وكتب أحمد حسين في صحيفة " مصر الفتاة

أما وقد وقف الاتحاد السوفييتي منا ذلك الموقف فقد أصبح واجبا علينا نحو أ،فسنا أن نزيد في علاقاتنا معها وأن " نرد التحية بمثلها بل ونتخذ من صلاتنا مع روسيا سلاحا نشهره في وجه العدوان البريطاني ومن يلوذ به أو يؤيده وكان التأيد للاتحاد السوفييت وبولندا لمصر في مجلس الأمن أثره في أن تدرك الجماهير من هم حلفاء حركة التحرر .ومن هم أعداؤها

وعندما ألغت الحكومة المصرية المعاهدة (المصرية – الانكليزية) صرح دين اتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة في مؤتمر صحفي قائلا

إن الولايات المتحدة تؤيد بقاء القوات البريطانية في منطقة قناة السويس إذ أن لبريطانيا الحق في ذلك من الناحية "القانونية بموجب معاهدة 1936 ولبريطانيا أن تتمسك بحقوقها المنصوص عليها في هذه المعاهدة

:"وكتبت صحيفة " مصر الفتاة

لقد دعونا من قبل إلى ضرورة إبرام معاهدة صداقة وعدم اعتداء مع الاتحاد السوفييتي وقد حانت الساعة لتطالب "الحكومة أن تبادر بالدخول في مفاوضات مع روسيا لعقد هذه المعاهدة في أقرب وقت

وكانت مصر قد رفضت في الأمم المتحدة الوقوف إلى جانب الدول الغربية ضد الكتلة الإشتراكية في مشكلة كوريا .وبينما كانت مصر تناضل من أجل طرد القوات البريطانية أبرمت السعودية اتفاقية مع الولايات المتحدة أتاحت لها ! قاعدة الظهران الجوية

وأثيرت في ذلك الوقت مسألة قيادة الشرق الأوسط التي تقدمت أمريكا وانكلترا وفرنسا وتركيا ورفضتها مصر وسلمت الحكومة السوفييتية مذكرة إلى السفير المصري جاء فيها

إن المقترحات الرباعية ليس لها أى صلة بالسلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط وأن إنشاء هذه القيادة معناه " توسيع القواعد القائمة في مصر بإقامة قواعد عسكرية جديدة

ناصر .. الاتحاد السوفييتي

كان اتجاه عبد الناصر امتداد للحركة الوطنية المصرية بكل أبعادها .ورغم أنه لم يسلم في البداية بما توصلت إليه الحركة الوطنية إلا أنه جعل التجربة العلمية دليلا لمساره وانطلق شرقا وغربا وأرسل الوفود بحثا عن حلول للمشاكل .الاقتصادية والعسكرية التي تواجهها مصر

وذهب على صبري إلى الولايات المتحدة من أجل السلاح وقام أحمد فؤاد بزيارة الاتحاد السوفييتي ببح المشاكل الاقتصادية وأنبري اليمين داخل قيادة الثورة معترضا على التعاون مع الاتحاد السوفييتي وأبعد من مجلس قيادة الثورة .. العناصر الوطنية اليسارية

ويروي أحمد فؤاد إن الاتحاد السوفييتي أبدى استعداده المطلق للتعاون الاقتصادي وقيل للبعثة المصرية: " إذا لديكم " تراب يفيدنا فنحن مستعدون لقبوله في مقابل أى شئ نطلبونه

وظلت ثورة 23 يوليو تموز في تردد حتى حسمها العدو فدفع بإسرائيل للعدوان على غزة في الوقت الذي لم تحصل فيه مصر على سلاح للدفاع عن نفسها ثم سحب قرض السد العالي بمبادرة من الولايات المتحدة

وأخيرا .. العدوان الثلاثي

وحطمت مصر احتكار السلاح وفتحت أبوابها للتعاون الاقتصادي مع الكتلة الشرقية دون تغلق الأبواب في وجه الغرب .وبدأت مصر مسيرتها التحررية فحصلت على الاستقلال السياسي أثر فشل عدوان 1956 وبدأت الخطوات نحو التحرر الاقتصادي .

وانطلقت مصر في سياسة " عدم الانحياز" فمدت ذراعيها إلى دول العالم الثالث . وخرجت من القيد الاستعماري اقتصاديا وعسكريا وسياسيا . ولكن الرجعية المصرية والعربية والدول الاستعمارية لم تقبل خروج مصر من قبضتها .فبدأت مؤامرات الاغتيال وتكرر العدوان ومحاولات عرقلة التصنيع وتخريب القطاع العام وتهريب النقد الأجنبي

لماذا الاتحاد السوفييتي؟

عمدت الدول الاستعمارية إلى فرض ستار حديدي حول الاتحاد السوفييتي بعد قيام ثورة 1917.أن الحرب العالمية الأولى التي قامت من أجل إعادة تقسيم الأسواق بين الدول الاستعمارية فوجئت بقيام نظام دولي جديد يلغي دور ووظيفة الرأسمالية ويؤمم الاحتكارات والشركات وينقل ملكيتها إلى الشعب ويعلن معاداته للاستعمار وتأييده لحركات التحرر ويكشف المعاهدات السرية التي أبرمتها الدول الإمبريالية للسيطرة على الشعوب

وحاولت الرأسمالية القضاء على هذه الدولة وسيرت جيوشا من أربعة عشر دولة ولكنها عجزت فقامت بحصارها وفرضت الجدار الحديدي لعزلها عن العالم .وظل الصراع قائما بين هذه الدولة الفتية وبين الدول الرأسمالية حتى قامت " النازية" وأشعلت الحرب العالمية الثانية وانتهت الحرب بعد أن فقدت الرأسمالية مواقع جديدة في شرق أوروبا كما بدأت حركة التحرر في إحراز نجاحات ضد الإمبراطوريات المنهارة

وهنا كشفت الولايات المتحدة عن وجهها الاستعماري البشع فساندت هولندا في محاولاتها لاسترداد اندونيسيا كما ساندت فرنسا في حرب الجزائر وفي حرب فيتنام وعملت على اغتيال لومومبا في انغولا لدعم الاستعمار البلجيكي .. وحماية الاحتكارات

ورغم ذلك تضعف موقع انكلترا وفرنسا فأعلنت الولايات المتحدة عن نظرية " ملء الفراغ " وانطلقت في العالم لدعم " مصالح الاحتكارات الأمريكية " وتحصل الاحتكارات الرأسمالية على نحو 10 مليارات دولار كريح سنوي من تصدير رأس المال إلى البلاد النامية ويمثل ربحها من تصدير السلع نحو 12-13 مليار دولار

" ويقول " مؤلف " الاقتصاد السياسي والبلدان النامية

وعلى سبيل المثال حصلت كافة الاتحادات الاحتكارية للولايات المتحدة الأمريكية في عام 1971 على ربح قدره 78,6 مليار دولار في عام 1971 وفي نفس العام كان ربحها من استثماراتها المباشرة في الخارج وحدها 12,6 مليار دولار

وفي مقابل هذا الثراء الفاحش تنتشر مناطق الجوع في القارات الثلاث أفريقيا وأمريكا الجنوبية وآسيا وفي السبعينيات توصل كثير من المتخصصين إلى استنتاج بأنه يوجد 700 مليون إنسان مهددون بالجوع في 32 بلدا وفي الوقت الراهن يموت 30 ألف شخص يوميا بسبب الجوع وسوء التغذية فالموت جوعا هو خطر حقيقي يتهدد ملايين البشر

وهكذا واجه الشعب العربي نفس المأساة فالولايات المتحدة تصر على حماية المصالح الأمريكية التي هي مصالح الاحتكارات وتهدد بالعصا الغليظة وبفرق الانزال السريع وانتشار الأسلحة الذرية

العدو الواحد

واجهت ثورة 23 يوليو رغبة الولايات المتحدة في " ملء الفراغ " الذي تركه جلاء القوات الانكليزية عن مصر أي حماية المصالح الإمبريالية أو بمعنى أوضح حماية نهب الاحتكارات للشعب المصري

ولم تنفصل إسرائيل عن الإمبريالية منذ وجودها فتلاقت معها في النهب المالي للشعوب .وفي تشرين الأول (أكتوبر) 1967 بعد مؤامرة " النكسة " عقد في احدي دور روتشيلد في سويسرا لقاء سري لمجموعة من رجال المال بحث إمكانات استغلال الأراضي الجديدة التي اغتصبتها إسرائيل

وأخذت الاحتكارات والكتل الاحتكارية الأمريكية في ربط إسرائيل بعجلة الاحتكارات الأمريكية .وقبل ذلك في مايو أيار عام 1954 عقدت مؤتمرات " بيلد لبرغ " التي ضمت كبار أثرياء العالم ورأي هؤلاء في إسرائيل سندا مضمونا في صراعهم لوضع أيديهم على ثروات الشرق الأوسط والاحتفاظ بسيطرتهم في هذه المنطقة التي تمتاز بأهميتها الاقتصادية والإستراتيجية الهامة وكان للرأسماليين الصهاينة باعتبارهم المشاركين الأساسيين في هذه المؤتمرات " القول الفصل " عند اتخاذ القرارات

وتعمل في إسرائيل عدة احتكارات بريطانية ضخمة مثل "شركة النفط البريطانية ومصارف روتشيلد وبنك بركليز .. والشركة المصرفية " صامونيل وشركاه وغيرها

ولم يكن الارتباط الاقتصادي وحده الذي وثق العلاقات بين إسرائيل والإمبريالية العالمية بل تلاقوا في العداء للاشتراكية التي حرمتهم أسلوب ووسائل النهب وبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت إسرائيل رأس حربة ضد الاشتراكية وحركة التحرر الوطني .

وكتب المعلق الأمريكي جون كروسي

إن العداء للشبوعية هو آخر ملجأ للخائبيين. وهو لا يلم تحت رايته المهلهلة سوي مجموعة ناشزة من اللصوص وقطاع الطرق والوشاة والمفترين والحمقي والحاقدين على كل البشر

في تلك " الباقية " كان الصهاينة أينع " زهرة " وفي عام 1959 تشكلت في القسم اليهودي التابع لدائرة المخابرات المركزية الأمريكية مجموعة خاصة للاتصال العملي بدائرة المخابرات الإسرائيلية وتبادل المعلومات معها .. وارتبطت . أحداث بولندا وتشيكوسلوفاكيا التي بدأت عام 1968 بالعدوان الإسرائيلي الأمريكي ضد مصر عام 1967

وتبين أن الغالبية العظمى لمديري ومنظمي الأحداث من اليهود الذين تسربوا إلى المناصب الهامة في أجهزة أمن الدولة والصحافة والأوساط الثقافية والاقتصادية لضرب الاشتراكية . وكان غولد شتوكر اليهودي مسيطرا على إذاعة براغ . وارتفع صوته خلال الأحداث مطالبا تشيكو سلوفاكيا بتبديل سياستها ضد إسرائيل

وأصبحت الحركة الاشتراكية وحركة التحرر الوطني هدفا مشتركا للعدوان الإمبريالي الصهيوني . وكان المفروض أن .. تكون النتيجة الحتمية معاهدات الصداقة بين الدول العربية والاتحاد السوفيتي

أرض واحدة

على هذه الأرض الواحدة التي يعيشها البشر وأثبت العلم أن استغلال الإنسان للإنسان لم يكن موجودا وظهر هذا الاستغلال منذ نحو 7 آلاف عام كان الإنسان في الفترة البدائية ينتج أقل قدر من المنتوجات لعدم قدرة القوي المنتجة غير المتطورة على تغطية سوي حاجاته الضرورية فكان صيد الحيوان والأسماك يقسم بالتساوي بين الناس لا فرق بين إنسان وإنسان

وعندما بدأ الإنتاج في الزيادة ظهرت الملكية وظهرت الفوارق بين الناس وظهر استغلال الإنسان للإنسان. وبدأت الحروب بين البشر من أجل نهب ثروات الغير واستعباد البشر فكان العبد يكبل بالسلاسل إلى الطواحين أو السفن ويضرب بالسوط للعمل من أجل ثراء إنسان آخر وفي النظام الإقطاعي كان الفلاحون مضطرين إلى إعطاء محصولاتهم ! إلى سيدهم

أما في النظام الرأسمالي فالعامل مقيد بسلاسل غير مرئية فهو مضطر إلى العمل للحصول على الأجر مهما كان هذا . الأجر قليلا بينما يثري رجل الأعمال الرأسمالي دون أن يبذل جهدا حقيقيا

ومع التطور ظهرت الاحتكارات وبدأ الاستعمار بشكله المعروف ثم تطور إلى الغزو المالي .وخلال هذه المراحل التاريخية شاهدنا تجار الرقيق وخطف الآباء من أسرهم وانتزاع الأبناء من ذويهم وانتزاع الأطفال من أمهاتهم فكانت المزارع في الولايات المتحدة تقوم على اكتاف العبيد وأقيمت الصناعة في أوروبا بنفس الصورة وهكذا تولدت الدول . الغنية والدول الفقيرة

ورغم التقدم الحضاري الذي بلغه الإنسان ما زال هناك سادة يقطنون القصور وينعمون بخيرات الحياة بينما يعمل آخرون عبيدا أو كالعبيد ولا يجدون قوت يومهم .وأصبح الصراع في عالم اليوم بين هؤلاء الذين لا يعملون ويكدسون . الثروات والذين يعملون ولا يجدون ما يكفيهم

:وترددت أصوات الكادحين في كلمات الشعراء فقال بيرم التونسي

ليش امشي حافي

وأنا منيت مراكم

ليه أناام عريان

وأنا ناسج مراتكم

وتساءل الشاعر العراقي " أين حقي ؟" ولكن الكلمات لم تعد تكفي وهب الفقراء ونجحت ثورتهم في روسيا وانتزعوا . حقهم من الأغنياء

وانفصل سدس الكرة الأرضية عام 1917 عن النظام الاستغلالي الرأسمالي ولم تكد تنتهي الحرب العالمية الثانية حتى . انفصلت أجزاء جديدة من الأرض عن هذا النظام

وأصبحت رقعة الاستغلال أمام الرأسمالية ضيقة.وبدأ النظام الرأسمالي يواجه منافسة حادة.انتقل الاتحاد السوفيتي من المرتبة الخامسة في الصناعة بالنسبة للعالم عام 1913 إلى المرتبة الثانية عام 1974 وكان في المرتبة الرابعة . بالنسبة لأوروبا عام 1913 فأصبح في المرتبة الأولى

وكان في المرتبة الثامنة في الكهرباء بالنسبة للعالم وانتقل إلى المرتبة الثانية وبالنسبة لأوروبا من المرتبة السادسة إلى المرتبة الأولى وفي الحديد والصلب والفحم من المرتبة السادسة أو الخامسة إلى المرتبة الأولى في العالم وكذلك في الأسمنت والأخشاب ومصانع القطن ومصانع نسج الصوف وأصبح في المرتبة الأولى

وهكذا وجدت الرأسمالية أو الاستعمار أنه لم يفقد أرضا للاستغلال فحسب بل أصبح يواجه منافسا في الإنتاج ولم يعد . هذا الإنتاج من أجل الربح بل من أجل سعادة البشر

وخرجت الدول النامية من قبضة السيطرة الاقتصادية الرأسمالية الإمبريالية ووجدت أسسا جديدة للتعامل الاقتصادي . الدولي مع الدول الاشتراكية

غريزة البقاء

عندما طالت مدة الشقاء في الجبال الثلجية وافتقدت الذئاب غذاءها قامت جحافل منها بالهجوم على القرى المجاورة . وكان الفلاحون يحصدونها ببنادقهم صفا وراء صف ولكنها تتقدم

أنها غريزة البقاء

فعندما سعت الإمبريالية المحمومة إلى استعادة سيطرتها بعد الحرب العالمية الثانية وأرادت تكريس نهبيها واستغلالها للموارد الاقتصادية المادية والبشرية وفرض اتجاهات معينة للتطور الاقتصادي والاجتماعي وتسليط النظم السياسية الرجعية والعملية والزامها بإقامة علاقات اقتصادية محصورة بالدول الإمبريالية وذات طبيعة غير متكافئة تخدم المصالح الاقتصادية الرأسمالية هبت الشعوب كالذئاب يحصدونها صفا وراء صف ولكنها تتقدم ز في كوريا ثم فيتنام وفي الجزائر؛

وفي مصر (3 حروب) وفي نيكاراغوا وسلفادور .. وفي جنوب أفريقيا في كل مكان يحصدون من أجل الإبقاء علي . حالة التبعية واستمرار التخلف

الفصل التاسع:الصدى اللود

سننسلط كما علمتنا أمنا انكلترا, سنغطي صفحة المحيط بأسطولنا التجاري سنبنى أسطولنا يتمشي مع عظمنا وحول " .. مراكز تجارتنا ستنمو مستعمرات عظيمة تحكم نفسها بنفسها وترفع وتترج معنا

السناتور بيفردج عام 1898

الصدى اللود

في كتابة " تاريخ الحضارة " كتب " ويل ديورانت " يصف لنا لحظات انهيار الحضارة البابلية والأيام التي سبقت احتضارها . فكتب يقول

كان الشباب يصبغون شعرهم ويعقصونه ويعطرون أجسامهم ويحمرون خدودهم يزينون أنفسهم بالعقود والأسوار " والأقراط والقلاند .ولما فتح الفرس بلادهم وقضوا بذلك على عزتهم النفسية تحرروا أيضا من جميع القيود الأخلاقية وسرت عادات العاهرات إلى جميع الأوساط وأضحت نساء الأسر الكبيرة يرين أن اظهار محاسنهن أيا كانت ليستمتع بها أكبر عدد مستطاع أصبحن لا يرين في هذا شيئا أكثر من مجاملة عادية

:ونقرأ أيضا

ليس أغرب من أخلاق المدينة بابل فلسنا نجد في مكان آخر ما نجده فيها من تهينة كل شئ لإشباع اللذات الجنسية لقد فسدت الأخلاق وانحلت حين أثرت الهياكل وانهك أهل باب في ملذاتهم , فرضوا أن تخضع مدينتهم للكاشين والأشوريين , والفرس , واليونان

: ونقرأ في نفس الكتاب عن روما في فترات ثورات العبيد ضد ملاك الرق وضد المجتمع العبودي يقول المؤرخون

أخذ الأشراف والأثرياء يتنافسون في مظاهر الترف والنعيم على حين كان وميض نار الثورة يلوح في الولايات المتحدة المفلسة والناس يموتون جوعا في أكوأخهم القذرة الحقيمة وكان الشيوخ لا يستطيعون من نومهم الأوقات الظهيرة وقلما كانوا يحضرون جلسات المجلس (مجلس الشيوخ) وكان بعض أبناءهم يتزينون بأزياء العاهرات ويختالون في الطرقات على أجسامهم ثياب مطرزة مزركشة وفي أرجلهم صنادل كصنادل النساء متعطين متحليين .. بالجواهر لا يقبلون على الزواج وإذا تزوجوا عملوا على ألا يكون لهم أبناء ينافسون شباب اليونان في التخنث

لو تأملنا هذه الظواهر التاريخية لأدركنا أنها صاحبت بعض المجتمعات في لحظات انحدار حضارتها وبدء انحلالها وتفسخها أمام قوي جديدة صاعدة ..ففي روما تفسخت طبقة ملاك العبيد أمام ضربات الثوار ولا يعود روما كيائها إلا بعد أن يقوم النظام الإقطاعي مكان النظام العبودي ..حضارات تنهار في التفتت والتحلل والتفسخ بينما تولد حضارة جديدة بقم جديدة وأساليب جديدة للحياة

عندما تموت حضارة أو تنتهي طبقة من دورها التاريخي فهي لا تدفن تحت التراب ولكنها تتحلل وسط المجتمعات وتنتشر عفنها ورائحتها الكريهة ..فما هي الحضارة التي تنهار ؟ وما هي الحضارة التي تولد ؟

عالم الرشوة

انحاز السادات إلى الغرب الرأسمالي وسلم القيادة إلى الولايات المتحدة وفي أعقاب الاتجاه الجديد ظهرت فضائح رشاد عثمان وعصمت السادات وصفقات لوكهيد و الاتجار في السلاح

وحاول عثمان أحمد عثمان أن يبرئ نفسه فصرخ في مجلس الشعب "المتهم برئ حتى تثبت إدانته" ومن سوء حظه أن فضائح الرشاوي انفجرت في العالم الرأسمالي في نفس الوقت الذي انكشفت فيه فضائح رشاوي المسؤولين في مصر .

اختار " السادات " لحظة أو فترة الاتهيار الرأسمالي ليجر مصر إلى مصير هذا النظام . ففي عام 1975 بدأت فضائح شركة لوكهيد الأمريكية لصناعة الطائرات وكانت لجنة الشيوخ الفرعية للشركات المتعددة الجنسيات قد نشرت عام 1967 وثائق تفيد بأن 12,7 مليون دولار دفعت كرشاوى في اليابان ومليونين في إيطاليا وأكثر من مليون إلى شخصية هولندية كبيرة ومبالغ أخرى في كل من ألمانيا الغربية وتركيا والسويد ودول أخرى .

هكذا بدأت فضائح لوكهيد إلا أنها لم تؤخذ مأخذ الجد في حينه حتى جاء عام 1975 لتعترف الشركة ذات الصلة الوثيقة . بالبنتاباغون الأمريكي بدفع أكثر من 22 مليون دولار إلى شخصيات سياسية وعسكرية في الخارج لزيادة مبيعاتها .

وبدأ نشر أسماء المرتشين تصدرها اسم رئيس وزراء اليابان تاناكا الذي اعتقل للتحقيق معه كما أنهم اثنان من أعضاء الحكومة ومجموعة من رجال الأعمال والمسؤولين .

وكان في القائمة اسم الأمير بنارد المفتش العام للقوات المسلحة الهولندية وروج ملكة هولندا الذي استقال من جميع مناصبه .

وكذلك ظهر ضمن كشف المرتشين جوزيف شتراوس زعيم الحزب الديمقراطي المسيحي وأحد أقطاب اليمين في ألمانيا : الغربية إضافة إلى ظهور أسماء من السويد وبريطانيا وإيطاليا وتركيا وكولومبيا وأسبانيا وجنوب أفريقيا ونايجيريا .

ولم تكد تخفت فضيحة لوكهيد حتى انفجرت فضيحة رشاوى جديدة في أمريكا أبطالها أعضاء في الكونجرس ونواب ورجال أعمال وأذاعت وكالة الأنباء الفرنسية أنباء من واشنطن وذكرت أن الفساد امتد إلى الكونجرس وتم استجواب موظفين وسياسيين ورجال أعمال أمريكيين .

وقامت إدارة الأمن بتصوير بعض الصفقات عن طريق الفيديو ولم تكن الرشاوى قاصرة على الولايات المتحدة ففي بريطانيا اتهم 12 مسنولا بوزارة الطاقة من بينهم وكيل وزارة وكانت التهمة التلاعب والحصول على 52 مليون جنيه . بوسائل غير قانونية .

كانت الرشاوى تصل إلى أعلى القمم ففي فرنسا نشرت جريدة " كنار إنشائية " الفرنسية أن ديستان رئيس الجمهورية الفرنسية لم يكن يذهب إلى أفريقيا الوسطى لصيد الحيوانات فحسب بل ولصيد الماس أيضا في بلد هو من أفقر بلاد العالم .

وكان " السفاحيوكاسا " سخي اليد ليس فقط مع الرئيس ديستان بل ومع العديد من أفراد العائلة والوزراء الفرنسيين ! وفي الولايات المتحدة قالت السيدة ثريا مطلقة رجل الأعمال عدنان خاشقجي أن رجل الأعمال قدم إلى ابنة الرئيس نيكسون هدية عقدا ثمنه 60 ألف دولار . ولم تنتقل حمي الرشاوي إلى الشرق الأوسط من خلال خاشقجي " فحسب بل ! لعل رشوة " خاشقجي " لنكسون تافهة

فإن العمولة التي جري التحقيق بشأنها في لبنان بلغت 12 مليون ليرة في صفقة البوينج وكذلك صفقة البوينج في القاهرة التي اتهم فيها نائب رئيس وزراء وهدد بنشر أسماء المشتركين فحفظ التحقيق

تحلل النظام

. لم يكن انفجار فضائح "الرشاوي" إلا مظهرا من مظاهر الانحلال والتفسخ الذي انحدر إليه النظام الرأسمالي

ففي تحقيق صحفي نشرته " أخبار اليوم " الصحيفة الأمريكية التي تصدر باللغة العربية في القاهرة وكان صاحب التحقيق أحد التلاميذ الأوفياء للولايات المتحدة قال :

هناك 10 ملايين أمريكي يدمنون الخمر كما أن واحدا من كل 5 من طلبة المدارس الثانوية يشرب الخمر أيضا من وراء ظهر الأسرة جاء ذلك في تقرير مقدم للكونغرس من وزارة الصحة الأمريكية وهناك أكثر من 3 ملايين شاب أمريكي تتراوح أعمارهم بين 14 , 19 سنة لهم مشاكل مع الخمر وبعضهم يعالج من الإدمان

واعترفت بيتي فورد زوجة الرئيس السابق جيرالد فورد في مذكراتها أن أسرتها أرغمتها على الذهاب إلى "المستشفى لتعالج نفسها من إدمان الخمر والأقراص المهدنة والمنومة

ونشرت صحيفة "العب" التي تصدر في لندن تحقيقا صحفيا عن " الدعارة في لندن " ووصفتها بأنها صناعة البليون جنيه وقالت هل تصدق أن أرباح منطقة واحدة من مناطق الدعارة تصل إلى عشرين مليون جنيه سنويا وتساءلت الصحيفة هل حدثك أحد من قبل عما يجري خلف الواجهات البراقة لحياة الليل في لندن؟ وأجابت الصحيفة في تحقيقها ! على السؤال

ويبدو أيضا أن الحياة العاطفية لرجال السياسة في بريطانيا مليئة بالمفاجآت فبعد فضيحة وزير الدفاع البريطاني السابق جون بروفيو الذي كان يرتبط بعلاقة غرامية مع فتاة بريطانية تدعى كريستين كيلر . وبعد أن تكشفت أخيرا فضيحة " الشذوذ الجنسي الذي تورط فيها زعيم الحزب الليبرالي البريطاني " جريس ثورب

ظهرت فضيحة ونستون (تشرشل - حفيد) تشرشل الكبير لتضيف فصلا جديدا ومثيرا لمسلسل فضائح الساسة البريطانيين فقد ظهر أن حفيد تشرشل وهو رب عائلة وأب لأربع أطفال يرتبط سرا بعلاقة غرامية مع ثريا الخاشقجي . أن هذا التحلل في كيان المجتمع الرأسمالي يذكرنا بالتحلل الحياة في روما قبل سقوط الإمبراطورية الرومانية

أمريكا الضاحكة

في الكتاب الذي ترجم تحت عنوان " فضيحة في الكونغرس " من تأليف " ماريون كلارك " ورودي ماكسا جاءت قصة فتاة اسمها " ليز راي " اليت تعرفت بعضو الكونغرس الأمريكي " كين غراي " وألحقها بجهاز موظفيه في مكتبه . بالكونغرس .

وفي البداية كان " غراي " يعين لها أنواع الثياب التي يترتب عليها أن تلبسها في الحفلات التي يقيمها والتي كان يدعو إليها أصحابه وأصدقائه وآخرين ممن له مصلحة شخصية عندهم وكان يوعز إليها بأن تغازلهم وتعمل على إثارتهم وكانت تسلك سلوكا مثيرا مع معظم العاملين في الكونغرس ممن هم في سن السبعين

في عام 1930 كتب " هـ . ل . سينكن عن أعضاء الكونغرس قاتلا

إذا أمكن تطبيق ضغط عليهم بشكل صحيح فإنهم سيؤيدون بكل سرور أن يكون لهم أكثر من زوجة وسيؤيدون " التتجيم وأكل لحوم البشر

ونشر صحفيان يعملان في صحيفة " واشنطن بوست " الهبات التي قدمها رجال الأعمال " تونغسوك بارك " من كوريا الجنوبية إلى أحد زعماء الأغلبية في الكونغرس الأمريكي

وإذا تركنا رجال السلطة واتجهنا إلى الشعب الأمريكي نجد أنه في حالة الحصار المضروب عليه من رجال الاحتكارات قد فقد الاتجاه أكثر من 900 أمريكي انتحروا بإراداتهم واختيارهم تجمعوا في حالة غريبة من الهوس الديني والهستيريا المجنونة وأسسوا جماعة سموها " معبد الشمس " لقوا مصرعهم جميعا مع أبنائهم وأحفادهم بعد أن أصيبوا بالتخدير الكامل وتساقطوا جميعا أمام الأب الروح القدس " جيم جونز " زعيم طائفة معبد الشمس

ونعود إلى " الكونغرس " لنقرأ ما نشرته الصحف في أوائل عام 1981 عن ضبط حالات من الشذوذ الجنسي ارتكبت داخل مبني الكونغرس لأعضاء من الهيئة التشريعية . ومن قبل صدر في انكلترا قانون يبيح الشذوذ الجنسي لم يعد .. ينقصهم إلا التحلي بأزياء النساء كما حدث لرجال مجلس الشيوخ في روما القديمة

نظام ينتحر

هذه الظواهر جرائم الرشوة والسرقه والمخدرات والجنس تصاحب تعمق الأزمة الاقتصادية . إن مدينة نيويورك أكبر مدن الولايات المتحدة الأمريكية تعاني أوضاع متردية بلغت حدا مروعا من التدهور فالطرق التي تظهر فيها الحفر ولا تصلح للسير تبقي على حالها دون تصليح أو صيانة , والمنزهات مهملة بصورة بانسة .. المحاكم والسجون في ... فوضى

في الوقت الذي تزداد الجرائم بصورة هائلة وأصبحت الشوارع غير آمنة..وتبين من إحدى الإحصائيات أنه في الوقت الذي ترتفع نسبة الجرائم في هذه الأزمة الاقتصادية الخائفة تقل نسبة الانتحار في حين أن الأزمة الاقتصادية السابقة إكادت تتميز بانخفاض نسبة الجرائم وارتفاع نسبة الانتحار ... ماذا يعني ذلك

إن الانتحار عملية تعكس تغلب اليأس على الإنسان في إلقاء تبعه فشله أو إصابته بنكبة اقتصادية على نفسه وهو إذا ينتحر فإنه ينتقم من نفسه أما الجريمة فإنها على العكس من ذلك تعكس حقد الإنسان على النظام القائم وعلى العلاقات الاقتصادية التي تخلق الأزمة وتنتشر البطالة والجوع والعوز

فالظاهرة الجديدة في الأزمة الاقتصادية التي تنسحب على البلدان الرأسمالية عموما وهي تصاعد نسبة الجرائم وخاصة جرائم السرقة والسطو والسلب وما يرافقها من عنف ومثل تدل دلالة واضحة على أن البشر الذين تطحنهم الأزمة الاقتصادية أصبحوا يعون السبب الحقيقي للوضع الاجتماعي والمعيشي السيئ الذي يعانون منه

فالنظام هو الذي ينتحر ويهوي متفسخا متحللا.ولم يكن سقوط الشاه في إيران أو بوكاسا وسوموزا وبول بوت وحفيظ الله أمين إلا دلالات على انهيار النظام فسقطت التوابع رغم كل ما أحاطها من الإرهاب والعنف وإبادة وتهجير جماعي . فكشفت عن تهوؤ النظام كله وما ينخر فيه من سرقات ورشاوي وإباحية وتحلل اجتماعي

: في عام 1916 كتب لينين

إن الإمبريالية بوصفها المرحلة العليا من رأسمالية أمريكا وأوروبا ثم آسيا قد تشكلت نهائيا حوالي 1898- 1914 " فالعرب الأسبانية – الأمريكية (1898) والحرب الانكليزية – البويرية (1899- 1902) الحرب الروسية اليابانية (1904-1905) والأزمة الاقتصادية عام 1900 في أوروبا هي المراحل التاريخية الرئيسية في العهد الجديد من تاريخ العالم.

أن تكون الإمبريالية رأسمالية أو متعفنة ذلك ما يبدو قبل كل شئ في الميل إلى التفسخ والتعفن الذي يميز كل احتكار في ظل نظام الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج إن الاستعمار الأمريكي والياباني كان معروفا منذ القرن والتنبؤ بتفسخ هذا الاستعمار وتعفنه حدث قبل أن يستشري فساده الحالي وقبل أن ينتشر عفنه ورائحته الكريهة التي تملأ أجواء عالم اليوم.

وتداخل الاستعمار القديم مع الاستعمار الجديد ورغم التنافس والتناقضات إلا أنه لا خلاف بينهم على امتصاص دماء الشعوب .وليس الجهل أو التجهيل والتفاهة التي تتسم به ثقافة العالم الثالث سوي رغبة الاستعمار والحكام في حجب الحقيقة عن الشعوب

فمنذ نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي ظهرت الدراسات العلمية المدعمة بالأرقام لكشف طبيعة الاستعمار الحالي ومكوناته وظواهره فكتب لينين

إن تعفن الرأسمالي يتجلى بتكون فئة واسعة من أصحاب الربع من رأسماليين يعيشون من "جز القسائم" ففي أربعة بلدان امبريالية متقدمة انكلترا وأمريكا الشمالية وفرنسا وألمانيا يتراوح الرأسمال المتكون من أسهم وسندات بين 100,150 مليار فرنك أى ما يوفر لكل من هذه البلدان دخلا سنويا يتراوح بين 8,5 مليارات فرنك على الأقل .

. إن تصدير رأس المال إنما هو ضرب مربع من الطفيلية

إن الرأسمال المالي يهدف إلى السيطرة لا إلى الحرية إن الرجعية السياسية على طول الخط هي من مميزات الإمبريالية بيع الضمانات فساد بنسب هائلة شتى أنواع الفضائح

إن استثمار الأمم المظلومة وبخاصة استثمار المستعمرات من قبل حفنة من الدول الكبرى يحول العالم " المتمدن" أكثر فأكثر إلى طفيلي يعيش من داء الشعوب

الأزمة .. الأزمة

اتجه " السادات إلى العالم الرأسمالي في لحظة تعاني فيها الرأسمالية أشنع أزمتها. ففي الولايات المتحدة كان عدد العاطلين في عام 1973 قرابة 4,3 مليون عاطل ثم ارتفع في عام 1975 إلى 8,32 مليون عامل وفي عام 1976 بلغ عدد العاطلين في أمريكا 9,8 مليون عاطل

وفي ألمانيا الاتحادية كان عدد العاطلين في عام 1973 قرابة 274 ألف عاطل وفي سنة 1975 بلغ عددهم 1,22 مليون عاطل وفي عام 1976 ازداد عدد العاملين الألمان فأصبح 1,44 مليون عاطلا

وأما اليابان فإن عدد العاطلين فيها عام 1977 كان 664 ألف عاطل ثم أصبحوا 1,063 مليون عاطلا. وفي السنة الماضية أصبحوا 1,09 مليون عاطلا. ومن جهة أخرى سجلت الشركات الاحتكارية في الولايات المتحدة أرباحا خلال عام 1976 بزيادة 35% بالمقارنة مع سنة 1975

وفي بريطانيا اتضح من تقرير تناول أعمال 87 مؤسسة احتكارية بأنها حققت خلال النصف الأول من عام 1965 زيادة بنسبة 50% بالمقارنة مع نفس الفترة عام 1975. وفي ألمانيا الاتحادية ازدادت أرباح المؤسسات الكبرى بناء على معلومات نشرها " بندس بنك " بمعدل 30% خلال النصف الأول من عام 1966

وفي تحقيق نشرته صحيفة " الجمهورية في القاهرة عام 1976 جاء ما يلي

تعاين الدول الصناعية في العالم الغربي أو ما اصطلح على تسميته بالعالم الحر أسوأ أزمة بطالة منذ الحرب " العالمية الثانية وينتظر أن تزداد هذه الأزمة تفاقمًا

وعلى امتداد المنطقة التي تغطي مساحتها 24 دولة من الدول الأعضاء في منطقة التعاون الاقتصادي والتنمية ..شعوب تشكو من أزمة البطالة الطاحنة إذ أن عدد العمال العاطلين في هذه الدول يبلغ أكثر من 16 مليون عاطل

كما نشرت صحيفة أخبار اليوم في عددها بتاريخ 12/ 10/ 1974 تقول

وفي كل مكان الآن بأوروبا وأمريكا هنا حديث جاد عن " خريف من الخوف " يهدد الدول الصناعية المتقدمة ومن " خلفها العالم كله

وإن الشبح الذي أصبح المجتمع يخشونه حاليا هو الغلاء إن الرجل الانكليزي الذي كان يحمل في يده عشرة جنيهات ! منذ سنتين اكتشف الآن أنها تساوي فقط سبعة جنيهات وبعد سنتين سوف تساوي ثلاث جنيهات ونصف

إنها مشكلة التضخم كما يصفها الاقتصاديون المشكلة التي تهدد بكساد اقتصادي عالمي كالذي شهده العالم في سنة "1929 وما بعدها

وفي عام " الردة" سنة 1974 ارتفعت أسعار المواد الغذائية في الولايات المتحدة بنسبة 20% وفي اليابان وكندا ارتفعت الأسعار بنسبة 15% وفي بريطانيا 13% وتشير الحقائق إلى زيادة لا حد لها لعملية التضخم وعجز الحكومات . من السيطرة عليها

وعلق الاقتصادي الأمريكي فيكتور برلو على الأزمة قائلا

الأزمات مستمرة ومتصاعدة وعميقة الجذور وبدون شك متبلورة بدرجة كبيرة في أغلب بلدان العالم الرأسمالي " ورغم وجود بعض الاختلافات غير الجوهرية بين الجمهوريين والديمقراطيين ولكنهم أساسا متفقون على سياسة تخدم الرأسماليين لأنهم يمثلون الرأسمالية في الحكومة لهذا فهم يعمدون إلى تقليص كل ما يفيد الشعب لكنهم أبدا لن يبادروا . إلى تقليص المصروفات الحبية وهم متفقون في شن حملة على البلدان النامية بهدف نهب مواردها

جذور الأزمة

بدأت مرحلة الاستعمار الجديدة في أعقاب الدورات المتلاحقة لأزمات النظام الرأسمالي في منتصف القرن الماضي ومع ظهور الإمبريالية وتحول النظام الرأسمالي ... أو الطبقة الرأسمالية من طبقة منتجة إلى طبقة طفيلية تعيش على

تصدير رأس المال والحصول على الأرباح من "قص الكوبونات" بدأت المرحلة الجديدة التي شاهدت صراعا دمويا في
. حربين متتاليتين ذبح فيها عشرات الملايين من البشر من أجل حفنة من اللصوص الرأسماليين

ورغم الهزائم والاتصالات كان النظام الرأسمالي ككل يخسر أرضا جديدة في أعقاب كل حرب.. ففي الحرب العالمية
الأولى تقلص السوق الرأسمالي العالمي بعد أن فقد الاحتكاريون الأجانب والروس رأس مالهم والأرباح الطائلة بعد
تأميم المؤسسات الصناعية والبنوك فقدوا بذلك مصادر الخامات الرخيصة والمنتجات الزراعية البخسة والأسواق
. الهائلة لتصرف البضائع الصناعية

ونتيجة ضيق ميدان الاستغلال الإمبريالي وسيطرة الإمبريالية اشتد الصراع بين الاحتكارات والدول الإمبريالية من أجل
اقتسام العالم من جديد. وبعد الحرب العالمية الثانية تفاقمت أزمة النظام الرأسمالي بعد أن ضاقت ميادين الاستغلال
الرأسمالي و فلم يؤد انفصال عدد من بلدان وسط وجنوب شرقي أوروبا إلى فقدان الإمبريالية الأراضي الشاسعة
.. والموارد البشرية فحسب بل فقدت الأسواق لتصرف منتجاتها ومصادر الخامات وميادين توظيف الرأسمال الهائلة

ففي بولونيا قبل الحرب العالمية الثانية كانت حصة الرأسمال الأجنبي تعادل 63% من مجموع الرأسمال الأساسي وفي
المجر 34% وفي رومانيا 50% وامتصت الاحتكارات الأجنبية من بولونيا وحدها عام 1937 أكثر من 400 مليون
بولوني وخلال سبع سنوات فقط من 1922 حتى عام 1929 نقلت الاحتكارات الأجنبية من رومانيا أرباحا فاحشة تزيد
. كثيرا على المبلغ الإجمالي لواردات ميزانية الدولة في رومانيا لعام 1929

وأصبحت مهمة النظام الرأسمالي الإمبريالي العالمي الاحتفاظ بما تبقى في دائرة الرأسمالية العالمية وحماية النظام
الرأسمالي للنظام واستحقت لقب عدو الشعوب

:فقد نشرت صحيفة " نيويورك بوست" مقالا عن مقتل الزعيم الأمريكي " لوموميا جاء فيه

إن مدير جريمة القتل النكراء هو هذا الأمريكي الهادئ كان في حينه ممثل الولايات المتحدة في هذا القسم من "
أفريقيا عنه في الصالونات أنه اختصاصي بأفريقيا وأقترح هذا الحل العملي وهو التخلص من لوموميا ونحن نرنا
سخطا كما هو اللازم حتى إن البلجيكيون أفصحوا جهارا عن استيائهم ولو أنهم كانوا في أعماقهم مبتهجين كم من
" النفاق يمكن أن يكون لدينا نحن الناس المتمدنين إن صيد الجماع أصبح شكلا لنا في السياسة

من يدفع الثمن

على الرغم من تقلص السوق وانسلاخ أجزاء كبيرة من العالم من قبضة الإمبريالية إلا أن أرباح الاحتكارات العالمية
تزيد وكذلك أرباح تصدير السلع وتحصل أضخم الاحتكارات الرأسمالية على نحو 10 مليارات دولار كربح سنوي من
.. تصدير رأس المال إلى البلدان النامية ويمثل ربحها من تصدير السلع نحو 13 مليار دولار

ومن واقع بعض التقديرات أن الدول الاستعمارية الإمبريالية قد امتصت من السنغال أرباحا في مدي عشر سنوات تزيد قيمتها الإجمالية عن ثلاثة أمثال ما يسمى " بالمعونة " التي قدمتها الدول الإمبريالية لهذه الدولة

إن الأرباح السنوية العائدة الدول الإمبريالية من البلدان النامية تبلغ 20 مليار تقريبا وإذا أخذنا رأس المال الخاص نجد أن أرباحه التي حولت إلى خارج البلدان النامية في الفترة ما بين 1966 - 1970 تزيد على الأصول بـ 3,5, 6, 8 مرات وقد حولت الاحتكارات الأمريكية من بلدان أمريكا اللاتينية في الفترة 1961 - 1971 أكثر من 23,6 مليار دولار . من الأرباح

وتتغلغل الولايات المتحدة في أنحاء العالم بواسطة الاحتكارات الدولية متعددة الجنسيات ففي هذه الاحتكارات يكون الرأسمالي أمريكا المقام الأول. وأصبحنا نشاهد في الوطن العربي في جميع أقطار الدول النامية التي تدور في الفلك الأمريكي شركات يابانية وألمانية وإنكليزية وفرنسية وكلها تعمل لحساب رأس المال الأمريكي المشترك مع دول أخرى .. ويحدث التنافس بين الدول الاستعمارية لتدعيم احتكاراتها

وما يحدث في الوطن العربي ليس إلا صورة لهذا الصراع ... إن الاستعمار القديم ما زال يري أن الشعب العربي هو منطقة نفوذه والولايات المتحدة تري أنها صاحب هذا الحق . في نفس الوقت الذي يصارع الشعب العربي من أجل حقه .

إن الوطن العربي الذي كان مخزن الغلال للعالم .. والذي كان يعيش في اكتفاء ذاتي من ناحية الغذاء يسير بسرعة نحو . مناطق " الجوع " هذه المناطق التي تشمل قارات مثل جنوب شرق آسيا وأمريكا الجنوبية وأفريقيا

وفي مقابل البذخ والثراء الفاحشين اللذين تشاهدهما في قمم النظام الرأسمالية أو قمم التوابيع نجد الإحصائيات التي تتحدث عن 700 مليون فرد مهددون بالجوع في 32 بلدا , وحاليا يموت 30 ألف شخص يوميا بسبب الجوع وسوء .. التغذية والأمراض

وفي إحصائيات الأمم المتحدة نجد أن عدد وفيات الأطفال في مصر يرتفع يوما بعد يوم بينما زادت ثروة السادات وأسرتة من الصفر إلى 750 مليون دولار ووصلت ثروة عثمان أحمد عثمان إلى رقم المليارات لقد نال السادات الثمن .. كما ناله كل العسكريين الذين قاموا بانقلابات ضد شعوبهم وأوطانهم

فكما حدث في شيلي حدث في مصر " لا تأميم " كانت احتكارات النحاس الأمريكية تحصل مقابل كل دولار مستثمر في صناعة النحاس على أكثر من 6 دولارات ربحا صافيا وحدث التأميم في قادة الزعيم الوطني " اللندي " وقتلوا " . اللندي " وأعيدت منشآت استخراج النحاس المؤممة في شيلي إلى القتلة منذ 70 عاما

في عام 1910 قام تيودور بزيادة أفريقيا بعد أن انتهت مدة رئاسته للجمهورية الأمريكية عام 1909

وفي خلال رحلته مر بالقاهرة وفي الجامعة المصري (جامعة القاهرة الآن) تكلم روزفلت في اجتماع حضره عدد من كبار الشخصيات السياسية ورجال الجامعة والصحفيين فقال

لا يمكن أعداد أمة للحكم الذاتي بإعطائها دستورا مسطرا على الورق أن تربية أمة لتصير أهلا لحكم نفسها ليست " مسألة عشر سنين أو عشرين سنة بل مسألة أجيال متعاقبة على أن قوما يقدمهم الجهل إلى الاعتقاد بأن " منح دستور " مسطر على الورق لا سيما إذا كان مفتقا بعبارات فخمة هو نفسه يمنح قوة الحكم الذاتي للأمم ذلك غير صحيح إطلاقا "

وكان مطلب "الدستور" في ذلك الوقت في مقدمة المطالب الوطنية من أجل الاستقلال وطالبت به كل القوى الوطنية ولذا ارتفعت الأصوات ضد تصريحات الرئيس الأمريكي بالاحتجاج والتنديد ونشرت صحيفة " مصر الفتاة " مقالا بعنوان "فزعة غاب .. جمع روزفلت فأكبحوه

وكشفت صحيفة "المؤيد " أن ما قاله الرئيس الأمريكي لا يختلف عن اتجاهات السياسة البريطانية التي تحكم مصر . وتراوحت مظاهر الاحتجاج لأقوال الرئيس الأمريكي بين المقال الصحفي والخطبة السياسية ومظاهرات الاحتجاج

كان ذلك منذ 70 عاما ومن جديد تكرر الموقف عندما جاء دالاس وزير خارجية أمريكا إلى مصر وكانت مصر تطالب بجلاء القوات البريطانية فجاء دالاس ليطالب عبد الناصر بالانضمام إلى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط وأنقل هذا الحوا الذي جري بين عبد الناصر ودالاس

سأله عبد الناصر " لماذا يجب أن تنضم مصر إلى هذه المنظمة ؟ ضد من ستدافع هذه المنظمة؟ "

فرد دالاس :ضد الاتحاد السوفييتي

:ودهش عبد الناصر وقال متسائلا

ولماذا؟ إن الاتحاد السوفييتي يبعد عنا خمسة آلاف ميل ولم تقم قط مشاكل معه كما أنه لم يهاجمنا أبدا .. ولم يحتل أرضنا إطلاقا لم كين له قط قاعدة في مصر بينما لا تزال بريطانيا في مصر تقم احتلالا عسكريا واستعماري منذ سبعين عاما .

:فقال دالاس

لا بأس لكن الانكليز الذين سيقون هنا في ظل هذا الحلف سيقون في القاعدة تابعين للحلف ولن يسمح لهم برفع .. العلم البريطاني إنما سيكونون في ظل الحلف

ورد ناصر

إننا إذا أخبرنا الشعب أن وضع البريطانيين هنا سيتبدل وأنهم سيتحولون من محتلين إلى شركاء بمجرد تغيير العلم . فإنهم سيضحكون علي

وما رفضه الشعب في مصر عام 1910 ورفضه عبد الناصر 1953 . قبله السادات ورضي بكلمة " شريك" بدل الاحتلال ورضي بالتسهيلات بديلا للقواعد..بشر السادات بعام 1980 كعام للرخاء وربط مصير الشعب المصري بعجلة . الاحتكارات الأمريكية والعالمية

وجاءت الرياح بما لا يشتهي السادات.أو بما يجهل إن خيبة الحسابات لم تنحصر في تحديد الزمن أو عمق الأزمة.ففي البداية كان الزحف البطئ للاقتصاد الأمريكي خلال الأزمة الاقتصادية الدورية قد تجاوز ما سمته مجلة " بيزنس ويك" .. الهبوط الحر إلى هاوية مرعبة حسب أرقام وزارة التجارة الأمريكية

وخلال عام 1980 بلغ مستوي البطالة 7,5 - 8,7 بالمائة من القوي العاملة الأمريكية .ولم ينسج المزارعون من عواقب الأزمة فذكرت صحيفة " فلاديلفيا انكوارير " أن حالة الزراعة الأمريكية تشر إلى هبوط في الإنتاج الزراعي بلغ حدا صار يتعرض فيه سنويا أكثر من 25 ألف مزارع إلى الإفلاس وهي حالة لم تحصل إلا في فترة الكساد الكبير .. في الثلاثينات من هذا القرن

وحسب شهادة الاقتصاديين البريطانيين على صفحات الصحف والمجلات فإن الركود الاقتصادي الذي ألم بجزيرة الأسد العجوز ليس أطول مدة وأبعد عمقا من أزمة عام 1974- 1975 الاقتصادية فحسب بل وحتى من سنوات الكساد الكبير في الثلاثينات وحتى نهاية 1980 بلغ عد العاطلين عن العمل حسب . الإحصاءات الرسمية مليونين وثلاثين ألف شخص . وتزداد صعوبة الحصول على عمل في أيرلندا الشمالية واسكتلندا والمناطق الشمالية الغربية من انكلترا

ولم يختلف الوضع في ألمانيا الغربية فحتى نهاية سبتمبر (أيلول) عام 1980 أفلست 6750 شركة وزاد عدد العاطلين إلى مليون عامل .وعانت فرنسا هي الأخرى من ارتفاع نسبة البطالة ومستوي التضخم وتشغل إيطاليا المرتبة الأولى .. من حيث مستوى التضخم والبطالة

ولم يكن شعار " شد الأحزمة" الذي أطلقه السادات الأشعار مستوردا من الغرب الذي تنادي فيه حكومات أصحاب الملايين العمال والفلاحين بشد الأحزمة فالكادحون في البلدان الرأسمالية هم الخاسرون في المباراة بين أسعار المواد .. الاستهلاكية وبين الأجور

فكان عام 1980 هو العام الذي شن فيه الرأسماليون العالميون هجوما شديدا على مصالح الكادحين في العالم ألقى على قارعة الطريق بعشرات الملايين من العمال العاطلين عن العمل قاموا بسرقة جيوب السكان عن الطريق لعبة التضخم . النقدي وتقديم المدافع للناس بدلا من الطعام

سياسة الجهل

في عام 1964 صرح دوجلاس هيوم رئيس وزراء انكلترا في ذلك الوقت قائلا

" لا مكان للاستعمار الجديد في القاموس السياسي لانكلترا ونحن لا نعرف المقصود بذلك يجب أن نستأصل هذا " الافتراء من زوايا إدراكنا المظلمة

: ورد المراسل البرلماني لصحيفة " التايمس " قائلا

طالما أن السيد " إليك " لا يعرف ما هو الاستعمار الجديد فيجب أن نشرحه له يعني الاستعمار الجديد شيئا آخر " غير إحلال السيطرة الاقتصادية محل السيطرة السياسية والعسكرية ..ويبدو أن المراسل البرلماني كان طيب القلب أو . يتجاهل أن السيطرة الاقتصادية لا يمكن أن تتم إلا بالسيطرة السياسية والعسكرية

ولم يكن في قدرة بريطانيا أو فرنسا أو هولندا الاحتفاظ بهذه السيطرة بعد الحرب العالمية الثانية فتقدمت الولايات المتحدة لتتبوأ القيادة كان قدرها كما عبر سياسيوها بأن تتولي السيادة على العالم فدعمت هولندا في محاولة إعادة السيطرة لى اندونيسيا ودعمت فرنسا في فيتنام ثم بدأت تنفرد بالسيطرة وتشكيل الأحلاف العسكرية وفرضها على الشعوب لضمان السيطرة الاقتصادية فهل كان "السادات" يجهل هذه الحقائق ؟

لم يقول كما قال سلطان باشا الخائن الذي فتح أبواب مصر للإنجليز " ادعوا الله أن يسامحني الشعب وألا ينتقل اسمي . إلى الأحفاد موسوما بالخيانة كان " السلطان باشا " يبرر خيائته بأن الإنكليز وعدوه بالحياة النيابية لمصر

فهل وعد الأمريكيون السادات بالرخاء لمصر أو الرخاء له ولعائلته؟!على أى حال لم يكن الاستعمار الأمريكي خافيا . ولم يكن أسلوبه ولم تكن أهدافه تختلف عن الاستعمار القديم

فكما كشف جوزيف تشمبر أهدافه السياسية الاستعمارية البريطانية قائلا

في الاستعمار فقط فيه الحل الوحيد لأزمنا الاجتماعية ذلك أن السلام والبطالة لا يلتزمان وليس في بريطانيا فرصة " للقضاء على البطالة وإني لأراها في تنمية أسواقنا القديمة والاستيلاء على أسواق جديدة

وأكد هذا المعنى استعماري أمريكي مهد للولايات المتحدة الأمريكية دورها في غزو العالم وقف السناتور بيفردج يخطب : في بوسطن عام 1898 فقال

"سننسلط كما علمتنا أمنا انكلترا سنغطي صفحة المحيط بأسطولنا التجاري سنبنّي أسطولا حربيا يتمشي مع عظمتنا " "وحول مراكز تجارتنا ستنمو مستعمرات عظيمة تحكم نفسها بنفسها وترفع علمنا وتنتجر معنا

فهل كان ربط السادات مصير مصر بالولايات المتحدة عن جهل أم تحقيقا لرغبة قلة من الطفيليين اللصوص والخونة ..باعوا وطنهم من أجل حفنة من الدولارات كما فعل توفيق وسلطان وحفنة الإقطاعيين من قبل

تجارب سابقة

لم نكد دول أمريكا اللاتينية نتخلص من الاستعمار الأسباني حتى واجهت الاستعمار الأمريكي وبدل أن تتمتع بثمار . الانتصار على الاستعمار القديم وجدت نفسها تواجه أطماعا جديدة من جانب الامبرياليين في أمريكا الشمالية

وفي الوقت الذي قامت الولايات المتحدة بجريمتها البشعة ضد شيلي واغتالت الرئيس الليندي كان السادات يمد جسوره إلى الدولة القاتلة .. ويصافح العميل الأمريكي بيونشيه القائد العسكري الذي خان شرفه العسكري ونفذ الجريمة ضد .. الزعيم الوطني

ورغم اغتيال الليندي لم تهدأ شعوب أمريكا اللاتينية فقام الشعب في نيكاراغوا الشعب الذي لم يتجاوز مليونين وقهر . العصابة التي كانت تحكم بأوامر من الولايات المتحدة

ففي نيكاراغوا يزرع البن والقطن وقصب السكر والغلال وفيها مناجم الذهب والفضة ..واستغلت الولايات المتحدة الحرب الأهلية التي نشبت في البلاد عام 1912 فأرسلت قواتها المسلحة وساندت أحد عملائها ونصبته رئيسا كما أقامت قواعد بحرية لها على سواحل البلاد وأخذت شركاتها الاحتكارية تستخرج الذهب الذي عثر عليه هناك كما . سيطرت شركة الفواكه المتحدة على المحصول الزراعي

وسقط شباب مناضل من خيرة أبناء الشعب صرعي رصاص القوات الأمريكية أو أجهزة القمع المحلية وكانت الأوضاع المتردية المخيفة التي سادت البلاد قد أدت إلى قيام هجرة واسعة شملت ما يقرب من ثلث سكان البلاد طلبا للقمّة العيش . في أقطار أخرى أو هروبا من ملاحقة أجهزة القمع

وعلى الرغم من الأوضاع الشاذة الرهيبة التي فرضتها الإمبريالية الأمريكية فإن الشعب في نيكاراغوا لم يرضخ أو يستكين بل قاوم المناضلون وكما اغتالوا سموزا الأول .. استمروا في نضالهم حتى تخلصوا من سموزا الأخير

سقط سموزا رغم مساندة القوات الأمريكية ورغم الفانتوم ورمصاص النابالم ورغم السجن الرهيب الذي أطبقه على الشعب والمعارك لم تنته في كل دول أمريكا اللاتينية ضد الولايات المتحدة كما احتدمت من قبل في جنوب شرق آسيا .. وما زالت

عبد الناصر وأمريكا

إن كل ما رفضه عبد الناصر رضح له السادات واستسلم له فمنذ بداية ثورة يوليو حاول عبد الناصر أن يجادل أمريكا من موقع السيادة فعندما طلب البنك الدولي حق الإشراف على ديون مصر الخارجية في مقابل تمويل مشروع السد .. العالي اعترض عبد الناصر بأن ذلك يشكل قيда سياسيا

وأثناء مقابلة سفير مصر في أمريكا مساعد وزير الخارجية الأمريكية الذي كان ينوب عن دالاس أصر على طلب شينين :

. أولها: أن تعلن مصر في بيان رسمي امتناعها عن عقد المزيد من صفقات السلاح مع الاتحاد السوفييتي

. ثانيهما: أن يمارس عبد الناصر نفوذه وزعامته في الشرق الأوسط ليعقد صلحا بين العرب وإسرائيل

ورفض عبد الناصر كل مطالب الولايات المتحدة وأدرك أنه أمام استعمار جديد يريد أن يحل مكان الاستعمار البريطاني .. وكما هي العادة لجأ الاستعمار الأمريكي إلى الأكاذيب فقال دالاس " أه ليس في وسع الشعب المصري أن يتحمل " عبء تنفيذ مثل هذا المشروع الضخم (السد العالي) كما أن السوفييت لا يملكون المصادر الكافية للمشروع

وأقيم السد العالي وبدأت المعارك ولم تكن إسرائيل إلا أداة الاستعمار الأمريكي .. وصمد الشعب المصري ضد الإمبريالية . التي أرادت أن تمتص دمه باستغلال لا يقل عن الاستغلال القديم عنفا

فكان صراع عبد الناصر والشعب المصري ضد محاولة الرأسمالية العالمية والصهيونية التغلغل في الاقتصاد المصري وتحميل الشعب في مصر أعباء أزمة النظام الرأسمالي وتبين ذلك لعبد الناصر من الشروط التي أراد البنك الدولي . فرضها في مقابل قرض السد العالي

ولم يكن استسلام السادات إلا تسليما للعدو وتسليم الشعب المصري وثروته وحياته ومستقبله . ففي أعقابه حصلت إسرائيل من مصر على 2 مليون طن بترول بأسعار أقل من سعر السوق وكان معنى ذلك أن تشتري مصر من إسرائيل . مقابل البترول بضائع

ورغم أن السادات قبل أن يبيع البترول بسعر أقل فإن مصر تشتري من إسرائيل بالسعر الذي تحدده أى خسارة في البيع وخسارة في الشراء ثم أى بضائع أشتريت مصر ؟ بيض وموز وبيرة !! وكنا نستبدل البترول بمصانع منتجة.وعبر ! السادات عن أفكاره عندما خطب يؤكد أن النظام الرأسمالي باق وأن الرأسمالية باقية ويجب أن تبقى

:ومن سوء حظه أن فلاسفة العالم الرأسمالي ليسوا من رأيه ففي كتابه " ديناميكية القرن العشرين " يقول د. مومجان

إن التناقض الرئيسي في الرأسمالية يعب عنه الظلم الاجتماعي الهائل الذي يمارسه النظام الرأسمالي فالملايين من " الناس الذين يسهمون في إنتاج الخيرات المادية لا يتمتعون إلا بالتوافه منها بينما حصة الأسد من نصيب الأقلية تلك " الأقلية التي تعمل شيئا يذكر لصالح المجتمع

وأصبح الحديث عن حتمية التاريخ هو الشغل الشاغل للسياسيين في الغرب .ويحاولون مواجهته بكل الوسائل بالأكاذيب والخدع وحتى دمار العالم فكما قال الرئيس كندي في احدي خطبه." بصفتي رئيس الولايات المتحدة أراني عازما على " الإبقاء على نظامنا وتيسير نجاحه مهما يكن الثمن والخطر داهما

ولهذا كان من أهداف حركة التحرر مقاومة الأحلاف فإن الخطر الداهم يواجه شعوب العالم الثالث فكما عرفنا عن انكلترا " الدفاع عن الإمبراطورية حتى آخر جندي هندي " فإن شعار الولايات المتحدة لن يكون سوي " الدفاع عن " إمبراطوريتها حتى آخر جندي من التوابع

وخرجت القوات المصري من مصر وتركت حدودها مفتوحة للعدو ولكي تدافع عن مناجم النحاس في زئير وتحمي نظام السلطان قابوس والنميري .كانت " معركة الأحلاف " من أعنف المعارك التي خاضها الشعب العربي في مصر والعراق .. ولبنان

وبدأت المعارك قبل ثورة يوليو عندما أسقط الشعب في مصر معاهدة (صدقي – بيغن) وأسقط الشعب في العراق . معاهدة جبر بيغن .

ولم تكن فكرة الأحلاف في حقيقتها إلا امتدادا للاحتلال فإذا أدركنا أن الغزو أو الاحتلال صاحب السيطرة السياسية والاقتصادية يمكننا أن ندرك الأهداف الحقيقية للتسهيلات أو القواعد

ولم يكن وجود القوات الأجنبية في مصر أو الوطن العربي قاصرا على نهب ثرواته أو كبت شعوبه بل خرجت من مصر . قوات مصرية بريطانية لضرب ثورة السودان وقامت القوات البريطانية من بغداد لضرب ثورة مصر

ثم ظهر هدف ثالث بعد قيام الثورة الاشتراكية العالمية المعادية للرأسمالية فأصبح هدف القواعد محاصرة هذه الثورة . ومحاولة ضربها .

وفي مواجهة ثورة التحرر العالمية أصبح تأسيس الكتل والأحلاف والقواعد التي تتيح فرصة التدخل في الشؤون الداخلية لعدو من البلدان النامية يشغل مكانا هاما في السياسة الاستعمارية

وأسس حلف جنوب شرق آسيا بصورة رئيسية بجهود الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا كرد على نهوض حركة التحرر الوطني في بلدان آسيا والشرق الأقصى في فترة ما بعد الحرب

وسجل الحلف في عاصمة الفلبين عام 1954 وأعلنوا أن أحد أهدافه هو النضال ضد " نشاط الشيوعيين الهدام " وهو الاسم الذي أطلقوه على حركة التحرر الوطني فاتهموا ناصر وسوكارنو ونهرو ولومومبا بالانتماء إلى الشيوعية

وتحت هذه الذريعة نصت المادة الرابعة من الحلف " تستطيع الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا بموجب جماعي اتخاذ أية إجراءات حيال أية دولة أو أى إقليم في هذه المنطقة

ومعنى ذلك ببساطة فرض الإبقاء على الأوضاع المتخلفة التي تركتها سنين الاستعمار السابقة .ولعل من الظريف أن نذكر ما جاء في التقرير السنوي الثاني المتعلق بنشاط حلف جنوب شرق آسيا ينص التقرير

إن الاتفاقيات مع البلدان الشيوعية بصدد تقديم المساعدة التقنية تحتوي على خطر آخر لأن هذه الاتفاقيات تتيح "الفرصة لدخول الخبراء إلى البلاد التي تحصل على هذه المساعدة

فكما يقول المثل العامي في مصر "لا منها ولا كفاية شرها" فلا هي صنعت الدول التي كانت تحت سيطرتها ولا تريد لها التصنيع من دول أخرى !ولهذا كانت مقاومة الشعب في مصر والعالم العربي لسياسة الأحلاف أو القواعد العسكرية أو ما يطلق عليه التسهيلات

البداية

أما ضغط القوي الوطنية في مصر وحصيلة النضال المتصل والمستمر من عام 1882 حتى عام 1946 شكل صدقي (باشا) وفد المفوضات من أجل جلاء القوات البريطانية ..وأصدرت الحكومة البريطانية بيانا أعلنت فيه عرضها لسحب جميع قواتها البرية والبحرية والجوية من مصر

ثم ركزت على ثلاث نقاط كان أهمها

"الاتفاق على ما يتخذ بين الحكومتين من التدابير لتحقيق التعاون في حالة الحرب أو خطر حرب وشيك الوقوع"

:وعلق صدقي (باشا) المعروف بموافقة الخيانية والعداينة للشعب في مصر والذي أقام المذابح في مدن مصر بقوله

" لا شك عندي أن الجلاء التام والمخالفة الصادقة في حدود ميثاق سان فرانسيسكو نعمة بعيدة المدى "

وقابل الشعب المصري البيان البريطاني وتصريحات صدقي بموجة من الهياج والثورة وأصدرت الأحزاب والهيئات السياسية المختلفة بيانات نددت بموقف بريطانيا وصدقي ووقعت إضرابات ومظاهرات وانطلق المصلون في مظاهرة من جامع الأزهر أصيب فيها ثلاثون من المتظاهرين بالرصاص وطالبت صحيفة " المانشستر جارديان " بحكومة .. مصرية على قدر كبير من الحزم والشجاعة للوصول إلى اتفاق على المسائل الخطيرة

واستمرت المفاوضات بين الجانبين المصري والبريطاني ووصل الطرفان إلى تشكيل " لجنة الدفاع المشترك " إذ اقترح البريطانيون أن تشكل لجنة عسكرية من الطرفين يكون مهمتها التشاور وإسداء النصح للحكومتين بما تقومان به من " العمل المناسب " في كل الحالات التي تهدد سلامة الشرق الأوسط بما في ذلك كافة الأراضي المتأخمة لمصر

واشتعلت مصر .. وخرجت المظاهرات الشعبية وأصدرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بيانا طالبت فيه بقطع المفاوضات واتفقت كل القوى الوطنية على أن يكون يوم 11 يوليو (ذكي ضرب الانكليز للإسكندرية في عام 1882) . يوم الحداد العام وتجديد الجهاد الوطني

ومن جديد أسال الخائن صدقي دماء الشعب في شوارع المدن. وأغلق جامعتي القاهرة والإسكندرية ورغم كل ذلك سقطت وزارته وتحطم مشروع (صدقي – بيبغن) مشروع ربط مصر بمعاهدة من معاهدات التحالف مع الاستعمار

وجاءت حكومة النقراشي ولجأ إلى مجلس الأمن فلم يؤيد مصر سوى المندوب السوري والمندوب السوفييتي والمندوب : البولوني. وعبرت صحيفة " نيويورك تايمز " عن موقف الولايات المتحدة بقولها أن الولايات المتحدة الأمريكية

ليست مستعدة لتأييد مطالب مصر أو جلاء الانكليز عنها ولا إلى التصويت ضدها وأن مصلحتها في تأجيل البت في " النزاع "

وفي مارس 1947 صدرت صحيفة "الطلبة الوفدية" وركزت هجومها على السياسة الاستعمارية وعلى الاستعمار الأمريكي ذي المظامع الجديدة في العالم العربي بالسيطرة على البترول وإقامة القواعد العسكرية وهاجمت سياسة " سد .. الفراغ " للحلول محل الاستعمار البريطاني باسم معاداة الشيوعية

وهنا نذكر أن الخائن صدقي الذي أراد ربط مصر بالأحلاف العسكرية هو نفسه الذي عمل على تأجيل مشروع تنظيم الشركات الذي كان ينص على ألا يقل رأس المال المصري عن 51 % وألا تقل نسبة الموظفين عن 75% والعمال عن 90% وألا تقل نسبة المرتبات عن 65% للموظفين و 80% للعمال وأبدي صدقي معارضته للمشروع في التقرير الذي قدمه وهو رئيس للوزراء عن الحالة الاقتصادية إلى مجلس النواب

وقال فيه

"أو أن أكرر أن مصر الحديثة لا تفرق ولن تفرق بين رؤوس الأموال المصرية ورؤوس الأموال الأجنبية وأنها لن " تسير على خط التمييز بين المصريين وغير المصريين

روتحدث إلى صحيفة " الريفورم " قائلا

إن الحكومة تعطف على مصالح الأجانب التي ترتبط ارتباط وثيقا بمصالح البلاد!! كان صدقي عاهرا صريحا سفك " دماء المصريين في المصانع والقرى والشوارع وأيد وجود إسرائيل والصهيونية وعارض خطوات تأمين الشركات أو .. تمصيرها وأخيرا أراد لمصر الارتباط بالأحلاف العسكرية

وكان صدقي خاننا فاجرا .. يدوس مصالح الشعب في مصر لمصلحة الاستعماريين فكما عارض صدقي مشروع تنظيم الشركات هبت دوائر وزارة الخارجية في لندن وواشنطن تبديان قلقهما من هذا المشروع

ولم تكن الأحلاف العسكرية إلا لمواجهة مثل هذه الخطوات الوطنية في العالم الثالث. وأكد سقوط حكومة صدقي انتصار .. إرادة وكفاح الشعب المصري من أجل استقلاله ورفضه التبعية

قبل المعركة

كانت بريطانيا نفوذها التقليدي هي التي نشطت لتنفيذ سياسة الأحلاف العسكرية في الشرق الأوسط لصالح الولايات المتحدة وعندما ألغت الحكومة الوفدية معاهدة 1936 استنكر الانكليز إلغائها من طرف واحد وأعلن وزير الخارجية البريطانية أن بلاده متمسكة بالمعاهدة وأنها ستقابل القوة بالقوة إبقاء على قواتها بمنطقة القتال وأن الدول الغربية ستولى الدفاع عن مصر رغما عن أنفها

كما أعلنت فرنسا معارضتها لهذه الخطوة وأعلن اتشيسون وزير الخارجية الأمريكية بأن مصر لم تعط الالتزامات الدولية احترامها اللائق ووجه اللوم لها لإلغائها المعاهدة إكانت الولايات المتحدة تحاول الاستفادة من الحركة الثورية الوطنية في اقتلاع جذور الاستعمار البريطاني أو الفرنسي القديم ثم الحلول محل الاستعمار المطرود باسم معاداة الشيوعية .

وفي سبتمبر 1951 قبل إلغاء المعاهدة أثير مع الحكومة المصرية اقتراح بإنشاء قيادة للبحر الأبيض تضم مصر وتنضم إلى حلف الأطلسي فلما ألغيت المعاهدة تقدمت الدول الأربع بريطانيا وأمريكا وفرنسا وتركيا باقتراح تقبل به مصر الدفاع المشترك مع الدول الأربع وأن تحمي قناة السويس قوات دولية فيها هذه الدول مع مصر وأستراليا ونيوزيلند .. وجنوب أفريقيا

كان التحايل على ربط مصر بالأحلاف يتم بصورة متعددة .ولكن مصر رفضت كل صور التحايل ورفضت قبول أى قوات على أراضيها .وكانت مقترحات الدول الأربع بإنشاء حلف البحر الأبيض المتوسط تشمل سوريا ولبنان فعمت المظاهرات كل من البلدين وأرغم الشعب السوي وزارته على الاستقالة عندما أظهرت موافقتها على هذه المقترحات وسارت المظاهرات أيا في سوريا تهتف بسقوط الحلف وقامت المظاهرات في الأردن تنادي بسقوط المعاهدة المصرية .. البريطانية وأعلن شباب العراق التطوع للكفاح المسلح ضد القوات البريطانية في القناة

ولم تكن معركة الأحلاف معركة مصر وحدها بل كانت معركة العرب جميعا بل معركة العالم الثالث الراض لاستبدال .استعمار باستعمار

معركة الأحلاف

قامت ثورة 23 يوليو بصورة انقلاب عسكري مما أوجي إلى كل من بريطانيا والولايات المتحدة بأن الحكومة العسكرية .قادرة عن طريق القبضة العسكرية أن تكبل الشعب وتفرض عليه سياسة الأحلاف

وحاولت أمريكا وبريطانيا تغيير الاسم وحذفت كلمة الحلف وبدل اسم " منظمة حلف الشرق الأوسط" تغير إلى ما سمي . "منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط " ثم طرحت واشنطن عقد حلف إسلامي يضم تركيا وباكستان ومصر

ولكن مصر أصرت على رفض كل أنواع الأحلاف وعندما تم توقيع اتفاقية الجلاء عن مصر مع الاستعمار البريطاني حاولت بريطانيا وأمريكا إقناع الحكام العسكريين الارتباط بحلف الدفاع للشرق الأوسط وعندما فشلوا سعوا إلى ضم .دول عربية إلى هذا الحلف

ولم تفقد الحكومة الأمريكية الأمل في ربط مصر بحلف دفاعي لتبقي قناة السويس قاعدة صالحة له ولكن عبد الناصر .رفض التورط في أى ارتباط عسكري أو حلف مع أمريكا أو انكلترا استجابة للرأي العام في مصر والوطن العربي

وبدأت المعركة الاستعمار يصر على توقيع الحلف ومصر تقاوم وتهاجم الدول العربية التي قبلت الانضمام إلى الأحلاف ..ويرتفع صوت الرجعية في مصر ويصرح على ماهر (باشا) لصحيفة "الأخبار" أن مصر لا تستطيع الوقوف موقف الحياد ويجب أن تنضم إلى الغرب ولكن حكومة العسكريين التي بدأت تظهر روحها الثورية ظلت على موقفها المبدئي .في رفض الأحلاف

وأسرت الولايات المتحدة وعقدت اتفاقا بين عراق (نوري السعيد) وتركيا (عدنان مندريس) كبدية لحلف دفاعي .مشارك يرتبط بحلف الأطلنطي عن طريق تركيا ثم انضمت إيران وباكستان

ودفع نوري السعيد حياته ثمنا لهذا الحلف كما أطاح بعرش شاه إيران وانتهى عدنان مندريس وتقلبت باكستان بين ! الانقلابات

أعلن عبد الناصر فور سقوط نوري السعيد وقيام ثورة العراق "أن العراق يقع وسط منطقة يريد الاستعمار العالمي أن يؤمن وضعه فيها ويربطها بخطوط سيطرته ويبسط عليه ظل نفوذه وأستطاع شعب العراق إسقاط بثورته الخالدة يوم 14 يوليو (تموز 1958) أكبر مخططات السيطرة والنفوذ الاستعماريين ممثلاً في حلف بغداد

وكانت مصر قد قدمت الثمن من دماء أبنائها في سيناء وعلى ضفاف القناة وواجهت العدوان الصهيوني والجيش . الإنكليزية والفرنسية من أجل رفض هذه السيطرة. وكان انتصار العراق امتداداً لانتصار مص في معركتها ضد الأحلاف

وأعلن نهرو أثناء زيارته للقاهرة

إن انتصار مصر في معركة الأحلاف انتصار للهند أيضاً ولم تكن المعركة ضد الأحلاف العسكرية مجرد اندفاع في " الدعاء بل كانت مرتبطة أساساً بلقمة العيش للمواطن العربي فكان رفض الأحلاف بداية الطريق نحو تحرير الاقتصاد العربي من الاستغلال والاستنزاف الاستعماري فاستردت مصر قناة السويس

كما استردت العراق بترولها وأصبح حق التأميم معترفاً به من الأمم المتحدة وعادت ثروة مصر إلى أبنائها وأقيمت المصانع واختفت البطالة وتوفر قدر أدنى لمستور معيشة الفرد واستطاع الإنسان في مصر أن يجد الحد الأدنى .. لضرورات الحياة سواء بتخفيض الإيجارات أو إقامة المجمعات السكنية أو مجانية التعليم وتحديد أسعار مواد الغذاء

وبدأت مصر خطوات البناء ارتفعت مداخن المصانع في الوجهين القبلي والبحري وأخذت الخطوات تسير حثيثاً نحو انتقال مصر من مجتمع زراعي متخلف إلى مجتمع صناعي متطور وبعد أن كانت مصر تعتمد في حياتها على ما يقدمه العالم الصناعي أصبح كل شئ في البيت المصري من صنع الأيدي المصرية وأخذ الباب يغلق أمام عمليات النهب الاستعماري

ولكن كما كتب المفكر الفرنسي جاك كوبر

قدم القادة الإسرائيليون أنفسهم ومنذ نشأة دولتهم كحراس لمغارة على بابا الخاصة بالمصالح الأمريكية وتتم عملية " النهب على حساب رفاهية الشعوب التي ما تزال تعيش في البؤس الموروث من الاستعمار ومن الظلمة الإقطاعية بينما حصل الدركي الإسرائيلي وما زال يحصل على ما هو ضروري للقيام بمهمته: المال والسلاح كما أنه يقبض حصته من " السلاح

فلم تكن الحروب التي خاضتها مصر ضد إسرائيل إلا دفاعاً عن استقلالها وحريتها وإصرارها على رفض التبعية أو القبول بسياسة الأحلاف . كانت مصر وهي تبني حياتها الجديدة تحارب في جبهات متعددة

. أولا: العدو الأمريكي الذي أراد يحل مكان الاستعمار القديم

. ثانيا: العدو الصهيوني الذي قام بدور رأس الرمح

. ثالثا: الرجعية العربية التي أصيبت بالذعر من التطور في مصر وانعكاسه على الشعب العربي

رابعا: الرجعية داخل مصر , التي تكتلت داخل الجيش وظهر تأمرها في حرب يونيو (حزيران) والعناصر الخائنة . التي اختفت وراء شعارات الناصرية ولم تؤمن بها

وظل الصراع محتدما بين الوطنية والخيانة الحركة الوطنية تقاوم الأحلاف والارتباطات العسكرية والخيانة تصرح جهارا أو تعمل سرا من أجل جر مصر والوطن العربي إلى الأحلاف بكل مسمياتها من دفاع مشترك أو قواعد عسكرية ..أو تسهيلات

عبد الناصر والأحلاف

أدرك عبد الناصر منذ البداية معني الارتباط بالأحلاف إذ كان من أوائل الكتب التي قرأها كتاب " النقطة الرابعة " ومع ذلك حاول أن يصل إلى حلول السلمية بالنقاش والمحاورة ووجد نفسه في النهاية كما عبر عن ذلك أمام استعمار جديد أو كما قال: " أحسست أمام يوجين بلاك أنني أمام ديلسبس جديد " وديلسبس كما هو معروف الرجل الذي مهد لاحتلال مصر بعد نهبها من خلال سياسة القروض التي فرضها لحفر قناة السويس

وبدأ الضغط على عبد الناصر بسياسة القروض ثم السلاح وأخيرا بدفع إسرائيل إلى العدوان .وبعد العدوان الثلاثي ظهر مشروع ايزنهاور ثم الحلف "الإسلامي " ولم يرعب عبد الناصر أن يحمل الحلف العدواني شعارا دينيا وأن يستتر وراء الإسلام فلم يكن الإسلام ستارا للرجعية التي تريد أن تبني لنفسها امتيازات طبقة شرهة أو ستارا للصوص والأفاقين الاستعماريين وهاجم عبد الناصر الحلف الجديد

قائلا

تنزل عليهم نوبة دين. ونوبة كلام على الدين ونوبة كلام على الإيمان وهي فكرة أهو تضحك على الناس فضحك " على المسلمين ونقول لهم الدين والإيمان والإلحاد والإشترابية كفر ولكن أكل أموال الناس حلال العدالة الاجتماعية كفر ولكن نهب أموال الناس حلال حكم الشعب كفر ولكن حكم الأمراء حلال ويقولوا للمسلمين أحنا بنعمل من أجل وحدتكم .ومن أجل رفعة شأنكم وهم ناسيين أن المسلمين كلهم عارفين أنهم خدام أمريكا

:وفضح عبد الناصر في هذا الخطاب الذي ألقاه في عيد الوحدة 22 فبراير 1967 كل الأهداف الأمريكية قائلا

لم نقبل سلاح أمريكا في أول الثورة علشان كانوا عايزين مع السلاح الأمريكي يرسلوا بعثة أمريكا. كان ذلك الطلب " .. في عام 1953 ثم عادوا عام 1965 وطلبوا تحديد الجيش المصري كما فعل الاتكليز من قبل وأعلن عبد الناصر

يجوبنا في سنة 1965 عايزين يفتشوا بيق لهم حق التفتيش على الصواريخ و على القنابل وعلى النشاط الذري " والأبحاث الذرية , وأيضاً يفرضوا علينا أن الجيش المصري ما يكبرش بقف نموه عند حد معين

فلم يكن الهدف من الأحلاف حماية مصر من الخطر المزعوم ولكن حماية الاستثمارات الأجنبية ووسائل النهب " الاستعماري والحفاظ على امتيازات الفئة الرجعية التي كانت ثرواتها في حماية القوي الأجنبية

وكان عبد الناصر يؤكد أن لا طريق سوى الصمود فقال في خطابه ديسمبر عام 1968

أيها الإخوة

نحن نعلم طريقنا. طريق الصمود وطريق التحرير وتحت نعرف أيضاً الثمن الذي سندفعه وقد يكون هذا الثمن غالبا . ولكننا لن نتردد في دفعه في سبيل الصمود وفي سبيل التحرير وحتى لا نستسلم أبداً

هذا أيها الإخوة هو أساس بقائنا بقاء الأمة العربية لأن إسرائيل إذا توسعت الآن فلن نكتفي بهذا التوسع أبداً ولكنها ستوسع أيضاً في المستقبل إن إسرائيل كانت تقول دائماً أن ملكها يمتد من النيل إلى الفرات إن إسرائيل كانت تقول دائماً أن لها حق في المدينة المنورة ولها حق في مكة إن إسرائيل كانت دائماً تقول أن لها حقاً في أجزاء من العالم " العربي .. في لبنان وفي سوريا وفي العراق وفي السعودية وفي مصر

السادات والأحلاف

" ظل السادات مكتوف اليدين مقيد الفكر طوال فترة حكم عبد الناصر حتى أطلق عليه لقب " البكباشي موافق

والحقيقة لم يكن السادات منذ اليوم الأول للثورة موافقاً بل حاول التهرب من المسؤولية في الليلة الأولى ثم أعلن رأيه بصراحة كما قال في كتابه البحث عن الذات لم يكن مع الديمقراطية كان يرى أن الثورة هي من صنع العسكريين ولا بد .. أن تسير على منهج الضبط والربط العسكري

وظل الشر كامناً ثمانية عشر عاماً ثم انطلق يعربد كل ما حصل عليه الشعب يسلبه منه وكل ما تصدي ل الشعب يفرضه كان يعبر بتصرفاته عن فكره الفاشي .. وفي أعقاب اتفاقية الكيلو 101 جاء نيكسون إلى القاهرة وكان أول رئيس .. أمريكي يصل مصر منذ عام 1945 أي منذ زيارة روزفلت للملك فاروق

وأعقب ذلك الزيارة المشنومة لإسرائيل ومعاهدة التحالف مع العدو الصهيوني واتفاقيات التبادل الاقتصادي أى عوده النهب الاستعماري من جديد إلى مصر. وكما عودتهم أمهم بريطانيا قامت الولايات المتحدة في أثر كل خطوة إلى الوراء . من السادات بخطوات عسكرية إلى الأمام

كانت الخطوة الأولى للولايات المتحدة الأمريكية إقامة " محطة الإنذار المبكر " في شبه جزيرة سيناء بين الخطوط المصرية والصهيونية وتحولت منذ البداية ويعلم ومواقفه القيادتين المصرية والصهيونية إلى قاعدة متطورة للرصد الإلكتروني والاستمتاع إلى الاتصالات اللاسلكية في كافة دول المنطقة ثم أصبحت هذه المحطة حلقة أساسية في حلقات الاتصال مع أقمار التجسس الأمريكي

وكما هو الحال في كل خطوات السادات أو الولايات المتحدة المتسمة بالخداع والتغريب بدأ الاحتلال الأمريكي لمصر. وفي الوقت الذي كان وزير الحربية المصري ينفي إنشاء قاعدة عسكرية أمريكية في مصر أكدت صحيفة واشنطن ستار الأمريكية أن القاعدة الجوية الأمريكية التي وضعها الرئيس المصري تحت تصرف القوات الأمريكية تقع "بالقرب من الأقصر في أعالي وادي النيل وهي قاعدة جديدة نسبيا أسمها "كيننا

ونشرت الصحيفة الأمريكية أن الولايات المتحدة تستعمل هذه القاعدة منذ زمن وتهبط فيها طائرات دورية واستطلاعية تابعة لسلح الجو الأمريكي للقيام بدوريات في الشرق الأوسط ..وقالت الصحيفة أن موقع القاعدة هذه يمكن الولايات المتحدة من الوصول إلى جميع دول المنطقة كإيران وأفغانستان ودول الخليج العربي والقرن الأفريقي والعودة إلى مطار كيننا

وأكدت الصحيفة نقل بعض المعدات المتطورة وبعض أجهزة الرادار الحديثة إلى مطار " كيننا" في طائرات نقل أمريكية كبيرة وأن الولايات المتحدة زودت بعض الطواقم الأرضية المصرية بالمعدات الحديثة لتتمكن من تأدية الخدمات ..الأرضية للطائرات الأمريكية بما في ذلك الوقود

الإستراتيجية الأمريكية

إن ما يؤكد الشكوك والريبة بل الخيانة والعدوان أن ما يقوم به السادات وما تنفذه الولايات المتحدة يتم في الخفاء وبوسائل تضليلية تخفي الأهداف الحقيقية فتحولت كلمة " الأحلاف " إلى " تسهيلات" إلى مستودعات ويتم تنفيذ هذه القواعد في سرية وفي خفاء من الجماهير

ونشرت صحيفة " الوطن " الكويتية تقريراً من واشنطن كشفت فيه دور محطات "الإنذار الأمريكي" كما كشفت سر قاعدة كيننا

وقال الصحيفة في رسالة من واشنطن

واستنادا إلى المعلومات المتوافرة يمكن القول بأن الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط تقوم على ما يلي:

تحويل العلاقة بين مصر والكيان الصهيوني إلى نوع من التحالف العسكري والسياسي موجه في القاهرة ضد الاتحاد السوفييتي وما يطلق عليه " خطر التوسع الشيوعي" وفي الحقيقة هو ضد الأقطار العربية الأخرى التي ترفض الانضمام إلى المخطط الاستسلامي الذي تدفعها الولايات المتحدة إليه .

. استغلال أحداث أفغانستان لتسهيل تنفيذ مخطط يرمي إلى إنشاء حلف جديد تحت ستار الدفاع عن الإسلام .

تصوير الخطر الصهيوني كقضية ثانوية في اهتمام المواطن العربي

. والعمل على إعداد الخطط والمؤامرات لقلب بعض أنظمة الحكم الرفضة وإبدالها بأنظمة موالية لواشنطن

ونستطيع أن نضيف أن هذه الإستراتيجية موجهة أساس ضد المواطن الذي يحملونه عبء أزمة النظام الرأسمالي من تضخم وبطالة وارتفاع الأسعار . لقد أصبح الوطن العربي مرتعا لكل أفاق أجنبي من شركات أو محتالين أو نهابين .. يتدفعون بالآلاف كما حدث في بداية الاحتلال القديم

ولم يعد في قدرة الأنظمة في الوطن العربي أن تحمي نفسها من غضب الجماهير التي تعيش في علب الصفيح و تتمرغ في الجوع , بينما الفيلات الفخمة والقصور وشقق الإسكان الفاخر تقام أمام عيناها للقادمين الأجانب ولأغنياء ! الثراء الطفيلي

ولم يكن في قدرة المواطن العربي أن يتحمل أعباء الغلاء المستورد من الغرب الرأسمالي أو من فرق وعصابات النهب المحلي. وأمام موجة السخط العارم وسقوط الأنظمة العميلة في إيران ونيكاراجوا تبحث الأنظمة الهزيلة عن حماية ولا تجدها في أقطارها بل تلجأ إلى العدو الخارجي تستمد منه العون ما هو حادث في أمارة عمان أو السودان ومصر . وغيرها

وأصبح مطلب الأحلاف ملحا سواء للحكام " الأرجوزات " أو للشركات الأجنبية التي تقوم بعمليات النهب أو للطبقة المرتشية .

التحالف الأمريكي – الصهيوني

أعلنت الولايات المتحدة أكثر من مرة على لسان رؤساء أو وزراء الخارجية أو الدفاع الأمريكي. إن الولايات المتحدة الأمريكية مستعدة لاستخدام القوة العسكرية بغية حماية مصالحها الحيوية في منطقة الشرق الأوسط

إن المصالح الأمريكية هي هدف الولايات المتحدة وليست مصالح شعوب المنطقة ولهذا كان تحالفها مع العدو الصهيوني إنها لا تثق في قدرة حكام المنطقة الإلتباع على حماية هذه المصالح ولهذا كان إصرارها على دعم الكيان الصهيوني ليقوم بدور الشرطي في المنطقة

وقام هذا " الشرطي " بالفعل بدوره عندما استردت مصر ثروتها المنهوبة وأممت قناة السويس . ثم قام مرة ثانية بدوره عندما أممت مصر الشركات الكبرى وكان النصيب الأكبر فيها الصهيونية والأجنبية

وإذا كانت المصالح الأمريكية والصهيونية في مصر ضئيلة الشأن بالنسبة للبترول إلا أن ما حدث فترة حكم عبد الناصر أكد ماذا يعني استرداد الشعوب لثرواتها إن مقارنة بسيطة بين أسعار الضروريات أيام ثورة التحرير التي قادها ناصر والأسعار بعد فترة التبعية التي يقودها السادات تكشف لنا معنى النهب الرأسمالي وأهداف السيطرة الأمريكية والعدوان الأمريكي الصهيوني ... فكل قرش أو فلس يسلب من المواطن يصب في جيوب السادة الأتباع ثمنا للوساطة التي يقومون بها لملء خزانة الولايات المتحدة والصهيونية

ولم يكن غريبا بعد أن وقع السادات معاهدة الاستسلام مع إسرائيل بالمباركة الأمريكية أن تعقد الولايات المتحدة وإسرائيل معاهدة ثانية لحماية معاهدة الاستسلام

و:تنص المعاهدة الثانية على

إن الولايات المتحدة على استعداد لأن تنظر بعين الاعتبار في حالة الضرورة في تعزيز وجودها العسكري في " المنطقة الإمدادات العسكرية العاجلة وممارسة حقوقها البحرية لوضع حد لأي انتهاك للمعاهدة

إن الولايات المتحدة والصهيونية يدركان أن معاهدة الاستسلام المنافية القانون الدولي ولكل الأعراف والقوانين والمواثيق الدولية لا يمكن أن تظل سارية المفعول بعد زوال حكم السادات ولهذا أقدمت على توقيع معاهدة التعهد . الأمريكي لإسرائيل بالتدخل العسكري والاقتصادي لمنع أي خرق مصري لبنود المعاهدة

ولم تكف الولايات المتحدة بذلك بل دعمت إسرائيل بالسلح وتدققت عليها كل أنواع السلح الأمريكي بملايين الدولارات.وفي نفس الوقت الذي يزداد فيه الترابط والتحالف بين إسرائيل وأمريكا ترتفع الأصوات ضد الاتحاد . السوفييتي ليظل الوطن العربي تحت رحمة عدو لا يرحم دون حليف أو صديق

الصديق الجديد

كان السادات في تبريره لسياسة الاستسلام على أثر زيارة تل أبيب المشنومة قد أعلن أن مبررات والاستسلام هو حرصه على توفير المال اللازم لمواجهة الغلاء والحفاظ على أرواح المصريين فماذا حدث ؟

بلغت قيمة القروض الانتمائية المقدمة لمصر من الولايات المتحدة 1,5 مليون دولار على مدي ثلاث سنوات لشراء أسلحة أمريكية أى أن مصر عادت من جديد ودخلت دوامة تجارة السلاح التي تحررت منها عام 1955 وعاد تجار ! السلاح والوسطاء وأصحاب العمولات وعادت الأسلحة الفاسدة

وتلقت مصر من أمريكا 35 طائرة مستعملة من طراز ف 4 بلغ ثمنها 600 مليون دولار تقريبا كما تلقت 50 حاملة جنود مدرعة من طراز م 113 بلغت تكاليفها 169 مليون كما حصلت مصر على 11 بطارية صواريخ معدلة من طراز . هوك تبلغ قيمتها 560

ولم يقتصر الأمر على المال بل الأرواح فقد أذاع ثوار جبهة تحري عمان أن قوة مشتركة أمريكية مصرية مؤلفة من نحو ألف رجل اشتركت في أوائل شهر مارس عام 1980 في عمليات ضد ثوار جبهة تحرير عمان وأن الغرض من هذه .. العمليات كان لاختبار قدرات القوات الأمريكية المصرية على العمل في المنطقة

وأعلن أن طائرات مصرية اشتركت في القتال في زانير لحماية مصالح الشركات الاحتكارية وتعسكر قوات مصرية في السودان تحسبا من تحرك شعبي ضد نظام النميري المزعزع .وأصبحت مصر في ظل الصداقة الجديدة درعا للشركات الاحتكارية بعد أن رفعت شعار التأميم في عهد عبد الناصر

" وفي حديث صحفي أعقب توقيع المعاهدة سألت محررة من " أخبار اليوم

. السناتور الأمريكي تشارلز بيرسي

هل تتصور أن الإنفاق العسكري سيتوقف مثلا أو ينخفض لتوفير الإنفاق ؟

هل تعتقد أنت أن عهد مثل هذا سيحدث ؟

: فأجاب السناتور الأمريكي

ابداً وقد ثبت أن الضعف في حد ذاته ليس ضمانا للسلام ! وهكذا تتكشف نوايا الولايات المتحدة فهي تريد جيوشا مسلحة بأسلحة أمريكية لتحارب عنها لحماية مصالحها ولترويد تجار السلاح بزبانن فقد بلغ قيمة ما باعته الولايات المتحدة من السلام لدول الشرق الأوسط 30 مليون دولار

وانتهي الأمر بأن أصبحت مصر قاعدة أساسية لتنفيذ عمليات قتالية خاطفة في منطقة الشرق الأوسط لصالح .الولايات المتحدة

كما أصبح من وظيفة مدير الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية بالقاهرة التحدث عن المشاكل الاقتصادية لمصر وقوانين
!! الاستثمار واقتراح سياسة الضرائب

وتكشفت نوايا الولايات المتحدة فهي تريد أن تملأ الفراغ الذي تركه خروج القوات البريطانية وليست قاعدة رأس
. باتياس الابدyla لقاعدة منطقة القتال البريطانية وهي تصبو إلى العودة للعراق لإحياء قاعدة الحبانية

! ثم يعري السادات نفسه فيصرح لمجلة "أكتوبر" أنه ينوي ضم مصر رسميا ونهائيا إلى حلف الأطلسي

الفصل العاشر: أزمة الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق ... خلق الإنسان من علق ... اقرأ وربك الأكرم ... الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم
يعلم " قرآن كريم

! أزمة عالم ثالث أم أزمة مثقفين !!؟

من يحمل مسؤولية المرحلة؟

:سؤال يطرح نفسه بأشكال متعددة ولعل أكثر الناس حديثا عنه هم المثقفون يسألون

ما المخرج من الأزمة؟

يقولون ما الحل وما الطريق إذا كانت الأبواب كلها موصدة؟

.. ويرددون إلى أين والظلام حولنا كثيف المعتقلات والسجون والمشائق والإرهاب

كلام المثقفين العرب حق إنهم يستعيدون مرحلة التحرر ويحملون أخطاءها هذه النهاية المؤلمة ويجتثرون كل الآلام
. ويحددون المثالب والأحزان

لعل من أبرز ما تواجهه هو الحيرة في تقييم " المرحلة الناصرية " وما يصدر من الكتب أو مقالات لا يناقش سوي
.. أخطاء المرحلة أو إنجازاتها

هل كان عبد الناصر ديكتاتورا ؟

" سؤال مطروح في الكتاب .. ويرد مثقف آخر يجعل عنوانه .. " تأملات في الناصرية

ومن الغريب أن الذين كانوا يهاجمون عبد الناص حيا بدؤا ينعونه ميتا يرحمون على أيامه .. والذين ساروا في ركابه ! مصفقين وخطافين يهاجمونه

أى أن الغفلة التي كانت سائدة في المرحلة الناصرية ما زالت قائمة ومستمرة حتى اليوم .وما زلنا نخوض مرحلة التحرر بنفس الأطر السابقة البعض ينظر إليها من خلال منظار " الليبرالية " .. وآخرون يقيمونها وكأنها مرحلة ! " " الاشتراكية

فمن المسئول عن هذا كله ؟ومن يتحمل مسؤولية هذه البلبلة ؟

.. الأجانب يقولون

من الغريب أن المثقفين العرب الذين يحللون أو يشرثرون لم يحاولوا الدراسة الجادة للمرحلة وتركوا هذه الدراسة " للعناصر الأجنبية

أى أن ما نعاتيه ونحس به لا نستطيع أن نترجمه فكرا وعملا وكأننا لا نستطيع أن نشعر بوطأته كما يشعر به المفكر أو . المثقف الأجنبي الذي وهب نفسه لقضية الإنسان

فمنذ البداية تدفقت الدراسات الغربية عن مرحلة التحرر ومن الواقع وليس مجرد نظريات أو "افيشات " وشعارات مع .. ذلك لم نحاول أن نستهل من هذه الدراسات ما يضيء لنا الطريق

يقول " جاك وودس " المفكر الانجليزي في دراسته عن " جذور الثورة الأفريقية " الذي صدر عام 1959

بدأت مع أحداث الاستقلال مرحلة جديدة فالطبقات المختلفة التي أيدت النضال من أجل الاستقلال مدفوعة في ذلك " بأغراض مختلفة وبالنسبة لقوي البرجوازية والبرجوازية الصغيرة الجديدة التي انبثقت كحكومات وحكام لكثير من الدول الجديدة كان الهدف عادة هو الهدف المحدود , هدف إثراء نفسها ولم توجد سوي حالات قليلة كان على رأس ..الدولة الجديدة فيها عناصر ديمقراطية وطنية شاغلها الرئيسي رفاهية شعوبها لا رفاهية نفسها

ثم يقول

فالعامل والفلاحون الذين توقعوا أن يجلب لهم الاستقلال حياة جديدة لا يكون مجرد علم وطني ونشيد وطني إلى " جانب رئيس وزراء أفريقي ورئيس دولة أفريقي قد أصبح يسيطر عليهم الضجر والقلق ذلك أن توقعاتهم لم تتحقق على حين يرون حكامهم الجدد يركبون عربات فاخرة ويرتدون ثيابا فاخرة ويبدو أن أنشطة جديدة في مجال الأعمال ويسافرون إلى الخارج كالأباطرة ويدخرون ثرواتهم في البنوك الأجنبية في وقت لا يجد فيه الآلاف عملا وقيمون في .. مساكن مزرية ويرتدون أسمالا بالية ولا يجدون كفايتهم من الطعام

وإذا كان هذا القول قد انصب على الثورة الإفريقية إلا أنه في مجمله تصوير واقعي لحال غالبية الدولة المتحررة حديثا أعطانا " جاك وودس" الصورة الظاهرة أو بمعنى آخر مظاهر المرحلة ومع ذلك لم نحاول أن نعمق نظرتنا لما يحدث .. في أعماق مجتمعنا وكانت النتيجة أن ما حدث في دول أفريقيا المتحررة حديثا انتقل إلى أقطارنا .. والعكس صحيح

الأسباب والنتائج

ينقلنا " بول باران وايف لاكوست " من ظواهر مرحلة التحرر إلى أسباب التخلف الأساسية أو الاقتصاد السياسي للتخلف .. وإنهما يكشفان بالمقاييس العلمية عجز الطبقات الطفيلية عن تحقيق التطور والنمو كما فعلت نفس الطبقات في الدول الصناعية

: فيقول بول باران

ولكي تتمكن الطبقات الوسطى الرأسمالية الناشئة من الاضطلاع بقيادة هذه القوى الشعبية وتوجيهها نحو " الديمقراطية كان عليها أن تربط نفسها بالرجل العادي وكان عليها أن تنفصل سياسيا واقتصاديا وعقائديا عن الاحتكاريين المتحالفين معها وأن تثبت للأمة بأسرها أنها لا تملك المعرفة والشجاعة والتصميم لخوض النضال معها "من أجل تحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسير به إلى نهايته المظفرة

ثم يقول

"! لا يكاد يوجد بلد متخلف واحد استطاعت الطبقات الوسطى فيه أن تصل إلى مستوى التحدي التاريخي "

إن " بول باران " " وايف لاكوست " في دراستهم يوضحان فشل أى محاولة لدخول الدول المتحررة المرحلة الرأسمالية سواء لأسباب تاريخية أو اقتصادية أو اجتماعية

إن النظام الاقتصادي والسياسي الذي يحافظ عليه تحالف الطبقات المالكة الحاكم يجد نفسه دائما وأبدا في تضاد تام " مع كل الحاجات الملحة للبلدان المتخلفة فلا البنيان الاجتماعية الذي تجسده هذه الطبقات ولا المؤسسات التي تقوم عليه .. كانت عاملا من عوامل التطور الاقتصادي التقدمي

:أما لأكوست فيري

إن فرقا من الفروق الأساسية بين البلدان المتقدمة ذات البنيان الديمقراطي وذات الاستقلال القديم وبين البلدان " المتخلفة هو وجود أقلية مهيمنة اقتصاديا واجتماعيا تعود ضربتها وامتيازاتها لحد بعيد لتأثيرات سيطرة أجنبية حالية " وسابقة

الموقف

من هذه المقطعات السريعة نجد أن حياتنا كانت وما زالت موضع اهتمام ودراسة من الخارج بدل أن تتبع من الداخل. وفي نفس الوقت نجد من الواقع ومن هذه الدراسات عجز الإقطاع أو الرأسمالية المحلية عن قيادة المرحلة

وبديها فإن التخلف الاقتصادي أى التخلف عن مرحلة التصنيع عرقل نمو الطبقة العاملة تبقي بعد ذلك فئة المثقفين والمثقفون كما هو معروف لا يمثلون طبقة بل هم طبقات مختلفة والغالبية من أبناء الطبقات الوسطى سافروا من المناطق المتخلفة إلى لندن ونيويورك ورجعوا إلى بلدانهم يحملون بالتقدم ولكن من خلال الرؤية التي عاشوها وليس من خلال الواقع الاجتماعي والاقتصادي لأوطانهم أو من خلال التغيرات والتطورات العالمية والداخلية

والعالم في التغيير ..العالم الرأسمالي تحول إلى "الفاشية" كما شاهد في الولايات المتحدة أو تحولت فيه " الفاشية " إلى " ليبرالية " عرجاء كما نشهد في اليابان وألمانيا الغربية

والعالم الاشتراكي يمارس التطبيق الاشتراكي لأول مرة في التاريخ وفي ظروف عالمية صعبة .. ولم يعد هناك نموذج واحد للتحول الاشتراكي .. فأين يقف " الوطن العربي " وهو فصيل من حركة التحرر العالمي إزاء هذه الممارسة العالمية ؟

لا يمكن للإقطاع الذي تربى في أحضان الاستعمار أن يعطي الإجابة لا يمكن للرأسمالية الوطنية وهي بطبيعة تكوينها منحازة إلى الغرب سواء فاشيا أو ليبرالية فهدفها هو حماية مصالحها من يقظة الجماهير فهي بالتالي عاجزة عن الجواب .

هل ننتظر حتى تكبر وتنمو الطبقة العاملة لتعطينا الإجابة ؟ ولكن الطبقة العاملة لن تنمو ولن تكبر في ظل سيطرة الطبقات الرجعية الحاكمة ... فهذه الطبقات تقف ضد التصنيع ... بل تمادت في خيانتها وتعمل على ضرب الصناعة كما حدث في مصر وفي كثير من الأقطار التي فرضت عليها الإمبريالية العالمية حكومات انقلابية

الجواب لا يملكه في الدول المتحررة سوي المثقفون ولكن المثقفين مشكلة المثقفين وعند هذا الحديث عن ..المثقفين لا يمكن أن نخطئ وأن نحملهم مسؤولية طبقية .. والمثقفون ليسوا طبقة

:وكما حدد عبد الناصر في لقائه مع المثقفين في جامعة القاهرة عام 1968 قائلا

المثقفون ليسوا طبقة يأتون من القرية ومن كل أنحاء الحياة في هذا الوطن ولكن يختلف الوضع المثقف الذي يأتي " من القرية وأخذ فرصة وتعلم وتنقف وأخذ شهادة وارتفع دخله عن دخل ابن عمه الموجود في القرية ولم يأخذ فرصة مثله هنا يكون واجب المثقف هذا الواجب هو الإحساس بالمجتمع والعمل من أجل المجتمع وبهذا يكون المثقف مثقفا " ثوريا

ولكن من المؤلم أن المثقف الوطني الذي يقدم حياته في ميدان القتال أو يواجه السجون والمعتقلات في الصراع ضد الاستعمار سرعان ما ينهار أمام إغراءات الحياة .. ويجري في شبق لإشباع شهواته الذاتية على حساب ملايين الفقراء ..

خرجوا من الأزقة والحواري يبحثون عن زوجات من بنات الإقطاع وانتقلوا من مساكن القرية إلى القصور التي كان يسكنها أمراء الإقطاع أو اللصوص الأجانب .كانت أحلامهم كبيرة وأعمالهم فقيرة .. يرفعون شعارات الاشتراكية .. ويبنون الرأسمالية .. يتشدقون بالعدالة الاجتماعية ويلهثون وراء الكسب الحرام

وسرعان ما كانوا يتخلون عن مبادئهم ومواقعهم الطبقية ويسرعون في التسلق للارتباط بذيل السلطة جريا وراء الثراء وجعلوا من الثقافة سلاحا للتبرير والتحليل والهروب من المسؤولية التاريخية ..بل وصلت المهانة بالمثقفين أن رضوا .. بأن يكون سلعة في سوق الرأسمالية

: وأشار عبد الناصر إلى هذه الظاهرة قائلا

احنا مشكلتنا معقدة , عاوزين نطور بلدنا كلها عاوزين ننهض ببلدنا كلها عاوزين الارتقاء ما يكنش لفنة محدودة " ولكن كل الناس فيه نوع آخر مثلا يشعر بالفرق بين المستوي المعيشي اللي بيحصل عليه زميله في دول نامية زينا والمستوي المعيشي اللي بيحصل عليه زميله في مجتمع متقدم

ويقول لك بقي أنا لو رحت كندا أو أمريكا أو رحت ألمانيا ممكن يدوني كذا .. واحنا عارفين أن الفنيين بقوا سلعة " عالمية الدول المتقدمة بتخطف أبناء الدول النامية وهنا يبدو دور الفني المثقف في أصلاته

وهذه حقائق المثقف العربي الذي كان يفخر بارتداء الملابس الوطنية أو ركوب سيارة " نصر " أصبح يلهث وراء " !! الفولفو " م سرعان ما يستبدلها "بالمرسيدس" ثم " بالشيفروليه " الأمريكية

بينما ابن قريته يلهث بحا وراء لقمة العيش والمسكن .كل هذا لا ينفي وجود الطلائع الثورية التي رفضت المساومات والإغراءات وظلت أمينة نحو مبادئها ومسؤولياتها وشعبها وما زال الكثيرون منهم يلقون المطاردة والإرهاب .. والاغتيال ولم يتخذوا عن مواقعهم

المشكلة

إن مشكلة المثقف تكمن في نزعته الفردية ويشعر من خلال مصالحه بارتباطه بطبقته بينما العامل يعيش وسط رفاقه أما المثقف في مارس نشاطه من خلال ثقافته وفكره وما لم يعيش المثقف ويشعر بالارتباط بالجمهير يظل أسيرا لشعار "أنا "

ومن هنا كانت مشكلة المثقف العربي في حركة التحرر أنه حائر بين حقوق الإنسان التي انتزعها البشرية خلال المرحلة الليبرالية وحقوق المجتمع في الثورة الاجتماعية ..إن عجز المثقفين عن ربط حقوق الإنسان بالثورة الاجتماعية هو الذي أدى إلى هذا الطريق المسدود أمام المثقفين العرب فهم أما ليبراليون يرون في الحريات .. البرجوازية أحلامهم وأما اشتراكيون جامدون يعزلون التطور الاجتماعي عن حقوق الإنسان

والإشتراكية في حقيقتها لا يمكن إلا أن تكون تطورا اجتماعيا نحو الأفضل نحو استكمال الإنسان كل إنسان لحقوقه وحقه في الحياة ولن يكون تصحيح أخطاء المرحلة نحو الإشتراكية بالعودة إلى الليبرالية فالطريق إلى هذه الليبرالية أصبح مسدودا فالليبرالية أصبحت من تراث الماضي كما أجمع على ذلك كل المفكرين التقدميين في الغرب أنفسهم وليس معنى ذلك وأد الحقوق أو المكتسبات التي انتزعها الإنسان خلال هذه المرحلة بل المطلوب هو تغذيتها وتميئتها

وإذا كان طريق الليبرالية مسدودا فإن الطريق إلى الإشتراكية طويل والإشتراكية كفكر علمي تحتاج إلى جهد مثقف .. فالطبقات الفقيرة لن تحصل على الوعي تلقائيا .. فهناك فارق بين الحس الطبقي والوعي الطبقي

وكما قال عبد الناصر في حديثه إلى المثقفين

ليس عندي ضمان أنكم الضمان قوي الشعب هي الضمان يقظة الجماهير هي الضمان حركة الجماهير هي الضمان " تمسك الجماهير بالإشتراكية هي الضمان إصرار الجماهير على بناء سلطة قوي الشعب العاملة هو الضمان

ولكن ما حدث في مصر إن طلائع المثقفين الذين التفوا حول السلطة نسوا الجماهير وكانت النتيجة كما نري اليوم ليس وبالا على الجماهير فحسب بل أصبح المثقفون في وضع أشد بؤسا وانحدرت الغالبية منهم إلى مستوى الكادحين فكما عاد الإقطاعيون لانتزاع الأرض من الفلاح الكادح عاد الرأسماليون لانتزاع القطاع العام من السادة البيروقراطيين ويزحف الخبراء الأجانب لانتزاع المناصب من المثقفين وكما تشرذ العمال المصريون من مصانعهم يتشرذ المثقفون !! المصريون بحثا عن موارد الحياة

! سؤال وجواب

ومن حق أبناء الوطن العربي أن يتساءلون: لماذا نجحت حركة التحرر في فيتنام بينما سقطت كثير من حركات التحرر .. في أيدي الاستعمار من جديد ؟

ولعل الحديث النظري لن يعط الإجابة ولكن الواقع في فيتنام قد يكون دليلا ما زلت أذكر ولا أظن أنني أستطيع أن أنسي أبداً زيارة لفيتنام عام 1964 كان الجنرال جياب في خيالنا هو "نابليون" مرحلة التحرر وكان أسمه رمزا لانتصار الشعوب المغلوبة على الإمبراطوريات القديمة كان انتصاره في معركة " ديان بيان فو " ضد أعني القادة العسكريين . الفرنسيين . قد رفعه إلى مستوى الأسطورة

لم يكن الجنرال جياب سوي مثقف ثوري .. خرج من سلك التدريس لقيادة حرب العصابات وظل يترقى حتى أصبح قائدا عاما للثوار .. فهل أسكرته نشوة النصر الكبير ؟ هل ملأته غرورا وكبرياء ؟ هل انتزعته من وسط جنوده الثوار ؟

كانت المفاجأة الكبرى لنا أننا سنلقي الجنرال جياب أين؟ وفي أي قصر؟ ولم تمض ساعات حتى كنا في بيت متواضع أشبه بمساكن الفئات الدنيا من الطبقة المتوسطة واستقبلنا هذا القائد الكبير على باب البيت ولم يكن أمامنا سوي رجل بسيط من عائلة بسيطة يرحب بزواره وكان اللقاء أشبه بجلسة عائلية كانت فيتنام الشمالية في ذلك الوقت تحت قصف .. الطائرات والصواريخ الأمريكية .. وكان الصراع على أشده بين الاتحاد السوفيتي والصين

رفض الجنرال جياب الحدي عن موقف الصين أو الاتحاد السوفيتي وكل ما قاله هو ما كان يحصلون عليه من المساعدات أما الخلافات فلم تكن تعنيه في معركته أنها معركة شعب فيتنام وعليه أن يحل مشكلته بنفسه

وكان إدراكه بطبيعة معركة التحرر عالميا ورويته بأنها جزء من الثورة العالمية ولا يمكن أن تتفصل عنها وهي ثورة تحررية تقدمية عمادها الفلاحين والكادحين والمتقنين الشرفاء ولم يكن لقائنا مع " فإن فام فان دونغ " رئيس الوزراء في ذلك الوقت يختلف في مظهره أو حواراه عن لقائنا مع الجنرال جياب .. وشاهدنا في هاتوي وميناء هايفونج الحرب والحب والورد والبساطة وهكذا انتصرت فيتنام

في الوطن العربي الذي ما زالت تسود أغلبية القبلية وعبودية فلاح الأرض .. والارتباط بالمصالح الرأسمالية العالمية هل يمكن أن يقود ثورته سوي المثقفين الملتزمين؟ إن بناء القطاع العام وهو أساس الانتقال من مرحلة التخلف إلى مرحلة النمو لن يبنيه الرأسماليون .. وخاصة بعد أن كشفت الرأسمالية المحلية خيانتها واستعدادها للتعامل مع الصهيونية .. وسيرها في ركاب الإمبريالية الأمريكية

والقطاع العام ليس مصنعا فحسب فمرحلة التصنيع ليست سوي إطارا ومناخا لصنع الإنسان الجديد .. هذا الإنسان الذي بدأ مسيرته مع مرحلة التحرر وأكد قدراته في كل المجالات مندفعاً بوعي تلقائي أقام السدود وأشاد مصانع الصلب

وخاض المعارك .. وانتصر ولكنه اليوم يواجه قوتي العدوان الداخلية والخارجية .. إن مسئولية تنظيم هذه القوي الشعبية الجبارة .. هي في المقام الأول مسئولية المثقفين .. أن نقل الوعي إلى القوي الشعبية المنظمة

ولكن كيف يمكن أن يقود المثقفون جماهير الشعب دون تحديد لمهام المرحلة .. أو دون وعي بمطالب المرحلة ؟ إن .. النظريات الجاهزة ليست عقيدة ولكنها دليل عمل... والتجارب الجاهزة لن تكون بديلا عن العمل الجماهيري

والوطن العربي بأقطاره المختلفة اجتماعيا لن تسوده الليبرالية أو الاشتراكية .. فهو يخوض مرحلة الانتقال التي تحتاج إلى أسس جديدة لن تأتينا من الخارج ولكنها تنبع من تجربتنا ومن الفكر الإنساني الذي قاد غيرنا إلى طريق الحرية . السياسية والحرية الاجتماعية .. إلى التحرير والنصر

إن ثورة التحرر العربي هي بلا أدنى شك كما علمتنا تجارب السنين الماضية جزء من حركة الثورة العالمية .. وهي في أعماقها ثورة الجماهير الشعبية ذات المصلحة الحقيقية في التصدي للإمبريالية والصهيونية وضرب الاحتكارات العالمية .

لقد قامت ثورات التحرر منذ عام 1952 على أكتاف المثقفين وتضحياتهم وبذلهم . فهل يعاود المثقفون دورهم ؟ أم انتهت مرحلتهم ؟

إلزمة الثقافة العربية أم أزمة سياسية ؟

منذ فترة ليست بعيدة اجتمع وزراء الثقافة العرب في مؤتمر استثنائي لبحث الغزو الثقافي الإسرائيلي لمص والخطة العربية لمقاومته وكما اجتمعوا انقسموا .. أي كما اجتمعوا دون لمعاني الغزو الثقافي انفضوا بعد إنشاء لجنة لمتابعة الأمور المتعلقة بالغزو الثقافي

تماما .. كما يحدث في المجالات السياسية .. اجتماعات ومناقشات .. ولجان ثم نعاس ونوم ؟ وهذا شئ طبيعي . فلا يمكن فصل الأزمة السياسية عن أزمة الثقافة

: وكما قال يوسف إدريس

أنا الآن في مرحلة مأساوية لأنني ازداد إيمانا بخطورة مالا بد أن أقوم به .. لأن الكتابة ليست كما ولا مهنة .. " ولكنها ثورة !

:أما الدكتور زكي نجيب محمود فيعبر عن المرحلة .. قائلا

أستطيع أن أقول الثقافة بمعناها الضيق المحدود التخصص الذي يهتم فئة قليلة من العقول والذي يتناول المستويات " الرفيعة من الأفكار والفنات الفنية والأدبية هذا الجانب قد أصابه ما نقول عنه من فتور ..أما الجانب الذي أظنه قد ازدهر فهو الثقافة بالمعنى الواسع الذي هو حركة تنوير الشعب وازدياد الوعي القومي بالمسائل المصرية هذا الجانب ..لم يصبه أى فتور أو انهيار

بعد هذا التحديد دعنا نحصر الحديث إذن في الجانب الأول الذي يهتم الفئة القليلة من صفوة المثقفين وعندئذ أوافقك كل " . الموافقة أنه هبط في مستواه إلى درجة مؤسفة

بعد هذا الحديث من اثنين من كبار المفكرين في مصر .. كيف يمكن مقاومة الغزو الصهيوني؟الأول في حالة مأساوية . يعبر عن حالة مصر .. والثاني يعبر عن الانفصام الواقعي بين المثقفين والشعب

أى فكر ؟

هل هناك أزمة؟ وهل هي أزمة شاملة .. كما يقول الدكتور فؤاد زكريا .. أى أن الكثيرين يعتقدون أن السمو الغالبة على الفكر في القرن العشرين هي أنه يعاني أزمة ويرون أن أبرز صفات العقل في هذا القرن هي تلك المحنة التي جعلته يشك في أكثر مبادئه رسوخا وبديهياته وضوحا ؟

الكل يعترف بوجود الأزمة ولكن لا أحد يريد أن يشخصها تشخيصا حقيقيا ويزوغ ويراوح ينتظر من السلطة أو الدولة .. تقول رأيها !والدولة لا تستطيع أن تقول

فهي دولة حديثة لم يتبلور لديها الفكر .. نخوض المرحلة بشكل تجريبي وإما دولة من سقط المتاع يتولي الحكم فيها ! الجهلة والأغبياء

وهكذا نظل نصرخ ونلول ونحن نري الهجمة الصهيونية التي لا تريد أن تتوقف وتزحف على مقدساتنا وتدمر حضارتنا وكل ما بنيناه وتقتل أطفالنا أمام أعيننا وتهتك أعراضنا دون أن تجد ردا !!بل أبشع من ذلك أن نري تجاوبا . من بعض المثقفين هذه الهجمة الوحشية أو نري موقفا سلبيا

ورجال الدين يبصمون بالأصابع العشر في مصر على كل ما يأتي به السادات وينتزعون الآيات من القرآن الكريم لا .. يباركوا الغزو الأمريكي والوحشية الصهيونية

ونسوا تاريخ ونضال محمد كريم وعمر مكرم وجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ..وتوفيق الحكيم الذي نقل إلينا الفكر الفرنسي وحمل لواء الدفاع عن فرنسا ضد البربرية النازية ..وكان يعد أحد المفكرين الليبراليين نجده قد تخاذل .. واستسلم بصورة مشينة

أما نجيب محفوظ الذي تلقى ثقافته على يد سلامة موسى رائد الاشتراكية الأول في مصر وكتب يعبر عن الفئات .
الواسعة من البرجوازية الصغيرة تراجع ليرتمي في أحضان الصهيونية

حتى دعاة الاشتراكية خدعهم السادات فترة طويلة قبل أن يفيقوا إلى الهوة التي ساق مصر إليها. ومن الغريب أن الفكر
الفاشي الذي ظهر في ألمانيا وإيطاليا رافعا علم " ألمانيا فوق الجميع " إيطاليا فوق الجميع لم يجد في وطننا العربي
! سوي الحثالة التي تريد أن تمرغ الوطن في الوحل

! فاي فكر بقي لنا؟ ألا يصدق زكي نجيب محمود عندما يقول أن الثقافة هبطت في مستواها إلى درجة مؤسفة

! إلى الماضي

زكي نجيب محمود أحد القلائل الذين اهتموا بالفلسفة فيما يشبه الحيرة .. ماذا نأخذ من التراث .. وماذا نترك ؟ هل هناك
! تناقض بين العربية والمعاصرة

كما علمتنا الفلسفة أن ما نأخذه من الماضي أو الحاضر يتوقف على نظرتنا إلى الحياة أو ما يسمى بـ " الإيديولوجية
.. "

أما أن نقع فيما يريده لنا " أنور عبد الملك" من أن تكون لنا فلسفة خاصة تواكب حضارتنا في مصر والوطن العربي
فهذا ما يريده الاستعمار لنا أن ندور وندور حول أنفسنا دون مخرج من الحلقة المفرغة .. وأنور عبد الملك صاحب هذه
! الدعوة لم يعرف عنه انتماءا مصرياً أو عربياً في يوم من الأيام

لقد كانت مسيرتنا عربية منذ بدء حركة التحرير العربية منذ خرجت من مصر أول البعثات العلمية في عهد محمد علي
كانوا يومها من شبوخ الأزهر ومن هؤلاء ظهر رفاة رافع الطهطاوي حمل ثقافة العرب وحضارتهم ولم يجد تناقضا
.. فيما وصلت إليه أوروبا من فكر وما يحمله من تراث

نقل رفاة إلى مصر الفكر الليبرالي وبذور الثورة الاجتماعية فقد عاش في باريس يدرس بعقل متأمل كل ما كان يجري
حول ويتأمل بعقل متفتح تكوين المجتمع الفرنسي وعاداته وسلوكه وأفكاره ومعتقداته الأساسية وفي مصر ترجم
.. القوانين الفرنسية .. ودرس رفاة رافع أعمال فلاسفة الثورة الفرنسية فولتير ومونتسكيو وروسو

:ويكتب عن سفور المرأة قائلا

" بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة .. "

ونما فكر الشيخ رفاعه رافع مع نمو البرجوازي الثوري الأوروبي من الفكرة الديمقراطية إلى الفكر الاشتراكية فعمق بكتابة " مناهج الأبواب" كفاح الفكر المصري في سبيل الديمقراطية من مجرد البحث عن أشكال الحكم والعلاقات .. السياسية بين الحاكم والمحكوم إلى البحث عن أركان الديمقراطية الاقتصادية وعن أسس العدالة الاجتماعية

الثورة

لقي رفاعه رافع الاضطهاد والنفي وظل على ولائه للكلمة الصادقة الشريفة فأوجد جيلا من المترجمين ينقلون ما وصل إليه الفكر من تقدم ورقي وجاء من بيروت فارس الشدياق لينقل رؤياه للعالم الجديد والنظام الاجتماعي في انكلترا . وبالسياسية الانكليزية

كان الوطن العربي في ذلكم الزمان يواجه استعمارين الاستعمار التركي الرابض على أنفاسه بكل ما يمثل من تخلف .. ورجعية وحكم تسلطي وفساد والاستعمار القادم من أوروبا للاستغلال ونهب الأسواق وحكم الشركات الأجنبية

ووجد جمال الدين الأفغاني في مصر أرضا مهددا له الطهطاوي وتلاميذه وانطلق يندد بالحكم المطلق وتسلط الشركات الأجنبية . وامتزجت الأفكار الليبرالية بالفكر الديني في ثورة حكم الخديوي إسماعيل ومبازل الأسرة الحاكمة .. وتغلغل .. الشركات والنفوذ الأجنبي

ووصل المد الفكري إلى مستوي مراحله بإنشاء أول مجلس نواب مصري وأول دستور مكتوب عام 1878 كانت البرجوازية المصرية تبحث عن طريقها للحياة وكانت تريد أن تلاحق الزمن أثر البرجوازية الأوروبية وتحطيم الإقطاع .. وتطور أوروبا

وانطلقت الثورة العربية ووضعت دستور 1881 الذي أعطي النواب حق المناقشة في الميزانية وبحث الديون التي تراكمت على مصر . كان الفكر العربي في نمو يسارع الزمن .. فلم يكن الفكر منفصلا عن السياسة بل كان توأما لها .. وكما غذي الفكر السياسة غذت السياسة الفكر فهما وحدة متكاملة

في هذا الوقت الذي بدأت فيه الثورة العربية في مصر كانت الصهيونية تعرض نفسها على سلطان تركيا وإمبراطور ألمانيا وتبحث عن حليف لها في فرنسا وانكلترا فإن قرار مجلس النواب المصري ببحث الميزانية وديون الأجانب هدد .. الاستعمار كما هدد العناصر الصهيونية التي ساهمت في تركم الديون على مصر وتحالف الجانبان لوأد الثورة

النكسة الأولى

منذ ذلك التاريخ عندما سقطت الثورة وعندما أرغم الشعب العربي في مصر على القاء سلاحه كانت الصهيونية تعمل .. في دأب متواصل .. مدعمة بقوة الاستعمار .. كانت تنمو في الاتجاه المعاكس بينما كنا ننحدر في نفس الاتجاه

كانت الصهيونية تنهل من كل فكر عالمي لتبحث عن طريق لتحقيق أحلامها في خلق الوطن .. بينما كنا نعادي كل فكر ..عالمي تارة باسم الدين وتارة باسم التراث وتارة باسم التقاليد

كانت الصهيونية تأخذ من الفكر الديني لتؤكد حقها في خلق الوطن ورفعت شعار الإشتراكية ونهجت الطريق الليبرالي وتفاهمت مع الفاشية في لحظة اغتيال النازية لآلاف اليهود..وأصبح اليهودي الآن هو رجل الله المعذب في أرض الله ! [واليهودي هو المتدين الذي يقف أمام الشيوعية

وكانوا يقدمون هذه الصورة بالعلم والفن وفي السينما والمسرح والرواية والكتاب بينما ظلت أفكارنا مقيدة بالحديد الذي فرضه الاستعمار ولم يتحطم رغم كل ما حققناه من تعليم أو تقدم في المرحلة الناصرية وأصبح الإنسان اليهودي صاحب رسالة يكرس لها حياته بينما تعيش في تمزق ..المتدين يتهم رجل العلم ورجل العلم يسخر من الاتجاه السلفي ..وهكذا أصبحت الثقافة بدون هدف يجمعها أو يحدد اتجاهها

! المقاومة

واستعاد الشعب العربي في مصر قواه من جديد في ثورة 1919 عندما جمعت البراجوازية المصري قواها لمواجهة الاحتلال .انطلق الفكر العربي من جديد فقام قادة الفكر يفجرون القضايا الهامة والخطيرة ولم تكن المسألة عندهم مجرد .. كتابة أو قصيدة الشعر أو يتعلق على كتاب بل كانوا يشقون الأرض ليستأنفوا مسيرة الطهطاوي والأفغاني

كانت فاتحة العشرينات كتاب " الديوان" الذي أصدره العقاد والمازني معا ليضعا به ميزانا جديدا للنقد الأدبي ويفتحا مجالا جديدا للأدب والفن ولم تمض سنة واحدة إلا وقد ظهر للدكتور هيكل كتاب عن " روسو " لا يعرض تاريخ رجل اسمه جان جاك روسو

ولكن لينشر مناخا من الحرية السياسية يريد له أن يشبع في الناس ومضي بعد ذلك عام واحد وأخرج سلامة موسي كتاب حرية الفكر وكتبا آخر عن نظرية التطور وهكذا قدم الأدباء والمفكرون صرخة في وجه الاحتلال تدعو إلى .. انطلاق الفكر وحرية الرأي

ثم يخرج علينا الدكتور على عبد الرازق بكتابه " الإسلام وأصول الحكم" ليواجه به السلطان فؤاد ثم الملك فؤاد الذي أراد أن ينصب نفسه خليفة للإسلام ..وكان الكتاب دعوة إلى حق الشعب في إقامة الحكومة على الصورة التي تلائمه .. وهكذا تلاقي الفكر الديني مع الفكر الحر لمواجهة الاحتلال والحكم الإقطاعي

ولم تكد الضجة تهدأ حول كتاب " الإسلام وأصول الحكم" حتى أصدر طه حسين كتابه " عن الأدب الجاهلي " ليتحدث ضجة أكبر من أجل تحرير الفكر ووضع أسس جديدة لمنهج نقد جديد ..وتتألق أعمال الأدباء والمفكرين وأثير الأدب بروايات " هيكل " وقصص توفيق الحكيم الذي قدم " عودة الروح" كما فتح باب الأدب التمثيلي وأخرج أحمد شوقي .. مسرحياته الشعرية ليضيف لونا جديدا إلى الأدب العربي

وقام طه حسين بتقديم وتعريف الشعب العربي بالأدب الإغريقي كما ترجم القصص الفرنسية ..وشاهد الوطن العربي نهضة أشبه " بعصر التنوير " سرعان ما انطفأت شعلته واختفت مجلة " الرسالة و" الثقافة " و" دار التأليف

والترجمة والنشر " التي أعادت إلى الفكر العربي حيويته بترجمة الآداب العالمية وقدمت كتب الفلسفة والعلوم والفكر .. الحديث في أوروبا

! عود على بدء

قامت الثورة الروسية وظهرت طبقة جديدة إلى الوجود بلورت مفاهيم الثورة الاجتماعية واتخذت لها أسلوبا سياسيا في الحكم .. وهنا وجدت الطبقة الوسطى أنها بين خيارين التسليم للاستعمار أو التسليم لهذا القادم بما يحمل من مفاهيم .. ثورية جديدة

ووقفت هذه الطبقة مترددة بين الاتجاهين وظلت بذلك بعيدة عن الحكم الذي فرض سلطان الإقطاع وحافظ على الاحتلال .. حتى كان عام 1936 وتمت المصالحة بين الطبقة الوسطى والاستعمار بمعاهدة 1936 الذي أطلق عليها "معاهدة الصداقة"

ولم تكن الصداقة مع الاحتلال فحسب بل امتدت يد الطبقة الوسطى إلى الإقطاع الذي وصل إلى قيادة حزب الوفد وفقدت الطبقة الوسطى مهامها التي كانت تقوم على الاستعانة بوسائل الحضارة الأوروبية لتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافية والعدالة الاجتماعية وارتمت في أحضان الاستعمار وانتهى الأمر بكتاب ومفكري هذه الطبقة إلى نفس المصير .. فرأينا العقاد يلهث وراء السلفيات تاركا مهام المرحلة كما انتقل توفيق الحكيم من " عودة الروح " و " يوميات نائب " إلى " الربا المقدس "

وطه حسين ينقلد مهام وزارة التعليم .. ولم يكن هذا حال الشعب .. فالبرجوازية الصغيرة تلقت العلم من الطبقة الوسطى .. وأخذت تشق طريقها رغم كل المعونات وظهر أدب نجيب محفوظ معبرا عن هذه الطبقة

لم تسلم البرجوازية الصغيرة بما شاءته الطبقة الوسطى لم تنحاز في بحثها عن الغد إلى جانب الحضارة الأوروبية بل رأت في الاشتراكية ينبوعا جديدا بجدد الحياة والقيم ويحقق الأهداف الوطنية .. وفي الخمسينيات كان الفكر الاشتراكي .. في الوطن العربي يصارع بجانب بقية التيارات من أجل القضية القومية

! الفكر الاشتراكي

فرضت الاشتراكية نفسها بعد الانتصارات التي حققتها في الحرب العالمية الثانية .. لم يكن انتصارا عسكريا فحسب بل .. انتصارا سياسيا

وأثري الفكر العربي بهذا المنهل الجديد وتجددت حركة الترجمة بعد أن أزيل الحاجز الذي أقامه الاستعمار والرجعية بين الشعب العربي والفكر الاشتراكي الذي مثل حضارة صاعدة بكل ما تحمله من تجديد في القيم .. وكشف لحقيقة الاستعمار .. وتقديم منهج جديد لبناء الإنسان ومستقبل الحياة

ومن خلال حركة الترجمة عرف الشعب العربي " أراجون " و " أيلوار " و " مكسيم جوركي " و " بابلو نيرودا " وغيرهم من الشعراء والأدباء الجدد في أوروبا وأمريكا .. وترجمت أعمال " همنغواي " و " ريتشارد رايت " و " إيليا " أهرنبرج

وكشفت الآداب السياسة حقيقة ما يبنيه الاستعمار وحقيقة القوي المناضلة فشهد الوطن العربي سيلاً من الأعمال السياسية الأوروبية التي كان لها دورها في تفجير ثورات الخمسينيات .. وعرف الشعب العربي ما هي النقطة الرابعة ؟ وعرف حقيقة الديمقراطية في أمريكا ! وقرأ " أعمدة الاستعمار " وكلها مترجمة عن الأمريكية لمؤلفين وكتاب .. اشتراكيين

كما ترجمت أعمال " ماوتسي تونغ " وغيره من أعمال الفكر السياسي فاستيقظ الشعب العربي على وسائل حضارية جديدة ظلت محجوبة عنه أمداً طويلاً .. وكان لهذا كله أثره على الفكر العربي وتجديده .. فظهرت أشعار البياتي وكمال .. عبد الحليم والشرفاوي وكاظم السماوي .. كما ظهرت القصص التقدمية لحنا مينا يوسف إدريس

وانتقلت القصة من التعبير عن البرجوازية إلى التعبير عن معاناة الشعب الكادح من فلاحين وعمال .. وكانت الأرض الشرفاوي فاتحة هذا العهد الذي سادت فيه هذه الأفكار الجديدة في الوطن العربي .. وانتزع نعمان عاشور من توفيق .. الحكيم السيادة بأعماله المسرحية .. وستظل مسرحيات نعمان إلى أمد طويل رمزا للمرحلة

وكان للتيار الاشتراكي أثره على كل نواحي الفن والأدب في الوطن العربي وتفتحت آفاق المواطن العربي على أبعاد جديدة في الحياة وعرف الواقعية الاشتراكية في المسرح والسينما في العراق من أعمال يوسف العاني .. كما كان لكتاب . محمود العالم وعبد العظيم أنيس عن الأدب ما كان لكتاب " الديوان " للعقاد والمازني

ماذا حدث ؟

كانت ثورة يوليو حصيلة لهذا الجهد الطويل المتواصل ورغم ذلك كانت ثورة تجريبية أي لم تقم على أساس نظري وانطلق المثقفون والقادة كل يعمل على هواه وكانت النتيجة أن تربع الجهل والتخلف بعد مسيرة الانطلاق التي تحققت في أيام أو سنوات ثورة يوليو .. و انطلقت من جديد التيارات الغربية والشاذة تريد أن تفرض نفسها وسادت العنصرية والاتجاهات الدينية المنحرفة والفاشية سواء في المجال السياسي أو الثقافي واختفت العناصر الجادة وطردت العملة .. الرديئة العملة الجيدة وبدأنا تصرخ في هول من الغزو الصهيوني دون أن نعمل أو نفكر في العمل الجاد

إن المرحلة مرحلة جادة تتطلب المراجعة ووقفه صلبة تراجع أخطاء الماضي ونستعد للمواجهة الجادة. ولن يكون ذلك .. إلا بأعداد المواطن العربي إعداداً جاداً ليتحمل مسؤولياته ويشعر بالأخطار التي تهدد كيانه

ولن يكون ذلك بالمؤتمرات أو الاجتماعات ولكنها مسؤولية المثقفين في كل المجالات الأدبية والفنية والثقافية في المسرح والسينما والكتاب والإذاعة والتلفزيون والقصة والرواية وأن نعيد المسيرة إلى مجراها النضالي الجاد في كل .. مناحي الفكر الدينية والليبرالية والاشتراكية

فالفكر الديني لم يكن أبداً جامداً أو رجعيًا .. كما أن الليبرالية حركة تقدم .. وعلينا أن نفتح النوافذ لكل الأفكار وخاصة .. الإشتراكية التي تحمل تبشير الغد ومن خلال ذلك وحده نستطيع أن نجابه الغزو الصهيوني

(التيار الديني أ)

إلى أين

! تضيق القدس ...

! ويستمر الزحف الصهيوني ..

! وتبارك الولايات المتحدة العدوان ...

ويستمر الجدل والنقاش حول العلاقة بين الدين والدولة وتشارك في الجدل مراكز البحوث في أوروبا وأمريكا .. وينفقون ! على هذه المراكز الأموال الطائلة

وتطلع علينا صحيفة " الفينانشال تايمز " الانكليزية بمقال عن بعث إسلامي وتتحدث عن التجديد .. والعودة إلى أمجاد الإسلام !

وتأخذنا دوامة البحث بينما " البعث الإسلامي " الذي يتشدقون به لا يعني سوى القواعد العسكرية ومخزون ! البترول! فهل هي أزمة فكر ؟ أم أزمة سياسية

! الدين ... والوطن

إننا نواجه اليوم قمة الهجمة الاستعمارية التي بدأت مع بداية القرن الماضي منذ الغزو الفرنسي ... إلى الاحتلال البريطاني .. إلى السيطرة الإمبريالية الأمريكية وفي كل خطوة كانت الصهيونية تعمل وتزحف .. مع نابوليون وغليوم . ودزرائيلي وبلفور .

! وانتقلت إلى الولايات المتحدة مع روزفلت وايزنهاور وجونسون ثم نيكسون وكارتر ! فماذا كان موقف رجال الدين

تلقت القاهرة أخبار زحف نابليون وفي هذا الوقت العصيب برز رجل الدين السيد عمر مكرم نقيب الأشراف لم يطلب حكماً ولا سلطاناً ولم يناقش الأحكام الشرعية بل استنفر الشعب للقتال وبث فيه روح المقاومة

وصعد إلى القلعة وانزل منها علما كبيرا أطلقت عليه الجماهير " البيرق النبوي " ونشره بين الناس .. ولقيت دعوة عمر مكرم استجابة جماعية من أهل القاهرة تجمعت حوله ألوف العامة يتصايحون بالحرب ويحملون العصي والنبابيت والبنادق ومعهم الطبول .. وأغلقت الحوانيت وخلت الأسواق واشتركت طوائف الحرف (وهي أشبه بالنقابات اليوم) .. وكانت كل طائفة تجمع الأموال من أفرادها كل قدر طاقته واشتري رؤساء الطوائف الأسلحة والذخائر والخيام

وعندما دخل نابليون القاهرة غادرها عمر مكرم فوجه إليه نابليون الدعوة يعطيه الأمان ويطلب منه العودة فرفض .. واتخذ نابليون إجراءات انتقامية تعسفية . فعزله من منصبه الديني كنقيب الإشراف وصادر أمواله

وعندما انتهى الاحتلال الفرنسي عاد عمر مكرم إلى القاهرة فوجد الحاكم التركي يريد أن يحكم مصر حكما مطلقا وتصدي عمر مكرم وتزعّم الجماهير من جديد في ثورة 1805 واجتمع رجال الدين من مشايخ الأزهر في دار الحكمة .. الكبرى بيت القاضي وطلبوا عقد مجلس شرع واختصام الوالي

:وكتبوا عريضة بمطالب الشعب ... بلغ عددها واحدا وعشرين مطلباً كان أهمها

. عدم مرابطة القوات العسكرية في القاهرة

.عدم السماح لأي جندي بدخول القاهرة حاملا سلاحا معه

.. الامتناع عن فرض أى ضريبة على سكان القاهرة بدون موافقة المشايخ وأعيان

:وهكذا خط رجال الدين في بداية القرن الماضي أسلوب العمل السياسي

. المقاومة المسلحة ضد العدو

. ووضع أول نواة للدستور وحكم الشعب

قانون الحقوق

وصف أحد رجال السياسة في فرنسا هذه العريضة التي تضمنت شروط المشايخ بأنها "وثيقة الحقوق" وأنها تشبه قانون الحقوق الذي أقره البرلمان الإنكليزي عام 1689 وأعلن فيها أن حق الملك في العرش مستمد من إرادة الشعب الممثل في البرلمان أن البرلمان له حق نقل التاج وفقا لمصلحة البلاد .. وأنه لا يجوز للملك أن يفرض الضرائب بدون موافقة البرلمان

وتضمنت عريضة رجال الدين في القاهرة نصوصا مماثلة فأنهت العريضة حكم الوالي خورشيد باشا ونصبت محمد علي واليا كما نصت بعدم إنشاء ضريبة بدون موافقة الشعوب وما زال الفقهاء ورجال القانون في مصر إلى اليوم .. يشيرون إلى هذه العريضة كأول دستور يمليه الشعب العربي في مصر على حكامه

إن رجال الدين في هذه الحقبة لم يقفوا ليلبحثوا في التراث والعودة إلى الماضي بل امتزجوا بالواقع ونزلوا إلى الشعب .. يعبرون عن مطالبة وحملوا السلاح دفاعا عن الوطن ولم يكن هذا موقف كل رجال الدين هناك التيار المضاد

فعندما أراد محمد علي أن يفرض حكمه المطلق اجتمع عمر مكرم بكبار المشايخ وطلب منهم الوقوف في إجماع وتماسك ضد محمد علي ولكن سرعان ما تخاذل الشيخ محمد المهدي والشيخ محمد السادات والشيخ محمد الدواخلي !.. وخرجوا على الإجماع واستسلموا لمحمد علي بعد أن لوح لهم بالمناصب والمنافع

: وهكذا كان بين رجال الدين تيارات

.تيار إسلامي ثوري يهدف إلى تغيير الأوضاع القائمة

.. تيار رجعي يهدف إلى حماية الأوضاع القائمة

واستطاع التيار الأول أن يصل فكرا إلى " وثيقة الحقوق " ولكن ملوك انكلترا احترموا عهدهم والتزموا بالوثيقة منهجا ! ومسلكا بينما محمد علي لم يعمل بها لأكثر من عامين ثم عبث بها

الأزهر

سيطر رجال الدين مما كانوا يلهثون وراء الثروة والحياة والمناصب على الأزهر ولكن هذا لم يمنع رجال الدين الثوريين من الانطلاق وراء التطورات العالمية استفاد الشيخ حسن العطار من وجود الفرنسيين في مصر وأخذ ينبه رجال الأزهر وواقعهم الثقافي والعلمي ويحضهم إلى الإمام بالعلوم العصرية ومتابعة المؤلفات المترجمة عن اللغات الأجنبية ..

:ويقول عن هذه المؤلفات

وفيها أعمال كثيرة وأفعال دقيقة أطلعنا على بعضها وقد تتحول تلك الأعمال بواسطة الأصول الهندسية والعلوم الطبيعية من القول إلى الفعل وتكلموا في الصناعات الحربية والآلات النارية ومهدوا فيها قواعد وأصولا حتى صار ذلك .. علما مستقلا مدونا في الكتب وفرعوه إلى فروع كثيرة

:ثم يقول

ومن سمت به همة إلى الاطلاع علي غرائب المؤلفات وعجائب المصنفات انكشفت له حقائق كثيرة من دقائق " العلوم وتنزهت فكرته إن كانت سلمية في رياض المفهوم

هكذا كان يفكر رجال الدين في بداية القرن الماضي يتطلعون إلى الغد ويأخذون من الماضي القدرة فيشير الشيخ حسن العطار إلى الأنمة الأعلام وكيف كانوا يجمعون بين الأحكام الشرعية والعلوم الدينية وإطلاعهم على غيرها من العلوم حتى في كتب المخالفين في العقائد

وكان رفاة رافع الطهطاوي من تلاميذ الشيخ حسن العطار .. سافر مع احدي البعثات التعليمية إلى فرنسا ليكون إماما دينيا للطلبة ولكنه سرعان ما انكب على الدراسة وأصبح أحد أعضاء البعثة .. وعاد إلى مصر ليكون مثالا لرجل الدين في عصره .. رجل الدين المتحضر الذي ألم بعلوم الغرب وتطوره وعمل على نقل هذه العلوم إلى العربية وفتح بذلك .. الأفاق أمام أجيال فتحدث عن الحياة النيابية والحقوق الاجتماعية وتحرير المرأة

وما كان في استطاعة الطهطاوي أن يقدم هذا الفكر إلا في ظل نهضة شاملة حمل لواءها محمد علي رغم كل النقائص .. التي سادت فترة حكمه

الأفغاني

وجاء الأفغاني إلى مصر ليشعلها ثورة وليدفع التيار الثوري الديني إلى مرتبة أسمى . كان جمال الدين الأفغاني من . أوائل المقاتلين ضد الغرب الاستعماري وأنذر بخطر السيطرة الغربية في الشرق الإسلامي وتمثل عواقبها فيما إذا طال عهدها وأدرك شؤون المستقبل وما يصيب المسلمين من مصائب إذا لبث الشرق الإسلامي على حاله .. فهب يضحى .. بنفسه ويفني حياته في سبيل إيقاظ العالم الإسلامي

وكما يقول عنه مستر بلانت المحامي الانكليزي

أما نبوغ جمال الدين الأفغاني ففي اجتهاده في حمل الممالك التي وعظ فيها على أن تعيد النظر في المواقف " .. الإسلامي كله وأن تستبدل بالقديم التحرك إلى الإمام حركات أدبية منسجمة مع العلم العصري

إن ما يحدث في العالم الإسلامي اليوم تصدي له رجل الدين الشيخ جمال الدين عام 1891 فلم يقف يطلب الصدقات ولم يطالب بالزكاة عندما أعطت حكومة فارس حق احتكار " التمباك " المحصول الرئيسي في إيران إلى شركة انكليزية بل .. أرسل خطبا حارا يندد فيه بالحكومة لارتكابها هذه الخيانة الضارة بثروة البلاد

وصدرت فتوي بتحريم شرب التمباك وبيعه في البلاد فاضطرت الحكومة إلى العدول عن هذه الاتفاقية . وسعي في تركيا إلى تحويل حكومتهم إلى حكومة دستورية .. واجتمع ببعض رجال تركيا الفتاة الذين قاموا بالانقلاب التركي وشجعهم .. ودعا لهم بالتأييد

واستطاع جمال الدين الأفغاني أن يحدث في الأوساط العلمية تأثيراً بعيداً بما ألقى من دروس ومحاضرات في الجامعة التي أنشئت في ذلك الوقت بتركيا .. وكما كان الأفغاني متصلاً بحركة التحرير التي كانت ضد القيصر وكان يردد أنه .. سيصلي صلاة جنازة على القيصريّة وسيحضر تشييع جنازة الإمبراطورية الانكليزية في الهند

! الأفغاني في مصر

حمل الأفغاني علم الثورة الدينية إلى مصر ولكن في أي اتجاه؟ يقول الكاتب الانكليزي تشارلز آدم في كتابه "الإسلام والتجديد في مصر

لم ينشأ الدافع الأول إلى حركة الإصلاح في مصر نفسها بل كان صدي تعاليم جمال الدين الأفغاني كان جمال الدين الممثل النابه والمدافع القوي الشكيمة عن الإصلاح الشامل .. وكذلك كان العامل الجوهري في أحياء حركة التحري في .. مصر

لم يجلس جمال الدين الأفغاني في مرحاب يتعبد بل كان يجتمع بالناس يحدثهم عن الشؤون العامة وما يمس مصلحة .. البلاد وأهلها ويقول الشيخ محمد عبده أنه تلقى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والمنطق

بينما كان كهنة الأزهر يقتلون عليه بل زعموا أن تلك العلوم تقضي إلى زعزعة العقائد الصحيحة وقد تهوي بالنفس في ! ضلالات تحرمها خيري الدنيا والآخرة

ولم يفرز الأفغاني من الجمود أو الاتهامات بل ظل ينمي الوعي بين الشباب المصري ويفتح الأفاق نحو العلوم الحديثة .. وكانت هذه هي العوامل الجوهرية في حياة حركة التجديد في مصر

: " وكما قال الكاتب الكندي في كتابه " حركة التنوير في الشرق الأوسط

وكانت أقوى مشاعل حركة التنوير القومي والفكري هي التي حملها جمال الدين الأفغاني الذي تخرج على يديه " وفي مجالسه الكثيرون من أبناء مصر والأقطار العربية

ولا جدال أن الثورة العربية كانت نتيجة البقطة التي بعضها جمال الدين الأفغاني فكانت أحاديثه تتناول الشؤون العامة وما يمس نظام الحكومة ومصلحة الشعب .. فقد أثار في الشرق عاطفة التذمر من الغرب , كان يحارب في الشرق ظلم .. الظالمين

ونفي من مصر .. وسافر إلى فرنسا وأصدر صحيفة "العروة الوثقى" مع الشيخ محمد عبده يهاجم فيها الأوضاع .. السائدة في مصر من استبداد الخديوي إلى النهب الاستعماري والاستغلال الاقتصادي

كان الربط بين الفكر الديني والتطور السياسي سمة دائمة ومستمرة ولم ينغزل رجال الدين في صومعة ولم يلجنوا إلى الكهوف يستخرجون منها الأفكار ومع نمو الفكر السياسي كان يغذيه الفكر الديني الذي تحدث عنه الأفغاني مزايا الحكم الجمهوري الإشتراكية ومساواة الرجل بالمرأة وحقيقة العلم والاستفادة من العلم الحقيقي وسعادة الأمم التي قال عنها أن سعادة الأمم تأتي من صفاء العقول من كدر الخرافات وصدا الأوهام فإن عقيدة وهمية لو تدنس بها العقل لقامت .. حجابا كثيفا يحول بينه وبين حقيقة الواقع

الثورة

وتلقف رجال المرحلة من الأفغاني أفكاره واشتعلت الثورة العرابية وساهم رجال الدين بالفكر والعمل وظهر عبد الله النديم الذي كان أحد مريدي الشيخ جمال الدين الأفغاني وأمد الثورة بمقالاته الوطنية عن الاتحاد وفي حقوق الحاكم وحقوق الشعب وفي الحكومة المستبدة وقتلها للنفوس وإفسادها للأخلاق ويكتب عن الأتراك الذين أذلوا البلاد

وعن الخديوي إسماعيل الذي غرق في شهواته وجلب الديون على مصر بتمليك الأجانب ثرواتها .. ثم يكتب عن التحكم .. الأجنبي في اقتصاديات البلاد ويطالب بإنشاء الصناعات وتشجيع الصناعة الوطنية ومحاربة المنتجات الأجنبية

وتحدث النديم عن الحرية كحق لكل فرد وعن الحياة الدستورية وحق الانتخاب والترشيح لكل مواطن ,وعارض الشيخ محمد عبده في قصر الانتخابات على المتعلمين لأن الفلاح هو صاحب المصلحة الحقيقية في البلاد ويكون الأغلبية .. العظمى من سكانها وأدري بمشاكلها من غيرهم

وحمل النديم على الموظفين الأجانب الذين يحتلون أكثر المراكز الرئيسية في جهاد الدولة ويتقاضون مرتبات خيالية لا .. تتناسب مع ما يؤديه من أعمال

وكانت اجتماعات رجال الثورة تناقش مستقبل مصر ,أنواع الحكومات التي تصلح للحكم وكان البارودي أحد رجال ... الثورة وأحد شعراء مصر يتكلم عن فوائد الحكومة الجمهورية

ومما قاله

لقد كنا منذ البداية إلى قلب مصر إلى جمهورية محايدة مثل سويسرا وعندئذ تنضم إلينا سوريا وليها الحجاز ولكننا " وجدنا العلماء لم يستعدوا لهذه الدعوة لأنهم متأخرون عن زمنهم ومع ذلك سنجتهد في جعل مصر جمهورية قبل أن "تموت

وهكذا نري أن التيار الديني كان دائما ينقسم إلى اتجاهين

الاتجاه الثوري الذي مثله الأفغاني وكان يطالب بالجمهورية والاتجاه المتخلف الرجعي الذي كان يتمسك بالأمر ! الواقع

وعلى الرغم من ذلك أفنى شيوخ الأزهر وعلماءه بمروق الخديوي من الدين لاحتيازه إلى الجيش المحارب للبلاد .. والمعتدي عليها..وانطلق النديم يخطب

يا أهل مصر ليس من قعد عن نصره الله كمن جاهد في سبيل الله لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أول " الضرر والمجاهدون في سبيل الله

ثم يقول

يا أهل مصر أن الإنكليز يقولون مصر هي حسن البلاد العربية من فتحها فقد أخذ بلاد المسلمين فهبوا للدفاع عن " وطنكم وتقوا واحفظوا حصن البلاد الإسلامية وجاهدوا في الله حق جهاده لتحفظوا هذا الدين العظيم وتدفعوا عدوا يريد أن يدخل بالخیل في بلد الله يريد أن يدخل الكعبة المشرفة عن بلادكم وقد استعان على أغراضه بخديويكم الذي باع .. الأمة إرضاء للإنكليز وجعل بلاد الإسلام مقابل حماية الإنكليز له

ولم تكن مصر بمعزل عن العالم العربي والإسلامي في محنتها عندما هاجمها الإنكليز فقد اعتلى العلماء المنابر في تركيا وأخذوا يستنفرون المسلمين كي يحملوا السلاح ويتطوعوا في الحرب المقدسة ولكي يحموا أرض الإسلام ..وفي . الهند ثار المسلمون ضد حكامهم الإنكليز ..وفي تونس هرع الناس إلى المساجد يدعون لنصرة الثورة المصرية

وعلى الرغم من ذلك كان هناك الصوت الرجعي الشيخ حمزة فتح الله الذي كان يمتدح الخديوي! ويمهد للاحتلال ! فلم يعرف الفكر الإسلامي الأزمة طالما نمو ومد ثوري فالتيار الإسلامي الثوري ساهم في دعم سيادة الشعب ..والتصدي للاستعمار

وانطلق مع الفكر الليبرالي الحياة النيابية وبدأ في مناقشة الأسس الاشتراكية منذ منتصف القرن الماضي ولم يوقفه . الجمود الفكري أو الاتجاه الرجعي بل الذي أوقف التيار الديني الثوري هو أزمة الاحتلال والحكم الرجعي

! أصول الحكم

ومع ثورة 1919 انطلق الفكر الإسلامي من جديد .. ولعل كتابا لم يصدر في مصر أحدث من الضجة ما أحدثه كتاب " الإسلام وأصول الحكم " للشيخ على عبد الرزاق

كان الكتاب جهدا دينيا في معركة سياسية فكان تحديا لعرش وملك أراد أن يبوأ نفسه خليفة للمسلمين بعد سقوط الخلافة عند قيام الثورة الكمالية في تركيا فكان الكتاب أحد العوامل التي تصدت لقطاعات عريضة محافظة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي كما أفسد "اللعبة " التي أراد الاستعمار البريطاني أن ينفذها في مصر والشرق الأوسط

صدر كتاب " الإسلام وأصول الحكم" صرخة ضد الملك فؤاد الذي كان يحكم حكما فرديا يفرض به طغيان العرش .. وجبروت النظام الملكي

:ويفتتح المؤلف كتابه بقوله

..أشهد أن لا إله إلا الله ولا أعبد إلا إياه ولا أخشي أحدا سواه , له القوة والعزة وما سواه ضعيف ذليل "

: ثم يقول في الكتاب

ولولا أن نرتكب شططا في القول لعرضنا على القارئ سلسلة الخلافة إلى وقتنا هذا ليري على كل حلقة من حلقاتها " طابع القهر والغلبة وليتبين أن ذلك الذي يسمى عرشا لا يرتفع إلا على رؤوس البشر ولا يستند إلا فوق أعناقهم وأن ذلك الذي يسمى تاجا لا حياة له إلا بما يأخذ من حياة البشر ولا قوة إلا بما يغتال من قوتهم ولا عظمة ولا كرامة إلا بما يسلب من عظمتهم وكرامتهم وأن بريقه إنما هو بريق السيوف ولهيب الحروب" كان موقف الأسرة المالكة من خضوع .. للاحتلال الانكليزي وتواطؤها معه ضد الشعب مما دفع كل القوي لعدائها

:فيقول الشيخ على عبد الرزاق في كتابه

من الطبيعي في أولئك المسلمين الذين يدينون بالحرية رأيا ويسلكون مذاهبها عملا ويأثفون الخضوع إلا لله رب " العالمين من الطبيعي في أولئك الأبياء الأحرار أن ياتفوا الخضوع لرجل منهم أو من غيرهم ذلك الخضوع الذي يطالب به "الملوك رعيتهم إلا خضوعا للقوة ونزولا على حكم السيف القاهر

ويسرع رجال الدين الذين يتشبهون بالنظام القائم فيتهمون صاحب "الإسلام وأصول الحكم " بأنه يحبذ أن تقوم في مصر " جمهورية دينية" اى جمهورية مدنية ويأته ثائر على الحكومة وخارج عن نظمها الثابتة

وحاول بعض علماء الدين الذين تعودوا الركوع أن يرشحوا الملك فؤاد للخلافة واجتمعت هيئة كبار العلماء لتحاكم ! مؤلف "الإسلام وأصول الحكم" وأصدرت في ذلك الحين حكم الإدانة ثم اجتمعت بعد سنوات لتصدر حكم البراءة

وظل كتاب "الإسلام وأصول الحكم" يؤكد أن التيار الديني الثوري الذي كان امتدادا للأفغاني والشيخ محمد عبده مستمر . ولم يخفت

ما هي أهم النقاط التي أثارها الشيخ على عبد الرزاق ؟

أولاً: أن الخلافة ليست نظاماً دينياً والقرآن لم يأمر بها ولم يشر وأن الدين الإسلامي برئ من نظام الخلافة برئ بالأخص من الأدوار التي عصفقت به وعملت كثيراً على تأخر المسلمين في سيرهم نحو التقدم من الوجهة الفكرية أو العلمية أو الاجتماعية أو التشريعية .

ثانياً: القرآن يترك المسلمين أحراراً في إنشاء الحكومة التي يرونها وأن من يبحثوا من الوجهة العلمية عن أحسن .. شكل للحكومة يسد حاجاتهم

ويقول الشيخ عبد الرزاق

وإني أتحدى أى عالم يقول بعكس ذلك ويؤيد رأيه بأي نص من القرآن أو بحدي واحد .. إن الإسلام دين حر قبل " ...كل شئ يلانم كل العصور والبيئات

ثالثاً: في الرد على سؤال: هل الخليفة خليفة النبي ؟

أجاب:

وهذا مع الأسف خطأ شائع جداً لقد أثبت في كتابي أن النبي لم يكن ملكاً وأنه لم يحاول أن ينشئ حكومة أو دولة فقد .. كان رسول بعثه الله ولم يكن زعيماً سياسياً

! خطان

لسنا في حاجة إلى تكرار الحديث عن أحداث ثورة 1919 ودور الأزهر .. ثم محاولات الملك والانتكيز في ضرب وحدة رجال الدين .. واستغلال الشيخ " النفتراني " شيخ الأزهر في ضرب الحركة الوطنية .. وظل التياران في صراع حتى " ظهور جماعة الإخوان المسلمين وتصدي الشيخ خالد محمد بكتابه " من هنا نبدأ

أحدث كتاب خالد محمد خالد ضجة دينية وسياسية أكثر مما أثاره كتاب الإسلام وأصول الحكم .. كان صرخة في وجه .. كهنة الدين وكان قفزة في الفكر الديني الثوري .ولا شك أنه كان عاملا من العوامل التي أطلقت ثورة 1952

(التيار الديني (ب)

من أين نبدأ

منذ ثلاثين عاما في عام 1950 صدر كتاب " من هنا نبدأ " للشيخ خالد محمد خالد ..في هذا " الكتاب " دعوة صريحة من رجل الدين إلى حرية الفكر وهي دعوة ليست منبثقة من رغبة في الحوار أو الجدل بل هي امتداد لذلك الفكر الديني الذي انطلق طوال القرن الماضي في مواجهة الموجة الاستعمارية التي تعرض لها الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه .

"لم يقف الشيخ خالد صامتا أو مفتيا كرجال الدين الأفاضل في مصر الذين أيدوا معاهدة " كامب ديفيد

:بل قال في كتابه

فعندما رأيت انكلترا إصرار الشرق على التخلص من صداقتها الجبرية المفروضة دقت إسفين الصهيونية في " .. فلسطين

:وقال

فانكلترا تعلم ولا ريب أن تمكين الصهيونية في فلسطين تمكين للفتنة والبغي والعدوان وتهديد مستمر لحياة السلام " ..

كان هذا في عام 1950 وفي بداية 1979 يخرج علينا شيخ الأزهر ليدعوا إلى تأييد معاهدة كامب ديفيد مستشهدا بقوله (تعال (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها

ويتجاهل الشيخ عبد الرحمن الببصار الفتوى التي أصدرها علماء الأزهر في يناير 1956 وأصدرت فتواها في تحريم الصلح مع إسرائيل وفي تحريم التعاون مع الدول الكافرة التي تظاهروهم

وقالت الفتوى المذكورة أن من يفعل ذلك يخرج عن جماعة المسلمين من أين جاء هذا التضارب أو هذا الردة في التيار الديني ؟

! دين .. لا كهانة

رجل الدين الغبي الجاهل يثير احتقارنا ورجل الدين الشرير الردي يولد الجزع في نفوسنا أما الناضج المتسامح البعيد " عن الخرافات فهو الجدير بحبنا واحترامنا " فولتير

بهذه الكلمات المقتبسة صدر الشيخ خالد محمد خالد كتابه " من هنا نبدأ " .. كان المد الثوري العالمي في عنفوانه بعد هزيمة النازية وانطلقت القوي الثورية في الوطن العربي وفي مصر مع هذا المد الثوري الذي اتسم بالمطالبة بالتغيرات .. الاجتماعية والعدالة الإنسانية

وتصاعد التيار الثوري الديني وامتزج بالحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار والرجعية التخلف الديني .. وتصدي خالد محمد خالد للتيار الرجعي الديني , فكانت مؤلفاته امتدادا لمسيرة الأفغاني وعلى عبد الرزاق

فتساءل

وأنا اليوم لنسمع صراخا بوجوب العودة إلى الدين .. فإلي أي دين يدعو هؤلاء المتصايحون؟! هناك شئ اسمه " .. " الكهانة .. وهناك الدين الرشيد

ثم يستطرد في تفسير معنى الكهانة وأصولها التاريخية وإلى دعوة الناس إلى فقر وتسخير نفسها للدفاع عن مصالح الكبار .. وتكافح كل محاولة لتحول اجتماعي يريده المجتمع ويتضرع شوقا إليه

ويعدد الفوارق بين الدين والكهانة

.. أولا: إن الدين إنساني بطبعه وشرعته .. أما الكهانة فأثانية بغريزتها

" ثانيا: إن الدين ديمقراطي النزعة , أما الكهانة فهي لا تؤمن بالديمقراطية ولا أضعف الإيمان

.. ثالثا: يتجلى في إيمان الدين بالعقل وكفر الكهانة به كفرا تاما

"!! رابعا: إن الدين يؤمن بالحياة .. أما الكهنة فيبغضون الناس فيها ويستأثرون هم بالطببات

خامسا: إن الدين يتفاعل مع الحياة والعلم ويؤمن بالتطور بينما الكهانة جامدة لا تتحرك ولا تسمح لنفسها ولا للناس . بتطور أو نهوض

وهكذا وضع خالد محمد خالد الفوارق بين الدين والكهانة حتى ينزع عن الدين رداءه الجامد الذي ألبسوه له "الكهنة" ولينطلق التيار الديني مع تيارات العصر وحركة التحرر الوطني في مقاومة الاستعمار والعمل من أجل العدالة .. الاجتماعية

! الانحراف بالثورة

إن التيار الثوري لم ينفصل أبداً عن حركة التحرر في مقاومة الاستعمار والتطور الاجتماعي بل كان يغذيها وهو موجود اللحظة ولكن صوته خافت مع ركود الحركة الوطنية ونكستها الحالية ومع غياب الديمقراطية وغياب حرية الفكر انطلق تيار الكهانة من جديد

وظهرت جماعة " التكفير والهجرة" لتنادي بتكفير المجتمع وهجرة الناس إلى الكهوف وترك معاهد العلم واستطاعت هذه الجماعة أن تستقطب عددا كبيرا من طلبة الجامعات والمدارس من تيار الحركة الوطنية أن تستقطب عددا كبيرا من .. طلبة الجامعات والمدارس من تيار الحركة الوطنية ليكونوا رصيذا بوعي أو بغير وعي للحكم الرجعي القائم في مصر

إن أزمة الفكر الحالية في مصر هي في الواقع أزمة سياسية امتدت إلى التيار الديني تريد أن تحرف القوي الدينية عن أهداف المرحلة وهي مقاومة الاستعمار والسير نحو الاشتراكية إلى مناهات من المشاك إنه نفس الأسلوب الذي حاول .. الاستعمار أن يلعب به في الخمسينات

وتساءل خالد محمد خالد فما هي الحدود التي تريد حكومة دينية أن تقيمها؟

: ويقول

ثم تحدث عن حد السرقة وكيف أوقفه عمر في أيام المجاعات وصارت سنة رشيدة من بعده إذن فحد السرقة موقوف .. حتى ينزل الرخاء مكان الجذب

كأما حد الزنا فأمر إقامته يحمل موانع تنفيذه , فقد شرط الله لإقامته أن تثبت الخطيئة بإقرار مقترفها أو البينة واشترط . أن تكون البينة أربعة شهود وأن يروا الجريمة رؤية سافر ويكاد يكون ذلك مستحيلا

وحد الخمر مثل حد الزنا تماما في صعوبة تنفيذه أو استحالة فهو لا يقام إلا بالإقرار أو البينة وبينته شاهدان بل لا بد في رأي بعض الفقهاء أن يشهدا بأنه الشباب بعد أن كان الهدف في مرحلة الناصرية تصحيح الأخطاء وبناء .. الاشتراكية

! الثورة الاجتماعية

كان التيار الثوري الديني في مرحلة الخمسينات مستجيبا للثورة التي تجتاح العالم وهي ثورة اجتماعية هدفها العدالة الاجتماعية

وهي النقطة التي وصل إليها المد الثوري بعد أن تخطى الليبرالية وأدرك أن الرأسمالية تنهار ولم يعد هناك مفر من .. ربط المسألة الوطنية بالتحويلات الاجتماعية

: ولم يتردد خالد محمد خالد أن يقول

هل العدالة الاجتماعية روسية الجنسية ماركسية الدم؟ أم هي رغبة أحست بها الإنسانية منذ أحست بوجودها ومنذ سمعت وجيب الدعي والحياة يخفق بين جنبيها؟

.. " وهو سؤال نوجهه لأولئك الذين يرجفون بالتهم على كل من يرفع عقيدته مستحشا سير الإصلاح "

ثم يستشهد بأقوال رئيس الغرفة التجارية الأمريكية يوم ذاك الذي قال

أما الآن فقلوبنا نظركم في أرجاء الأرض تروا ما تم فيها زالت الرأسمالية القديمة أو كادت صفيت في روسيا وهي " في حشجة الموت في أوروبا وتكاد تختنق في بريطانيا وقد اقتضاني عملي أن أتجول في أقطار الأرض فرأيت مصرع "الرأسمالية بعين رأسي

: ثم يعلق خالد محمد خالد قائلا

" إنه شاهد من أهلها . يعلن أن عهد الرأسمالية عهد السلب والنهب والسالبين والمحتكرين. قد مضي وتقوض "

وهكذا نري فارقا واسعا بين التيار الثوري الديني والتيار الرجعي الديني. تيار يدعو إلى مناقشة مشاكل الواقع وبذلك يلتحم مع الحركة الوطنية .. وتيار يريد العودة إلى الوراء

نادي التيار الثوري الديني بالتقريب بين الطبقات وتحديد الملكيات الزراعية وتحديد الأجازات الزراعية .. والتأمين
" وحقوق العمال كما نادي بتطبيق قانون " من أين لك هذا

: قاتلا

إن قانون " من أين لك هذا " هو الوسيلة الناجعة للمساواة بين المواطنين أمام القانون : وهو الكلمة الرهيبة التي "
"ستجلب في روع اللصوص الكبار حين يحاولون السلب والنهب فيكفون أديهم خوفا وحذرا

إلى أين؟

لم تغفل الناصرية التيار الديني الثوري فكان من وزرائها عناصر من هذا التيار ولم يتجاهل " الميثاق " دور الدين في
تطوير المجتمع قاتلا

إن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ما يمكنه من فرض إرادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه"
"

ولكن ما إن مات عبد الناصر وانتكست الحركة الوطنية حتى أطلت الرجعية الدينية من جديد تحاول أن تصرف الشعب
عن حقوقه وأمانيه وأهدافه .. ونشطت الجمعيات الإسلامية في مصر ويقدر البعض عدد أفرادها بنحو مائة ألف منظمين
.. تنظيما جيدا

وهذه الجمعيات منتشرة داخل أوساط الشباب وعلى مستوى الجامعات ومن المعروف أن السادات قد شجع قيام هذه
.. الجمعيات الإسلامية بهدف تجميد نشاط اليسار الذي كان في ذلك الحين يعارض انقلاب 15 مايو

ومن الملاحظ أن أعمار أفراد هذه الجمعيات يتراوح بين 16, 20 سنة أي الجيل الذي شب ليجد السادات في الحكم
ووقع هذا الشباب في حيرة وهو يري كل القيم والأسس التي قامت عليها الثورة تنهار وتنتهي معها آماله نحو المستقبل
..

وهل أن يلتفت هذا الشباب نحو أهداف محددة راح ينادي بالحجاب وفصل الطالبات عن الطلبة ويطالب بوقف
!! المحاضرات لتأدية الصلاة وأخذ بعضهم في الظهور يتنافي مع الحضارة

والأمر لم يقتصر على مصر بل إن كثيرا من الأقطار شاهدناها تتراجع عن الخط التحرري بالتالي شجعت التيار الديني الرجعي فظهرت في كثير من العواصم العربية نفس التقاليد والبدع وأخذوا يقتنون ويشرعون لفرض الحجاب وقطع اليد.. وهكذا يشهد الإسلام ردة رجعية بعد القفزات التي خطي إليها خلال مراحل الصراع ضد الاستعمار والرجعية ! الهموم كثيرة

أفزعت هذه الردة الكثيرين .. وخاصة بعد أن أفردت بعض الصحف العربية صفحاتها للمناظرة تأييدا للخط الرجعي ..
: فأنبري الدكتور كمال أبو المجد .. فكتب

".. إن الأمر ليس أمر مناظرة بالكلام ولا مبارزة بالألفاظ . مفهوم المسلمين كبيرة ومشاكل تطبيق النصوص كثيرة "

.. أولا: إن الإسلام لم يفرض نظاما سياسيا مفعلا والخلافة ليست نظاما محدد المعالم

.. ثانيا: إن الحكم الإسلامي نظام مدني وسلطة الحكم مرجعها الشعب

وهكذا عدنا من جديد إلى بداية القرن الحالي عندما أثار الشيخ على عبد الرزاق هذه النقاط في كتابه " الإسلام وأصول الحكم " ... وكأننا لم نتقدم خطوة

لم يتحدث الدكتور أبو المجد عن هذه " الهموم الكثيرة " ولكنه تحدث عن الفكر الإسلامي إلم يتحدث عن مواجهة إسرائيل . عن كامب ديفيد عن القدس وكأن الفكر الإسلامي معزول عن هذه الهموم ! أو إن هذه الهموم لأتهم الفكر الإسلامي!

ويدهي أن التيار الإسلامي لا يتمثل في مثل هذه المناظرات أو الجدل فهناك على أرض فلسطين وعلى أرض لبنان من يعبرون عن الفكر الإسلامي الثوري ويقاتلون جنبا إلى جنب مع تيارات الفكر الأخرى التي تتمثل في جبهات وطنية .. مناضلة ضد العدو الصهيوني والأمبريالي الأمريكي

! الجبهة

. كانت الجبهة الوطنية عام 1946 هي قمة التقاء الفكر الإسلامي الثوري مع القوي الوطنية وتحددت الأهداف

. رفض الأحلاف العسكرية

. الجلاء ورفض المفاوضات

وكانت الجبهة قد تشكلت في مواجهة " صدقي باشا " الذي سرعان ما عمل على انقسامها ..ولكن هذه الجبهة هي التي خاض شبابها القتال في القتال وسرعان ما التحمت كل القوي مع تصاعد المد الثوري الذي لم يطفئه إلا حريق القاهرة

وفي أعقاب الحريق كانت ثورة 1952.ومع ثورة يوليو تصاعد الفكر الإسلامي مع بقية التيارات وظهرت المؤلفات الإسلامية أعلام العرب وقادة الفكر الإسلامي وكتب التراث

ومن جديد تنتكس الثورة وعادت سيطرة الفكر الرجعي ويتأكد أن أزمة الفكر هي أزمة سياسية فمنذ استلام السادات وتتكاثر الهموم على الشباب ويبحث عن حل فلا يجده إلا في الفكر الرجعي بعد أن حجب عنه كل فكر متحرر أو تقدمي .. ويلجأ الشباب إلى الغيبات بعد أن سدت أمامه طرق المعرفة أو العمل الجدي

وما يحدث في مصر الأمريكية الخيط لتوسع الهوة بين الطوائف والاتجاهات المختلفة .. وبتفتت الوطن العربي وتحدث الصراعات الدموية في تعصب مقيت

:ولعل السؤال

كيف الخروج من الأزمة ؟

هل يكون بمحاولة تجديد الفكر ؟. ولكن كيف ؟

إن المطلوب اليوم جبهة عريضة لمواجهة الأخطار التي تعيشها ولن تقوم هذه الجبهة إلا بتحديد للأهداف ..وما لم يتم .. ذلك فإن الساحة العربية مقبلة على صراعات عنيفة , تقف الصهيونية والإمبريالية تغذيها وتشهد الانهيار

وهكذا تتحقق " فتنة " الصراع أى أن يقاتل العربي عربيا آخر بدل أن يقاتل العدو الحقيقي ..وقد بدت بوادر هذا .. الصراع في لبنان

قمة بغداد

.. كان يمكن أن تكون " قمة بغداد " بداية .. ولكن ما حدث وما يحدث حطم الآمال

:ففي رسالة من " القاهرة " لمراسل صحيفة القبس نقرأ

تشهد السوق المصرية منذ بداية عام 1980 توسعا في النشاط الاستثماري الذي تقوم به ثلاث شركات مشتركة " شبه حكومية بين مصر والكويت والسعودية وأبو ظبي " فأين المقاطعة التي نصت عليها قرارات مؤتمر بغداد ؟

يقول الخبر:

تم تأسيس الشركة العربية المشتركة للاستثمار عام 1978 بمساهمة شركات حكومية في أبو ظبي وشركات " القطاع العام المصرية برأسمال 50 مليون دولار أما الشركات الأخرى شركة إسكان متوسط "أى ليس شعبيا" وقد حصلت هذه الشركة على قرش سعودي قيمته 100 مليون دولار في عام 1977 وما زال القرض ساري المفعول

ومشروع فندق " كابرو سكاى " الذي يقام وسط حى المال والشركة الكويتية المصرية لمواد البناء والشركة الكويتية المصرية لإنتاج الأحذية والمصنوعات الجلدية وقد حصلت هذه الشركة على ترخيص لإنتاج موديلات " بالي " العالمية ... والشركة الكويتية المصرية لإنتاج أنابيب البلاستيك . الخ

وهكذا يتم تفويض قرارات مؤتمر بغداد . ويدعم نظام السادات تنالي التنازلات حتى أصبح "المسجد الأقصى " و " ! القدس " وهي الأماكن المقدسة موضع مساومة

ويقف المسلمون حيارى وهم يرون أعز ما ارتبطوا به يضيع . ومقدراتهم تسلم إلى العدو .. بينما حكوماتهم نقف .. عاجزة أن لم تكن عاملة على تدعيم نظام السادات واتفاقيات كامب ديفيد

!جبهة اليوم

كان الشيخ " خالد محمد خالد " في كتابه الإسلامي " من هنا نبدأ " يطالب بتحديد الأجور وتحديد الملكية الزراعية ومواجهة الاستعمار وهي المطالب التي نادى بها الحركة الوطنية في عام 1946 ..فماذا يكون مطلب اليوم وكيف تحدد الأهداف ؟

نحن في حاجة إلى فكر إسلامي يدعم الجبهة فليس الوقت عودة إلى فتاوى السفور أو الحجاب أو تطبيق الحدود فإن أرضنا تنهب وثرواتنا تسلب والشعب يعيش في المقابر كالأموات ..إن المسجد الأقصى يعني كل مسلم .وكنيسة القيامة . تعني كل مسيحي

وكما يقول الشيخ محمد سويد

وهو صوت خافت وسط أبواق الرجعية ولقد شبعنا احتجاجات وخطب عنتريات وسنمت نفوسنا المحاضرات والندوات وإذا كان اغتصاب الأرض وانتهاك العرض لا يوجبان الجهاد على العرب والمسلمين فأى شئ يوجبه ؟

العقوبات وحدها لا تكفي فقد سبق وقاطعنا العدو والذين يتعاملون معه واستمر العدو في طغيانه ..وننام ناسين ما . يجب عمله بينما يبقي العدو ساهرا عاملا على إحداث الثغرات في صفوفنا والتسرب إلى مواقع ضعفنا

:إن ما يترتب على المحاربين الملتزمين بقضايانا العربية الإسلامية إذا كانوا جادين ما يلي

الوحدة بينهم أولا ثم بينهم وبين الفلسطينيين

إعلان الجهاد المقدس ضد العدو

.ضرب مصالح كل من يتعاون مع العدو أو يسالم العدو من كان وحيث وجد

هذا صوت إسلامي يمثل امتداد الخط الثوري الإسلامي ولكن هل يكفي هذا الصوت إن الجبهة هي مسؤولية كل صاحب فكر . فأين الصوت الليبرالي؟ وأين الاشتراكيون؟ إن الجميع مطالبون اليوم بتحديد موقف من الشركات الاحتكارية التي .. هي أساس البلاء

والاشتراكيون مطالبون بالعمل من أجل الجبهة ..ولكن الفكر أصبح اليوم في أغلب وطننا العربي يعاني مشاكل أقعدته .. عن العمل .. بل انحرفت به عن الثورية التي قادت المسيرة طوال السنوات الماضية

الفاشية الجديدة

ما زال الكثيرون يحملون بيقظة ضمير للسادات أو مأزق يدفعه للعودة إلى الطريق الصحيح أو نوبة كرامة تستشره أمام تحديات بيغن !الذين كانوا يرددون هذه الأقوال .. أي عودة السادات إلى الصق العربي أو تخليه عن كامب ديفيد واهمون

السادات ليس ظاهرة مصرية بل تعبير عن مرحلة تقودها الولايات المتحدة وكان مهياً لها منذ شبابه !ولم تسنح . الظروف للسادات أن يقوم بدوره إلا عندما أحكمت الأزمة الاقتصادية حلقاتها بالعالم الرأسمالي

ودخلت مرحلة الجنون " الفاشي" فشاهدنا انقلاب غانا الذي أسقط نكروما وانقلاب إندونيسيا ثم السادات وأخيرا وليس آخرا انقلاب شيلي

الفاشية الجديدة

في كل مرة سقط فيها حكم وطني شاهدنا بحور الدماء وإلغاء كافة الحقوق الديمقراطية وفرض الإرهاب بشكل وحشي .. على كافة القوي التقدمية وإنشاء " مبدأ الزعيم" وفتح الطريق أمام الأثرياء الجدد الأكثر تطرفا من ناحية الجشع

وكانت هذه هي نفس المظاهر التي صاحبت " النازية" في ألمانيا و" الفاشية " في إيطاليا أو اليابان مع الاختلاف .. الكبير

كان شعار " النازية " ألمانيا فوق الجميع وكذلك إيطاليا واليابان وكانت الفاشية تعني حكم سادة الترتينات وأصحاب البنوك وكبار المسئولين الحكوميين

أما " الفاشية الجديدة" في دول العالم الثالث فهي تمثل أحقر ما وصل إليه "القادة " وفئة " الطبقة الطفيلية " فهم لم يضعوا بلادهم أو شعوبهم فوق الجميع بل طبقوا الأساليب الفاشية لخدمة البنوك والتروستات خارج أوطانهم ورضوا بأن يكونوا خدما وأداة في يد الرأسمالية العالمية وأن يجعلوا شعوبهم عبيدا وأجراء للسادة الأجانب مقابل فتات الموائد !" التي يحصل عليها " الطفيليون" السادة و"القادة

ولعل السادات أبرز مال لهؤلاء القادة ..إنه يعترف بأقواله في كتابه البحث عن الذات , عن انتمائه إلى "النازية " فكرا وعملا من خلال علاقته بالجاسوس الألماني " أيلر " .. ويعترف ولا ينكر انتماءه إلى فئة أغنياء الحرب .. ويرى أن هؤلاء الطفيليين واللصوص هم الشعب

فيقول عن احد هؤلاء الطفيليين

كان (غوبية) هذا مليونيرا من أغنياء الحرب فلما أصد عبد الناصر قوانين الاشتراكية في سنة 61 وضع (غوبية) " أمواله تحت البلاطة كما نقول وارتي ملابس رثة لغاية فصدق عبد الناصر ورجاله أ،ه معدم فعلا ولم يكن (غوبية) فريدا في هذا فقد فعل الكثيرون من الأثرياء في عهد عبد الناصر وقبله فالشعب المصري على مدي تاريخه الطويل قد "تعلم كيف يخدع حكامه إذا تعارضت أوامر الحكام مع رغبات الشعب ومصالحه

وهكذا يكشف السادات عن حقيقة انتمائه وعن طبيعته المتسمة بالخداع فهو لم يكن من رجال عبد الناصر وإن كان ! يجالسهم ويشترك في قراراتهم

سمة الفاشية

فهل يمكن أن يتراجع السادات عن خطواته أما أنه يسير في طريق " الفاشية " إلى النهاية؟وهنا لا بد أن نراجع نشأة .. أو " قيام النازية وانهيارها " وإلى أي مدي يسير السادات في خط متوازي معها

فكما بدأ هتلر بدأ السادات بدأ هتلر بكتاب "كفاحي " وأراد في البداية أن يطلق عليه اسم أربع سنوات ونصف من " الكفاح ضد الأكاذيب والبلادة والجبن ولكن ناشر الكتاب رفض هذا العنوان الثقيل..واختار اسم " كفاحي

فإذا قلبنا صفحات كتاب السادات " البحث عن الذات " نجد أنه يحمل نفس المنهج أى عشرين عاما وهي عمر ثورة
!"يوليو ويصفها بالأكاذيب والبلادة والجبن

وكتاب " السادات " ككتاب " هتلر " ملئ بالترهات فيقول بعد أن عاد من رحلة في الخارج "وصلت مصر فإذا بكل شئ
" على نقيض تام مع صورة الجميلة صراع وتشاحن ولا على شئ معين بل على كل شئ مهما بلغت تفاهته

فإذا انتقلنا من " الذات " إلى الدولة نجد التشابه كبيرا جيرنج الرجل الثاني في ألمانيا الهتلرية يعمل على جمع الثروات
. والأرباح من العمل الصناعي والتجاري وكذلك شبيهة عثمان أحمد عثمان .. الخ

وكما حدث لرجال الدين في ألمانيا الذين تعاونوا مع النظام النازي ثم انقلب عليهم حدث نفس الشئ لرجال الدين في
! مصر

أما عناصر القيادة في الحزب النازي فكانوا من أخط البشر جورنج زير نساء ويتعاطي المخدرات وشترانجر الذي بدأ
حياته مصورا للناظر العارية وروهم قائد جيش العاصفة من الشواذ!ولسنا في حاجة إلى ذكر ما يقال وما يحكي عن
! عناصر الحزب الوطني الديمقراطي

فإذا انتقلنا إلى المواثيق والعهود السياسية نجد أن موقف السادات من مواثيق الجزائر والرباط أو معاهدة الصداقة مع
الاتحاد السوفييتي لا تختلف عن النهج الذي اتبعه هتلر لكل المعاهدات والمواثيق التي وقعها .. فلم تكن سو قصاصات
..! ورق :ما أعلن ذلك صراحة

! اختلاف

ظهرت النازية كمحاولة أخيرة لإتقاذ الرأسمالية في ألمانيا وايطاليا ..وكما قيل

" إن انحطاط الرأسمالية سيكون انحطاطا أكثر اضطرابا ومأساوية ودموية من صعودها "

بعد الحرب العالمية الأولى التي نشبت من أجل إعادة توزيع الأسواق أو المستعمرات عادت ألمانيا لتعان مشاكل البطالة
والتضخم مع الأزمة العالمية الطاحنة فكانت ألمانيا هي البلد الذي عاني أكثر من غيره من الأزمة الاقتصادية الكبرى
عام 1929 فوصل عدد العاطلين إلى 6 مليون مع انهيار الأجور

وبدأ الانهيار في النظام المصرفي العالمي وفوضى العملات واختلال تنظيم الأسواق وهنا ظهرت " النازية " كمنقذ
للرأسمالية واجتمع هتلر بممثلي الرأسمال الزراعي واتحاد أصحاب المناجم وكارتر الصلب والنسيج وغيرهم من كبار
الرأسماليين 300

! وأصبحت " النازية " " كالفاشية " في ايطاليا ترفع شعار الاشتراكية وتحمي الرأسمالية

ولم تختلف " الفاشية الجديدة" عن مثيلاتها القديمة كلاهما قام في أعقاب أزمة رأسمالية عاتية إن الأزمة العالمية الحالية التي تحتاج العالم الرأسمالي سواء في البطالة أو التضخم أو اضطراب النظام النقدي جعل من الفاشية ضرورة .. حتمية

وزارة العمل البريطانية أعلنت في أوائل شهر يوليو أن عدد العاطلين في بريطانيا بلغ 1,9 مليون أى يقترب الرقم من .. المليونين وهم الرقم الذي كان مقررا لأواخر العام الحالي

كما أن الأرقام التي أعلنتها الحكومة البريطانية أن نسبة التضخم تصل إلى وبالمثل تواجه الولايات المتحدة نفس .. المشاكل من بطالة وتضخم ولم تعد المشكلة قاصرة على دولة رأسمالية دون أخرى بل أصبحت الأزمة شاملة

وكان لابد من " فاشية جديدة" ولكنها في هذه المرة لن تكون في الوطن الأم بل فاشية تابعة أى فاشية المستعمرات .. تكون مهمتها إنقاذ الوطن الأم من أزمته وإنقاذ الطبقات من ثورة الجماهير

الوجه البشع

قامت الانقلابات في شيلي وغانا وكوريا الجنوبية لتعيد السيطرة الاستعمارية ولكنها في هذه المرة سيطرة أمريكية .. وأصبحت الولايات المتحدة مصدر الانقلابات ضد الحكومات الوطنية وإقامة حكومات فاشية عسكرية

وأصبحت كوريا الجنوبية نموذج مكبر للأوضاع السياسية والاجتماعية المينوس منها والسائدة في العالم الثالث وكما .. يقول تقرير صحفي النساء هن السلعة الوحيدة المتوفرة بكثرة والموزعة بعدل على الشرائح المؤيدة للنظام

وفي غياب الديمقراطية وحرية الصحافة أغتنت عائلة الرئيس وأقاربها وأتباعها وحشايتها وجنراتها وتحولت كورية .. الجنوبية بلد العدة ملايين نسمة إلى شركة مساهمة لهيئة من كبار المنتفعين بالظلم والقهر والكبت والفقر والجهل

وثمة إجماع على أهمية الدور التجاري الذي تلعبه زوجة الرئيس ..وقد أكدت نشرة سرية أن السيدة الأولى (!!) تمتلك .. 131 شركة تجارية

ومصر لا تختلف عن تلك الحالة فقد صرح السادات في تلفزيون أمريكا ونقله تلفزيون فرنسا تبريرا للصفقات التي ..! تبرمها سيدة مصر الأولى بأن السيدة خديجة (رضي الله عنها) كانت تعمل في التجارة

! الصهيونية

إن التقاء " الفاشية" بالصهيونية ليس جديدا ففي سبيل قيام إسرائيل قدمت الصهيونية للنازية أسلحة قتال وملايين .. الدولارات كما كان كبار رجال الصناعة في أمريكا على اتصال بالنازية طوال فترة الحب

وعندما انتقل ميزان القوى من انجلترا إلى أمريكا نقلت الصهيونية نشاطها إلى الولايات المتحدة وبذلك أصبحت أكبر .. مركز للصهيونية العالمية

وفي وسع جماعة الضغط الصهيونية ذات النفوذ في الولايات المتحدة الأمريكية والمرتبطة ارتباطا وثيقا بالمجمع العسكري الصناعي ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن تقوم بالدعاية لوجهة نظرها من خلال الكثير من وسائل .. الإعلام الأمريكية

ولا شك أن وجهة النظر الصهيونية لا تختلف عن الدعاية الإمبريالية الدعاية لسباق التسلح والكراهية والعدوان ضد حركات التحرر الوطني .. إن 20% من أصحاب الملايين الأمريكية هم من أصل يهودي .. وتبلغ قدرة الجالية اليهودية ! الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية 1,5 تريليون دولار

وتعتبر الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية أضخم وأغني الجاليات في العالم .. وهذا يكشف لنا سر ارتباط العسكرية الأمريكية بالعسكرية الصهيونية فهما وحدة متماسكة اقتصاديا تحتاج إلى أسواق ومواد خام من المستعمرات .. أو التوابع

السادات

وهنا تبدو خطورة السادات والنظام الذي يحيط به فالسادات كما ذكرنا وكما قال في كتابه "البحث عن الذات " لا يري ! الشعب إلا في الأغنياء والأثرياء حتى ولو كانوا لصوصا ومهربين يضعون ما ينهبونه تحت البلاطة

وهكذا كان لقاء السادات مع الولايات المتحدة والصهيونية لقاء فكري ولقاء مصالح والارتباط أبدي .. فهل تصطمع مطامع الصهيونية مع السادات ؟

إن أطماع تل أبيب التوسعية لا تعرف حدودا فهي الكيان الوحيد في العالم الذي يرفض حكامه تخطيط حدوده الرسمية .. "منذ لحظة إعلان الكيان الصهيوني الغاصب .. " إن إسرائيل هي هناك حيث يوجد جنودها

: وأعلن مناحيم بيغن قائلا

إننا لن ننسحب أبدا من القدس الشرقية وغزة ومرتفعات الجولان "فما هو رد السادات ؟ "

:نقتطف سطوراً من الرسالة التي بعث بها السادات إلى بيغن .. يقول في الرسالة

إننا نلتزم بنص وروح " كامب ديفيد " وندعو إلى الاحترام الدقيق لكافة الالتزامات التي تتضمنها هذه الوثائق .. التاريخية

تظل مصر على استعداد لمساعدة شركائها في عملية السلام تمدهم بحلول وسبل نموها حتى إذ فشلوا في رؤية واقع ! الأمور أو حكمة هذا العمل , ونحن في ذلك نطبق على إسرائيل ما كنا نطبقه مع إخواننا العرب

هذه كلمات السادات وهي ليست في حاجة إلى تعليق فالرجل يعرف دوره فهي فاشية جديدة ذيلية تعرف دورها في . مساعدة شركائها سواء لحل أزمة الرأسمالية العالمية أو في العدوان على حركات التحرر أو نهب الشعوب

وإذا كانت الإمبريالية العالمية تعرف اليوم أنها عاجزة عن شن حرب عالمية لتفوق الاتحاد السوفييتي كما أعلن ذلك ..وزير الدفاع الأمريكي فإنها لن تتردد في الزج بشركائها الصغار في حروب محدودة

!القواعد

بادرت أمريكا بتصعيد سباق التسلح في المنطقة بصورة لم يسبق لها مثيل إذ بلغت قيمة الأسلحة المرسلّة إلى مصر .. (مؤخراً ومن بينها مقاتلات (ف - 16) التي تتجاوز سرعتها سرعة الصوت ودبابات (3- م

لكي يتمكن السادات من مباشرة مسؤولياته الجديدة في التحالف العسكري وأدى ذلك إلى زيادة سنوية في ميزانية .. التسلح بعد أن كان السادات قد زعم أنه يوقع اتفاقيات كامب ديفيد من أجل تخفيض ميزانية الحرب

ولكنها الفاشية .. فكما فعل هتلر , عندما حاول حل مشكلة البطالة عن طريق التصنيع الحربي وزيادة عدد القوات المسلحة كذلك تلجأ الولايات المتحدة إلى نفس الأسلوب مع فارق أنها تحمل شركاءها الصغار بالقروض لدفع ثمن .. السلاح وبدل أن تخوض الولايات المتحدة الحرب مباشرة تدفع بوكلائها الصغار إلى حروب صغيرة

وأقيمت القواعد العسكرية للقوات الأمريكية سريعة الانتشار في مصر ولم تبق إلا إشارة الانطلاق إن الموقف يتطلب رؤية موضوعية بعد ساعتين من إبرام معاهدة كامب ديفيد وقع كل من وزير خارجية الولايات المتحدة وموشي ديان نيابة عن حكومتيهما على مذكرة تقول. أ،ه

في حالة انتهاك المعاهدة فإن الولايات المتحدة ستكون مستعدة للنظر على وجه الاستعجال في اتخاذ الإجراءات مثل دعم وجود الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة وإرسال الإمدادات الطائرة إلى إسرائيل ثم ممارسة الحقوق البحرية ..!من أجل وضع حد للعدوان

لقد وضعت الولايات المتحدة نفسها في صف العدو وعلينا أن نحدد من هم الأصدقاء ومن هم الأعداء وكما أعلن
تشرشل في الحرب ضد النازية إنني أتحالف مع " الجميع " في سبيل قهر " الفاشية " علينا أن نستجد بكل القوي
.. العالمية المعادية للإمبريالية الأمريكية لقهر الفاشية الجديدة فلا أمان ولا ثقة في العهود الأمريكية أو الصهيونية

وأخيرا هل نحن أمام أزمة فكر أم أننا متخلفون فكريا كما نحن متخلفون سياسيا واقتصاديا؟ ومن المسئول عن التخلف
الفكري .. والأزمة السياسية ؟

إن قادة الفكر كما هو الحال بين القادة السياسيين في دعر من التقدم إلى مستوي المرحلة ... بينما الجماهير تسرع
.. خطاها بلا قادة .. ولهذا تفرخ الرجعية بيضها وتظهر الكتل الصماء من الفاشية والكهانة

الليبرالية

الليبرالية الميتة

في كتابه " تجديد الفكر العربي " يتحدث الدكتور زكي نجيب محمود عن حيرته في آخر أيامه بين الفكر الغربي
والتراث العربي إنه لم ير طوال مسيرته الفكرية الوحدة بين التراث والحضارة ولهذا عندما حدد مسيرته بفلسفة
.. ديكرت وبيكون ثم وجد الطريق مسدودا عاد إلى الوراء

.. إلى التراث العربي

إن الذعر من الإرهاب الذي يجتاح الوطن العربي جعل المفكرين يهربون من واقع اليوم ووقفوا عند حدود مرسومة
.. حدود الليبرالية والفلسفة المثالية ولم يتقدموا خطوة نحو هيجل وانجلز وماركس

وما يعاني منه الفكر تعاني منه السياسة فالقادة السياسيون يتحدثون عن كل شيء ما عدا الحقائق السائدة في عالم اليوم
فمنذ 70 عاما تحدث الزعيم الوطني محمد فريد عن دور العمال في حركة التحرر الوطني وبزوغ الاشتراكية والمشاكل
الاجتماعية ولم يكن الاشتراكيون في العالم قد أسسوا دولتهم الأولى بعد بل كانوا بضع مئات مشردين في أوروبا
.. تطاردهم الحكومات بالسجن والاعتقال

وقامت ثورة 1917 وتأكد أن الفكر الاشتراكي ليس أحلاما أو أوهام مغامرين بل حقيقة قائمة في سدس الكرة الأرضية
.. وأن الطريق لبناء حضارة جديدة ومع ذلك ظل مفكرونا ينبشون الماضي ويتعلقون بأوهام الليبرالية

ورغم قيام عبد الناصر بمد الجسور إلى العالم الاشتراكي وتأكيد على دور الطبقة العاملة ومحاولاته لحل المشاكل
.. الاجتماعية إلا أن كبار المفكرين ظلوا " فاقدي الوعي " ولم يحاولوا اختراق الحواجز التي أقاموها حول أفسهم

وجاءت وفاة عبد الناصر كإنقاذ لهم ليعودوا من الجديد إلى الليبرالية يريدونها فكرا وتطبيقا .. فهل تستطيع " الليبرالية " أن تحقق الديمقراطية والحرية أو أن تقف حائلا أمام الغزو الإمبريالي الصهيوني ؟

إن الليبرالية أو التحررية هي وليدة الثورة الصناعية وضمنت الليبرالية للطبقة الوسطى نصيبها الكامل في الامتياز .. الحرية الفردية والمال والربح واستقلال الطبقات الشعبية

كان ذلك في أوروبا أما في وطننا العربي فلم تظهر الطبقة الوسطى إلا بمقدار محدود ولم تظهر من خلال التصنيع إلا في مصر بل كانت في الأساس طبقة تجارية وحتى في مصر لم تملك الطبقة الوسطى مصانعها , بل قاسمها الأجانب .. واليهود وكان لكل منهم الثلث

فلم تملك الطبقة الوسطى الإرادة الكاملة ولم تحرز الامتيازات أو حقوق الطبقات الوسطى في أوروبا ولم يحكم حزب " الوفد" سوى 7 سنوات من عمره الذي امتد ثلاثين عاما ومن قبل عجزت الطبقة الوسطى عن حماية دستورها عام 1879 بعد أن تأمر عليها الإقطاع والاستعمار وظل الإقطاع ممثلا في الملك والاستعمار ممثلا في المندوب السامي . يعصفان بكل اتجاه نحو التصنيع أو الديمقراطية

ولم يكن فشل الأحزاب الوطنية في مصر وسوريا والعراق إلا نتيجة طبيعية لعجزهم عن التصنيع وضعف قدراتهم .. المالية والاقتصادية .. وبالتالي التنظيمية

أما في أوروبا فكما يقول هارولد لاسكي

وبعد عام 1848 ولمدة تقرب من نصف قرن أيضا كان يبدو أن الفكرة التحررية قد دخلت مملكتها دخولا تاما إذ أن " .. الثروة الضخمة التي أنتجتها جعلت في الإمكان القيام ببعض التنازلات للجماهير

والحقيقة أن الرأسمالية بعد عام 1848 دخلت مرحلة الاستعمار واستطاعت عن طريق نهب الشعوب أن تجدد نفسها وأن تعطي جماهيرها بعض الفتات

البرجوازية الصغيرة

كان انهيار فرنسا وانكلترا في بداية الحرب العالمية الثانية إيذانا بانتهاء الإمبراطوريتين الكبيرتين ولم ينقذهما من .. الهزيمة الساحقة إلا السلاح والمال الأمريكي

وكان ذلك إيذانا بانتهاء النظم السياسية المتعلقة بأذيال هاتين الإمبراطوريتين وظهر التفسخ على نظام الحكم في مصر وأخذت أعمدة النظام تتساقط وبدا بوضوح انهيار النظام الملكي وظهرت منشورات الضباط الأحرار تطعن في الملك

والملكية كما كان إضراب قوات البوليس دليلا على أن الدولة الملكية تقف معزولة وأكد حل مجلس النواب من جديد ..عجز الطبقة الوسطي عن الحكم

وكانت إضرابات الطلبة والعمال؟ ظهور الجبهة الوطنية للعمال والطلبة بشيرا بظهور طبقات جديدة وقيادة جديدة في الحل السياسي بما تحمل من فكر جديد كل هذا لم يقف رؤية واضحة لرجال الفكر عما يحدث في العالم من تغييرات أو ما يحدث حولهم من تحولات ظل مفكرون كبار جامدين عن فكرة التحررية التي عاشوها أثناء دراساتهم في انكلترا .. وفرنسا ولم يتبينوا واقعهم أو حركة الجماهير

ولكن ظهر خلال ذلك سلامة موسي ورفاقه الذين خاضوا غمار الفكر الجديد وإن كان بعضهم قد انتكس والبعض تراجع عن معتقداته أمام الإرهاب وظهر نجيب محفوظ بالفكر الاشتراكي وعبر بكتابات عن البرجوازية الصغيرة التي كانت مطحونة وأنشدت أمامها طرق الحياة كما ظهر يوسف إدريس والشرقاوي ونعمان عاشور يعبرون عن الأفكار .. الاشتراكية ويتحدثون عن معاناة العمال والفلاحين

وقفزت البرجوازية الصغيرة" إلى الحكم ممثلة في تنظيم الضباط الصغار والمتقنين وتم لها الاستيلاء على الحكم ..ولكن البرجوازية الصغيرة كما عودتنا لا تأخذ طريقا واحدا بل هي في ترددها تتذبذب في علاقاتها الداخلية والخارجية .. فلم يحصل العمال على حق التنظيم السياسي ولم تتخذ العلاقات بصورة حاسمة من الامبرياليين

لم يدرك الليبراليون أن العهد الماضي ذهب بلا رجعة وأن الحرية الليبرالية لن تحقق حرية الفرد وأن حرية جديدة بفلسفة جديدة هي التي تغزو العالم وأن الفكر الاشتراكي هو المنقذ من المأساة ولكنهم ظلوا متمسكين بحريات دستور 1923 الذي لم يتحقق لظروف موضوعية ويريدون تحقيقه في ظروف عالمية متغيرة وعندما أفاق الليبراليون من ..أحلامهم لم يجدوا أمامهم سوي الفاشية فارتموا في أحضانها

أما اليسار يشبه " الفجل الأحمر " كما سبق وقلنا فلم يكن يحمل من سمات اليسار سوي القشرة الخارجية بينما هو في أعماقه أبيض ودفعتهم أحلامهم إلى التصور بأن الاشتراكية تتحقق بالخطوات التي اتخذها عبد الناصر وعجزوا عن إدراك طبيعة المرحلة وما زالت أحلامهم الديمقراطية الليبرالية تراود بعضهم

ويصفقون لحركة الجماهير العفوية ولا يلتفتون بحركة العمال ومرت عليهم أحداث إضراب عمال المحلة الكبرى .. وإضراب النقل المشترك دون أن تثير فيهم ما أثارته أحداث 19,18 يناير

إن حرية المثقفين لم تتحقق في الماضي عندما ضربت البرجوازية الوطنية الطبقة العاملة في أعقاب ثورة 1919 فلم .. تكن هناك قوي حقيقية تقف أمام عدوان الاستعمار أو الإقطاع

لقد ارتبطت حرية المثقفين بحرية العمال والفلاحين وهذا ما تنبأ إليه عبد الناصر نظريا وسعي إلى تحقيقه اجتماعيا واقتصاديا لم يسأل المثقفون أنفسهم لماذا لم تتحقق الحرية فعليا رغم النص عليها نظريا؟

كان من السهل بناء المصانع أو توزيع الأرض رغم ما لقي كل من الأمرين مقاومة القوي المضادة أما الحرية وهي التي تؤدي إلى مشاركة الإنسان في تحرير نفسه ودعم الصناعة أو ممارسة قوانين الإصلاح فقد لقيت مقاومته عنيفة من كل القوي الرجعية والاستعمارية وحتى من المثقفين أنفسهم الذين أرادوا الاستئثار بالحرية دون الفلاحين والعمال.. وهكذا أطيح بالحرية وبالديمقراطية وبالديمقراطية وبقضية التحرر الوطني

.. وكان السؤال

هل العمال والفلاحون مهينون لممارسة الديمقراطية؟

"ونسى المثقفون إن نفس السؤال وجه إليهم عند بدء العمل بدستور عام 23 وقيل أن " الدستور ثوب فضفاض

إن دور المثقفين ليس ممارسة الحرية فحسب بل توعية ونقل الفكر الاشتراكي إلى الطبقة العاملة .. فالإشتراكية علم .. وليست مجرد شعارات

المرحلة والصراع

لن تحقق حريتنا إلا إذا أدركنا طبيعة المرحلة التي نعيشها وحقيقة الصراع في عالم اليوم وانعكاساته على وطننا العربي وبالتالي على مصر يمر العالم اليوم في مرحلة صراع بين حضارتين أو اتجاهين الحضارة الإشتراكية الصاعدة .. والحضارة الرأسمالية المحتضرة

ولسنا في حاجة إلى انحسار النظام الرأسمالي من أكثر من ثلث العالم في مدي أقل من نصف قرن وبذلك فقد السيطرة .. السياسية والاقتصادية والعسكرية التي كان ينفرد بها

وفاتنا مرحلة الثورة الصناعية وواجهنا التطور الرأسمالية في مرحلته الاستعمارية .. بدأ هذا النظام بالنشاط الفردي نحو امتلاك وسائل الإنتاج لتحقيق الربح ومع التطور لم تستطع قوتي الإنتاج أن تجاري قدرة التوزيع وانساق أصحاب وسائل الإنتاج إلى كفاح يزداد حدة وعنفا من أجل الأسواق وكانوا يحققون أهدافهم لانفرادهم بالقوة وبالسلح وبالدن ..! كانت تدعهم الأفكار التي تمجد الفرد وتشيد بعبقريته وقدراته

وفي الحقيقة لم يكونوا "فردا" بل أفرادا تجمعهم مصالح مشتركة تمثلت في استغلال الإنسان واستعباد الشعوب ولم .. يكن من الممكن استمرار الاستغلال أو الاستعباد مع تفاقم الأزمات من بطالة وارتفاع الأسعار والجوع

:وكما يقول هارولد لاسكي المفكر الانكليزي

ولكن الديمقراطية السياسية والفكر التحرري الذي يعبر عن أهدافها الداخلية لا يستطيعان تجاوز الإطار الذي يحيط بهما أكثر مما كان يستطيع المجتمع الإقطاعي أن يتجاوز المبدأ الذي ينظمه .. إن التغيير الأساسي في العلاقات الطبقية يتطلب الآن كما تطلب في نهاية القرن الخامس عشر ثورة في فكرة الملكية وبالتالي في فكرة الدولة التي هي حاميتها .. إذا أريد لها أن تكون فعالة في تغيير طابع قوي الإنتاج

وتغيرت فكرة الملكية بظهور الاشتراكية .. كما تغيرت فكرة الدولة بقيام أول ثورة اشتراكية في العالم وتبين أن تمجيد الفرد أو الإشادة بقدراته لم يكن يقصد بها كل إنسان بل الإنسان الذي يملك ويستغل ويستعبد الآخرين

وظهر الاتجاه الثاني وأصبح حقيقة واقعة قام على فكرة وجود العمال داخل مصانع يعملون متضامنين ويمثلون القوة الحقيقية العاملة في المجتمع ومن خلال تجمعهم داخل المصنع يملكون القدرة على الحوار الديمقراطي وعلى العمل الفعال والحاسم ضد أعدائهم أنهم بفعل مشترك يستطيعون أن يوقفوا حركة المجتمع كما يستطيعون دفعه إلى الأمام إن بين أيديهم كل قوي الإنتاج والخدمات

: وقام المجتمع الجديد بشيرا بحضارة جديدة وقضي على المبدأ التالي

إما أن تنهب الغير .. وإما أن ينهبك الغير إما أن تشتغل لصالح آخر وإما أن يشتغل هو لصالحك إما أن تكون سيذا " وإما أن تكون عبدا

وفي هذه الكلمات البسيطة يتمثل الصراع الحالي في العالم صراع بين الذين ينهبون الغير وبين يرفضون فكرة النهب .. صراع بين من يدعون السيادة وبين من يرفضون أن يكونوا عبيدا

الفكر الرجعي

ساد المرحلة الناصرية نفسية وعادات ومفاهيم السيد أو العبد أو الملاك الصغير أو المستخدم الصغير . أو الموظف .. الصغير أو المثقف وبكلمة موجزة سادت مفاهيم الإنسان الذي لا يفكر إلا في مصالحه ولا يبالي بمصير الآخرين

.. وكما قيل

إذا كنت استثمر قطعة أرض فليس لى أن أهتم بالآخرين وإذا جاع الآخر ذلك أفضل فإني سأبيع حيويي بسعر أغلي " وإذا كان لى منصب صغير كطبيب أو مهندس أو معلم أو مستخدم فما يهمني من الغير وربما تملقت المتسلطين على "زمان الحكم وسعيت إلى إرضائهم فأحافظ على منصبي بل قد أنجح في شق طريقي وأصبح أنا نفسي بورجوازيا

وأدي هذا الفكر إلى وأد المرحلة الناصرية بل أدي إلى سقوط مصر في أيدي الصهيونية والإمبريالية وبدأ الطبيب الصغير أو المهندس الصغير أو المعلم في عملية موازنة دخله مع مصاريفه ولم يعد يجد الطريق للوصول إلى هذه .. الموازنة مع زحف التضخم وارتفاع الأسعار الزاحف على مصر مع الغزو الإمبريالي

فهل هذا التضخم وارتفاع الأسعار ظاهرة عالمية كما يقولون؟ لا جدال أن انقسام العالم إلى معسكرين اقتصاديين لم .. يعزلهما عن بعضهما ولا شك أن التضخم في الغرب الرأسمالي له انعكاساته على العالم الاشتراكي

ولكن لابد أن نفر ببعض الحقائق

. أولا : أن التضخم في عالم اليوم هو ظاهرة رأسمالية أو احتكارية

ثانيا: إن انعكاس التضخم على العالم الاشتراكي لم يأخذ أبعاد التضخم الرأسمالي

ثالثا: إن ارتفاع الأسعار في العالم الاشتراكي وهو ارتفاع ضئيل لم تصحبه البطالة أو الأزمات الخائفة

رابعا: إن الانعكاس الحقيقية للأزمة الاقتصادية الرأسمالية بالنسبة للعالم الاشتراكي لم يظهر إلا في بولندا نتيجة ارتباطاتها بالفروض الرأسمالية وتغلغل العناصر الصهيونية المخربة في أجهزة الاقتصاد والتخطيط والانحراف عن .. الخط الاشتراكي

إن انهيار النظام الرأسمالي العالمي وسقوط الحضارة البرجوازية جعلها تدافع بشراسة عن البقية الباقية من حياتها سواء سياسيا أو اقتصاديا أو فكريا وتحاول أن تدعم نفسها بالأفكار الوسيطة فظهرت نظريات هربرت ماركوز .. وانحرافات المرتدين أمثال جاروري مع عنف الأجهزة السياسية

وكان لهذا كله انعكاساته على العالم الثالث .. أي الطريقتين ؟ منذ أكثر من سبعين عاما ارتفع صوت محمد فريد الزعيم " الوطني " نقابات العمال قوة هائلة تخضع لها الحكومات وتطأ رأسها أمامها

وربط محمد فريد قضية الاستقلال بقضية الاشتراكية العالمية فلم يترك وهو في منفاه مؤتمرا اشتراكيا إلا وقدم له مذكرة بمطالب مصر واليوم بعد أن أصبح للعمال دولة وللإشتراكية حكومات وبعد أن أكد عبد الناصر حتمية الحل الاشتراكي وتحدث عن الإشتراكية العلمية

ما هو موقف قادة الفكر السياسي والاقتصادي؟ ما زال الموقف في الوطن العربي وفي مصر يتذبذب كالبندول إلى اليمين وإلى اليسار تارة يلجأ إلى الإمبريالية لحل المشاكل وتارة يتقرب إلى الاتحاد السوفييتي لحماية نفسه من الغول .. الصهيوني والإمبريالي

وهو في كلتا الحالتين يتجاهل القوة الهائلة المؤثرة في عالم اليوم ويتشبث بالنظام الرأسمالي المنهار يتحدث عن .. التنمية والتصنيع ويلجأ إلى العدو الذي أوقف نموه وحرمه من التطور

ويتحدث عن مقاومة الإمبريالية والاستعمار ويلجأ إلى الإمبريالية والاستعمار لتمده بالسلح ويريد أن يحارب الصهيونية والإمبريالية بنفس الأفكار التي أرضعته بها طوال الفترة الاستعمارية .. إن الصراع اليوم أعنف مما كان في .. الماضي

فكما أعلن عبد الناصر في الميثاق

" والصراع الحتمي والطبيعي بين الطبقات لا يمكن تجاهله أو إنكاره "

وحاول عبد الناصر أن يكون الحل سلميا وأعلن أن من المحتم أن تأخذ الثورة على عاتقها تصفية الرجعية وتجريدها من جميع أسلحتها ومنعها من أى محاولة للعودة إلى السيطرة ولكن الرجعية كما تنبأ عبد الناصر لجأت إلى حليفها الطبيعي وهو الاستعمار وأطلت رؤوس الخيانة التي رحبت بالاستعمار القديم وتحالفت معه وجذبت معها عناصر ممن . أثروا من الثورة وفتحوا أذرعهم للاستعمار الجديد

وكان لابد أن ينفس المجال ديمقراطيا لقوي الشعب العاملة وهم الفلاحون والعمال والمتقنون وهو ما نادي وعمل من .. أجله الزعيم الوطني محمد فريد ثم جدد الدعوة عبد الناصر وكان ذلك انعكاسا للحركة الوطنية

إن هذا التحالف بين قوي الشعب لا يمكن أن ينبثق تلقائيا ولا يمكن أن يعزل داخلها لقد بذلت القوي الرجعية الكامنة في صفوف ثورة 23 يوليو كل جهدها وعنفها لتتصدى لتنظيم هذه القوي كما بذلت أقصى ما تملك من جهد لعزل هذه القوي عن الحليف الطبيعي لها فكانت تقف عازلا بين قوي الشعب وبين قوي الطبقات العاملة وسواء في الدول الرأسمالية أم في العالم الاشتراكي

وخلال هذا الصراع الدموي العنيف الذي شاهده السجون والمعتقلات ووقف سادة الفكر في الوطن العربي متفرجين أو لاهين بما كسبوا تجاهل "سادة الفكر" أن الديمقراطية لا تتجزأ فهل يمكن أن يكون مواطن حقيقي ومواطن غير حقيقي . هل يمكن أن تكون الملكية هي التي تخلق المواطن

إن الحرية أو الديمقراطية لا يمكن أن تكون وسيلة من وسائل التعبير لكنها وسيلة للحياة إن الحرية أو الديمقراطية لن تتحقق في مصر إلا بتنظيم قوي الشعب العامل وجموع الفلاحين من أجل النضال ضد الخونة في الداخل والأعداء في ..الخارج

ولابد أن تتحدد المطالب الاجتماعية الأرض لمن يزرعها وأرباح المصانع التي ينتجها العمال للشعب وليس لحفنة من الصهيونيين والأجانب والخونة في الداخل إن " السادات " ضد كل هذا ربط نفسه بالولايات المتحدة قلعة الاستعمار والرجعية وليس أمام الشعب إلا أن يسقط السادات ولن يتحقق هذا إلا بتحالف قوي الشعب والتضامن مع قوي . الإستراتيجية العالمية

الختام

هل آن أن نحطم قيود الفكر التي كبلنا بها الاستعمار؟ وهل آن إن نخرج من قفص الرعب الذي نعيش فيه؟ إن العالم اليوم يعيش مرحلة " الذرة " التي فجرت حضارة جديدة يواكبها تطور فكري رائع أعاد إلى الإنسانية إنسانيته لا استغلال ولا استعباد ولا مذلة

وجاء الوقت لنشارك البشرية جمعاء في رحلتها نحو الآفاق الجديدة هذه الآفاق لم يصنعها الغرب وحده بل شاركنا فيها ..بدماء غزيرة وبأرواح غالية وبفكر متنامي

كنا أول شعوب عرفت الكتابة وأهدتها للبشرية وجددنا الفلسفة اليونانية غدينا الفكر العلمي وفي الحاضر كنا أول من .. وضع نموذجاً لتطور البلدان النامية

ووضعنا الأسس النظرية لتطور بلدان العالم الثالث وتحطمت على أرضنا إمبراطوريتان استعماريتان . فهل آن أن نفكر .. بأسلوب الحاضر وأن نعيش المستقبل وأن تحت الخطي نحو الغد

.. غد الإنسان الحر

.. الإنسان الذي لا يفكر في نفسه ما يفكر في مجتمعه وغده وإنا لمنتصرون

تصنيفان

تصفح الويكيبيدياالمكتبة العامة

قائمة التصفح

دخول

إنشاء حساب

نقاش

الصفحة

بحث